وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية **قسم: العلوم الإنسانية**

الزوايا العلمية بالجنوب الغربي للجزائروأدوارها الاجتماعية و الثقافية خلال القرنين (11 - 12)هـ (17- 18)م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص:التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالبة: شنتيرنجاة **إشراف الأستاذ: أ.د. خيرالدين شترة**

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د. مبارك جعفري	أستاذ	جامعة أحمد دراية أدرار	رئيسا
أ.د. خيرالدين شترة	أستاذ	قسم التاريخ والحضارة الإسلامية/ جامعة الشارقة	مشرفاً و مقررا
أ.د. عبد السلام كمون	أستاذ	جامعة أحمد دراية أدرار	مناقشاً
أ.د. عبيد بوداود	أستاد	جامعة ابن خلدون معسكر	مناقشاً
أ.د. بغداد خلوفي	أستاذ	المركزالجامعي البيض	مناقشاً
أ.د. عبد القادربوباية	أستاذ	جامعة وهران 1	مناقشاً

السنة الجامعية: 2022 م/ 2023م





سورة طة: الآية (114)



أولاً: أشكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لي في إتمام هذه الأطروحة فإنه سبحانه خير ميسر ومعين

كما يطيب لي أن أتشرف بتقديم جزيل الشكر والعرفان .للدكتور الأستاذ المشرف خير الدين شترة على المجهودات التي بذلها وصبره الجميل لأجل إخراج هذه الأطروحة إلى النور دون أن أهمل مجهودات زوجي شفاه الله الذي يرجع له الفضل فيما وصلت إليه اليوم، إلى جانب دعوات أمي أطال الله في عمرها وأبي رحمة الله عليه الذي كان يتمنى أن يراني في هذا اليوم

والشكر والتقدير موصول إلى كل من ساعدني ولو بحرف أو كلمة أو دعوة خير.

فلهم مني جزيل الشكر والعرفان.

إهداء

إلى من اقترن رضاهما برضا الله عز وجل، إلى نبع الحب والحنان أبي رحمه الله وأمي اطال الله في عمرها

ثم

إلى زوجي وأبنائي وكل فرد من عائلتي وبالأخص أخي وأستاذي شترة خير الدين الذي كان بمثابة الأخ

والأستاذ والمشرف حفظه الله

إلى كل من وقف معي وساندني وشد من أزري وشجعني.

أهدي لكم هذا الجهد المتواضع رمزاً للوفاء

وعرفاناً لله ثم لكم بجميل فضلكم

شنتير نجاة

الملخص:

يختص حديثنا في هذه الأطروحة على الزوايا العلمية لكونها كانت ولا زالت تعتبر أهم مراكز الإشعاع العلمي التي حفظت للأمة الجزائرية هويتها وصانتها من جميع أشكال الدمار والإندماج .

وعمومًا وقبل الغوص في ثنايا المحتوى المعرفي للأطروحة فقد تناولت في دراستي هذه جوانب تاريخية وحضارية أخرى تختص بالمجال الجغرافي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي للصحراء الجزائرية عمومًا، والجنوب الغربي من هذه الصحراء خصوصاً، والجدير بالذكر تاريخياً أن الصحراء الجزائرية خلال القرنين" 11-12هـ "– " 17-18م"وبالأخص إقليم الجنوب الغربي منها تميزت بكثرة الزوايا والمدارس القرآنية العامة إضافة إلى تميزها بوفرة خزائن الكتب والمخطوطات النادرة.

كما أن استقرار الوضع السياسي للمنطقة، وعدم تبعيتها المباشرة لأي من القوى المحيطة، (الدولة العثمانية بالمغربين الأدنى والأوسط أو الدولة العلوية بالمغرب الأقصى)، والموقع الجغرافي الإستراتيجي للإقليم (قربها وتوسطها لعدد من الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء بلاد المغرب الإسلامي وجنوب الصحراء الكبرى كتلمسان وفاس والقيروان و تمبكتو وغيرها)، ووقوعها في مفترق طرق يقطع طريقين حضاريين، (طريق القوافل التجارية عموديًا، وطريق ركاب الحجاج أفقيًا)، سمح لهذا الإقليم أن يعيش خلال فترة الدراسة مرحلة التجديد والعطاء في شتى صنوف العلم والمعرفة .

وقد جاء اختياري لموضوع الدراسة بهدف إبراز بعض الحقائق التاريخية للإقليم ولأدوار العلم والمعرفة للزوايا، ومحاولة الترجمة لأعلام وشخصيات علمية فعالة، مع إعطاء لمحة ولو عابرة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقليم الجنوب الغربي.خلال هذه الفترة.

وأقصد بالإطار المكاني للجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، وبحسب التقسيم الإداري للجزائر المستقلة فهو المنطقة الممتدة من ولاية أدرار إلى ولايتي بشار وتندوف، أما عن الإطار الزماني فهو خلال القرنين "11-12"هـ-"17-18"م.

ومن جملة الاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذه الدراسة البحثية:

✓ أن هذه الأقاليم الثلاثة في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية وجدت لها صدى في المصادر التاريخية القديمة لتميزها واستقلاليتها وعدم تبعيتها المباشرة لأي سلطة سياسية، فقد كانت تصنف جغرافيً وإدارياً أنها بلاد السيبة، مما ألزم شيوخ القبائل وأهل العلم بأن يكونوا هم الجهة الحاكمة في تسيير أمور السكان حرصًا منهم على النظام.

✓ عرفت الزاوية في هذه الأقاليم بكل تنوعاتها من حيث النشأة والتطور والتفريع والمنهج المتبع الكثير من التحديثات عبر الزمن،فيكفي أن الزاوية كانت هي نواة كل قصر أو تجمع سكاني بالإقليم .

✓ تنوعت مراكز التعلم ومؤسساته بالإقليم فمنها المساجد، والكتاتيب، ومنها المدارس والمعاهد، وكانت الزاوية العلمية تتأسس بوجود عالم أو شيخ مشهود له بالعلم، ثم لا تلبث أن تتفرع بمرور الزمن إلى زوايا فرعية تتبع الزاوية الأم بإيعاز من شيوخ الزاوية الأساسية، بعد أن يكون قد أجيز لأحد خريجيها بفتح الزاوية الفرعية.

✓ أن إقليم الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية عرف في تاريخه الوسيط وحتى الحديث تغير في البنية الإثنية والعرقية بسبب حركتي الهجرة الخارجية والنزوح الداخلي، لعل أهمها هجرة القبائل الهلالية للمنطقة، كما أن الغارات والحروب التي كانت دائرة بين مختلف القبائل القاطنة بالإقليم كحرب بأحمد وسفيان في إقليم توات، وحرب ذوي-منيع وأولاد جرير، غير حروب الرقيبات مع تجكانت. وغيرها كانت سببًا آخر في إحداث تغييرات جوهرية في البنية الإجتماعية والسكانية وحتى المذهبية.

✓ أن الإسهام العلمي بالإقليم في سياق الحركية العلمية والدينية خلال هذه الفترة شارك فيه نوعين من النخب العالمة (العلماء الوافدون، وعلماء أصيلي الإقليم سواء منهم الذين نالوا فرصة الإرتحال لأجل العلم في مختلف حواضر العالم الإسلامي، أو الذين كانوا نتاج المؤسسات التعليمية بالمنطقة) .

✓ أن تأثير الحركة العلمية والفكرية والثقافية بالإقليم لم ينحصر مداه ضمن إقليم دون آخر بل أنه تعدى في إنتشاره ليصل إلى الحواضر المجاورة من جنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي.

✓ أن الزوايا العلمية بالمنطقة كانت تعتبر نموذج للدعوة والإرشاد والفتوى بإفريقيا والمغرب الإسلامي في ذلك الوقت، كما كانت لها أدوار جهادية وثورية ضد المعتدين.

✓ من أهم مظاهر الحركية العلمية والفكرية للزوايا العلمية بالإقليم شيوع حركة التأليف والنشر، فظهرت أسماء أعلام نتاج الزاوية العلمية ازدانت المكتبة العربية والإسلامية بأسفارهم الغزيرة (نثراً وشعراً)، يضاف إلى هذا المظهر العلمي، مظهر أخر مهم وهو إبداع أهل العلم بالإقليم في التأليف في النوازل والرحلات، والتفسير.... كما أن حركة نسخ المخطوطات،والتجديد في الإفتاء والقضاء، ومناهج وطرق التدريس المبتكرة ..كلها كادت أن تكون معالم خاصة للحركية العلمية بالمنطقة دون غيرها من الحواضر القريبة، ناهيك عن مظاهر أخرى كفن المراسلات والإجازات العلمية، والتناظر الفقهي العلمي لعلماء المنطقة سواء فيما بينهم، أو بينهم وبين علماء المشرق والمغرب.

Le résumé:

Notre discours dans cette thèse est particulièrement pertinent aux zaouias scientifiques, parce qu'ils ont préservé l'identité de la nation algérienne et l'ont protégée de toute forme de destruction et d'intégration.

En général, avant de plonger dans le contenu de connaissance de la thèse, j'ai examiné dans mon étude d'autres aspects historiques et civilisationnels des sphères géographiques, historiques et socio-économiques du Sahara algérien en général, et du désert du sud-ouest en particulier, historiquement notable que le Sahara algérien pendant les deux siècles "11-12e" - "17-18m", en particulier la région du Sud-Ouest, a été caractérisée par de nombreux coins et écoles coraniques publiques, ainsi que par l'abondance de bibliothèques rares et de manuscrits

La stabilité de la situation politique de la région et son manque de dépendance directe vis-à-vis des forces environnantes (Empire ottoman avec des Marocains du Bas et du Moyen-Orient ou État du Haut-Maroc), et la situation géographique stratégique du territoire (proximité et médiation d'un certain nombre de villes scientifiques dispersées dans les États du Maghreb islamique et subsaharien, Tlemcen, Fas, Kerouane, Tombouctou, etc.) Il est situé à un carrefour qui coupe deux routes urbaines (route de convoi commerciale à la verticale, route de pélerinage à l'horizontale). Des droits ", qui a permis au Territoire de vivre à travers la période de l'étude au stade du renouvellement et de donner dans divers types de science et de connaissances.

Mon choix pour le sujet de l'étude était de mettre en évidence certaines des réalités historiques du territoire et les rôles de la science et donnant un aperçu même fugace de la politique, les conditions économiques, sociales et culturelles de la région du Sud-Ouest. Au cours de cette période

Je parle du cadre spatial du sud-ouest du Sahara algérien. Selon la division administrative de l'Algérie indépendante, c'est la zone du mandat d'Adrar aux mandats de Bachar et de Tindouf. La période est au cours des deux siècles "11-12" H-17-18. Le plan d'étude comprend un chapitre d'introduction et trois autres chapitres, dont les plus importants peuvent être résumés comme suit:

 Ces trois territoires du Sud-Ouest ont trouvé un écho dans d'anciennes sources historiques de leur distinction, de leur indépendance et de leur manque de dépendance directe vis-à-vis du pouvoir politique. Ils ont été classés géographiquement et administrativement comme Sepia, obligeant les anciens tribaux et le peuple de la science à être les dirigeants dans la conduite de la population pour le bien de l'ordre.

La zaouia est connu pour toute sa diversité en termes de genèse, évolution, ramification, et l'approche suivie par beaucoup de mises à jour au fil du temps, assez que la zaouia était le noyau de chaque ksar ou regroupement de population dans le Territoire.

 Les centres scientifiques du territoire se sont diversifiés, y compris les mosquées, les mosquées, les commis et les écoles Instituts, zaouias scientifiques sont dispersés et d'autres zaouias sont établis par l'instruction de la zaouia principal des anciens de base qui permettent à l'élève d'ouvrir un coin où il enseigne jusqu'à ce qu'ils grandissent et deviennent célèbres.

Le Sud-Ouest a connu les raids et les guerres inter-tribales comme la guerre d'Ahmad et Sofian dans la province de Touat, une guerre de Doui Mnie et Greer, autre que les guerres de sergents féminins avec Tijkant, et le territoire lui-même a été dominé par le croissant des Fatimides.

 Nous avons appris à quel point les scientifiques contribuent au mouvement scientifique et à sa revitalisation, dans lequel deux types de scientifiques (savants et savants de la région qui ont donné l'occasion de migrer pour la science dans les différentes civilisations du monde musulman) ont participé.

 Le mouvement scientifique, intellectuel et culturel n'a pas été confiné à une seule région, mais s'est déplacé au-delà des villes voisines du Sudan subsaharien et du Sudan occidental, de la vaste et grande diversité des sciences religieuses de la charia et des sciences mentales telles que la médecine, l'astronomie, les mathématiques et même l'ingénierie.

 Les zaouiasde la région étaient considérés comme un modèle de plaidoyer, d'orientation et d'avis consultatif en Afrique et au Maroc islamique à l'époque. Socialement, la région connaissait la diversité en termes de groupes sociaux berbères, arabes, noirs et juifs.

Les zaouias du Territoire ont pris soin du plaidoyer du jihad pendant le colonialisme français.

L'une des manifestations de l'activité scientifique et intellectuelle des zaouias scientifiques est le mouvement d'identification, la copie de manuscrits, descendants, avis consultatifs, la magistrature et les méthodes d'enseignement qui distinguent une zaouia des autres, la correspondance scientifique et la symétrie scientifique des savants, tant entre les savants algériens du Sud-Ouest qu'avec le machrek arabe et le Maroc.

المقدمة

1. أهمية الدراسة:

اختصت الصحراء الجزائرية خلال القرنين "11-12هـ" – "17-18م"عموماً، وإقليم الجنوب الغربي خصوصاً بكثرة الزوايا والمدارس القرآنية العامة، إضافة إلى تميزها بوفرة خزائن الكتب والمخطوطات النادرة والدور الخاصة وحلقات التدريس والتعليم ورواج حركة التدوين والنسخ والشروح والتعاليق والإجازات العلمية، مما شجع على انتشارها وتوسعها وذيوعها، استقرار الوضع السياسي خلال هذه الفترة حيث طبعت المنطقة بطابع الاستقلالية، وعدم التبعية لأي من القوى المحيطة، سواء للدولة العثمانية التي بسطت نفوذها على إيالات الجزائر وتونس وطرابلس أو للدولة العلوية المستقلة بالمغرب الأقصى، والتي حاولت مرارا وتكرارا توسيع دائرة نفوذها نحو هذا الإقليم.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال عزل هذا المعطى الزماني "11-12هـ"- "17-18م"عن امتداداته في الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء بلاد المغرب الإسلامي وجنوب صحرائها كتلمسان، وسجلماسة وفاس والقيروان وتونس وبجاية والجزائر، وطرابلس، ولا عن إسقاطاته المكانية، بحكم وقوع هذا الإقليم في مفترق تقاطع طريقين حضاريين، هما طريق القوافل التجارية عموديا، وطريق ركاب الحجاج أفقيًا، لذا تعتبر هذه الفترة بحق فترة التجديد والعطاء في شتى صنوف العلم والمعرفة.

فقد عرف هذا الإقليم "الجنوب الغربي الجزائري"محطات ثقافية هامة ساهمت في نشر العلم والمعرفة تمثلت في تأسيس الزوايا والمراكز العلمية، وتوافد العلماء من مختلف الأصقاع والحواضر الإسلامية نظرًا للعلاقات الوطيدة التي كانت قائمة حينئذٍ،يضاف إلى ما سبق كثافة الرحلات العلمية لعلماء الإقليم (داخليا وخارجيا)،وسبل المراسلات والمناظرات الجدلية والفكرية مما خلق حركة علمية وزخم ثقافي هام بالإقليم.

2. دوافع اختيار موضوع الدراسة:

وانطلاقًا مما تحتله الزوايا العلمية من مكانة اجتماعية وثقافية في بناء الدولة والمجتمع معاً، جاء اختياري لموضوع الدراسة الموسوم بـ"الزوايا العلمية بالجنوب الغربي للجزائر وأدوارها الثقافية والاجتماعية"خلال القرنين "11-12هـ"-"17-18م"، وهذا لا ينفي وجود دوافع أخرى أهمها:

الدوافع الذاتية :

- بحكم إنتمائي للإقليم التواتي والذي منذ أن وعيت على هذه الحياة ونحن نتربى بين أحضان زواياه العريقة ذات الصيت العلمي والاجتماعي الكبيرين، نظرا لأدوارها الفعالة في الحياة الاجتماعية الثقافية للمحيط الذي شيدت فيه، تولد لدي الرغبة العلمية في البحث والاهتمام بتاريخ وأدوار الزوايا العلمية بالجزائر عامة، والجنوب الغربي خاصة ومن ثم العمل على البحث في تطورها خلال القرنين 11هـ-12هـ/17م-18م.
- ارتباط هذا الموضوع باهتماماتي العلمية (قراءة)، فقد كنت أنشغل دوماًبالحصول على أكبر قدر من المعلومات والحقائق عن أعلام وشيوخ المنطقة،وعن أدوارهم الفكرية، والدينية،والثقافية.

الدوافع الموضوعية:-فيمكن حصرها في:

- محاولةإبراز الحقائق التاريخية المتعلقة بالزوايا، مع الترجمة لأعلامها.
- دراسة الأوضاع السياسيةوالاقتصادية والاجتماعية والثقافية لإقليم الجنوب الغربي.
- إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات العلمية الجزائرية التي قادت حركة التربية والتعليم والإصلاح في الصحراء الجزائرية خارج قائمة الأسماء التي اعتدنا الحديث عنها من دون طمس حق الجميع، والواقع أن كثيراً من رجال الفكر والأدب والثقافة في الجزائر لم تُسعفهم ظروفهم الخاصة وملابساتهم الاجتماعية فلم يتمكنوا من التأليف وتدوين آرائهم في مجلدات، إلا أن إشعاعهم الفكري في زمنهم على الأقل ظل ممتداً شاملاً قد أضاء قلوباً مظلمة وفتح آفاقاً واسعة أمام مواطنيهم، وبذلك حققوا الخلود لا في شكل كتب مجددة أو مؤلفات نفيسة قيّمة، وإنما سجلوا عملهم المجلّ في تلامذة كوّنوهم تكوينًا علمياً وخلقوا منهم رجالاً عظماء لامعين، فهذا الصنف من الرجال كانوا أمثلة للتضحية في سبيل الآخرين أذابوا من أرواحهم وحياتهم شموعاً مهّدت الطريق أمام غيرهم، لذا لا يمكن أن ننساهم ولا أن نغفل عمّا قدّموه لأبناء جِلدتهم والإنسانية من خدمات جليلة، ومن وحي هذه النظرة عكفتُ على تتبع حياة هؤلاء الرجال والبحث عن مصادر أعمالهم لأسجل خدماتهم وتضحياتهم حتى لا تتلاشى جهودهم وتذهب أدراج الرياح فيقع نسيانهم من قبل الأجيال اللاحقة وقد حاولت قدر المستطاع أن أرسم صورة عن جهود هؤلاء كنت أعتقد سلفاً أنها غير مُوفيَة بالغرض ولا يمكن أن تعطي صورة كاملة عنهم، وحسبي أني قدّمت عملاً تمهيدياً يمكن أن يستغله من يروم

مواصلة البحث في هذا الموضوع وغاية ما أردته هو لفت النظر إلى الدور الذي أدّاه هؤلاء في خدمة بلادهم.

3. إشكالية الدراسة:

تهدف إشكالية هذه الدراسة إلى البحث في الدور الاجتماعي والثقافي لزوايا العلم بالجنوب الغربي الجزائري خلال القرنين (11هـ/12هـ)،(17م/18م) من خلال النوازل والمخطوطات والمصادر التاريخية، وفي مساهمتنا المتواضعة هذه نريد أن نسهم في التأريخ الفكري والثقافي لإقليم الجنوب الغربي كمنطقة واحدة نظراً لتوفر مظاهر الوحدة الجغرافية والتاريخية، والتقارب الفكري والحضاري، ولا نريد لإسهامنا هذا أن يتوخى سبيل الإحصاء والاستقصاء لمتن المصادر التراثية والمخطوطات المدونة بتفاصيلها، ففي الإمكان أن يقف القارئ على ذلك عند الدراسات التاريخية والأدبية السابقة فلها فضلاً عن فضيلة السبق ـ مزية الاستقراء الشامل ما يكاد يكون كذلك، بل نطلب إلتماس تقريب الصورة الإجتماعية والثقافية للإقليم من خلال الحديث عن أدوار الطرق الصوفية والزوايا العلمية من خلال التركيز على بعض ما قد يفيد الباحث المختص في المجال الجغرافي والتاريخي والاجتماعي والثقافي.

كما تتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها :

- ماهي الدلائل على تميز هذه الفترة الزمانية من تاريخ المنطقة (11هـ/12هـ)،(17م/18م)؟
- ما مدى إسهامات علماء المنطقة في تنشيط الزوايا العلمية؟
- ما حدود تلك الإسهامات والتأثيرات؟
- وما مكانة الزوايا ومعاهد العلم التابعة للطرق الصوفية في خضم ذلك النشاط؟
- ماطبيعة الأوضاع العلمية لمنطقة الجنوب الغربي (بشار، كرزاز، توات، تينجورارين، تيديكلت...)في مختلف المجالات كإسهامها في نشر العلوم الدينية، والمعارف الدنيوية؟

أما الإطار الزماني والمكاني لهذه الدراسة فمكانه هو الجنوب الغربي بالجزائر (وبحسب التقسيم الإداري للجزائر المستقلة فهو المنطقة الممتدة من ولاية أدرار إلى بشار مرورًا بولاية تندوف)، أما

الإطار الزماني فهو القرنين (11هـ/12هـ)،(17م/18م)وهي فترة نالت الحظ الأوفر من اهتمامات الباحثين والمؤرخين في دراساتهم وأبحاثهم نظرًا لوفرة المادة المدونة والمكتوبة عنها وتركيزنا على هذا الحيز الجغرافي لقيمته وأهميته خلال هذه الفترة من التاريخ الثقافي والروحي للجزائر.

ولكن يبقى نقص كبير في أبحاث المؤرخين لدراسة هذا الجانب بالنسبة لإقليم الساورة وتندوف بصفة خاصة رغم وفرة المصادر التاريخية المتمثلة في المخطوطات إلا أنها تعاني من التناثر هنا وهناك في خزائن عائلات وأسر لأحفاد علماء هذه الزوايا، ومازالت تحتاج إلى جمع وتحقيق لنفض الغبار عن مراحل مفقودة من الحياة الثقافية والاجتماعية للزوايا العلمية بهذا الإقليم.

4. المنهج المتبع في الدراسة:

ونظرا لطبيعة البحث المتمثلة في الدراسات الاجتماعية والثقافية وخصوصياتها، فقد اعتمدت على منهجين رئيسيين وتغليبهما على بقية المناهج العلمية وهما:

المنهج الاستقرائي: القائم على رصد وتتبع الأحداث، خاصة وأن الدراسة تجمع بين ثلاث مناطق لإقليم جغرافي واحد وهي توات والساورة وتندوف فكل منها محطة تجارية وثقافية، فقد أتاحت النوازل كما هائلا من أسماءالأعلام والأماكن والمصنفات مما تطلب القيام بعملية استقراء شاملة لتلك المعطيات ولمصادرها المختلفة، من كتب الموسوعات والتراجم والأعلام، وأمهات الكتب الفقهية والمعاجم اللغوية ومن أجل الخروج كذلك بنتائج ختامية، فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية وإظهار مختلف المؤشرات والمحطات، استندت على أفكار بعض من سبقني في مجال البحث والتنقيب ضمن تراث الجنوب الغربي وتاريخه.

المنهج التاريخي التحليلي: الذي ساعدني في استرداد المادة التاريخية وطبيعتها ومن ثم نقدها وتمحيصها، لذا وظفته في القيام بعملية التنسيق لربط الاستنتاجات الفصلية وكذا في تفسير وتعليل بعض الظواهر الخاصة والعامة التي لها علاقة مباشرة بأعلام المنطقة وفهم طبيعة جهودهم، كما أن هذا المنهج – أي التحليلي – هو الوسيلة المثلى لترجمة الإشارات والمفاتيح الواردة في النوازل إلى صورة حية تعبر عن الواقع المعيشي خلال القرنين(11هـ/12هـ)،(17م/18م).

5. الخطة المتبعة في الدراسة:

تتكون الدراسة من فصل تمهيدي وثلاث فصول أخرى، حيث تضمن الفصل التمهيدي أربعة مباحث تناولت فيها الموقع الجغرافي والفلكي والأهمية التاريخية بشكل عام لإقليم الجنوب الغربي الجزائري أما المبحث الأول فقد تناول التطور التاريخي والعلمي لإقليم الساورة والثاني تطرق بالبحث لإقليم توات بأقسامه الثلاثة، أما المبحثين الأخيرين فقد تم تخصيصهما لإقليم تندوف، وعلى ذات النسق واصلت الدراسة في كل الفصول اللاحقة بتقسيم محتوياتها إلى ثلاث مناطق في الإقليم(توات والساورة وتندوف).

أما الفصل الأول فشمل أربعة مباحث بالترتيب تحمل عنوان نشأة الزوايا في الجزائر وتطورها في مجتمع الصحراء (الماهية والمميزات)،والثاني عن تفريعات الزوايا ومناهجها والثالث الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12هـ)،(17م/18م)، والرابع عن أعلام الزوايا العلمية بالإقليم.

والفصل الثاني شمل خمس مباحث هو الآخر: الأول بعنوان الزوايا العلمية والسياسة الاستعمارية، والثاني الدفاع عن الهوية الإسلامية، والثالث عن الأدوار التربوية للزوايا العلمية بالإقليم ويتفرع إلى ستة فروع نركز فيها على: (تربية الأفراد وتزكية النفوس،وتنمية روح الجهاد لدى سكان المنطقة، وتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وخدمة المجتمع بنشر عادات وتقاليد صحيحة، وتشجيع حركة التأليف والكتابة والرحلات العلمية، وتولي القضاء والإفتاء)، أما المبحث الرابع فقد تم تخصيصه للحديث عن النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية والمبحث الخامس تطرق لدور الزوايا في الحياة السياسية والوطنية.

أما الفصل الثالث والأخير فركزت فيه عن الدور الثقافي للزوايا العلمية وشمل خمس مباحث هو الآخر: الأول عن أهمية زوايا العلم وأثرها في تطور الحركة العلمية والثقافية بالإقليم والثاني عن الزوايا العلمية وأثرها في انتشار الوجود الإسلامي بالصحراء الكبرى والسودان الغربي والثالث عن مكامن الحراك الثقافي وموطنه، والرابع عن الزوايا وروافد الفكر والمعرفة بالصحراء الكبرى والسودان الغربي، والخامس عن مظاهر النشاط العلمي والفكري للزوايا العلمية.

وفي الأخير كانت الخاتمة التي تعرضت فيها لمجمل النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

6. الدراسات السابقة للدراسة:

لقد تم كتابة الكثير عن تاريخ الصحراء الجزائرية خلال فترة الدراسة مع التركيز على الجوانب الفكرية والحضارية، وكذلك تم الكتابة عن تاريخ أشهر حواضره ومدنه منفردة، لكن عجزت عن العثور على دراسة أكاديمية أو مقال بحثي منشور في مجلة محكمة تربط ربطاً تاريخياً وحضارياً بين الأقاليم الثلاث (توات والساورة وتندوف) (في حدود اطلاعي). ولعل من أهم الدراسات الأكاديمية التي تناولت بعض جوانب الدراسة:

- زهرة مسعودي، ال**طرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م**،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر،بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف (رحمه الله). جامعة أدرار.2010م.
- أحمد عاشوري،**الأصول السوسيو– ثقافية للزوايا في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب بولاية النعامة نموذجا**،أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، بإشراف الأستاذ الدكتور حمداوي مُحَمَّد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (2016-2017).
- فايزة حرزي،**الزوايا ودورها في التصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، 1830–1945**،مذكرة ماستر تخصص تاريخ الوطن العربي المعاصر، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، (2018-2019).
- بقادر عبد القادر،**ألفية الغريب نظم مُحَمَّد الزجلاوي الشهير بابن العالم– دراسة وتحقيق**، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، بإشراف الأستاذ الدكتور الطاهر مشري، جامعة أدرار، (2008-2009)م .

وغيرها من الرسائل والأطروحات الأكاديمية التي كان لها فضيلة السبق في تناول موضوع الزوايا وأدوارها، ناهيك عن مصادر ومراجع متنوعة في شتى التخصصات كان لها علاقة بمجال الدراسة فمن المصادر: "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لابن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله، تحقيق علي المنتصر الكتاني، وكتاب **وصف إفريقيا** للحسن بن مُحَمَّد الوزان، ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر

وكتاب ابن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق خليل شحاذة ومراجعة سهيل زكار.

ومن المراجع والدراسات الحديثة: كتاب مُحَّد باي بلعالم، **الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات**، وكتاب مُحَّد الدكتور مُحَّد الصالح حوتية **توات والأزواد**،، وكتاب طيب جاب الله بعنوان: **دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري**، وكتاب أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، خصوصاً الجزء الأول منه والذي تناول فيه الموضوع في الفترة (1500- 1830)م، وكتاب عبد الله حمادي الإدريسي، **مناقب ومآثر آل بلعمشالجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف**، وكتاب مُحَّد برشان، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار 1903-1962م** وكتاب مصطفى بن دهينة، **قطوف من تاريخ تندوف مقاربة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر**، وكتاب فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين 18م و19م**.

كما اعتمدت على عدة مقالات تناولت جوانب كثيرة من هذه الدراسة وكانت لي المعين في استجلاء الكثير من الإشكاليات التاريخية منها: سلسلة مقالات نشرت في كل من: مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ومجلة رفوف، ومجلة إنسانيات، وهناك مراجع أخرى كثيرة لا تقل أهمية ذكرتها ضمن قائمة البيبليوغرافيا.

7. التحديات التي واجهت الدراسة:

وكأي بحث آخر اعترضتني بعض الصعوبات ولعل أهمها:

- تشابه المعلومات في الكثير من المراجع وخاصة تواريخ الأعلام.
- نقص كبير في المراجع والمصادر عن زوايا العلم بإقليم الساورة وتندوف، مع افتقاد بعضها للعمق والتفصيل الدقيق الذي يجب أن يجيب على معظم الإشكاليات.

- الظروف الصحية المتأزمة التي عانى منها الجميع بسبب تفشي وباء كوفيد 19 بشكل خطير مما حال دون الاستفادة من بعض أدوات البحث التاريخي كالمقابلات، وزيارة المكتبات (الخاصة والعامة في الإقليم وفي غيره) مما أجبرني على ضرورة الحجر والتباعد للوقاية.
- ظروف عائلية اجتماعية قاهرة مما حتم التوقف عن الكتابة والبحث لفترة طويلة مما كان سببًا في التأجيل بتقديم الأطروحة في أجالها المقبولة.

ورغم هذه الصعوبات إلا أن الإرادة كانت قوية والتصميم والرغبة في تحقيق الهدف بدافع وتشجيع من المشرف وكذلك من أفراد عائلتي وكل من يحيط بي.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور خير الدين شترة الذي رغم البعد المكاني ولكنه كان حاضرًا وصابرًا وساهرًا من أجل نجاح الدراسة إلى جانب زوجي بوبكر مُحَمَّد وأولادي وخاصة مولاي أحمد ومروة اللذان لم يتركا لي فرصة إلا وساهما ببصماتهما فيها وأشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد.

الفصل التمهيدي: الجغرافية التاريخية والحضارية لإقليم الجنوب الغربي للجزائر

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي للإقليم وأهميته التاريخية

المبحث الثاني: التطور التاريخي والعلمي لإقليم الساورة

المبحث الثالث: التطور التاريخي والعلمي لإقليم تندوف

المبحث الرابع: التطور التاريخي والعلمي لإقليم توات

توطئة:

تتربع الصحراء الجزائرية على مساحة (2.000.000 كم^2) اثنين مليون كيلومتر مربع وهي ذات طابع صحراوي حار، تغطي معظم سطحه الكثبان الرملية ماعدا الجهة الجنوبية الشرقية التي بها أقدم سلسة جبلية في الجزائر وهي سلسلة الهقار، ضف إلى ذلك العرق الشرقي الكبير، في حين ينفرد إقليم الجنوب الغربي بكثرة انتشار العروق كالعرق الغربي الكبير وعرق شاش وعرق إقيدي الذي يمتد على الحدود مع جمهورية مالي، هذا كما تنتشر به الحمادات والرق وهي منطقة منبسطة مليئة بالحصى قد تصلح للزراعة وهذا الجانب من الجزائر الذي يمثل الجنوب الغربي هو محل الدراسة خاصة من الناحية الجغرافية والتاريخية.

المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي للإقليم وأهميته التاريخية

أ. **جغرافيا:** الجنوب الغربي للجزائر حاليا يتمثل إداريا في الولايات الثلاثة وهي: أدرار، بشار وتندوف، هذه الولايات التي تتباين فيما بينها بخصائص فريدة فإنها تشترك تاريخيا وتترابط بحكم الموقع الجغرافي المتميز، حيث يحدها شمالا ولاية النعامة والبيض وغرداية وجنوبا لها حدود مع جمهورية مالي وموريتانيا أما شرقا فتحدها ولاية غرداية مع ولاية تمنراست في حين من الناحية الغربية تشترك في الحدود مع المملكة المغربية وجمهورية الصحراء الغربية.[1]

ب. **فلكيا:** ينحصر الجنوب الغربي بين خطي طول 1° درجة شرقا و9° درجة غربا وبين دائرتي عرض 30° درجة جنوبا و26°درجة شمالا .

ت. **المناخ:** إن الموقع الفلكي يحدد تواجد الجنوب الغربي بالمنطقة الحارة، خاصة باعتباره منطقة صحراوية يمر مدار السرطان على طرفها الجنوبي، يجعل من مناخه الصحراوي البارد شتاء والحار الجاف صيفا مع اتساع المدى الحراري لأن فترة الصيف أكثر من الشتاء والنهار أطول يعمل على ارتفاع درجة الحرارة التي تفوق 50° درجة مئوية، كما تنخفض في فصل الشتاء إلى درجة الصفر أحيانا، كما تهب رياح السيروكو المعروفة بالشهيلي وهي رياح جافة تكون مثيرة لعواصف هوجاء من الرمال مما يعيق النشاط البشري، ويتميز المناخ بندرة الأمطار وعدم انتظامها مما يجعل وديان هذا الإقليم الكثيرة مرتبطة في جريانها بسقوط هذه الأمطار ومن أهمها وادي قير ووادي الساورة، ووادي

[1]– محمد جدار، أطلس الوطن العربي بالصورة والتعليق، قصر الكتاب، البليدة، (ب.ت)، ص136.

الناموس ووادي زوزفانة ورغم طبيعة المناخ القاسي إلا أن السكان بهذه المنطقة تكيفوا بطبعهم مع ظروفه التي تعيق الحياة والعيش فيها خاصة لما ينعكس ذلك على سطح المنطقة.

ث. **التضاريس:** إن هذا الجزء من الصحراء تغطيها الكثبان الرملية المتمثلة في العرق الغربي الكبير مع امتداد سلسلة جبال الأطلس الصحراوي بنواحي الساورة التي تضم جبل عنتر، مع انتشار الحمادة وهي أرض منبسطة مليئة بالصخور وهناك سهل تنزروفت وهو عبارة عن الرق ونجد عرق إقيدي وعرق شاش الذي يمتد في منطقة تندوف إلى غاية شمال مالي وموريتانيا وتكثر هذه الحمادة بهذا القسم الجنوبي منها حمادة دراع وهضبة تادميت بشمال عين صالح[1] التي تتميز بانحدارها الشديد نحو الجنوب ومن خلال الشكل التضاريسي يمكن أن نميز الطابع النباتي لهذا الإقليم.

ج. **الغطاء النباتي:** معظم النباتات الطبيعية صحراوية شوكية تحاول التكيف مع المناخ والطبيعة، فهي تظهر وتختفي حسب كمية الرطوبة المتوفرة وتتواجد معظمها في الأودية الجافة حيث تختزن بعض كميات المياه أو تنمو في الواحات التي يكون الماء فيها قريبا من السطح وهي نباتات قصيرة متفرقة استبسية مثل الشيح والحلفاء والجرجير وأشجار النخيل المثمرة التي تعطي طابع مختلف للمنطقة الصحراوية وهي نباتات ذات عروق طويلة تمكنها من تخزين الماء وأوراقها ملساء تستصعب عملية النتح، ويوجد في المنطقة الصحراوية حوالي خمسمائة نوع من النباتات في حين تنتشر في الواحات أنواع كثيرة من النباتات منها الخضر والفواكه كالطماطم والرمان ونبات الحنة والتبغ، ورغم فقر المنطقة للغطاء النباتي الكثيف إلا أنها سمحت بنمو وعيش أنواع من الحيوانات كالغزلان التي تتواجد في العروق مع الذئاب ومجموعة من الجرذان والأفاعي والزواحف المختلفة والطيور، أما الحيوان الصحراوي المشهور بسفينة الصحراء فهو الجمل الذي يتحمل عناء العطش والجوع لمدة طويلة ويقطع مسافات كبيرة [2]لهذا كان الجمل وسيلة النقل المفضلة لسكان الصحراء لاستغلال مزاياه الكثيرة إلى جانب تربية الأغنام والماعز مصدر العيش الذي يعتمد عليه سكان المنطقة والتي بسببها يتحتم على بعضها التنقل

[1]-M.S.D.O commune du Tidikelt'Monographie de la commune du Tidikelt 1956.p1. et.M.S.D.O commune du Tidikelt poste d'Aoulef "Monographie du poste d'Aoulef" 1961 ; p1

[2]- ابراهيم مياسي ، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912) ، منشورات المتحف الوطني لمجاهد، ص22.

لتوفير العشب والكلأ والماء وهم الرحل، أما البدو فيستقرون بالواحات حيث تتوفر شروط الحياة ويمكن تربية أنواع مختلفة من الحيوانات ومؤالفة بعضها كالقطط والكلاب.

ويظهر أن هناك عناصر طبيعية ومناخية في هذا الإقليم رغم صعوبتها إلا أنها تتيح للإنسان الحياة خاصة قرب مصادر الماء القريبة من السطح، فقد أبدع سكان هذا الإقليم في استغلاله عن طريق مايسمى بالفقارة.

ح. **التركيبة البشرية:** يتميز إقليم الجنوب الغربي بضآلة السكان رغم اتساع الإقليم الصحراوي ويمكن تصنيف السكان إلى بدو وحضر تكيفا مع ظروفه الطبيعية القاسية من حيث توفر المياه بكميات كافية تسمح باستقرار الحضر في قرى أو قصور لممارسة النشاط الزراعي بالواحات وهذا يطور الأمر إلى النشاط التجاري خاصة في مجال التمور وبعض المنتوجات الأخرى أما البدو من سكان هذا الإقليم يتنقلون بحثا عن الأعشاب والماء للحيوانات التي يرعونها تنقلا من مكان إلى آخر مما جعلهم ينظمون حياتهم حسب ظروفهم الطبيعية والمعيشية.

أما عناصر السكان فينحدرون من ثلاثة أصول هي الأمازيغ (البربر) والعرب والزنوج وقد تم إنصهارهم عبر التاريخ مكونين بذلك سكان الجنوب الغربي للجزائر في شكل متجانس لهم نفس العادات والتقاليد وزادهم الدين الإسلامي ترابطا وأخوة ورغم ذلك الإنصهار تبقى هناك فئات قليلة سواء من العرب أو الأمازيغ حافظت على نقائها ومهما كان أصل هؤلاء فهم متمسكون بأرضهم ومتكيفون مع ظروفها الطبيعية، غطت صفات أخلاقهم عنهم وشاعت بين الأمم من بساطة وتواضع وكرم وقناعة النفس والطبيعة المرحة والمعاملة الحسنة.

ويمكن القول أن قساوة المنطقة الصحراوية لم تجعل من قلوب سكانها قاسية بل العكس، فهذا جعل منهم قوم ينجذب الناس إليهم ولمؤالفتهم ومعاشرتهم وإطالة الإقامة بينهم فهم وإن لم يحضرهم شيء من الطعام يقتسمون مالديهم فيما بينهم سواء كانوا من البدو أو من الرحل، عربا أو أمازيغ وقد علمهم الإسلام الأخوة وعدم التمييز بينهم خاصة في طلب العلم حيث يتنقلون من عالم إلى غيره أو شيخا لآخر ليأخذوا ما استطاعوا من علومه ويتنفاسون في ذلك عليه.

خ. **الأهمية التاريخية للإقليم:** إن إقليم الجنوب الغربي جزء من الصحراء الشاسعة الجزائرية فقد تأثرت عبر التاريخ بكل الأحداث التي رسمت الحياة في المنطقة الصحراوية سواء من خلال القبائل التي

توافدت عليه لظروف اقتصادية تجارية أو لأسباب أخرى هروبا من المناطق الشمالية أو المغرب الأقصى،حيث وجدت به الأمن والاستقرار أو يقصد طلب العلم والتعليم، مما مكنه من أن يضع دورا حضاريا أتاحه له موقعه الجغرافي بعبور القوافل التجارية والحجيج به[1].

وقد بدأ توافد القبائل البربرية منذ العهد الروماني نحو المناطق الجنوبية تجنبا وهروبا من تعسف الضرائب التي كانت تفرض عليهم واستمر هذا التوافد من قبل عدة قبائل منها زناتة التي استقر بها المقام في هذه المنطقة خاصة توات وأنشئت القصور وحفرت الآبار وتواصلت الهجرات القبلية لهذا الإقليم حتى من القبائل العربية التي وضعت بصمتها في بناء القصور والاهتمام بالمياه الجوفية الذي يعد مصدر الحياة والاستقرار في هذه الأرض القاحلة وخاصة بعد نهاية الدولة الموحدية خلال القرن السابع عشر الميلادي ولا يمكن أن نهمل فترة الفتح الإسلامي وخطوات عقبة بن نافع الفهري في نشر الإسلام والتقدم به نحو المناطق الجنوبية وغيره من الفاتحين المسلمين إلى غاية مشارف بلاد السودان.[2]

ومهما يكن فإن التفاصيل التاريخية لمناطق إقليم الجنوب الغربي الجزائري لكل من توات والساورة وتندوف سنذكرها فيما سيأتي وعلى الأغلب نستنتج هنا أن معظم الوفود القبلية نحو الجنوب جاءت بحثا عن الأمن والإستقرار بعيدا عن الصراعات السياسية والضرائب التعسفية ورغم ذلك فإن سكان هذا الإقليم استقبلوا الإسلام وخصوا رجاله بالإحترام وأعطوه مكانته التي تليق به فتعلموا بسرعة وتفقهوا في مجاله خاصة بعد توافد الطرق الصوفية ومريديها مما زاد عمق العلوم الدينية بهذا الإقليم.

[1]-إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1، 1983، ص 194.

[2]- إبن عذاري (المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، تحقيق كولان وليفي بروفينسال، بيروت،1848-1851، ص36.

المبحث الثاني: التطور التاريخي والعلمي لاقليم الساورة

التطور التاريخي والحضاري لإقليم الساورة: إن الدراسة المعمقة لهذه المنطقة لن تأتي إلا من خلال الوثائق التي تضم المعطيات والأرقام التي من خلالها يمكن أن نكشف عن الحقائق المراد دراستها وتحليلها لمنطقة ما، غير أن الكتابة المنوغرافية في الجزائر لم تمتد إلى المناطق الواقعة في الجنوب الغربي من الجزائر إلا قليل فهي مازالت في بدايتها هذا غير أن جل ما كتب عن منطقة الساورة وبشار بالجنوب الغربي عموما كان بأقلام مغربية ومهما كان الهدف أو الغرض في ذلك إلا أن الأقلام الجزائرية خاصة منها المحلية لهذا الإقليم تولدت لديها فكرة البحث والدراسة في هذا المجال من هذه الأقاليم الصحراوية.

منطقة الساورة (بشار):

- **الموقع الجغرافي والفلكي:** تقع هذه المدينة في أقصى الجنوب الغربي الجزائري على خط طول 4.6° غربا ودائرة عرض 31.6° درجة شمالا وهي تمتد بين دلتا ووادي زوزفانة شرقا ووادي قير غربا وتحده جبال الأطلس الصحراوي من الشمال[1]، يحدها شمالا ولاية البيض والنعامة وجنوبا ولاية أدرار وتندوف وتحدها ولاية أدرار شرقا وغربا لها حدود مع المملكة المغربية على شريط طوله حوالي 600كلم، تقدر مساحة منطقة بشار 161400كلم[2] ،إداريا تنقسم إلى 21 بلدية و12 دائرة، وهي تبعد عن الجزائر العاصمة ب965كلموعن وهران ب693كلم وعن تلمسان 569كلم، كما أن منطقة بشار تقع على علو 780متر على مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط.[2]

وقد تم احتلالها من طرف فرنسا عام 1903م، وقد قال عنها الصديق بن العربي"بشار مركز عظيم من المراكز الاقتصادية الواقعة في الحدود الجزائرية المغربية .... من هذا المركز تتجه الطريق الصحراوية الكبرى نحو قاو وتمبكتو بجمهورية مالي".[3]

---

[1]- Céard, L-Gens et Choses de Colomb Bechar Archives Institut Pasteur d'Algerie, Tome 11, N°01, Alger, mars 1933,P.47.

[2]-عبد الله حمادي الإدريسي،صحراء بلاد بشار بنادق ومواقف وأشعار في مواجهة الإستعمار وزارة الثقافة الجزائر دار بوسعادة، ط1، 1،2013م،ص7.

[3]-الصديق بن العربي،كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1984،ص87.

ويكون بذلك قد بين ولو قليلا حدود منطقة بشار كما أظهر أنها ضمن الطريق التجاري العابر إلى بلاد السودان وقد وضح كذلك أن لهذه المنطقة حدود مع المملكة المغربية مما يجعل لها أهمية جغرافية لحدود هذا الإقليم الجنوبي الغربي فأغلب مناطقه سواء توات أو تندوف وبشار لها حدود مع الدول الأجنبية عربية كانت أو إفريقية وتبقى ضمن نطاق القارة الإفريقية "وتقع بشار على بعد 21كلم من [فقيق] فجيج جنوبا في ملتقى الطرق التي تصل فجيج وفيلالة [تافيلالت] وقير الأعلى بقصور توات ".[1]

وهنا تظهر تفاصيل موقع بشار ومدى قربها أو بعدها عن جارتها منطقة توات سواء بشار أو فقيق فكلا منها كانت تمثل منطقة الساورة.

- **التضاريس**:إن تضاريس بشار متنوعة، رغم وقوعها على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي فهي تشكل جزء من كتلته الشمالية المعروفة بجبال القصور والتي يعود أصلها إلى الزمن الجيولوجي الثاني ما يسمى بالجوراسي[2]،وقد تشكلت معظم أجزائها في بداية الترياسي [3] وهي بذلك أقدم الأراضي، ويغلب على سطحها طابع الاستواء ولو أننا نجد بعض المرتفعات كالهضاب التي لا يتجاوز متوسط ارتفاعها 600 متر، هذا وتجد قمتين متوازيتين لهما انحدار شبه عمودي يصل طولها 130كلم وعرضها يتراوح مابين (1 إلى 2كلم) تتشكل إحداهما من الكلس الأبيض والأخرى من الغضار الأصفر، تعرف الأولى برقة القنادسة والأخرى برقة العقدة نسبة إلى حمادة قير التي تمثل نهاية لهذه السلسلة.

[1]–عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق،ص8.

[2]– **عصر الجوراسي**: وهو ثاني العصور الثلاثة من حقبة الحياة الوسطى ودهر البشائر، يسبقه الثلاثي ويليه الطباشيري، يعرف بعصر الزواحف، مدته الزمنية 56.3 مليون سنة تقريبا .

[3]– **عصر الترياسي**: هو فترة ونظام جيولوجي يمتدان على مدار 50.6مليون سنة وهو الفترة الأولى من عصر الدهر الوسيط وتتميز بداية ونهاية الفترة بأحداث الإنقراض الرئيسية.

وقد ذكرنا العياشي في رحلته إذ يقول: "... والتي تقطعها القوافل وهي تحمل مؤونتها من الماء في ثلاثة أيام " ثم يقول " أرضها حرشة وعرة يغني وصفها مالها من الشهرة، لا حطب فيها ولا كلأ ولاماء... لا تلمح العين في صلعتها إلا الصلاع، ولا للإبل وأربابها إلى غير مواقد أقدامها إطلاع".[1]

ويظهر من خلال وصف العياشي لهذه الحمادة الوعرة والممتدة لدرجة أن القوافل تحتاط في مائها لعدم توفر الماء بين جنباتها وصعوبة السير بها.

وهناك حمادة درعة 490م وهي هضبة جيرية تميل من الأطلس الصحراوي نحو الصحراء وهناك المرتفعات التي هي جزء من هذا الأطلس الصحراوي التي تحيط بالمنطقة باتجاه أفقي من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي أهمها جبل قروز الذي يزيد ارتفاعه عن 1800متر وجبل عنتر ارتفاعه 1953متر وجبل بشار يصل ارتفاعه إلى 1206متر، وتحتوي جبال بشار على معادن متنوعة كالفحم والرصاص والزنك والمنغنيز.

وبشار تتموقع في مجال منحدر ساعدها على استقطاب المياه من المناطق الأكبر ارتفاعا خاصة التي تحوي مخزون هائل من المياه الجوفية فمنها ينبع في وادي قير ووادي زوزفانة وهما يجريان جنوبا باتجاه الصحراء حيث يلتقي الواديان بمنطقة إقلي مكونان معا وادي الساورة الذي يصب في منطقة توات ويعد من أطول الأودية في المنطقة حيث يذكر أنه يصب في رقان وهذان الواديان تعتمد عليهما المنطقة في ممارسة نشاطها الفلاحي وتربية المواشي خاصة عند الفيضان.

ونستنتج هنا أن الموقع الجغرافي لمنطقة الساورة خصها بمميزات هامة حيث هي جسر رابط بين الشمال والجنوب من ناحية وبين الشرق والغرب من ناحية أخرى عبر درعة وتافيلالت ولعل هذا جعلها معبرا رئيسيا للقوافل التجارية باتجاه الجنوب وطريقا مختصرا للحجيج، والساورة منطقة عبور إستراتيجية ساعدها ذلك على التحضر والتطور بفضل النشاط التجاري واستقرار العلماء من الوافدين في مواكب الحجيج لترك بصماتهم العلمية بالمنطقة وإضافة المستجدات من التغيير في مجال الفقه وعلوم الدين، مما يثير حفيضة طلاب العلم يتنقلون كالنحل بحثا عن العسل مما عمل على تعمير المنطقة طلبا للاستقرار والتفقه.

[1]- العياشي، ماء الموائد أو الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، تحقيق وتقديم، سعد الفاضلي وسليمان القرشي،ج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي،2006م، ص18

- **المميزات المناخية:** إن مناخ المنطقة جزء من المناخ الصحراوي السائد بالجنوب الجزائري مما يجعل له نفس المميزات تقريبا كارتفاع المدى الحراري وزيادة الجفاف رغم العوامل التضاريسية كالمرتفعات التي تختص بها المنطقة خاصة لما تهب عليها الرياح المحملة بالرطوبة من الناحية الغربية قادمة من المحيط الأطلسي وبالتالي يقل عامل التساقط كلما توغلنا نحو الداخل في المنطقة وتنقص كثافة النبات فيسود المنطقة الهواء الجاف خلال معظم فصول السنة فالتساقط بالمنطقة يعد متذبذبا وغير منتظم وتختلف كميته بين مدينتيه كبشار وبني ونيف مثلا هذا وتشتد الحرارة في فصل الصيف خاصة المناطق الواقعة جنوب بشار كبني عباس مثلا التي تسجل أعلى درجة حرارة في شهر جويلية تصل إلى 47° درجة مئوية في حين ينخفض المتوسط الحراري شتاء، لا يتعدى 06°درجة مئوية وتهب على منطقة بشار رياح قادمة من الشمال والشمال الشرقي فتحول المناخ إلى منتعش ورطب كما تهب عليها رياح من الشمال الغربي والجنوب الغربي فتكون حارة وجافة ما يعرف برياح السيروكو صيفا المحملة بالأتربة أحيانا لدرجة تعيق النشاط البشري وتستمر لعدة أيام.

وتشير الدراسات إلى أن المنطقة الصحراوية لم تكن قاحلة ولا جافة بل تميزت بالرطوبة لوجود المرتفعات الجبلية مما جعلها حاجزا أمام الرياح الرطبة المحملة بالأمطار فتسقط مالديها، كما أن وادي زوزفانة على امتداده كان يشكل حزاما كثيفا من الغابات وهذا ما يؤكده Gsel[1] وFlamand[2] في دراسته للمنطقة حيث يقول " أنها كانت تتمتع بأمطار غزيرة ونباتات كثيفة، وكما كانت تمثل مركز إستيطان لحضارات ناضجة " أما Russo[3] " يذكر بأن ظاهرة الجفاف التي تعرفها المنطقة قد بدأت منذ الزمن الجيولوجي الرابع".

ولهذا كنا ذكرنا أن الموقع الجغرافي للساورة يميزها عن باقي مناطق الجنوب الغربي لامتداد جبال سلسلة الأطلس الصحراوي كعامل مؤثر في المناخ غير ذلك تلك الرياح الرطبة التي تهب من الشمال

[1]- Gsel. (S) Histoire Ancien de l'Afrique du Nord, TI, Librairie Hachette, Paris, 1913, PP, 51. -601

[2]-Flamand, G, B, M " le Préhistorique Dans le Sahara, et Dans le Haut Pays oranais ", Revue Africain, N'50,1906, P, 204.

[3] -Russo, Au Pays De Figuig, Bulletin De la Sociéte de Géographie du Maroc .1[er]tremestre (1923), P417.

والشمال الشرقي فتحول الجو إلى منعش ورطب رغم الطابع الصحراوي إقليميا ومناخيا إلا أن الاختلاف والتباين بين مدنها وبينها وبين أقاليم الجنوب الغربي بارز جدا وهذا ما لاحظناه في كثرة أوديتها التي كانوا يعتمدون عليها في نشاطهم الفلاحي بهذه المنطقة .

- **التركيبة السكانية:** إن منطقة بشار غنية بالشواهد التي تكشف للباحث عنقدم تعمير المنطقة بسبب الظروف المناخية التي كانت ملائمة منذ العصر الحجري الحديث ومن ثم ندرك بأن مؤشرات الحضارة كانت مبكرة بالمنطقة والتي تصنف ضمن أقدم المناطق تعميرا بحكم ملائمة المناخ وتوفر شروط الاستقرار والتوطين وبالرغم من التغييرات المناخية التي حدثت على المجال الجغرافي إلا أن المنطقة لم تفقد مجالها الحيوي بالنسبة للمجتمعات البشرية التي سكنت به باعتباره مركز بشري ونقطة تفاعل حضاري عبر مختلف العصور التاريخية بدءا من التعمير الأمازيغي الذي سبق مرحلة الفتح الإسلامي التي رافقتها الهجرات العربية للمنطقة كهجرة الأشراف الأدارسة والحركة الهلالية التي اجتاحت المنطقة وطبعا الوفود الإفريقية عبر تجارة العبيد التي كانت مع تجارة القوافل العابرة للصحراء.

ومن هنا يمكن تفصيل أهم الوفود التي تختص بها هذه المنطقة وهي كمايلي:

- **الأمازيغ:** يذكر المؤرخين ومن بينهم القلقشندي أن القبائل الزناتية [1] الأمازيغية من الطلائع الأولى التي سكنت هذه المنطقة وتوزعت فروعها على أجزاء واسعة من بلاد المغرب وخاصة قبائل بني بادين وبني واسين من أكبر بطون زناتة وأكثر فروعها انتشارا وتواجدا بالمنطقة الصحراوية ويقول إبن خلدون "فاختطوا فيها القصور والأطم، اتخذوا بها الجنان من النخيل والأعناب وسائر الفواكه".[2]

ويبدو أن قبائل زناتة كانت من أشد القبائل الأمازيغية من حيث القوة والعدد وشدة البأس والمراسي، مما جعلها تنتشر بالمنطقة الصحراوية لترسم بصمتها في بناء القصور واختطاط الآبار وتكيف المكان لاستقرارها ووضع جذورها التي امتدت على كامل منطقة الجنوب الغربي الجزائري ومن هذه القصور التي اتسمت ببصمات الزناتة قديما منها قصر بوكايس موغل وقصر لحمر وواكدة وغيرها

[1]– القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مطبعة حكومة الكويت، 1985، ص 273-284.

[2]–إبن خلدون عبد الرحمان، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار بيروت، لبنان 2004 م، ج2، ص2330.

من قصور بشار ومعظم سكان هذه القصور مزارعون لوفرة المياه وخصوبة التربة إضافة للموقع الجغرافي فقد شكلت أسواقا ومحطات للتبادل التجاري.

- **الأشراف:** وتنحدر أصول أشراف المنطقة من مولاي إدريس الأول دفين زرهون وهو مؤسس الدولة الإدريسية ومن مولاي علي الشريف دفين تافيلالت (847هـ1442م) حيث بعد انتهاء دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى واستيلاء مومن بن أبي عافية على الحكم بالمغرب الأقصى (317هـ-929م) وتنكيله بالأشراف الأدارسة تفرق شملهم بين القبائل ولاذو بالفرار والإختفاء فانتقلت فروع منهم بقيادة مولاي عيسى بن عبد الرحمان الشريف إلى هذه المنطقة هروبا من بطش الموحدين حيث وجدوا الأمان والترحاب فسرعان ما أن إندمجوا مع القبائل الزناتية التي استوطنت بهم احتراما لنسبهم الشريف فبنوا القصور ومنها قصر القنادسة.

ويظهر أن المنطقة كانت الغطاء المناسب لهذه التركيبة البشرية والملاذ الآمن لها مهما كانت أسباب لجوئها فقد وجدت الظروف الملائمة للإستمرار والتعايش والإضافة في سجل تاريخ هذه المنطقة سواء في المجال الثقافي أو الإقتصادي وكذا الإجتماعي. وخلال هذه الفترات من الزمن اجتاحت المنطقة كغيرها من بلاد المغرب الهجرات الهلالية خلال القرن 6هـ/12م متمثلة في قبائل بني عامر بن زغبة وهم فرقة من بني هلال الذين زحفوا إلى بلاد المغرب سنة 442هـ/1050م على عهد الفاطميين بمصر، فاستولوا على المغرب الأوسط وأقاموا بنواحي تلمسان ووهران ثم ارتحلوا إلى تينجورارين كما أستأجرهم ايغمراسن بصحراء بن زيان وأنزلهم لمزاحمة عرب المعقل ووقاية له[1]، وقبل ذلك في القرن 5هـ/11م لم يكن هناك تواجد للعناصر العربية بهذه المنطقة حسب ما أشار إليه إبن خلدون إلى غاية المائة الخامسة.[2]

وقد تكاثرت هجرات قبائل بني هلال بعد ذلك على المنطقة مثل قبائل أولاد جرير وحميان التي يعتبرها المؤرخون من أولى الهجرات العربية إلى منطقة بشار واستقرت بوادي قير في حدود 1225م/684هـ إلى غاية القرن 17م حيث اجتاحت قبائل ذوي منيع منطقة قير وقامت بإجلاء أولاد جرير منها ويبدو أن هذه القبائل الهلالية التي هطلت على المناطق الصحراوية بتشجيع من

[1]-إبن الوزان الحسن، وصف إفريقيا، دار الغرب، الجزائر، 1983،ص45.

[2]-إبن خلدون، المصدر السابق ،ج7،ص2326.

الشيعة الفاطميين كان لها سلاح ذو حدين، سواء أنها عملت على التخريب وأطاحت ممالك وجدتها بالمغرب الأوسط وانتشرت في المكان بحثا عن حاجتها باعتبارها أعراب الصحراء، ولكن كان لهم الفضل في نشر اللغة العربية بالمنطقة.

لذا وجدنا أن هذه القبائل البدوية كانت تعتمد على مدى قوتها في السيطرة حتى ولو كانت أعراب مهاجرة مثلها،و هذا ما حدث بين قبائل أولاد جرير وذوي منيع في التنافس على الأرض والماء والعشب بوادي قير، ويمكن أن نستنتج أن أهم ألأعراب التي سكنت منطقة الساورة (بشار) هم قبائل أولاد جرير وتتفرع إلى ثلاثة بطون هي: المفالحة والعساعسة وقيطانة وهذه الأخيرة منها اتخذت بشار مستقرا لها بعد أن ضاقت بها سبل العيش، فهي لا تملك ثروة حيوانية أو أراضي زراعية.

وهناك قبائل ذوي منيع التي وفدت خلال القرن السابع عشر ميلادي وتعتبر من الهجرات الثانية لأعراب بني هلال بعد إزاحتها لقبائل أولاد جرير وهم أيضا يشكلون مجموعة من البطون متمثلة في أولاد يوسف، أدراسة وأولاد جلول، وأولاد بوعنان وأولاد بلقيز.

وهناك من عرب المعقل قبائل الغنانمة من نسب حمحمان بن غنام وفدت من شبه الجزيرة العربية خلال الفتح الإسلامي واتخذت من منطقة الساورة مستقرا لها.[1]

- **الحراطين**: هم السود من أصول إفريقية جلبوا من تجارة العبيد والكلمة تعني الحر الثاني بالإضافة إلى عنصر العبد وهو أدنى رتبة اجتماعية عن الحرطاني في الهرم الاجتماعي المحلي وقد اختلف المؤرخون عن أصول هذا العنصر بين أن يكون إفريقيا من السودان أو نتيجة انصهار وتزاوج بين أب بربري وأم زنجية، اعتبروا من سكان الواحات القديمة من البربر المختلطين بالزنوج أي شعب الجرمنت الذين سكنوا ليبيا القديمة وانتشروا في الصحراء بسبب ما تعرضوا له من الضغط الروماني بحثا عن موارد الذهب، والحراطين والعبيد هم من السكان السود، سكنوا قصورا مستقلة عن الطبقات الأخرى ومن تلك القصور، واحة تاغيت التي يشكل العبيد فيها النسبة الكبرى لارتباطها بكثرة النخيل حيث تتطلب جهودا كبيرة في العمل وهناك قصر بني ونيف الذي تتجمع فيه العائلات الحرطانية في أحياء مستقلة عن باقي أحياء القصرومنها عائلة أولاد شريف التي سكنت قصر بشار

[1]- مُحَّد برشان، الحياة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية في منطقة بشار، 1903-1952م، الجزائر، دار أم البراهين للنشر والتوزيع، (ب.ت)، ص31.

وهي تحمل أصولا إفريقية حيث يرجع أصلها إلى عبيد إقليم توات، ولكن مع مرور الزمن اندمجت مع باقي عائلات القصر.

ورغم أن قبائل ذوي منيع هي الأكثر انتشارا في منطقة بشار إلا أن هذه العناصر جميعا تعايشت مع بعضها حسب الزمن والظرف الذي فرض عليها وحسب متطلبات الحياة التي أجبرتها على استغلال بعضها أو إخضاعها لها ولكن الإسلام عمل على إذابة معظم هذه الفروقات التي أحبطت سكان إقليم الساورة وعملت على تعميره ونصيب اهتمامهم أكثر بعلوم الدين و التفقه فيها والتنافس على إكتساب علوم مشايخها.

إن المتتبع لساكني إقليم الساورة، سيلاحظ أن هناك حدة في اعتماد قانون الغالب على المغلوب ربما هذا بسبب سياسة الفاطميين حتى يبقى الجنوب بعيدا عن طموحاتهم وفي نفس الوقت نفي كل من أرادوا إبعاده عن أهدافهم لكن ذلك جلب التغيير في شتى المجالات الاجتماعية وخاصة الاقتصادية بالمنطقة مع خبرات هؤلاء العرب في النشاط الفلاحي بوجود المياه الجوفية لتحقيق وفرة الإنتاج الفلاحي، وتكاثر المواشي الذي هو مصدر العيش لهم، رغم الصراعات والعصبية القبلية التي جعلت من المنطقة كالبركان الثائر بين تلك الأعراب التي تنافست على الكلأ والعشب والماء والأرض وتفوقت على بعضها بكثرتها مما جعلها تشكل تحالفات فيما بينها لتحقيق الحماية والدفاع عن نفسها كأولاد جرير وذوي منيع ضد قبائل "بني قيل" أو الغنائمة.

ولكن رغم ذلك ظلت هذه المنطقة الصحراوية معقلا رحبا،و ملاذا آمنا لمعظم حركات التمرد التي استهدفت الأنظمة السياسية في بلاد المغرب وقد استمر هذا الوضع المتردي الذي طبعته الصراعات القبلية وانتشار الدعوات الدينية الطامحة إلى السلطة إلى غاية احتلال الجزائر.

نبذة تاريخية عن إقليم الساورة (بشار): لقد تم اختطاط بلاد بشار في نحو القرن الخامس هجري الموافق لإحدى عشرة ميلادي أو أوائل القرن السادس هجري الموافق لاثني عشر ميلادي على يد قبائل زناتة وقد أخذت ولاية بشار تسميتها من البلاد القديمة المسماة بشار قاعدة الولاية حاليا منذ احتلال فرنسا لها وهي كغيرها من بلاد الصحراء، واحة ذات قصور ومداشر يقع غالبها على ضفاف الوادي يحمل اسم " وادي بشار" كما يحدها شرقا الجبل الكبير الذي يحمل هو الآخر إسم "جبل بشار" لكنه لم يتبق من حواضرها الأثرية القديمة اليوم إلا القصر القديم المسمى "قصر

بشار"الذي جنى عليه أهله بعد الاستقلال بإدخال البناء العصري على جله وهو القصر[1] الذي وجدته فرنسا قائما سنة 1321هـ/1903م .

❁ أما بخصوص تسمية البلاد ببشار فهي تسمية عربية قديمة وقد ذكرت في الوثائق المحلية المخطوطة القديمة زيادة على ماذكره المغاربة أصحاب الرحلات الحجية حيث ورد ذكرها في نص وثيقة وقف مؤرخة بتاريخ 938هـ/1531م أصلها ببلاد فقيق الواقعة بالجنوب الشرقي المغربي متأخمة لدائرة بني ونيف البشارية قيدت فيها الأملاك خارج بلاد فقيق التي وقفها العلامة سيدي عبد الجبار بن أحمد بن موسى الفقيقي المتوفي بزاوية فقيق عام 918هـ/1512م على عقبه بشروط يتضمنها الوقف وهذه بعض صوره:"...ما ملكه الله في غير فجيج (فقيق) ليكون بيد أعقابهم صحة...نصف غابة[2] مومن (مومنة) [3] بقرب قرية الأحمر ما عنده في غابة بشار وموغل [4]، معلوم الحرث وشجر التين الذي عنده في تنزارة، ربع معدن الملح وثلاثة أرباع سبلهم للمسلمين، ما عنده من النخيل والماء والحرث في جبل بني سمير، جنان ونخيل بأجنان بورزك [بورزق]، نخيل وادي بويعلي[بويعلى][5]، ما عنده من النخيل في عين الصفراء، قبلة [6] فجيج [فقيق] معلوم ...."[7].

كما ورد ذكر بشار في نص وثيقة المرابط سيدي عيسى بن مُحَمَّد بن الحيرش المعروف بسيدي عيسى ولد الحيرش، أحد أجداد قبيلة أولاد الحيرش أهل قصر بشار القديم حيث وقف هو وشقيقه أحمد أملاكهما ببلاد بشار قصرا وواحة على أعقابها بشروط تضمنها العقد بتاريخ 970هـ/1562م على الراجح الذي يعضده الدليل على ما سيأتي وهذا بعض صورة الوقف كالتالي :".....و منها

---

[1]–**القصر**: في الإصطلاح المحلي الصحراوي هو القرية المحصنة بالسور وأبراج المراقبة المحكمة الإغلاق بالأبواب على ما كانت تتطلبه الهندسة المعمارية في تلك العصور القديمة.

[2]– يقصد بالغابة الواحة.

[3]– لا تزال غابة مومنة معروفة عند أهلها إلى اليوم بقصر الأحمر الذي هو أحد قصور ولاية بشار الشمالية.

[4]–أحد قصور ولاية بشار الشمالية.

[5]– من بلاد الجنوب الغربي الجزائري الحالي.

[6]– أي الجنوب والصحيح أن عين الصفراء تقع شمال فقيق لا جنوبها.

[7]– أنظر عن وثيقة الوقف هذه:–بنعلى مُحَمَّد بوزيان، واحة فكيك [فقيق]تاريخ وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1987،ص78.

جميع (-)[1] الكائنة ببلدة بشار من المسجد إلى الجنان المسمى بأتوغ وشهرتها أغنت عن تحديدها.... "[2].

ويظهر لنا من خلال نص الوثيقتين الخاصة بالوقف تحديد مكان أو حدود منطقة بشار والمناطق والقصور المجاورة لها المحاذية إليها.

أما عن سبب اختيار اسم بشار فقد تنوعت الروايات والحديث عن التسمية حيث يذكر أن الكلمة من البشارة وهي كما في المعجم الوسيط: "الخبر السار لا يعلمه المخبر به وما يعطاه المبشر...."[3].

ويذكر الكاتب الأديب الشاعر المرحوم مُحَّد ولد الشيخ[4]، في كتابه الذي أتم تأليفه ببشار سنة 1936 "مريم في النخيل" ما بعض تعريبه :" إن قصر بشار هو الوحيد المتبقي من أقدم الحواضر بالمنطقة الواقعة في ممر طرق القوافل التي كانت تلتقي منذ القدم بقصر زقور وقصر بشار وقراهما،ففي أوقات الحروب كان من انهزم يجد بالناحية ملجأ ومخبأ، وكانت المنطقة نقطة توزيع لرسائل الناس من هنا وهناك ناقلة الأخبار، ولذا سميت ببشار الذي هو إسم حامل الأخبار السارة بشار".[5]

وقد تكون المنطقة سميت نسبة لحامل البشارة أي البشّار وذلك أن السلطان التركي خلال القرن التاسع للهجرة بعث رسلا إلى الصحراء التي رغب في ضمها إلى سلطانه وحثهم على إحصاء كل ما هو مهم خاصة مصادر المياه ووعد من يأتي بأحسن الأخبار بالإعفاء مستقبلا من الضريبة وخدمة الجيش وأن يعيش حياته دون خصاص بمبلغ مالي يجعله في مأمن من الفقر، ولم يعد أغلب الرسل لأن معظمهم هلك بسبب العطش والجوع ولم يحالف الحظ إلّا واحدا منهم وقد طلب من السلطان الدخول عليه في مجلسه وقدم إليه قربة من جلد المعز بها ماء عذب صافي، تفاجئ الملك بالاكتشاف

[1]- يوجد بياض هنا أصلا ويمكن القصد منه الأرض.

[2]- عبد الله حمادي الإدريسي،الإختصار من تاريخ قصر بشار وماجاورها من القصور والديار، دار الكتاب الملكي، وزارة الثقافة الجزائر، ص26.

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة إسطنبول، تركيا، 1989، ص 58.

[4]-الكاتب الأديب الشاعر المرحوم مُحَّد ولد الشيخ، كاتب باللغة الفرنسية ولد سنة 1906 ببشار توفي سنة 1938م.

[5]-عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق، ص- ص 30-31.

وقدم هدية كبيرة للرسول المكتشف وأطلق عليه تسمية البشّار نظرا للبشارة التي جاء بها وأطلق الإسم كذلك على المنطقة التي اكتشفت فيها الماء.

ويمكن أن نُرجع سبب التسمية للمنطقة لهذه الرواية ولكن في كلتا الحالتين تعني الخبر السّار ورغم وجود روايات أخرى عن التسمية وقد يكون تميز موقعها حيث واديها واحتمائها بالجبل الكبير الذي يحيط بها شرقا أو لكونها بلدة عذبة المياه فيما مضى من سالف عصورها وهو ما ذكره كثير من الرحالة المغاربة الذين زاروها في رحلاتهم الحجية فنجد العلامة أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن داود الهشتوكي في ذهابه من رحلة الحجية التي كان بدايتها من بلاد تمقروت بوادي درعة بالجنوب الشرقي المغربي يوم الثلاثاء 27 ربيع الثاني عام 1096هـ الموافق لـ02 أفريل 1685م الموسومة"هداية الملك العلام" مرورا ببلاد العوينة بلاد القنادسة حاليا، ثم منها بلاد بشار كما سيأتي ما صورته:"....ولما وصلنا بها [1] الصبح ارتحلنا فلم نقل إلا في بشار وإذا ماءه لا بأس به عذوبة وبه مداشير عديدة ونخل غير يسير ومزارع لا بأس بها ...".[2]

ومن هنا قد نرجع التسمية بسبب البشارة السارة عن خبر المياه العذبة بهذه المنطقة وخاصة أنها جهة رسمية حاكمة بالمناطق الشمالية من الجزائر ولو أن هذا السلطان التركي لم يفلح في وضع يده على المنطقة لكن اكتفى بفرض الضرائب على قبائلها الذين كانوا يتهربون من هذا الضغط المثقل على كاهلهم بين سلطان الشمال وحاكم الغرب بالمغرب الأقصى وقد ظل هذا الإسم يطلق عليها حتى في الحقبة الاستعمارية سواء بسبب هذه الرواية أو بسبب رواية كولومب بشار أي نسبة للنقيب الفرنسي دوكولومب الذي دخلها عام 1857م حيث تمركزت جيوشه بالمنطقة وأضيف إسمه إلى اسم المدينة ليصبح "كولومب بشار " الذي ظل طوال فترة الاستعمار الفرنسي ومع الإستقلال أعيد اسمها الأصلي بشار.

ولأن معظم مقاطعات ولاية بشار من الحواضر القديمة كبشار وقصور شمال بشار (موغل وبوكايس ولحمر) وبني قومي (دائرة تاغيت حاليا) وقصور وادي الساورة وغيرها لازال الكثير من ساكنيها سيما الطاعنون في السن، يحتفظون باللسان الزناتي البربري زيادة على اللسان العربي وكذا

[1]–أي قرية العوينة وهي بلاد القنادسة حاليا، إحدى دوائر ولاية بشار.

[2]– عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق ،ص29.

تسمية كثير من المعالم الجغرافية، والبساتين وبعض أصناف التمور، وبعض القرى بتسميات زناتية بربرية إلى اليوم وهذا يدل على أن مؤسسي هذه البلاد ومخططيها الأوائل هم من أمة البربر الزناتية على ما نستفيد من كلام المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون (ت809هـ/1406م) في حديثه عن صحاري جوار هذه الديار كبلاد توات (أدرار حاليا) وتينجورارين (تيميمون حاليا) وغيرها حيث يقول عن بني بالدس من بطون بني مانو البربر الزناتيين في كتابه العبر الذي أتم تأليفه سنة 783هـ/1381مما صورته:".... ومن بطون بني ومانو هؤلاء قبائل "بني بالدس" وقد يزعم زاعمون أنهم من مغراوة، ومواطنهم متصلة قبلة [1] المغرب الأقصى والأوسط وراء العرق[2] المحيط بعمرانهم المذكور قبل أختطوا في المواطن القصور والأطم واتخذوا بها الجنان من النخيل والأعناب وسائر الفواكه: فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة[3]، وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، آخذة من الغرب إلى الشرق ولبشار قصور قديمة ومندثرة، كل منها تاريخ يسرد أحداثها منذ اختطاطها وتعميرها عبر الزمن منها زقور وقرية أولاد ملوك والقصر الأبيض.[4]

إن هذه القصور ذات تاريخ مترابط الأحداث حين ينتهي قصر يقوم قصر آخر على أنقاضه أو بالقرب منه لسبب أو لآخر ورغم انتشار اللسان البربري الزناتي بينهم إلى غاية اليوم لكن يظل اللسان العربي هو الرابح الأكثر تداولا بالمنطقة مما يجسد انتشار العناصر العربية الهلالية التي ساهمت في ذلك ومنها أولاد جرير وذوي منيع والعمور وغيرهم.

ومن خلال كلام الهشتوكي فإن تبعية بشار سياسيا أحيانا إلى السلطة المغربية، لكن ذلك لم يكن في جميع فترات تاريخ بشار فقط في حالة قوة السلطان ووصول يده إليها، إذ الغالب من تاريخ بشار أنها كانت سائبة مهملة تحت سلطة الزوايا الروحية وسلطة القبائل العسكرية المتنافسة وأن علاقتهما بالسلطة المركزية كانت تتمثل في دفع الأتوات لا غير "أو مقاتلة قبائلها في صفوف السلطة المتغلبة يومها، وسرعان ما ترجع للحياد والحكم الذاتي بعد فشل السلطان وضعف قوته لكن تبقى

[1]–القبلة في الإصطلاح المتقدمين هي الجنوب.

[2]– يقصد به العرق الغربي الكبير.

[3]– سجلماسة هي قاعدة بلاد تافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي.

[4]–عبد الله حمادي الإدريسي،الإختصار من تاريخ قصر بشار وماجاورها من القصور والديار، مرجع سابق، ص– ص(49–57).

علاقتهما الروحية والدينية بالسلطان متمثلة في دعاء أئمة المساجد له فوق المنابر وزيارة الأعيان والمشايخ له بحاضرة فاس في المناسبات والأعياد لتلقى هداياه".[1]

ويبدو أن الزاوية الناصرية كانت أكثر الزوايا بجنوب المغرب سلطة وهيمنة وسط قرية (تمقروت) تمكروت، فقد كانت من أعظم المراكز العلمية في القرن11هـ، أسسها الشيخ أبوحفص عمر بن أحمد الأنصاري سنة 983هـ/1575م وجدد بناءها سيدي مُحَّد بن ناصر أحد أئمة المغرب الأعلام المتوفي سنة 1085هـ/1674م واعتبرت زاوية علم ودين تشد الرحال إليها من كل جهة من طلبة ومريدين وكبار وعلماء المغرب، فتتلمذوا بها واقتبسوا من علوم شيخها وأسراره وشاع صيتها في آفاق الصحراء إلى الحجاز.

وكان أهل هذه الزاوية التي تواجدت بتمقروت (تمكروت) قرب نهر تكمدارت (تقمدارت) يشتغلون بفلاحة البساتين وصناعة الأواني الفخارية، كما توجد زاوية أغلان التي أسسها السيد أحمد ابن يوسف الناصري سنة 1035هـ/1625م.[2]

وخلاصة لهذا المبحث يمكن أن نقول أن منطقة بشار التي تمثل إقليم الساورة وصحراؤها الكبرى بهذا الجنوب الغربي للجزائر في سالف عصورها منذ اختطاطها الأول في نحو أواخر القرن 5هـ/القرن 11م أوائل القرن 6هـ/ القرن 12م على يد قبائل بربر زناتة إلى الارتباط السياسي الأخير زمن الاحتلال الفرنسي لهذه البلاد في أواخر القرن 19م ومطلع القرن 20م والمعروفة في بعض الكتابات ببلاد السيبة كما يعبر عنها في بعض الأسفار التاريخية مثل ابن خلدون في كتابه العبر والسلاوي في كتابه الإستقصا والغير ببلاد القبلة [3]، كما يعبر عنها الكتاب الفرنسيون في بعض كتاباتهم بـ "بلاد البارود" لكثرة الفتن بين قبائلها من أولاد جرير وذوي منيع والغنانمة وغيرهم وهي البلاد التي كانت لا تخضع في جل عصورها للسلطة المركزية سواء بالجزائر أو المغرب الأقصى، أما الشعب وعامة الناس فقد كانوا لايعبؤون بالمجريات السياسية إذ مصلحتهم في سيبة بلادهم حتى لا يكلفون بدفع الضرائب إلى السلطان مثلما كان الشأن لقبيلتي عرب ذوي منيع وأولاد جرير بدو الصحراء البشارية اللتان كانتا

[1]- عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع نفسه،ص114.

[2]- الصديق بن العربي ،كتاب المغرب، ص154/نقلاً عن - عبد حمادي الإدريسي ، مرجع سابق، ص118.

[3]- أي البلاد الجنوبية الصحراوية.

تفضلان الإستقلال الذاتي والعيش بحرية دون الإرتباط بأي سلطة مركزية إلى غاية الإحتلال الفرنسي لهذه البقاع الصحراوية بدءا من سنة 1900م.

إن هذه المنطقة البشارية عريقة بتاريخها وتواتر الأحداث بها خلال الزمن منذ تعميرها إلى غاية اليوم مما جعل سكانها يشكلون خليط بشري متجانس غايته العمل والعلم والسلام بالمنطقة التي هي في حد ذاتها صعبة في ظروفها الطبيعية والمناخية ولكن الإنسان بها تكيف وتعايش بها.

المبحث الثالث: التطور التاريخي والعلمي لإقليم تندوف

1) تندوف جغرافيا وفلكيا: تقع منطقة تندوف في أقصى الجنوب الغربي الجزائري على بعد 2000كلم من الجزائر العاصمة، تبلغ مساحتها 168ألف كلم^2 أما عدد سكانها حاليا ما يقارب 32ألف نسمة يحدها من الشمال ولاية بشار ومن الجنوب الشرقي ولاية أدرار أما من الشمال الغربي المملكة المغربية ومن الجنوب الغربي جمهورية الصحراء الغربية ويحدها من الجهة الجنوبية الجمهورية الموريتانية وهي تقع على ارتفاع400متر من سطح البحر.

أما فلكيا: فهي تقع على خط عرض 27°درجة و28° درجة شمالا وبالتدقيق (27و40دقيقة و21ثانية) شمال خط الإستواء وبين خطي طول8°درجة و9°درجة غربا وبالتدقيق (8°و8 دقائق و50ثانية) حسب خط غرينيتش.[1]

وحسب الحدود الجغرافية تظهر أهمية الموقع الإستراتيجي لمدينة تندوف الذي أهلها لأن تتطور مع مرور الزمن وأن تصبح من أهم المدن الجنوبية الغربية لبلادنا، فهي تتوسط الحمادة الممتدة من عين الصفراء شرقا إلى المحيط غربا ومن منطقة تافيلالت شمالا إلى تمبكتو جنوبا، الأمر وهذا الموقع الجغرافي لمنطقة تندوف مكنها أن تكون نقطة تجارية هامة بين الأقاليم الصحراوية وجسر عبور تمر من خلاله مختلف القوافل التجارية ورحلات الحجيج القادمة من الغرب خاصة من إقليم الساقية الحمراء والزمور ووادي باني متجهة نحو إقليم توات ومنها نحو المشرق الإسلامي عبر الطريق الصحراوي المار جنوبا نحو تونس وطرابلس الغرب ثم مصر، فهي همزة وصل بين الشمال والجنوب، خاصة نحو تمبكتو العاصمة التجارية والثقافية للسودان الغربي والتي لا تبعد عنها إلا بحوالي 1300كلم^2، وتبعد تندوف بـ 804كلم جنوب غرب بشار وتقع تندوف شمال شرق الصحراء الغربية بنحو 40كلم وتقع على بعد 60كلم من شمال موريتانيا وتقع أيضا على بعد 488كلم جنوب أقادير المغربية الواقعة على

[1]–عبد الحق معزوز،العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان،عاصمة الثقافة الإسلامية 2011،ط1،ص17.

[2]- Le Capitaine Dubief et (J) CAUNEILLE, les nomades Regueibat, Travaux de-F-DE LA CHAPPEL-L'institut recherches Sahariennes, T-VI, 1950, P.85. Esquisse d'une histoire du SaharaOccidentale,Hespenist. XI, (1930)20, P74.

ساحل المحيط الأطلسي وأقرب نقطة ساحلية تطل على المحيط الأطلسي من تندوف هي مدينة سيدي إفني الواقعة بين تيزنيت وإقلميم المغربيتين.

وإفني هذه تبعد جوا عن تندوف بنحو 240كلم من ناحيتها الشمالية الغربية وأقرب نقطة إليها ساحلية مطلة على البحر الأبيض المتوسط فهي مرسى بن مهيدي الواقعة غرب الغزوات بالجزائر حيث يبعد هذا عن تندوف بـ1045كلم جوا من ناحيتها الشمالية الشرقية وبين تندوف ودكار عاصمة السينغال مسافة 2700كلم عبر الطرق الصحراوية.[1]

2) تندوف تضاريسا ومناخا: تتربع مدينة تندوف على هضبة الذراع العليا وهي هضبة مستوية السطح، واسعة وكبيرة جدا وتعرف هذه الهضبة باسم الحمادة وهي تمتد من منطقة عين الصفراء وغرب منطقة أدرار شرقا إلى غاية حوض الساقية الحمراء غربا ومن منطقة تافيلالت شمالا إلى أقصى جنوب تندوف مع حدودها الموريتانية شمالا، ويتميز سطح الحمادة بتكويناته الجيولوجية الصلبة التي تكونت خلال العصر الثالث من طبقة كلسية حيوية كثيرة الحصى، وهي بذلك تشبه حمادة القين أو الجين(هضبة الأربعاء بالأغواط.[2] كما تتميز بامتدادها غرب ايقدي وعرق شاش بجزئيها الجنوبي الشرقي ممتدا نحو مالي، هذا ويتوسط مدينة تندوف القديمة واد يقسمها إلى جزأين، جزء يقع جنوب ضفة الوادي وهو الأقدم والثاني شمال ضفة الوادي وهو الأحدث ويوفر لها هذا الوادي الذي لم يعد يجري المياه الجوفية والكلأ الضروريان للمدينة. فضفاف هذا الوادي مكان مناسب لغرس البقول والخضروات وواحات النخيل مما يؤمن للسكان غذائهم واحتياجاتهم الفلاحية.

ويبدو أن اختيار موقع بناء وتعمير منطقة تندوف اختيار إستراتيجي مميز أولا لوفرة الماء وهو عنصر أساسي للحياة وخصوصا لقربه ووفرته بالقرب من المدينة والثاني لوفرة الغذاء بوجود الماء ساعد على ممارسة النشاط الفلاحي وتربية المواشي على السواء، هذا إضافة لموقعها على هضبة منبسطة ومستوية وهي تقع على ارتفاع 400 متر عن سطح البحر، مما جعلهامحصنة وحقق الحماية والأمن

[1]– عبد الله حمادي الإدريسي،مناقب ومآثر بلعمش الجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية، دار بوسعادة، وزارة الثقافة الجزائر، ص ص 82-83.

[2]– عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان 2011،ص21 .

لساكنيها أي موقع المدينة مكانا محصن يصعب اقتحامه بسهولة لوقوعه على هضبة الدراع المشرفة على ما يحيط بها من فضاء بما في ذلك الوادي الذي يوفر عنصر الماء ويضمن للسكان مياه الشرب والفلاحة معا، كما تعتبر منطقة تندوف محطة هامة لاستراحة القواقل التجارية العابرة نحو الجنوب الشرقي لأخذ القليل من الراحة والتزود بالماء بعد مسافات كبيرة كانت قد قطعتها عبر الصحراء القاحلة.

وإقليم تندوف يتميز بالطابع الصحراوي، حيث يسودها مناخ جاف وحار صيفا وبارد شتاءا، يقل فيه تساقط الأمطار وإن كانت فهي ضعيفة كما أنها أمطار موسمية، تتساقط في نهاية فصل الصيف على شكل أمطار عاصفة آتية من الجنوب، أما الأمطار الشتوية فهي نادرة، أما الغطاء النباتي فهو قليل يتكون من النباتات الصحراوية المتأقلمة مع طبيعة هذا المناخ،فمناخ تندوف يتميز بالقساوة لارتفاع الحرارة طوال النهار وتنخفض في الليل لذلك معظم القوافل تفضل التنقل والترحال في تلك الربوع إلا ليلا.

ولكن هذا لم يمنع من الإزدهار التجاري للمنطقة وتنشيط حركة نقل البضائع من وإلى الجنوب، فقد كان ينقل الذهب وريش النعام والرقيق ومختلف المنتجات الصحراوية نحو سكان الشمال وفي مقابل ذلك تصدر المنتجات الشمالية من زيت وحبوب ولباس وملح من البضائع المختلفة بعضها قادم من أوروبا نحو سكان الجنوب.

ويمكن القول أن عامل التجارة ووفرة الماء بالمنطقة ساهما في تعميرها من قبل القبائل التي رأت أن المكان مناسب للاستقرار والتعمير مما أدى إلى نموها وتطورها لكونها تقع على طرق النقل والتجارة.

3) التركيبة البشرية لمنطقة تندوف:

أما من حيث التركيبة البشرية لهذا المجتمع فهو يتكون من عدة قبائل، بعضها أستوطنت المنطقة قديما والبعض الآخر استوطنها حديثا في النصف الأول من القرن 20م وأهمها :

أ) **قبيلة تاجكانت:** وهي قبيلة عريقة تنسب أصولها إلى عرب بني هلال الذين قدموا إلى بلاد المغرب العربي في القرن الخامس هجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي ويرجع الفضل لهذه القبيلة في

تأسيس مدينة تندوف على رأي بعض المؤرخين، على الرغم من أن هناك رأي آخر يرى أن تاجكانت قبيلة من أصول بربرية، ينحدر أصلها من قبيلة لمتونة المرابطية[1] والتي كان لها الفضل في تأسيس الدولة المرابطية خلال نهاية القرن الخامس الهجري بالمغرب الأقصى والجزء الغربي من الجزائر وقد اشتهرت هذه القبيلة بالنشاط التجاري واهتمت بالتعليم حيث يعود الفضل لها في تأسيس زاوية سيدي بلعمش التي تعد منارة للعلم والصرح المعرفي في هذه المدينة.

ب)**قبيلة الرقيبات:** ويرجع نسبهم حسب بعض المؤرخين إلى بربرية خاصة قبيلة صنهاجة وينحدرون من جدهم الأكبر سيدي أحمد الرقيبي الذي يعتقد أنه شريف النسب، سكن واد الذراع ويرجع له الفضل في تحرير قبيلته من هيمنة القبائل العربية[2]، وقد تفرعت ذرية الرقيبي إلى قسمين هما رقيبات الساحل الغربي الذين استقروا بين زمور (طاجانت ورقيبات) الشرق الذين يعرفون بالقواسم وسكنوا المنطقة الممتدة من وادي باني والأدرار والرقيبات قبائل بدوية ورُحّل حياتهم تعتمد على المواشي من جمال وماعز وغنم وتعتبر هاتين القبيلتين تاجكانت والرقيبات العمود الفقري لسكان منطقة تندوف، وهناك مجموعات بشرية أخرى استوطنت في الحمادة تندوف وهم:

أ) **عرب الشراقة:** وهم من أصول عربية وفدوا من نواحي عين الصفراء والبيض وناحية العمور لذلك أطلقت عليهم هذه التسمية نسبة إلى الجهة التي وفدوا منها ومنهم الشعانبة أحد فروع قبائل بني هلال.

ب)**الحرطانيون:** وهم طبقة تتكون من العبيد السود تم تحريرهم كما تدل على ذلك كلمة حرطاني والتي تعني حر ثاني، وقد سبق لنا أن شرحنا معنى هذا المصطلح، وهم من أصول إفريقية شكلوا طبقة إجتماعية متميزة في المجتمع التندوفي رغم قلتهم وهم الحرطانيون الذين اندمجوا وانصهروا في المجتمع التندوفي معتمدين على التآزر والتكاثف، شاقين طريقهم نحو حياة الإستقرار والتكافل الإجتماعي في انسجام إلى جانب قبيلة تاجكانت التي تعتبر المؤسس الفعلي للمدينة.[3]

---

[1]- عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011 ،ص26

[2]- والمقصود هنا حسب الكاتب قبيلة تاجكانت لأنها هي التي استقرت في المنطقة للكاتب والمرجع نفسه، ص27.

[3]- عبد الحق معزوز، مرجع سابق، ص 29.

ويظهر أن المناطق الصحراوية ومنها منطقة تندوف إلا وكانت طبقة الحراطين من بين ساكنيها، وهذا بسبب تجارة الرقيق التي كانت تمارس في تلك الفترة من الزمن ولأن هذه المناطق الصحراوية نقاط عبور لقوافل التجارة، وتم تحرير الرقيق واستقراره فيها تماشيا مع التعاليم الإسلامية التي بددت تلك الفوارق الإجتماعية وخلق الإنسجام، هذا بالإضافة إلى قبائل بني هلال المهاجرة التي استقرت بهذه المنطقة بعيدا عن الصراعات التي عرفها الشمال في تلك الفترة الزمنية من المغرب الأوسط ولكن القبيلة المؤسسة لهذه المدينة والقصد هنا قبيلة تاجكانت التي أرست منارة العلم الذي بها نَشّطَ المدينة وجذب إليها من كل صرح تاجرا أو عالما أو طالبا أو ساكنا يبحث عن الأمن والإستقرار.

4) الأهمية التاريخية لإقليم تندوف:

إن التضارب الحاصل في تحديد التاريخ الفعلي لتأسيس ونشأة مدينة تندوف لدى الدارسين والباحثين بسبب غياب الوثائق المادية والنصوص التاريخية، فمعظم الروايات الشفوية المتناقلة بين ألسن وأقلام المثقفين عن سكان أهل المدينة، خاصة قبيلة تاجكانت التي تعد المؤسس الفعلي للمدينة لتأسيسها لزاوية بلعمش الزاوية العتيقة والأولى بالمنطقة، فمعظم الباحثين اعتمدوا على ذلك رغم افتقار هذه الروايات إلى نص أو سند تاريخي أو أثري، ويرجحون تاريخ تأسيس هذه المنطقة إلى حوالي ستة قرون ماضية أي نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي في حين البعض الآخر يذكر أن المنطقة تأسست في القرن السادس الهجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي على يد المرابطين الذي جاءوا من السنيغال وموريتانيا.

لكن حسب الروايات المتواترة فإن تاريخ المدينة يبدأ مع تأسيس زاوية بلعمش التي هي بمثابة حجر الأساس في القصبة القديمة إلى جانب ما تعبر عنه من بعد روحي وسلطة دينية بالمدينة، وهي أيضا مرجعية تاريخية وحضارية لهذا الإقليم. فقد تأسست هذه الزاوية حسب الروايات عام 1267 هـ الموافق ل 1850م من طرف الشيخ مُحَّد المختار بلعمش من عائلة ذات مكانة علمية وأب مرابط والذي أكمل تكوينه العلمي في زاوية سيدي المخطار الكونتي بإقليم الأزواد والذي يرجع إليه الفضل في تأسيس المدينة الحديثة والإستقرار البشري فيها، وقد اعتبرت هذه الزاوية بمثابة الدعامة الأساسية للعلم والمنارة المعرفية والعقلية والروحية في أرجاء الجنوب الغربي خاصة ومنطقة جنوب السوس بالمغرب الأقصى ومنطقة شنقيط وإقليم أزواد ومالي والنيجر والصحراء الغربية عامة، ولكن إذا أخذنا بهذه

الرواية فإننا ننفي تلك الشواهد المادية الأثرية التي مازالت قائمة إلى وقتنا هذا وهي تنتظر من الباحثين تثمينها والتعريف بها ووضعها في إطارها التاريخي وهي بذلك تدل دلالة واضحة على أن منطقة تندوف لها بعد تاريخي وحضاري قديم خاصة تلك الدراسات الجيولوجية التي أجريت في المنطقة[1] أكدت قدمها وعمقها التاريخي وبعدها الحضاري، وخاصة تلك المواقع الأثرية القديمة المتوغلة في الأزمنة التاريخية بمنطقة أم الطوابع وعوينات والمويلح وغار جبيلات وأم الكسى والعيوم.

وبذلك تؤكد هذه الآثار أن تاريخ المنطقة لا يبدأ عند حدود تاريخ تأسيس المدينة العتيقة بل يزيد في أعماق التاريخ إلى نحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد أو يفوق لأن المنطقة تزخر بمعالم أثرية متنوعة بعضها يعود إلى فترة حكم البرتغال في المنطقة الغربية كقلعة "البرتغيز"[2] وهي تقع على الحدود الشمالية الغربية لولاية تندوف مع المغرب الأقصى في موقع يقال له بحيرة تافقومت بمنطقة أم العشار، ويذكر أن هذه القلعة تعود إلى القرن السادس عشر ميلادي حين أحتل البرتغاليون السواحل الغربية للقارة الإفريقية وإن كانت هذه المعالم الأثرية التاريخية تبين لنا أن المنطقة سبق وأن سكنها شعوب أخرى غير قبيلة تاجكانت التي تذكر الروايات أنها أول من أسس هذه المدينة إلا أنهم لم يسموها بل كانت البلاد تسمى تندوف منذ القديم، وقد كانت بها مدينة مندثرة ذكرت عند صاحب تاريخ الفتاش القاعي محمود كعت [3] 925هـ/1519م كان حيا سنة 1012هـ/1603م، كما ذكرت أيضا عند أبي عبيد البكري سنة 487هـ/1094م في مسالكه باسم تندفوس والتي رجح المؤرخون على أنها تندوف الحالية وهذا الإسم نسبه إلى آثار حفرها المسافرون غير أنها سرعان ما تندثر وتزول وهناك من يرجع أصلها إلى اجتماع كلمتين "تن" بمعنى (الينبوع) أو العين وكلمة "دوف" التي معناها غزارة التدفق وهذا يكون المعنى كاملا لتندوف هو (العين الغزيرة التدفق).

إن هذه المنطقة عريقة في تاريخها وعميقة في حضارتها التاريخية من خلال البقايا الأثرية التي تعود بها إلى ماقبل التاريخ مع التسلسل الزمني التاريخي إلى غاية الإحتلال الفرنسي لها سنة 1934 تبقى

[1]– عبد الحق معزوز، مرجع سابق، ص 33.

[2]–برتغيز هذه الكلمة محرفة لكلمة البرتغالي (Portugaise) باللغة الفرنسية وقد تحولت إلى اللغة العربية بهذا المنطق فأصبحوا يعبرون عن هذا الحصن بـ(حصن البرتغيز): – عبد الحق معزوز، مرجع سابق، ، ص 36.

[3]– عبدالله حمادي الإدريسي،تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ج1، وزارة الثقافة،الجزائر، دار الكتاب الملكي، حرية الفكر، ص441.

قيمتها الجغرافية من خلال موقعها وأهميته كمنطقة عبور وتواصل من الحجيج والتجار الذين مروا بالمنطقة وساهموا بشكل أو بآخر في إثُراء المدينة إلى جانب الأسر أو القبائل التي عمرتها وبنتها بعمرانها وجعلت منها صرحا علميا يتسارع إلى الإقبال عليه من كل نواحي الصحراء والشمال والمنطقة الإفريقية عامة.

المبحث الرابع: التطور التاريخي والعلمي لإقليم توات.

1- الموقع الجغرافي والفلكي لإقليم توات:

إن إقليم توات جزء من الصحراء الجزائرية، يقع بالجنوب الغربي منها، فإستراتيجية الموقع الذي يحتله جعل منه كمحور اتصال بين شمال الصحراء وبلاد السودان ونقطة التقاء وعبور بين البلدان الواقعة في غربه وشرقه[1]، وتبعد أقرب نقطة منه عن الجزائر العاصمة بحوالي 1500كلم، يشتمل الإقليم على عدد من القصور تزيد عن مائتين وتسعة وتسعون قصرا (299) وتبلغ مساحته 427968 ألف كلم^2 ،يحده من الشمال العرق الغربي الكبير وهضبة تادميت وجنوبا هضبة مويدر وجمهورية مالي، فمن الشمال الشرقي يحده واد مقيدن المحاذي لولاية غرداية ومن الشمال الغربي العرق الغربي الكبير والبيض وشرقا العرق الشرقي الكبير المجاور لواد الماية وغربا وادي الساورة وولاية تندوف.

والإقليم يمثل ولاية أدرار بما فيها تيميمون وعين صالح والتي تعد في التقسيم الإداري أولى الولايات، فأقدم المؤرخين الذين أعطوا فكرة عن جغرافية هذا الإقليم كانا المؤرخ إبن خلدون بتاريخ 808 هـ/1409م والرحالة ابن بطوطة بتاريخ 779هـ/1377م. فابن خلدون يذكر في تاريخه اسم توات على أنها المقاطعات الواقعة بمحاذاة نهر كبير ينحدر ناحية المغرب إذ يقول:"... وينبع مع هذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى القبلة مشرقا بعض الشيء، ويقطع العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيط، ويسمى لهذا العهد كير وعليه قصورها ويضور في رمالها، وهو موضع مضامة قصور ذات نخل تسمى وركلان وفي شرق بودة مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور

[1]- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط، لمحمد بن بابا حيدة، ديوان المطبوعات الجامعية، تلمسان 2007، ص51.

الصحراء، وفي شرق تسابيت إلى مايلي الجنوب قصور تيكورارين تنتهي إلى ثلاثمائة أو أكثر في واد واحد فينحدر من المغرب إلى المشرق وفيها أمم من قبائل زناتة".[1]

في حين نجد أن ابن بطوطة قد مر بمقاطعة بودة التي أقام فيها أيام قليلة بعد عودته من مالي في طريقه إلى المغرب الأقصى وذلك سنة 754هـ حيث يقول عنها ".....ثم وصلنا إلى بودة وهي من أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ....وأقمنا ببودة أياما ".[2]

ومن خلال وصف ابن خلدون وابن بطوطة لجغرافية هذا الإقليم الذي يحاط بالعروق الرملية وبعض الأودية، سواء وادي الساورة أو وادي امقيدن أو وادي قير كما ذكر كلاهما منطقة بودة على أساس منطلق النهر أو الواد الذي يمتد مصدره من المغرب الأقصى ليصل إلى غاية قصور إقليم توات من بودة وتمنطيط فقد حدد موقعه الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في مجلده الرحلة العلية على أنه يمتد من واد الساورة شمالا إلى تنزروفت جنوبا ومن عرق اركشاش غربا إلى آمقيد شرقا وفي الجنوب الشرقي الهقار وفي الشرق الشمالي المنيعة.

إن هذا التنوع في التسميات الجغرافية لحدود إقليم توات يبرز ماكان يسمى بتوات قديما وما أصبح عليه اليوم المتمثل في ولاية أدرار، ولا يمكن أن يكون هذا الاختلاف يغير من تفاصيل حدود هذا الإقليم، قد تكون شكلا تضاريسيا كهضبة أو عرق مثلما وجدنا ذلك لدى الدكتور حوتية فكانت الحدود تضاريسية أو قد تكون الحدود حسب الأبعاد والمسافات مثلما نجد لدى الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم البكري حيث يقول عن الحدود القديمة لإقليم توات "أن بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوما...وغربا عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما،

[1]- حسيبة بلاطش، الإزدهار الإقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16و20م،الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20م، يومي 16/15 أكتوبر 2017، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ص07.

[2]- قومي مُحَمَّد، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين (9هـ-10هـ/15م-16م) ،مذكرة الماجستير في التاريخ،جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية .2013-2014، ص62.

ومن بلاد الزاب عشرة أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعا لبلاد البيض سيدي الشيخ".[1]

وعلى العموم إقليم توات يمكن وصفه من كل الجهات والنواحي التي تضبط موقعه الجغرافي حسب المؤرخين القدماء أو المحدثين، وبهذا التحديد ينحصر الإقليم فلكيا بين خطي طول 1° درجة شرقا و4°درجة غربا وبين دائرتي عرض 26°درجة و30°درجة شمالا.

وينقسم هذا الإقليم جغرافيا إلى ثلاث مناطق متباينة جغرافيا ومتميزة كل منطقة منها مرتبطة باسم توات وهذه المناطق هي:

أ- **تينجورارين:** وتعرف أيضا باسم تيكورارين والقورارة وهذا الأخير الغالب حديثا، وصفها ابن خلدون (بتاريخ 808هـ/1406م) بأنها " منطقة غاصة بالسكان، مستبحرة في العمران، قصورها كثيرة تقارب المائة، تسمى تيكورارين".[2] كما وصفها الحسن الوزان بتاريخ (957هـ/1550م) بأنها "منطقة مأهولة بالسكان بين حدائق النخيل، ذات أراضي كثيرة صالحة للزراعة إذا ما تم تسميدها بالسماد مشتملة على مايقرب من خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية " [3]

من خلال وصف هذان المؤرخان، يتوضح أن المنطقة في ازدياد لقصورها واتساع لحدودها وعدد سكانها وحتى المنطقة التي تشملها فهي تمتد في شمال توات حيث يسودها شمالا والشمال الشرقي العرق الغربي الكبير ومن الجنوب هضبة تادميت وشرقا الحوض الشرقي لوادي الساورة[4]، في حين يبين حدودها الجغرافية الأستاذ بوسعيد أحمد على أنها تمتد حتى شمال تيدكيلت من هضبة تادمايت شرقا وغربا واد الساورة وجنوبا توات الوسطى الأصل وهي تنتشر بها قصور عديدة بين تابلكوزة في الشمال والمطارفة في الجنوب وأهم قصورها فيمايلي:

---

[1]-أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، تلمسان ،2011، ص 360. عن مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص3، الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم ،خزانة تمنطيط، أدرار.

[2]- الحسن بن مُحَمَّد الوزان، وصف إفريقيا ،ط 2 ،ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر ،بيروت دار الغرب الإسلامي،1983م، ج2، ص134.

[3]- الحسن بن مُحَمَّد الوزان ، وصف أفريقيا المصدر نفسه.

[4]- مُحَمَّد الصالح حوتية، أتوات والأزواد خلال القرنين 12 و13 للهجرة، 18 و19 ميلادي، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ج1، دار الكتاب العربي،ص28.

1) **منطقة تيميمون:** وهي عاصمة تينجورارين وتضم سبعة وعشرين قصرا تتقارب فيمابينها منها قصر بادريان، وماسين وبابا عدة، تيليوين، تاغيارت، سموتة، أو مراد ،تين جلات، فرعون أومسعد ،تلالت، قصبة الكاف،بني مهلال،زاوية سيدي الحاج بلقاسم،تاورسيت، الواجدة ...إلخ

والواضح من خلال تسميات قصورها أن الغالب عليها سكان زناتة رغم التنوع البشري بها من قبائل الشعانبة والعرب والسود من الحراطين.

2) **منطقة أولاد سعيد:** وتعد من أقدم مقاطعات تينجورارين، تتكون من مجموعة حصون مسكونة من جماعات ذات أصول مختلفة أهمها أولاد مُحَّد، أولاد القاضي، أولاد لحسن، الجازوليون، يتوزعون على قصور عديدة كقصر حاج قلمان، الشيخ كالي، إيغزر، آغلاد. وما يميز هذه القصور ذات أسوار متراصة مبنية بالطين والطوب.

3) **منطقة شروين:** قصوره متقاربة المسافة فيما بينها موقعه في الغرب من سبخة تيميمون أهم قصوره: أجدير الشرقي (القبلي)، تاسقاوت، تبو، تاوريحت، آت عيسى، تاوريرت، أجدير الغربي، تينكرم، لحمر،حيحا، آجنتور، تاجلزي، كالي.

4) **منطقة المطارفة:** تعتبر الحد الفاصل بين توات الأصلي وتينجورارين وتسمى بقرى الدغامشة أهم قصورها: أولاد راشد، الساهلة، كبرتن، أولاد محمود، أولاد علي، أوفران.

5) **منطقة أوقروت:** موقعها بمنخفض وادي أمقيدن، تضم حوالي أربعة عشر قصرا منها: تالة، توكي، إقسطن، تنقلين، البركة، دلدول، تبرغامين.

6) **تينركوك:** أو ما يسمى ببلاد المحارزة وأهم قصورها: زاوية الدباغ وتبلكوزة وقصر قدور وتعنطاس وفاتيس وعين حمو...إلخ

7) **منطقة طلمين:** وتسمي بقصور العرق وأهمها: الساقية ،تعرابين، نعامة، تاغوزي، عين جلو وغيرها.

4. **منطقة توات الوسطى:** وتسمى تسوات أو الأصلية، تقع على نهاية الهضبة العليا للقورارة أي الحافة الشرقية لواد مسعود وحسب ما يذكره الدكتور حوتية[1] "توات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان وهذا الإمتداد مايسمى بمقاطعة توات الأصلية".

وتوات الوسطى تبدأ من أعالي قصور تسابيت وعريان الراس شمالا إلى غاية رقان جنوبا وهي تشمل عدة نواحي تضم قصورعديدة ومن تلك النواحي من أهم قصورها مايلي:

1-**قصور تمنطيط:** وهي كلمة بربرية تعني حاجب العين[2] أهم قصورها أولاد الحاج مأمون، نكير، بالحاج، توكي، بوفادي، نومناس، بتكور.

وتعد تمنطيط مركز توات وقاعدتها وأقدم مدنها وقد ذكرها العلامة ابن خلدون يصف أهميتها "..وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيط وهو بلد مستبحر في العمران، وهو محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد".[3]

هذا لأن قصر تمنطيط بقصوره المتعددة يعتبر مركز إشعاع علمي ومحطة للقوافل التجارية العابرة لإقليم توات نحو السودان فنجد معظم المؤرخين القدماء أطالوا في وصفها ضمن مخطوطاتهم.

2-**قصور بودة:** مجموع عدد قصورها حوالي ثلاث عشرة قصرا وهي تنقسم إلى مقاطعتين هي: بودة الفوقانية (العليا) وبودة التحتانية (السفلى) تحتوي بودة الفوقانية على سبعة قصور والخمسة الباقية من القصور تشكل بودة التحتانية وأهمها: لقصيبة، أولاد إعيش، أبار، الغمارة، الغماريين، أولاد آنجل، بن أدراعو، زاوية بن يلي، ودران، أغرم علي، بني وازل، زاوية سيدي حيدة، المنصور.

[1]- مُحَمَّد الصالح حوتية، مرجع سابق، ج1، ص 32.

[2]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1 المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، ص61.

[3]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، نفس المرجع، ص 20.

3-**قصور تيمي**: وتعني الجبهة ويقول عنها مولاي أحمد الإدريسي الطاهري بتاريخ 1399هـ " وكانت في القديم ...محل الحل والعقد،ومجتمع الحرب والسلم لأن القيادة العظيمة و القضاء و الأحكام الشرعية...كانت بها أسواق يقصدها التجار من كل مكان...ويوجد بتيمي العلم والتعليم والعلماء".[1]

نجد أن هذه القصور يكثر ذكرهم في المخطوطات لدى الرحالة والمؤرخين لأهميتهم الاقتصادية والثقافيةوأهم قصوره : تينيلان،أولاد أنقال،آدغا،بني تامر، ملوكة، كوسام، أولاد أوشن، أوقديم، ميمون، واينة، أولاد بوحفص، مهدية، منصورية، أولاد إبراهيم، أولاد أحمد، أ، أولاد عيسى، أولاد علي، بربع.

4-**قصور فنوغيل**: والكلمة بربرية تعني "آثار الذراع" وهي تشتهر بقصرها القديم زاوية سيدي عبد القادر الكنتي الملازم لتسمية المقاطعة وبها قصور عتيقة أيضا أهمها: عزي، باعمور، مكرة، قصبة أولاد مولاي بوفارس، سيدي يوسف، قصبة أولاد مولاي لحسن، تسفاوت، اعباني، العلوشية، ودغة، بن هني، أولاد برشيد. وتتواجد جنوب فنوغيل قصور وقصبات مبنية فوق الحجارة الصلدة هي بويحيا، غرميانو، تماسخت، تيطاف، أغيل ،إكيس، الجديد، لحمر.

5-**قصور منطقة زاوية كنتة: و**هي تتوسط توات الوسطى(توات الحنة) مجموع قصورها حوالي سبعة عشر قصرا وهي تقع جنوب قصور تامست الجانب الأيسر لوادي مسعود تتميز زاوية كنتة بوجود العائلة الرقادية بها أهم قصورها: زاقلو، أولاد الحاج، بوحامد، المناصير، توريرين، آغيل، مكيد، تاخفيفت، أغرملال، أظوى، زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وبو علي الذي استقر به الشيخ المغيلي ومقر للبرامكة أحفاد برمك الفارسي الفارين من المشرق في عهد هارون الرشيد الخليفة العباسي بالإضافة إلى قصر تبركان وأدمر وزاوية كنتة والبيض، وشباني وأدرور.[2]

6-**قصور آنزجمير: و**تسمى بتوات الحنة لإنتاجها هذه المادة وهي صبغة طبيعية تستعمل للزينة وكدواء للعلاج، ويوجد به قصران كبيران أحدهما يقطنه العرب والآخر يسكنه الشرفاء والمرابطين من

[1]- الإدريسي مولاي الطاهر،نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة الشاري الطيب كوشام،ص104.
[2]-مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ص63.

الأنصار نسبة لأبي أيوب الأنصاري بتاريخ 52 هـ[1]، ومن قصورها: تيطاوين، تيلولين، الخلفي، تيطاوين الشرفاء وتيطاوين لخراس، بوانجي، أنزجمير، المحفوظ، تيدماين، أوغزير وعددها عشرة قصور.

7-**قصور سالي**: مجموعها ثمانية عشر قصرا وهي: كلمة بربرية تعني بالعربية علاق الراحلة وأهم قصورها: باحو، بريش، قصبة الحنة، العلوشية، برماتة، قصبة الحاج أمبارك، قصبة النجار، قصبة مولاي علي، قصبة سيدي الشريف، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد، أولاد مولاي العربي المستور، زاوية لحشف، أتزيرية، تينورت، قصبة القائد، لمحارزة، القصر الجديد.

8-**قصور تسابيت**: وهي كلمة بربرية تعني المكان المعزول عن الطريق، ذكرها المؤرخ الحسن الوزان بتاريخ (95هـ/1550م) باسم تسبت تضم حوالي عشرة قصور أهمها: برينكان، العياد، لمعيز، الهبلة، القصابي، بن طلحة، أسبع، القرارة، حماد، عريان الراس.

9-**قصور رقان**: وهي آخر مناطق توات الوسطى جنوبا والذي منه المنعطف الأخير نحو تيديكلت شرقا واتجاه تنزروفت جنوبا والكلمة بربرية تعني الجمل الكبير الراقد بها زاوية العالم مولاي عبد الله الرقاني بتاريخ 1148هـ وابنه الشيخ مولاي عبد الملك الرقاني بتاريخ 1207هـ بها حوالي إحدى عشر قصرا أهمها: أنزقلوف، النفيس، تاعرابت، أنتهنت، تنلاف، تيمادنين، تاوريرت، القصر الجديد، زرافيل، آغير، آيت المسعود، ورقان وهي آخر جهات توات الوسطى من الجنوب.

ج- إقليم تيديكلت: الكلمة تعني كف اليد أو اليد المفتوحة وتمتد من أولف غربا إلى فقارة الزوى بعين صالح شرقا وهي تقع في الجهة الشرقية من توات، مايميزها أنها تجمع بين منطقتين منذ القدم إحداهما شرقية تمثلت في عين صالح والتي هي تابعة حاليا لولاية تمنراست والأخرى غربية تمثل دائرة آولف التابعة لولاية أدرار وأهم القصور التي يشملها هذا الإقليم هي كالتالي :

1- **منطقة آولف**: ذكرها المؤرخ الأغواطي بتاريخ 1244هـ/1828م حيث قال:"وبلدة آولف محاطة بأسوار مبنية بالطين وفيها الماء الوافر والتمر وللسكان عدد كبير من العبيد[2]، وكأن المؤرخ

[1]-الإدريسي مولاي الطاهر، نسيم النفحات،مصدر سابق،ص91.

[2]- الأغواطي الحاج إبن الدين، رحلة الأغواطي، تر: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1990،ص257.

الأغواطي في وصفه لمنطقة آولف يظهر مدى رفاهية سكانها ووفرة احتياجاتهم لدرجة يستخدمون العبيد في قضاء متطلباتهم كما بين أن المنطقة متوفرة على الماء والمنتوج الأساسي الذي كان يعتمد عليه سكان الصحراء المتمثل في التمر وهذا أيضا يظهر كثرة نخيلها وواحاتها.

وأهم قصورها: الجديد، الركينة، تقراف، عمنات، قصبة بلال، قصبة حبادات، قصبة ميخاف، زاوية حينون وهذه القصور تمثل آولف العرب لكون غالب سكانها من العرب وهناك آولف الشرفاء لأن سكانها من الشرفاء ويقال له آولف الكبير أهم قصوره: أولف الكبير، وتيمقطن وأولاد الحاج، أخنوس وزاوية مولاي هيبة وقصبة السيد وغيرها.

2- **منطقة إينغر**:وتعني الشعبة أي المكان المنخفض وهي الفاصل بين تيديكلت الشرقية والغربية ومن قصورها: الشويطر ومليانة ولكحل وأقبور والسبخة.

3- **منطقة تيط**: وتعني الكلمة العين، أهم قصورها قصبة الشرفاء وقرية تيط وواضح أن هذه المنطقة ذات قصور قليلة.

4- **منطقة تمقطن**: هذه المنطقة كانت المدخل الأساسي لتيديكلت لعبور التجار والحجاج بها قصور عديدة منها: الميمون (قوقو حاليا)، عين بلبال، مطريون، المرقب...إلخ

5- **منطقة أقبلي**: وهي أيضا كانت منطقة عبور القوافل القادمة من السودان مما ذاع صيتها كمحطة عبور وسوق تجارية بين السودان ومنطقة توات وهي تقع جنوب تيديكلت تتكون من قصور هي: المنصور، واركشاش، ساهل، وزاوية أبي نعامة المشتق اسمها من الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمان ابي نعامة المعروف بشيخ الركب النبوي الذي أسس زاويته بها سنة 1137هـ/1725م وأحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور وجعلها منطقة التقاء وافتراق بعد مناسك الحج.

6- **منطقة عين صالح**: وهي القاعدة الشرقية لمنطقة تيديكلت ذكرها الأغواطي بتاريخ: 1244هـ/1828م حيث قال: "وبعد توات تأتي عين صالح في الجنوب، ثم تأتي بلاد السودان في أقصى الجنوب ..."

فالبعض يعتبرها خارج منطقة توات والبعض الآخر يدرجها ضمن توات فهو هنا عزلها عن الإقليم التواتي، ولكن معظمهم يرجع أنها تنتمي لبلاد توات فقد كانت محطة أساسية للقوافل التجارية وحتى الحجيج وقد اشتهرت المنطقة بوفرة مياهها وكثرة نخليها وثمارها وأهم القصور بها قصر لعرب، أولاد الحاج، البركة، الساهلة، الدغامشة، حاسي لحجر، إيقسطن، فقارة لعرب وفقارة الزوى، الزاوية. وفقارة الزوى هو آخر القصور التواتية بمنطقة تيديكلت.

ومن هنا واضح أن إقليم التوات بمناطقه الثلاثة المتعددة القصور الكثيرة الواحات والوافرة المياه الباطنية والغنية بتمرها مما جعل بعضها محطات أساسية لعبور القوافل التجارية والحجيج بها فساعد ذلك على ازدهارها ونمو سكانها بفتح أسواق بها تنعش الحياة الاقتصادية والتي تزكي الحياة الثقافية والعلمية والدينية لجذب الطلاب والعلماء إليها فتنشأ بها الزوايا.

إن إقليم توات واسع في مجاله الجغرافي ومتنوع المعالم تكثر به الواحات لوفرة المياه الباطنية فاستغل ذلك كل قاطنيها من قبائل بربرية أو عربية وحتى الإفريقية نظرا لما توقعوه من خيرات جسام وأدركوا جوهر الصحراء ولمسوا بركة المكان فاعتنوا به وفجروا الآبار به أو ما يسمى بالفقارات وصنعوا أساليب الحياة التي تشجع العابرين بهذا الإقليم على الإستقرار فتنوع ساكنيه من كل اتجاه بعلومهم ولغاتهم وعاداتهم وانكب سكان هذاالإقليم يتنافسون على طلب العلم بوفود العلماء والمشايخ إليهم أو بالسفر والترحال لطلبه والتزود بعلومه الدينية والدنيوية، ورغم حرارة المناخ الصحراوي إلا أن السكان تكيفوا معه.

5) التضاريس والمناخ والغطاء النباتي:

إن سطح التضاريس لإقليم توات يتميز بالانبساط والاتساع لأن أهم معالمه هي العروق الرملية كالعرق الغربي الكبير وعرق شاش وعرق إقيدي وتنتشر به السباخ خاصة في منطقة تيديكلت حيث تصب بها الأودية منها سبخة مكرغان وآزلماتي وفي منطقة توات الوسطى تشتهر بسبخة تمنطيط وسبخة توهات كما تنتشر بها الأودية التي معظمها ينبع من جبال الأطلس وتصب في واد الساورة وتتحول إلى مياه جوفية تزود منطقة توات وتيديكلت وتينجورارين[1]، فوادي مسعود[1] ينتهي بإقليم

[1]- العماري أحمد، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، ط1، منشورات كلية الآداب، جامعة فاس، 1988، ص14.

توات وواد امقيدن[2] بتينجورارين ووادي قاريت[3] بتيديكلت في حين نجد الرق يشغل مساحات واسعة من الإقليم حيث يمتد من هضبة تادمايت شرقا إلى عرق شاش غربا، وتتواجد به بعض الكتل الصخرية والأودية والمرتفعات إضافة إلى العديد من الواحات التي معظمها تحول إلى قصور لوفرة المياه الجوفية بها.

أما بالنسبة للمناخ السائد بهذا الإقليم فهو مناخ صحراوي باعتبار موقع الإقليم بالمنطقة الصحراوية التي يمرعلى طرفها الجنوبي مدار السرطان مما يجعل من المنطقة ذات حرارة مرتفعة خاصة في فصل الصيف وكثرة هبوب الرياح المحملة بالرمال مع برودة فصل الشتاء فتجد إقليم توات يسوده المناخ الصحراوي القار الجاف الذي يتميز بارتفاع الحرارة التي تعمل على زيادة معدل التبخر مقارنة بمعدل التساقط الذي يندر وجوده بهذا الإقليم فتكتسي المنطقة بطابع قاسي يصعب التأقلم معه مما يؤدي إلى قلة الغطاء النباتي في حين تتصف الواحات بمناخ محلي تنخفض به درجة الحرارة نسبيا بسبب نسيم البساتين الرطب.

وعلى العموم المناخ الصحراوي حار وجاف صيفا تصل فيه متوسط درجة الحرارة الأقصى إلى 37°م وترتفع أغلب الأحيان إلى 45°م بينما تنخفض شتاء إذ يبلغ المتوسط الأدنى إلى 12°م، وتلعب الرياح دورا كبيرا في إثارة الرمال والزوابع الرملية لاتسامها بالحركة والديمومة أغلب أشهرالسنة ولعدم وجود مايعيق هذه الحركة الهوائية بسبب انبساط سطح التضاريس ومعظمه عروق رملية، ولمحاربة هذه الظاهرة المتسببة في تغطية الواحات والبساتين والقصور بالرمال نجد أهل المنطقة يعتمدون على مصدات الرياح المشكلة من جريد النخيل (أفراق) مع التجديد السنوي حسب حجم التراكمات الرملية حيث نجدها على قمم العروق القريبة من المباني والبيوت مثل قصر بودة وتيلولين وقصور سالي وغيرها.

---

[1]- **وادي مسعود**: يتكون من إتحاد وادي قير وواد زوزفانة عند فقيق متجه جنوبا حيث يطلق عليه بواد الساورة فيصل كرزاز مغيرا اتجاهه نحو الشرق ثم نحو الجنوب فيطلق عليه هناك واد مسعود وحين يصل إلى تسفاوت يتحول إلى سبخة، فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص2.

[2]- **واد امقيدن**: هو امتداد لوادي سفور يتبع المنيعة ويتجه غربا حيث يختفي ويتلاشى ويظهر من جديد باسم وادي شيدون وينتهي على شكل سبخة بتينجورارين، فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص2.

[3]- **وادي قاريت**: يصل من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت فيتجه جنوب غربها فيصل في نهايته لواد مسعود ويصبح رافدا من روافده، فرج محمود فرج، مرجع سابق،ص2.

بالرغم من قساوة المناخ الصحراوي وافتقاره للغطاء النباتي الطبيعي باستثناء الواحات وشدة قوة الرياح به إلا أن هذا الأخير مأهول بالسكان منذ القدم.

وقد تركت هذه الظروف القاسية أثرها على الغطاء النباتي فاقتصر على النخيل والصبار والدرين وبعض الشجيرات الموسمية حيث المجاري المائية فتنمو بجريان الأودية وتختفي بجفافها، أما الغابات فهي نادرة وقليلة جدا مثل طريق الغابة بين آقبلي وعين صالح[1]، وقد وصف الإقليم مولاي أحمد الطاهري:"توات أرض ذات السباخ كثيرة الرياح لا تحيط بها الجبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها، وأهلها يستخرجون الماء من بطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار بكيفية عجيبة، ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب".[2]

ويكون بذلك قد جمع وفرد جميع المميزات التي خص بها إقليم توات من حيث تضاريسه ومناخه وغطائه النباتي وحتى مصادر المياه به.

فإقليم توات ذو سطح مستوي مكشوف أغلبه عروق رملية وحمادة ورق مغطى بالحصى وأسباخ وأودية وواحات وهو المكان الأنسب للتعمير بالسكان.

6) التركيبة البشرية لإقليم توات:

قطن إقليم توات أجناس وشعوب مختلفة شكلت تجانسا بشريا منسجما وهم يتألفون من عدة قبائل نزحت إليه من شمال الوطن وشرقه وغربه ومن المغرب العربي والمشرق ومن إفريقيا السوداء.[3]

وظل إقليم توات خصبا للهجرات القبلية الوافدة إليه في فترات متعاقبة وظروفه مختلفة وامتزجت هذه العناصر على مر الزمن وأصبحت تشكل المجتمع التواتي ومنها فئات سكنت ولم تنصهر بهم كفئة اليهود. ويختلف المؤرخون في تاريخ تعمير بلاد توات لاختلاف القبائل الوافدة إليهم ويعتبرون القبائل البربرية هي أول من عمر إقليم توات خاصة منها القبائل الزناتية بالإضافة إلى العرب الذين أغلبهم قدم إلى هذا الإقليم بعد الفتح الإسلامي للمغرب العربي وحتى القرن 18 ميلادي وخاصة القبائل

[1]- عبد الرحمان بن عمر التينيلاني، الرحلة الحجية لعام 1188هـ، مخطوط بخزانة باعبد الله، تيمي، أدرار ص3.

[2]- الإدريسي مولاي أحمد الطاهري، نسيم النفحات،مصدر سابق، ص57.

[3]- محمد باي بلعالم، الرحلة العلية،مرجع سابق، ص 109.

الهلالية التي تعتبر أول الأعراب من انحدر نحو هذا الإقليم لأنها عمرت منطقة الصحراء من غدامس إلى المحيط حيث تحدث عنهم المؤرخون كثيرا أمثال ابن خلدون وحسن الوزان والفشتالي والعياشي من خلال وصفهم لمناطق وقصور إقليم توات وصفوا قبائله من البربر والعرب والزنوج والطائفة اليهودية التي كانت تقطن في هذه المنطقة قديما، لكن بفضل ثورة الشيخ عبد الكريم المغيلي عليهم بعد استفحال فسادهم بالمنطقة إستطاع الشيخ المغيلي إجلائهم من المكان وخاصة بمنطقة تمنطيط وغيرها من قورارة، ويرجع وجودهم بتوات إلى قرون بعيدة حسب ماجاء على لسان عبد الحميد بكري في كتابه سلسلة علماء توات من كتابه "يرجع وجود اليهود إلى قرون بعيدة فنزلوا بتمنطيط وتيطاف وتخفيف وتاسفاوت، غير أن شوكتهم علت بتمنطيط فزكت أموالهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق".[1]

ويبدو أن هذا العنصر الذي كان يتكون منه المجتمع التواتي سابقا والذي اتخذ من تجارة الذهب والفضة مهنة حيث تدر عليهم بثروة طائلة إلا أن اسوداد قلوبهم وخبثها جعلهم يدبرون السوء للأمة والأذى وخانوا الأمانة التي أئتمنهم عليها التواتيون فحاربوهم بقيادة الشيخ عبد الكريم المغيلي.

فنجد أن عبد الحميد البكري يحصي اليهود ضمن التركيبة البشرية للمجتمع التواتي في حين آخرين يهملون هذا العنصر.

أ- **البربر**: يرى المؤرخون أن البربر انحدروا نحو الإقليم قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وحجة بعضهم في ذلك تسميات القصور التواتية معظمها بالزناتية والبعض الآخر من الزناتيين دخله بعد نهاية الدولة الزيانية، حيث يرى العياشي أنه لما انكسرت زناتة بالمغرب الأوسط في القرن الرابع الهجري فروا هاربين نحو الواحات الصحراوية ومنها توات في حدود القرن العاشر ميلادي والرابع هجري ويبدوا أن هذه القبائل الزناتية من قبيلة مغراوة وبني يفرن.[2]

ب- **العرب**: كان وصولهم إلى الإقليم بغاية نشر الإسلام وممارسة التجارة مما جعلهم يستقرون بالمكان، ويذكر عبد الحميد البكري أن عرب المعقل أول الملتحقين ثم تلتها قبائل كثيرة منها قبيلة كنتة وأولاد علي بن موسى القرشية بتمنطيط، نجد الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم أسرد في مؤلفه قائمة بأسماء أصول السكان والقبيلة العربية وسنة قدومها إلى المنطقة منها أولاد الشيخ دحو وقبيلة أعريب وأولاد

[1]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، ص- ص 11-12.

[2]- مختار حساني، تاريخ الجزائر الوسيط، ج 2، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، وزارة الثقافة،ص329 .

مُحَّد والخنافسة والمحارزة وأولاد طلحة وأولاد باحمو[1] وغيرهم وإن كانت هذه القبائل العربية هاجرت نحو الإقليم فحتما كان ذلك عبر مراحل وظروف سياسية واقتصادية منها لما دفع بهم الفاطميين نحو بلاد المغرب ووقع الصراع بينهم وبين تلك الأمم القائمة وبعد ضعف معظمهم ونزوحهم نحو واحات الصحراء بحثا عن الأمن والاستقرار ومرافق العيش خاصة لما عثروا على وفرة مياه الإقليم ونخيله وتعايشهم مع بعض القبائل البربرية التي سبقتهم أو مقاتلتهم والاستيلاء على قصورهم ويذكر فرج محمود فرج أن هذه العناصر امتزجت وشكلت الجماعة التواتية جماعة موحدة في العادات والتقاليد نابعة من أصول إسلامية صافية لوجودها بعيدة في قلب الصحراء، وقد تشكلت هذه الفئات رغم ذلك على شكل طبقات على رأسها طبقة الأشراف لانتسابهم للأسرة العلوية وتأتي بعد ذلك طبقة الأحرار وهم خليط من البربر والعرب ومعظمهم يمتهن التجارة ويمتلك الجواري اللواتي أنجبن منهم نصف الأحرار التي تشكل فئة الطبقة الثالثة في المجتمع وكانوا يطلقون عليهم اسم الحرطانيين وهم الذين يعملون في الحرف والأشغال التي لا يرضى الأحرار القيام بها.

ت- **الزنوج**:وهم يشكلون فئة العبيد من الرجال والنساء[2] وانتشر وجودهم كثيرا في القرنين 18و 19 ميلادي في معظم قصور الإقليم، اشتغلوا كل الأعمال الشاقة منها حفر الفقاقير والزراعة والرعي، وهم أفراد وفدوا على الإقليم نتيجة تجارة الرقيق التي كان يعرفها الإقليم، وأشير إلى ذلك في النوازل منها نازلة مجلوب السود وقد تعايشت هذه الفئة في قصور توات إلى أن تم تحريرهم والاستقلال بحياتهم.

نستنتج أن إقليم توات تم تعميره عبر مراحل قبل وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من قبائل عديدة ومتنوعة الأجناس سواء بربرية أو عربية أو من أصول إفريقية خصوصا وأن الإقليم طريق عبور للقوافل التجارية نحو بلاد السودان، هذا ومعظم تلك القبائل التي اختطت بلاد توات قدمت إليه بحثا عن الأمن والاستقرار بعيد عن تلك الحروب في الشمال من قبل الزيريين والفاطميين والموحدين والمرابطين وغيرهم سواء هذه القبائل عربية أو بربرية ولقد عثروا على مصدر الحياة المثمثل في مياه الأودية كواد مسعود ووادي قير وواد امقيدن وواد قاريت أو جعفر ما يسمى بالفقاقير بطريقة هندسية

[1]- مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ص- ص111-112.

[2]- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 22.

تدهش السامعين بها فاهتموا بالفلاحة في البساتين وتربية المواشي بجوار تلك الأودية حيث تتكاثر الأعشاب رغم الحروب التي وقعت بين هذه القبائل إلا أنها في الأخير شكلت مجتمعا.

7) نبذة تاريخية عن أقليم توات :

أ- توات:

۞ أصل التسمية:

أختلف المؤرخون والرواة عن سبب تسمية توات فهناك من يرجع الاسم إلى أصل بربري خاصة قبائل زناتة باعتبارهم أول القاطنين به، وهناك من يرى أن الاسم من أصل عربي جاء على لسان عقبة بن نافع الفهري الفاتح العربي من خلال المصادر "لما وصلت جنوده لهذه المنطقة ورجعت إليه طرح عليهم سؤالا مفاده، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب أم لا؟ بالنظر لما عرفت به من الضعف في العيش وغيره، فأجابوا تواتي أي تتوافق وتتناسب، فانطلق اللسان بذلك وتغيير اللفظ على أساس العامة بنطق الواو محققة ".[1]

فبعض المؤرخين اعتبروه لفظا بربريا باعتبار تسمية القصور كلها بالبربرية الزناتية وهم أول من سكن الإقليم في حين نجد الشيخ عبد الرحمان السعدي[2] الذي قال في كتابه تاريخ السودان " أن سلطان مالي كنكان موسى كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده، فلما وصلوا هاته الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فانتظرهم السلطان ومن معه علهم يشفون بسرعة لكن أبطأهم المرض وصار الحال إلى مالا يرضون، فتركهم في هاته الأرض وسار بمن معه، هؤلاء الذين بقوا وجدوا هاته الأرض مخضرة وذات بساتين وواحات، فمكثوا بها واستقروا، وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به وهو توات".[3]

وهنا لا يمكن أن تكون هذه الرواية مناسبة في تسمية إقليم توات، حيث وكأننا ننفي أن البربر هم أول ساكني المنطقة ويصبح بذلك الأفارقة من بلاد السودان هم أول من اختط هذا الإقليم وأطلق

---

[1]- مُحَمَّد بن عمر المبروك البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط، خزانة الأستاذ سليماني بقصر آدغا أدرار ،ص5 – نقلاً عن: – طوابة نور الدين، أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التواتية، فتاوى الشيخ عبد الكريم البلبالي أنموذجا، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية،فقه وأصول ، 2015-2016،ص3.

[2]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، مرجع سابق، ج1 ، ص8، – عبد الرحمان السعدي ،تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس،1964 ،ص7.

[3]- عبد الحميد بكري، مرجع سابق، ص8.

الاسم عليه ضف إلى ذلك لا يمكن أن يبقى المكان صالح للعيش وخصب إلى أن يمر به الأفارقة وليستقروا به بعد معاناة مع مرض مشهور لديهم ببلاد السودان.

أما الرواية الأخرى فهي تلمح إلى أن الاسم بسبب الإتاوات التي كانت الدولة الموحدية وملوكها يأخذ خيرات الإقليم كأتوات تفرض عليه حيث ذكر ذلك المؤرخ القاضي سيدي مُحَمَّد عبد الكريم بن عبد الحق بن البكري في كتابه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام "فدأبوا على أخذ ما فيها من أتوات ومن يومها غلب عليها الوصف، فصار أهلها يعرفون بأهل الأتوات فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مكانه".[1]

ويمكن أن يكون هذا الاسم الأقرب على أساس أن الكلمة في العربية تعني فاكهة التوت التي أخذت بدل المغارم والأتوات من الذهب والفضة التي لم يكن لدى السكان منها لدفعها بدل ذلك أخذ الملك الموحدي الرطب والفواكه وباعها إلى العرب ليحصل منه على ما يريد من الضريبة أو الأتاوة. ولكن حتى الاسم الذي يعتقد أنه من أصل بربري على أساس معنى الكلمة بالعربية الواحات، فنجد المؤرخين كل منهم يرجح الاسم المناسب في حين قد يكون الأنسب التسمية التي أطلقها عقبة بن نافع الفهري على حسب رأي ابن بابا حيدة في مؤلفه "القول البسيط في أخبار تمنطيط" من كون المكان يتناسب فيه العبادة والديانة والزهادة.

ممكن ذلك لما عرف عن سكان توات من بساطة وقدرة على التكيف مع الوافدين عليهم، حيث ذكر عنها مُحَمَّد بن عبد الكريم البلبالي في مؤلفه درة الأقلام "لا تكره ظالما ولا تمنع غارما، فكانت عبر تاريخها ملهم توطن الزهاد والصالحين وأرباب القلوب".[2] فطبيعة سكان الإقليم المسالمة من خلال قوله قد يكون الاسم المتداول لها بسبب ما ذكره عقبة بن نافع فالمكان يواتي التي تحولت إلى تواتي وللتخفيف توات.

[1]- نفسه، ص8 أنظر أيضاً:- مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بالخزانة البكرية، بتمنطيط.

[2]- طوابة نور الدين، مرجع سابق ،ص4.

۞ وصف إقليم توات من خلال كتابات المؤرخين :

لقد تداول اسم توات في كتابات المؤرخين كثيرا منهم المؤرخ ابو سالم العياشي قال عنها: "ودخلنا أول عمالة توات، وهي قرى تسابيت...".[1]

كما ذكرها المؤرخ ابن بطوطة في رحلته قائلا: "...ثم وصلنا إلى بودا، وهي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسباخ، تمرها كثير ليس بطيب لكن أهلها يفضلونه على تمر سجلماسة، ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت، وإنما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب، وأكل أهلها التمر والجراد، وهو كثير عندهم يختزنونه كما يختزنون التمر ويقتاتون ولا يخرجون إلى صيده قبل طلوع الشمس فإنه لا يطير إذ ذاك لأجل البرد وأقمنا ببودا أياما"[2] وحين قال أيضا :"وقصد السفر إلى توات ورفعت زاد سبعين ليلة، إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات..."[3]، وذكرها ابن خلدون إذ قال"...و فواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين ...".[4]

وهناك الكثير من المؤرخين الذين تطرقوا لها في كتاباتهم وقد ذكرنا بعضهم على سبيل الحصر بل هناك غيرهم مثل المؤرخ اليوناني هيرودوت "حيث وصفها أنها منطقة خلف ليبيا لا حيوانات ولا أمطار وإنما الرمال والجفاف".[5]

ومن خلال وصف هذه المصادر لها يتضح لنا أن المنطقة قديمة عبر الزمن وقد كانت تصدر الفواكه لإقليم السودان حسب ابن خلدون في حين منهم من كان يراها منطقة صحراوية جافة قاحلة وهناك من ذكر قصورها وأقسامها تيكورارين وبودة هذا وإقليم توات وصل إليه الإسلام مع بداية

---

[1]- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، عبد الله بن مُحَمَّد العياشي ،1661 -1663، حققها وقدم لها سعيد الفاضلي، سليمان القرشي ، دار السويدي للنشر والتوزيع،2006م، ص79.

[2]- طوابة نور الدين، مرجع سابق ،ص5.

[3]- إبن بطوطة مُحَمَّد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمطار وعجائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق علي المنتصر الكتابي، مؤسسة الرسالة بيروت ط4،1985، عن عبد الحميد البكري،مرجع سابق، ج2، ص 16.

[4]- عبد الحميد بكري، مرجع سابق ،ج2، ص14.

[5]- حاج أحمد الصديق، المراسلات اللغوية بتوات، أطروحة دكتوراه قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2008-2009م،ص38 ومابعدها.

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سواء من خلال تلك القبائل المسلمة التي استقرت به أو بتزكية من التجار العرب الذين يتعاملون مع السودان.

ومنذ ذاك الوقت بدأت مظاهر الازدهار العلمي المبكر للإقليم تظهر عليه لاسيما القرنين 11و12 الهجري و17 و18 ميلادي حيث استمرت بوادر الحركة العلمية به إلى عصر الشيخ عبد الكريم البلبالي القرن 14هـ والتي بدأت منذ القرن 16هـ تقوم بمهمة التعليم في فنون مختلفة من فقه وتفسير وأصول ولغة، والدليل على ذلك ما خلفوه من زخم مؤلفات ومخطوطات في تلك الفنون عبر الخزائن منتشرة بالإقليم مما أهلهم أن يفتكوا اسم حاضرة العلم له خصائص وما يميزه بين الحواضر وهذا بحكم انفتاحهم على الغير وإدراك أعلام الإقليم بأهمية الدعوة في نشر الدين الإسلامي الصحيح، فأثروا في ذلك كما تأثروا وأسهموا خاصة ببلاد السودان الغربي.

و في هذا نلاحظ أن بعدالإقليم عن الشمال واحتلاله لموقع الوسط جغرافيا جعله مواتيا لأن يتأثر ويؤثر مثل جسر عبور في مختلف المجالات سواء اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا وحتى الجانب السياسي فهذا الإقليم لم يكن بعيدا عن الأحداث سواء في الشمال أو الغرب المغربي أو حتى الجنوب الإفريقي. ويبقى سكانه مسالمين يتميزون بالجود والكرم إلى غاية الآن محبين للعلم ويسعون في ذلك ما استطاعوا.إقليم توات إقليم صحراوي غني بواحاته وثروته المائية التي أحسن سكانه في كيفية الحصول عليها والمحافظة عليها والعدالة في توزيعها.

استنتاجات الفصل التمهيدي:

- نستنتج مما سبق أن الأقاليم الثلاثة: الساورة أي ما يسمى ببشار وإقليم تندوف مع إقليم توات تشكل القسم الجنوبي والغربي من صحراء الجزائر في تحديد الشكل التضاريسي لكل منها تشترك جميعها في التشكيلة التضاريسية المسطحة التي يغلب عليها طابع العروق والحمادات والرق وقلة المرتفعات إلا ما كان امتداد لسلسلة الأطلس الصحراوي لامتداده نحو المغرب الأقصى.
- تشترك جميعها في الأودية الصحراوية التي تقطعها مشكلة بذلك عدة فروع وتبقى معظمها مصدر الحياة لهذه الأقاليم الثلاثة في شربها ورعي ماشيتها أو سقي بساتينها ولو أن معظمها يقل منسوب مياهه أو يجف بسبب قلة التساقط إلا ماكان ينبع من سلسلة الأطلس.

- في تحديد الموقع الجغرافي تترابط الحدود بينهما وتشكل كل واحدة منها للآخر الحصن المنيع الذي تتصدر به أو تحاول تحصينه من أي ظرف كان.

- تشترك الأقاليم الثلاثة جغرافيا في أنها لها حدود خارجية سواء مع المغرب الأقصى بالنسبة لبشار أو الصحراء الغربية وموريتانيا ومالي بالنسبة لتندوف أو مع مالي بالنسبة لإقليم توات (أدرار). فإذا كانت بمثابة حصانة لبعضها البعض، فهي تمثل مصدات جيوغرافية وبشرية للدولة الجزائرية، فمسؤوليتها كبيرة في حماية المنطقة من أي وضع خارجي.

- مناخيا الأقاليم الثلاثة جزء من الصحراء الكبرى الجزائرية الإفريقية أي تقع ضمن العروض الحارة فكل الأقاليم تعاني من قسوة المناخ الصحراوي الحار الجاف صيفا والبارد شتاء مع ندرة التساقط واتساع المدى الحراري صيفا، ورغم ذلك لم يكن مانعا أمام تعمير هذه المناطق وتزايد واحاتها وقصورها شيئا فشيئا لاتساع الأقاليم وبعدها عن الصراعات البشرية.

- **بشريا:** إن الأقاليم الثلاثة في تركيبتها البشرية نجد العناصر الثلاثة نفسها إلا ما كان وغاب عنها لأسباب مبينة، فنجد بقصورها ونواحيها ومناطقها الأصول البشرية المكونة لها وهم: البربر والعرب والزنوج أو ما يطلق عليهم بعنصر الحراطين مع فئة اليهود التي كان لها زمن التواجد في فترة ما بعد فسادها ومحاولاتها لإصابة الأمة بخبثها فكان لهم الشيخ عبد الكريم المغيلي بالمرصاد وعمل على إجلائهم من منطقة توات.

- وضمن هذا التكوين البشري للأقاليم الثلاثة نلاحظ تواجد تقسيمات طبقية مازالت متواجدة عبر التاريخ إلى زمننا هذا وإن خفت وهي طبقة الأشراف والمرابطين والعرب والبربر والحراطين والعبيد، هذه الأخيرة كانت بسبب تجارة الرقيق بين الصحراء وبلاد السودان، حيث إقليم تيديكلت معظم فئة العرب بها كانوا يستخدمون فئة العبيد في الأعمال الشاقة لخدمة البساتين وحفر الفقاقير .

- إن الجنوب الغربي بأقاليمه الثلاث يعتمد على نظام حفر الفقاقير وتوزيع المياه بطريقة عادلة ودقيقة لسقي بساتينهم إلا أن وحدة التوزيع تختلف بين الثري منهم وغير القادر ماديا وخبرة الحفر تتداول وراثيا بين جيل وآخر حفاظا على هذا التراث لحاجة البلاد إليه.

- عانت الأقاليم عبر الزمن التاريخي من الزحف الهلالي الذي سلطه الفاطميون على بلاد المغرب والذي كانت له سلبياته من همجية العرب البدو والتخريب الذي تسببوا فيه في مراحل قدومهم

من إشعال نار الحروب وكانت له إيجابيا من تعريب المغرب العربي بما فيه أقاليمه الصحراوية الجنوبية وجلب عادات وتقاليد فلاحية أدخلت على هذا النشاط في المناطق القاحلة من الصحراء.

- هذه الأعراب الهلالية كانت تتكون من عدة قبائل عربية اتخذت من أقاليم الجنوب الغربي مستقرا لها مشكلة بذلك قصورا بأسمائها مثل: قصر أولاد أحمد، أولاد محمود، أولاد عيسى، أولاد حيرش، وبني يخلف، أولاد ملوك، أولاد جرير، وذوي منيع، ونجد عرب الشراقة بتندوف ذات الأصول العربية تتعايش مع الرقيبات وغيرها.

- تنوعت قصور وتقسيمات الأقاليم، خاصة إقليم توات الذي يتميز باتساعه فمساحته أكبر من مساحة إقليم بشار وتندوف مما جعله يتمايز بكثرة قصوره وواحاته وخاصة الزوايا لدرجة أصبحت هذه الزوايا تمثل قصور أو قرى أرتبط بها إسم الزاوية مثل زاوية الشيخ المغيلي، زاوية كنتة، زاوية البكري وغيرها .

- **تاريخيا:** نجد أن الأقاليم الثلاثة يرجع المؤرخون تخطيطها ضمن القرن الخامس والسادس الهجري الموافق للحادي عشر والثاني عشر الميلادي.

- كلا من هذه الأقاليم الثلاثة جاء ذكرها ووصفها في المصادر التاريخية القديمة سواء ابن خلدون أو العياشي أو إبن بطوطة وغيرهم، فمثلا ذكر العياشي في رحلته بقوله: "...ثم دخلنا أول عمالة توات وهي قرى تسابيت..."[1] وهذا عن إقليم توات ويذكر المؤرخ أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن داود الهشتوكي إسم بشار في رحلته الحجية بكتابه "هداية الملك العلام" بقوله: "...و لما وصلنا بها الصبح، ارتحلنا فلم تقل إلا في بشار، وإذا ماؤه لابأس به عذوبة وبه مداشير عديدة ونخل غير يسير ومزارع لا بأس بها ..."[2] في حين يذكر أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد البكري في وصفه لمدينة تندوف باسم تندفس أي حفر البئر في مؤلفه المسالك والممالك.

- إن إقليم بشار مر بمراحل عديدة في تعمير المنطقة بعد أن سبقت القبائل البربرية الزناتية، في حين يتشابه ذلك مع إقليم توات ثم قدوم القبائل العربية الهلالية والتزاحم على المناطق واستبعاد القبائل الضعيفة لتعمير أماكن أخرى غير التي كانت جاهزة، أما تندوف فيرجع المؤرخون تعميرها إلى

[1]- أبو سالم مُحَمَّد العياشي، رحلة العياشي، طبعة فاس الحجرية، ب.ت، ص20.

[2]- عبد الله حمادي الإدريسي، صحراء بلاد بشار، بنادق ومواقف وأشعار في مواجهة الإستعمار، وزارة الثقافة، الجزائر، دار بوسعادة، 2013م، ص29.

قبائل تجاكنت والرقيبات، أما العرب الشراقة تأخر تواجدها بالمنطقة فحملت معها الإسلام والتعايش إلا أن كلا البلدين في فترة زمنية عرفت التسيب فرارا من ضغوطات حكام الشمال والغرب وأقصد هنا تندوف وبشار، في حين تولى شيوخ الزوايا والعلوم تسيير الأمور بإقليم توات سواء بأمر من حكام الشمال أو حرصا على النظام.

- أستنتج في آخر هذا الفصل أن الجنوب الغربي بأقاليمه الثلاث تندوف وبشار وتوات منطقة تاريخية صحراوية عريقة، ذات حضارة عتيقة من خلال الآثار المادية والمخطوطات العلمية التي تكتنزها خزائن هذه الأقاليم.

الفصل الأول: الزوايا العلمية بالجزائروالجنوب الغربي"النشأة والتطور"

المبحث الأول:نشأة الزوايا في الجزائروتطورها في مجتمع الصحراء"الماهية والمميزات"

المبحث الثاني: تفريعات الزوايا ومناهجها.

المبحث الثالث: الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12ه)و(17م/18م)

المبحث الرابع:من أعلام الزوايا العلمية بالإقليم

المبحث الأول:نشأة الزوايا في الجزائر وتطورها في مجتمع الصحراء " الماهية و المميزات"

إن أبرز الأدوار التاريخية للزوايا العلمية في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية هو استماتتها في المحافظة على المقدسات الإسلامية و حمايتها وتنظيمها وضمان تمويلها، وحري بنا بداية أن نرجع إلى الأصل اللغوي والإصطلاحي للزاوية

1/**الزاوية لغة**:أن الكثير من المراجع والمؤلفات عرفتها ولكن حتمية الدراسة البحثية تستلزم التطرق لها تعريفا وهي كلمة مشتقة من الفعل "انزوى"و"زوى" وهي تحمل معاني كثيرة في اللغة العربية أي انزوى فينزوي بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد ومأخوذة من فعل "زوى"و"ازوى"بمعنى ابتعد وانعزل أيالانزواء بمكان ما.

وفعل "زوا الشيء يزويه زيا أي جمعه وقبضه وفي الحديث: زوى ما بين عينيه أي عبس، ونحن هنا لا نقصد التوسع في معجم اللغة العربية وإنما نحاول أن نوضح المعاني الأقرب للزاوية، ففي الحديث النبوي الشريف يقول الرسول ﷺ: ﴿إنَّ اللهَ زوَى لي الأرض فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها﴾[1]، وفي حديث آخر: اللَّهمَّ ازْوِ لنا الأرض وهوِّنْ علينا السَّفرَ أعوذُ بك من وَعْثاءِ السَّفرِ وكآبةِ المنقلبِ﴾[2]

﴿وزويت لي الأرض﴾، أي جمعت، كما يطلق على الزوايا لفظ الخوانق، وهي جمع خانكاه كلمة فارسية تعني "بيت"وأصلها "خانقاه" وهي الموضع الذي يأكل فيه الملك.

فاللغة العربية واسعة في ألفاظها بمعانيها حيث موقعها من الجملة ويقول الشيخ السنوسي: "إن كلمة الزاوية دال على معناها وهي من زوى أيزوييإذا جمع الشيء وبالتالي فالزاوية جامعة، لكونها تجمع

[1]– رواه ثوبان، وأخرجه في صحيحه، الرقم 7238.

[2]– رواه أبو هريرة، أخرجه السخاوي في (البلدانيات) (الرقم 33) واللفظ له، أخرجه أبو داود (2598)، والترمذي (3438)، والنسائي (5501)، وأحمد (9205) باختلاف يسير.

العباد على حب الله ورسوله وكانت العرب تقول: "تزاوى القوم" أي تضامنوا وتحلقوا في بقعة لغرض ما من أغراض الحياة".[1]

وقد شرح ذلك الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في تعريفه للزوايا: "جمع زاوية مشتقة من زوى أي جمع لان فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم ويجمعها المال لها بالطرق المشروعة لتمويلها وتسيير نظمه".[2]

ونجد من خلال شرحه أنه قد جمع بين المعنى والمكان والدور الذي تقوم به فهي فعلا تجمع بين الضيوف وعابري السبيل والفقراء والمساكين، إضافة إلى طلبة العلم المقيمين بها ومصاريفها تجمع لها شرعا وتنظم أمور تسييرها سواء كانت زوايا العلم أو التصوف ومن هذه المعاني كلها يمكننا أن نستخلص المفهوم الاصطلاحي للزوايا .

2/الزوايا اصطلاحا: وكذلك تنوعت التعريفات ومن أهمها:

-يرى الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم: "هي مؤسسة دينية روحية إسلامية"[3]

-ويعرفها الدكتور رابح تركي على أنها "مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب الإسلامي بصفة عامة ويعتبر التعليم العربي الديني إحدى وظائفها الأساسية إلى جانب العبادات والأذكار والصوفية "[4]، فهنا كلا التعريفين يتفق على أن الزاوية مكان للتعليم الديني وأداء العبادة والعناية بأصول الإسلام.

فنجد تعريف "دوماس domas"في كتابه "منطقة القبائل 1847"إذ قال: "إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، تحتوي عادة على مصلى وغرفة لتلاوة القرآن ومدرسة لتحفيظ القرآن وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية كما تضم غرفة ومراقد لإيواء الطلبة وضيوف

[1]- رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري، ورقلة نموذجا، 1944-1962، دار المخابر للنشر، قسنطينة، ب.ت، ص 19.

[2]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مصدر سابق، ج1، ص 340.

[3]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مصدر سابق، ج1،ص 340.

[4]- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، 1931-1956م، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص17.

الزاوية الحجاج والمسافرين ويلحق بها ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية".[1]

وعند المغاربة، الزاوية هي عبارة عن مؤسسة دينية روحية اجتماعية تتكون من بيوت عديدة ومختلفة، فهي تحتوي على قاعة مخصصة للصلاة بها محراب وضريح لولي من الأولياء الصالحين كما يوجد بالزاوية مكانا لتلاوة القرآن وآخر لتحفيظه، مع تخصيص مكان لتدريس العلوم المختلفة بالإضافة إلى غرف أخرى خاصة بالطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية، فضلا عن تخصيص غرف للمسافرين وعابري السبيل"[2]، وعند المشارقة: «فالزاوية عبارة عن مسجد صغير أو مصلى»، وقد عرفت الزاوية بدار الكرامة، ودار الضيوف أو الرباط.

فعرفها الشيخ عبد القادر العثماني: "إن الزوايا هي الرمز الأشهر العريق لهذا الوطن لأنها تحمل القرآن الكريم ولا يشعر بأهمية هذا الرمز إلا من فتح الله قلبه بنور الإيمان"[3]، أما يحي بوعزيز فيعرفها: "أنها عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأحجام والأشكال تشمل بيوت للصلاة كالمساجد وكذلك غرف لتحفيظ القرآن مؤسسوها رجال الدين المتصوفون".[4]

وعرفها المؤلف الفرنسي "كاريت": بأنها كانت مأوى للحجاج وعابري السبيل والبؤساء ومقر تعالج فيه المرضى وهي مؤسسات تمتلك بداخلها مدارس يعلم فيها القرآن واللغة العربية وسموها بهذا الاسم لانزوائها على المدن، أو لأنها في زاوية المدينة وفي كل ركن وهي تشبه المدارس في تخطيطها وأجزائها أو لأنها في زاوية المدينة وفي كل ركن وهي تشبه المدارس في تخطيطها وأجزائها".[5]

نلاحظ من هذه التعريفات أنها تشترك كلها في أن الزاوية مكان لتحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية ومكان يصلى فيه من خلال تعريف يحي بوعزيز في حين اعتبرها الشيخ عبد القادر العثماني

[1]- عبد العزيز الشهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب، وهران، 2007م، ص-ص13-14.
[2]- زهرة مسعودي، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من الفرن 18م الى القرن 20م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الافريقي الحديث والمعاصر، اشراف الدكتور بوصفصاف عبد الكريم، 2009م، ص14.
[3]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002م، ص 20.
[4]- يحيبوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص، ص135، 136.
[5]- مُحَمَّد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2003م، ص.ص45، 46.

رمز من رموز الوطنية التي تحمل القرآن الكريم وعند المشارقة والمغاربة أنها مكان للصلاة وللتدريس وللعمل الاجتماعي من ضيافة وكرم واهتمام بالحجاج والمسافرين ويجيدون وصفها وأركانها غرفة تلو الأخرى سواء عند المغاربة أو في تعريف دوماس فيها مكان للصلاة وغرفة لتلاوة القرآن ومراقد لإيواء الطلبة والضريح كذلك ومخزن لتخزين المواد الغذائية وغرفة لطهي الطعام والارتكاز هنا من خلال التعريف على أن الزاوية تعلم علوم مختلفة إلى جانب القرآن واللغة العربية ويشرح يحي بوعزيز على أن الزاوية مؤسسوها رجال الدين المتصوفون بينما يضيف كاريت على أنها مأوى للبؤساء والحجاج وعابري السبيل ومكان للتمريض إلى جانب مهمة التعليم وشبهها بالمدرسة من خلال تخطيطها العمراني فنستنتج بذلك أن الزاوية مؤسسة دينية تعتني بالتعليم الإسلامي من تحفيظ القرآن وتلاوته وأذكار وعبادات وتتعدى في دورها إلى استقبال عابري السبيل والحجاج وبالأخص طلاب العلم وهذا يجعلنا نحاول أن نفهم العناصر الأساسية التي تتشكل منها الزاوية والتي تتمثل فيما يلي:

تتشابه معظم الزوايا في تسيير شؤونها والتشكيلة التي تتكون منها وفي مقدمتها:

ا/**الشيخ**: وهو الإمام والمكلف بالتدريس لأنه يجب أن يكون فقيها وعالما بالفنون التي تعلم في الزاوية، حافظا للقرآن ومتعدد الصلاحيات منها السهر على حسن تسيير الزاوية والنظر في مداخيلها ونفقاتها فهو المسؤول الأول بها.

ب/**هيئة التدريس**: هم المدرسون الذين عينهم الشيخ لمساعدته في تدريس الطلبة وتعليمهم حفظ القرآن و المتن .

ج/**هيئة المتعلمين**: هم الطلبة الذين يدرسون بالزاوية والذين يحضرون بقصد الاستماع للدروس.

د/**هيئة الخدمات**: وهي تتكون من أشخاص مخولين لخدمة الزاوية وقد يعملون بمقابل ما اتفقوا عليه مع شيخ الزاوية وقد يتطوع آخرين دون مقابل لخدمة الزاوية وضيوفها وتلاميذها.

هـ/**لجنة المسجد**:وهي لجنة مستحدثة العهد بالنسبة للزاوية تركز اهتمامها بتأثيث المسجد وجمع التبرعات والصيانة وهي لجنة يحكم نشاطها القانون الخاص بتنظيم الجمعيات وهي تنبثق عن الجمعيات العامة التي تضم كافة المصلين بالمسجد التابع للزاوية وتعمل تحت إشراف الشيخ وهي بمثابة أداة مكملة للدور الذي تقوم به الزاوية في الاهتمام بالمسجد الذي هو أحد هياكل الزوايا.

و/**الهيكل المادي للزاوية:** تتكون الزوايا من البنايات الدينية المتمثلة في المسجد والمدرسة القرآنية وتربط ببنايات خاصة بالطلبة المقيمين أو الضيوف التي لا تخلو من كل الاحتياجات الضرورية سواء غرف لتلاوة القرآن أو غرف النوم والمراحض أو المطبخ والمكتبة والمصلى غير المسجد وغرف كمخزن للمؤونة وغرف خاصة للشيخ للانزواء والخلوة أو كما يلحق بالزاوية قبة تحتوي على ضريح المرابط أو ولي من الأشراف ترسوا على قبره قبة بيضاء وحوله قبور الذين قبضهم الموت بالزاوية أو أوصوا بأن يدفنوا بذلك المكان، وتبقى الزاوية بهذا الشكل الهيكلي لها مكان للتعبد والتعلم والاستضافة وتقديم المساعدة للفقراء والمساكين وحتى المرضى.

3/**نشأة الزوايا في الجزائر**:أن الزاوية نشأت لهدف ديني ومن خلاله سعت للاندماج الاجتماعي وللتعارف بين أفراد المجتمع لتوحيد القبائل عن طريق الوعظ والإرشاد وحل النزاعات القائمة بينها وهي تدرس العلوم الإسلامية السنية وتتواجد داخل الذاكرة الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية ومهامها التربوية والتكوينية والاجتماعية.

فالزاوية بمثابة منارة للعلم ومركز للتوعية، يعود تاريخها إلى ما قبل العهد العثماني في الجزائر، ولكل زاوية رئيسية زوايا فرعية على حسب عدد مريديها فهي تلعب دور بارز في الميدانيين التعليمي والاجتماعي حيث سهرت على تعليم اللغة وتحفيظ القرآن وتهذيب الكبار والصغار وهي مأوى للفقير وعابر السبيل وقد اختلف المؤلفون حول ظروف نشأة الزوايا في الجزائر حيث يذكر يحي بوعزيز "أن مؤسسي الزوايا هم رجال دين متصوفون متزهدون بدأت حركاتهم تظهر بالمشرق الإسلامي منذ القرن الثالث هجري ".[1]

وهنا انتقل الزهد إلى المغرب وأبرز ما تميزت به الجزائر ظهور العقيدة المرابط وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف الذي لاقى توسع كبير في القرون المتعاقبة للعهد العثماني حيث بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري وأصبح عمليا يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية وهذا بفضل حكمة شيوخها لتغطية المناطق المفتقرة للعلم والإرشاد فقد كانت سابقا مكانا للعبادة والزهاد ثم تطورت وانتشرت في المدن والأرياف وأقدم زاوية عرفتها الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن السادس الهجري والقرن الثامن هجري انتشرت الزوايا

[1]- يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19م-20م، مجلة الثقافة، الجزائر،ص 18.

وأنشأ بها كتاتيب لتحفيظ القرآن"[1]ومع انتشار بنايات الطرق الصوفية والرباطات تحولت إلى زوايا بعد وفاة المؤسس حفاظا على الإرث.

ويذكر الغبريني صاحب كتاب "عنوان الدراية": "إن ظهور الزوايا في الجزائر أواخر القرن السادس الهجري والمتمثلة في أبي زكريا يحي الزاوي التي كانت عبارة عن بناء صغير ملحق بالمسجد يقوم فيها صاحبها بالتعبد والخلوة بمفرده ويعقد حلقات الدروس بالمسجد".[2]

ومن خلال ما ذكر سابقا على لسان المؤلفين نلاحظ أن الزوايا نشأت على يد شيوخ الطرق الصوفية منذ القرن الثالث للهجرة حسب يحي بوغزيز، لكن ذلك بالمشرق الإسلامي وما يؤكده الغبريني أن ظهورها في الجزائر منذ القرن السادس الهجري، وتبقى الزاوية تمارس دورها الديني والاجتماعي دون مقابل وزاد انتشارها بانتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني المخصصة لها في المدن والأرياف. عاش معظم المتصوفة ينشرون عقائدهم ويلقنون أتباعهم فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار والأتباع ويعلم فيه الطلبة ويصبح اسم المتصوف (المرابط)علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس رباط سيدي فلان أو زاوية فلان.

وقد اشتهر منها في مدينة الجزائر زاوية وضريح عبد الرحمان الثعالبي وزاوية ولي دادة، وزاوية عبد القادر الجيلاني، ففي قسنطينة ونواحيها وهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني وسيدي المناطقي، كما كانت للعائلات كبيرة زواياها وأخرى خاصة بالاتراك والكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة وزاوية خنقة سيدي ناجي وفي تلمسان وأنحائها نذكر زاوية سيدي الطيب وزاوية سيدي بومدين وزاوية مُحَمَّد السنوسي وزاوية أحمد الغماري وضريح سيدي الحلوى الاندلسي ومنطقة زواوة وبجاية تفصل زواياها إلى خمسين زاوية منها زاوية تيزي راشد وزاوية الشيخ مُحَمَّد التواتي ببجاية وزاوية الأزهي بآيت إسماعيل، وزاوية ابن علي الشريف بأقبو وكلها زوايا اشتهرت بنشر التعليم وتخرج الاجيال من المتعلمين ونجد أن بعض الباحثين يصنف هذه الزوايا إلى زوايا قديمة أو زوايا المرابطين أو زوايا الطرق الصوفية .

[1]- الطيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، ع 14، جامعة البويرة، الجزائر ، اكتوبر، 2013م، ص 8.

[2]- نقلاً عن: - الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ-7هـ و12م-13م، دار الهدى، عين مليلة، 2004م، ص22.

فالأولى لأجل نشر العلم للطلبة أو لاستقبال الغرباء والبؤساء الذين يبحثون عن ماوى وملجأ لهم أما زوايا الطرق الصوفية اعتبوها غير ذات أهمية خارج المناطق الإقليمية أي الدار الأم، وهي زوايا للاجتماع الدوري لأصحاب الطريقة[1]، وهنا لا يمكن أن نأخذ بهذا الراي ذلك لأنه إذا اقتصرت زوايا الطرق الصوفية نشاطها على الاقليم الذي لا تتجاوز حدوده وعملها فقط للاجتماع الدوري للطرق الصوفية لما لاحظنا انتشار واسع للطرق الصوفية في العالم الإسلامي وفي الجزائر خاصة وأهم هذه الطرق الصوفية بالجزائر هي في البداية يجب أن نعرف أن التصوف حركة قديمة وهي منهج للتصفية الخلقية والتربية الروحية وتزكية النفس من الأهواء وتطهيرها من الأدران وفقا لأصول شرعية وهو مرتبط بمعرفة حقيقة الانسان ذاته.[2]

وهنا نستشهد بقول ابن خلدون (732هـ-هـ808) أنسبب نشأة التصوف ابتعاد الناس عن الدين الإسلامي إذ يقول في مقدمته: "لما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص القبول على العبادة باسم الصوفية المتصوفة ".[3]

فنجد أن الطرق الصوفية في الجزائر تعددت وتنوعت كالقادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الجيلالي في بغداد والتي تعد اول طريقة صوفية في العالم الإسلامي والتي تزامنت مع الطريقة المدينية التي أسسها الشيخ أبي مدين شعيب بمدينة بجاية منذ القرن الرابع عشر ميلادي وتوسعت على يد تلميذه عبد السلام واتباع كثيرين وهذا ما نجده في مقال الطيب جاب الله حيث يشرح أهمية الزوايا والطرق الصوفية والارتباط الوثيق بينها والأهم في ذلك مساهمتها في بناء الزوايا لنشر الاسلام وتوطيد أصول الدين ولهذا يذكر أن عدد الطرق قد بلغ ثلاثين طريقة صوفية ومنها الطريقة الرحمانية والطريقة التيجانية والطريقة السنوسية وكل طريقة تفرعت منها زوايا بعد انتشارها وتطورها سواء بالمشرق العربي

[1]- أحمد عاشوري، الأصول السوسيوثقافية للزوايا في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب بولاية النعامة نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه علوم في علم الاجتماع ، إشراف حمداوي مُحَّد، جامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، 2011م، ص8.

[2]- البشير قلاتي، منهج التربية الروحية عند الصوفية، مذكرة موجهة لطلبة سنة 2 ماستر، دعوة ثقافية اسلامية، 2014م، ص12..

[3]- نقلاً عن: - خليل مسعود، مُحَّد بالي، زاوية الشيخ بلعموري بسيدي عيسى ودورها الدعوي والتعليمي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية، تخصص دعوة وأعلام، إشراف: د. علي خصرة، ص 14.

أو المغرب العربي من مصطلح الرباطات خلال القرن الثامن للهجرة والرابع عشر ميلادي إلى مصطلح الزوايا ".[1]

إن ما يمكن اسخلاصه هنا أن الطرق الصوفية تعد أحد العوامل التي ساهمت في تأسيس الزوايا وتعددها لارتباطها بشيخ الطريقة الصوفية والذي يتخذ لنفسه مكانا منعزلا لتعليم طريقته لمريديه ونشر الإسلام واللغة العربية بين مختلف الفئات من الأتباع والطلبة هذا ساعد على تنوع دور ونشاط هذه الزوايا التي ظهرت بالمشرق والمغرب العربي، ففي الجزائر تنتشر هذه الزوايا بشكل كبير حيث وصل عددها إلى349 زاوية خلال القرن 19م"[2].

وهذا بفضل شيوخها الذين انعزلوا بها عن ضجيج المدن والأماكن الصاخبة حتى يتسنى لهم تغطية المناطق المفتقرة للعلم والتوجيه والتوعية وتنشيط الحركة العمية داخل هذه المدن وخارجها كما عملت على تمسك الشعوب بدينها سواء في القرى أو الارياف والمدن أو أعماق الصحراء والسواحل حيث كان شيوخ هذه الزوايا حريصين على أمور المسلمين لهذا زاد انتشارها بالجزائر خاصة في الجهة الغربية منها والوسط وعمت منطقة القبائل خصوصا.

إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن السادس هجري والثالث عشر ميلادي، ثم "انتشرت الزوايا في بقية البلاد خلال القرنين الثامن عشر هجري والخامس عشر ميلادي والقرن التاسع هجري والقرن السادس عشر ميلادي "[3]

ويذكر طيب جاب الله أن: تأسيس الزوايا في الأرياف يرجع إلى اتباع المرابطين وقد أدت دورا إيجابيا أكثر مما كان في المدن، ذلك لأنها عملت على الجهاد ضد الأعداء ونصرة المجاهدين وإطعامهم في الزوايا لحماية البلاد[4].

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10هـ الى القرن 14هـ، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص –ص 198، 261.

[2]– طيب جاب الله، مرجع سابق، ص 3.

[3]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 272.

[4]– طيب جاب الله، مرجع سابق، ص 4.

كانت نشأة الزوايا بالجزائر منذ القرن السادس هجري على صفة رباطات لصد الأعداء في الثغور، كما كان لها دور آخر تمثل في التعليم حيث عملت على تنوير العامة وتعليم الشباب وهنا فرق بين الزوايا والرباطات رغم التشابه البسيط بينها فكلاهما عمل لخدمة الدين والمجتمع غير أن الرباطات تمتاز بقربها من مواقع الأعداء وتأسيسها كان بهدف خدمة الجهاد والدفاع عن حدود البلاد الإسلامية مع أداء مهمة العلم أيضاً.

وتتكون الزوايا من مسجد ومدرسة ومعهد للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة القاطنين بها بلا مقابل،أما بناؤها فيختلف عن بناء المسجد والمدرسة فهي غالبا ما تجمع بين هندسة المسجد والمنزل، قصيرة الحيطان، منخفضة القباب والعرصات، قليلة النوافذ وإن كان لها مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة وهذا يختلف عن الوضع حاليا حيث شيدت وجملت مبانيها واقترنت بمساجد كاملة تابعة لها.

وقد تميزت بعض هذه الزوايا باستقبال نوع معين من الضيوف بنصوص أوقافها مثل زاوية مولاي حسن بالعاصمة فقد كانت عبارة عن دار سكن للعزاب، ونجد زاوية سيدي أبي عتيقة تستقبل الفقراء والمرضى والعجزة كما كانت زاوية سعيد قدورة مخصصة لاستقبال فقراء العلماء وغيرها كثير وأبرز ما ميز الزوايا في العهد العثماني انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني لها سواء في المدن أو الأرياف مما جعل معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون اتباعهم. وإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيه الزوار ويعلم الطلبة حتى يشاع المكان باسمه ويعلم عليه كزاوية عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر السالفة الذكر وكلها زوايا اشتهرت بنشر التعليم وتخريج أجيال من المتعلمين.

4/-**الزوايا في الصحراء (الجنوب الغربي)**: أما الجنوب الغربي فقد اشتهرت به زوايا كثيرة نظرا لنشاطها التعليمي والديني والروحي والثقافي إلى الجانب الاجتماعي وقد بنوا لذلك أماكن خاصة كالمسجد والزوايا والمدارس القرآنية[1] ومنها قصر تمنطيط وبودة وملوكة وزاوية كنتة وكُوسامْ وهي تعد أماكن تعليمية رئيسية بمنطقة توات وأولاد سعيد وتيميمون بمنطقة قورارة وأقبلي وعين صالح بمنطقة تديكلت فكانت هذه أمرا واقعيا وجزء مهما من تصميم كل القصر أو تجمع سكاني صغيرا كان أو كبيرا.ومعظم هذه الزوايا كان تأسيسها من طرف المساجد الكبرى أو من طرف المحسنين لذلك يعرف

[1]- عبد القادر رباجي، الامام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، تلمسان، 2011م، ص 94.

التواتيين الزاوية على أنها تلك الصدقات الجارية التي يجسدها شخص ما حياته وتبقى قائمة بعد وفاته من خلال نص موثق تحدد فيه طبيعتها وقيمتها لينتفع بها عامة الناس ويشرف عليها صاحبها في حياته وبعد مماته ويتعاقب عليها الورثة أو المقدمين للطريقة أو الزاوية".[1]

والواضح منها أن الزوايا بإقليم توات اخذت مجالا واسعا في الاهتمام بها سواء عن طريق الطرق الصوفية ومريديها أو بواسطة مشايخ وعلماء جاءوا للمنطقة وساهموا في نشر التعليم وبها وبناء زوايا لأجل ذلك كزاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي مثلا واعتقد أن معظم قصور توات زوايا لا تبتعد مسافة إلا وتجد زاوية مشيدة وعالما مشهورا انجذب إلى زاويته العلماء والطلبة بحثا عن أهل العلم.

فقد كانت الزوايا في توات عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة موزعة في جهات مختلفة عن المدن والقرى والقصور التواتية في شكل دور (مسجد صغير)يقيم فيه المسلمين الصلوات الخمس ويتعبدون فيه ويعقدون فيه حلقات دراسية في علوم الدين وما يتعلق بها من علوم عقلية ومنطقية ولغوية، ويذكر الباحثين أن توات هي الزاوية والزاوية هي توات ونشأة كلاهما مرتبط بالآخر ذلك لأن اسم الزاوية أطلق على الكثير من القرى مثل زاوية حينون بأُولف التي يعود تاريخ إنشائها إلى دخول الإسلام للمنطقة.

وقد أسس مسجدها في القرن الثاني هجري سنة 164هجرية"[2]بالإضافة إلى زاوية سيدي سليمان بن علي التي ظهرت في بداية القرن السابع هجري وزاوية كنتة التي أسسها الشيخ مُحَّد الكنتي وزاوية الدباغ بدائرة تيميمون وزاوية سيدي بلقاسم بقورارة بتيميمون وغيرها كثير من الزوايا تتنوع وظيفتها بين زوايا العلم والقرآن وزوايا الإطعام والإصلاح.

وهذا بفضل رجال الطرق الصوفية والفقهاء والتجار وحتى قوافل الحجيج الذين ساهموا بشكل كبير في انتشار الإسلام وتثبيت دعائمه في معظم هذه الأقاليم ومناطق إفريقيا وهذا ما قام به علماء توات ورجال الدين الذين اعتنوا ببناء الزوايا فتطورت ما بين القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي حيث أصبح أهم نشاط تتركز عليه هو الإصلاح والتكافل الاجتماعي فازداد عددها وأصبح يقارب عدد المساجد.

[1]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية في الجزائر، مرجع سابق، ص302.

[2]- صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 301.

ومن الواضح أنه سواء في الشمال أو الجنوب من الجزائر فإن الزوايا تتطور حسب الظروف السياسية والاجتماعية لتلك المنطقة وهذا ما يمكن استنتاجه حيث من الرباطات التي قامت بالدورين العمل الجهادي والتعليم الديني إلى الزوايا التي اقتصرت حسب الظرف الاجتماعي إلى زوايا علم وقرآن أو زوايا إصلاح وإطعام أو زوايا الطرق الصوفية لنشر الطريقة بين المريدين وتوارث أسلوبها ومنهجها بين طلبتها ومشايخها.

وإن كان ما ذكرناه بإقليم توات فإن منطقة تندوف والتي هي جزء من الجنوب الغربي، فإن نشأة الزوايا بها يعود إلى القرن التاسع عشر حيث استقرت قبيلة تجاكانت بواحة تندوف التي أسست أول مسجد بها وزواية على يد الشيخ مُحَمَّد المختار بن بلعمش وهذه تعتبر الركيزة المعمارية الأولى والنواة الحقيقة للاشعاع الديني والعلمي الثقافي بتندوف فأصبح مركز توافد الطلاب من كل من كل حدب وصوب حيث تخرج منها الكثير من العلماء والفقهاء والأئمة والحفاظ والمعلمين من بينهم المشايخ والفقهاء الذين تخرجوا على يد الشيخ بن بلعمش هم العالم والأديب محمود التركزي وسيدي المنير وسيدي العرابي الذين ساهموا في بث روح التسامح والأخوة والترابط بين أهل المنطقة".[1]

ويذهب معظم الباحثين إلى أن الزاوية في منطقة تندوف نشأت بتأسيس حاضرة تندوف على يد آل ابن بلعمش نطن الموساني من قبيلة تاجكانت الذين توارثوا العلم والقضاء كابرا عن كابر واشتهروا بلقب المرابطين لرباطهم بمحاضرهم وزواياهم العلمية لحماية العقائد والدين وزيادة كونهم من بطن الموساني التجكانتية التي هي من قبائل دولة المرابطين اللمتونية الصنهاجية،إذ كانوا يشكلون ربع جيشها الفاتح والمؤسس لها لذلك حسب ما يذكره الباحث عبدالله حمادي الإدريسي أن ابن بلعمش عمل على جمع بني قومه في حاضرة يأوي إليها الطلبة والعلماء"[2]ويذكر قاضي تبكتو العلامة الشيخ مح محمود الاوراني: "وأول من بني تندوف لمرابط بن الأعمش و العيد بن الحرطاني جد أهل العبيد، فلمرابط من أولاد مسان (موساني) فهو العالم الولي الصالح القاضي المشهور والعبد الحرطاني صاحب الضيافة والتقدم في الأمور ومعهم رجال من كل قبيلة رجال بنوا معهم ثم ثبت جميع تجكانت فبنوا

[1]– مصطفى بن دهينة، قطوف من تاريخ تندوف، مقاربة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، المجلس الاعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص 11.

[2]– عبد الله حمادي الإدريسي، مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية، الجزائر، وزارة الثقافة، بوسعادة، ط1، 2013م، ص 73.

على ثلاث فرق فالرماظين بنوا على حدة وبنى اولاد مسان (موساني) قصر مشرق الرماظين وبين كل قصر مسافة قليلة جدا وتندوف اسم الجميع.[1]

ويذكر الاوراني أن سنة بناء تندوف الخيرة الحالية في القرن الثالث عشر في السبعين أي عام 1270هـ/1853م"[2]، يعني أن العناية والاهتمام بإنشاء الزاويةفي هذه المنطقة كان حديثا رغم ذكر وجود تندوف القديمة لأسرة ابن بلعمش 1270هـ/1853م ويبدو أن هذا الأخير تم بناؤه فوق موضع مسجد البلدة القديم حسب ماذكره السوسي في المعسول أن الشريف أحمد الصقلي زارها عام 925هـ/1519م وهذا ما ذكره أيضاً القاضي محمود كعت في فتاشه حسب ما جاء في كتاب عبد الله حمادي الإدريسي ويصل عمر هذا المسجد اليوم 1442هـ/2021م إلى حوالي 172سنة. فالاهتمام بالمسجد لصلته وارتباطه بالزاوية أو المدرسة للدور الكبير الذي قامت به في نشر العلم وإصلاح ذات البين وإطعام الطعام وتعليم العلوم للخاصة والعوام ونستشهد هنا بقول العلامة مُحَمَّد المختار السوسي عن الزاوية الأعمش ية عند حديثه عن المدارس العلمية إذ يقول: "المدرسة التندوفية: تقع هذه المدرسة في تندوف في التخوم السوسية الصحراوية، وكان آل ابن الأعمش منذ أسسوا تلك المدينة على يد قومهم تاجاكانت (تاجكنت) رفعوا هناك راية التدريس، فيدرس فيها كل من مر بهم من فطاحل الشناقطة كمحمد يحي الولاتي وأمثاله بل قيل إنه مُحَمَّد محمود التركزي".[3]

اذا اعتنى آل بلعمش بإنشاء زاوية عتيقة ومسجد ومكتبة واشتهر صيته بالعلم مما جعل الطلاب والعلماء ينجذبون لهذه الحاضرة التندوفية لنهل العلم من مصادره وقد رأينا من طلابه أمثال العالم مُحَمَّد محمود التركزي وغيره كثير.

ولا نهمل منطقة الساورة أي بشار الإقليم الثالث من أقاليم الجنوب الغربي في دراستنا هذه ومنشأ الزاوية بها لتتبع خطوات تواجدها وتكاثر الطلبة عليها من كل صوب، ولم تكن الزاوية التي تأسست في منطقة بشار محدودة مجالها الجغرافي كما لم تكن رهينة الدور الذي أنشات من أجله بل تكيفت مع التحديات التي فرضها الواقع سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي وما وجودها

[1]- مرجع نفسه، ص 74.

[2]- مرجع نفسه، ص75.

[3]- عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق، ص95.

واستمرارها إلى اليوم إلا دليل على تطور طبيعة نشاطها، وقد مثلت الزوايا عبر مراحلها التاريخية مدرسة لتكوين الطلبة ومعهدا لتحصيل العلوم الدينية واللغوية ومجالس لتثقيف العامة من الناس وفي نفس الوقت حفظت القيمة الروحية والوطنية للمنطقة وصارت لها أصالتها ومقاوماتها الشخصية ولولا هذه الجهود العظيمة لما بقي في المنطقة أثر للعربية ولا لعلوم الدين فقد تفرعت الطرق الصوفية التي تأسست في منطقة الساورة بالجنوب الغربي الجزائري على يد مشايخ صوفيون ومنها الطريقة الشاذلية أي على طريقةأبي الحسن بن عبد الله الشاذلي (656هـ/1258م) [1]من طريق سيدي أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي النسب دفين مليانة بالجزائر(ت927هـ/1520م[2]).

ويبدو أن مشايخ الطرق الصوفية الذين ذاع صيتهم بالمنطقة ساهموا في تأسيس زاوية قائمة بذاتها في العمل ومتفرعة الطرق حسب الأصول والسند عن الطريقة الشاذلية الأم في ظروف سياسية طبعها غياب السلطة المركزية الحاكمة وظروف اقتصادية غاب فيها الأمن وانتشار ظاهرة قطاع الطرق وأهم هذه الطرق الصوفية لدينا الطريقة الكرزازية المعروفة بالطريقة الموساوية والطريقة الشيخية أو البوشيخية والطريقة الزيانية القندوسية بالإضافة للزوايا التي لم يتجاوز تأثيرها المجال الجغرافي الذي ظهرت فيه منها زاوية سيدي عبد الرحمن بن السهلي أسسها بوادي قير وأخذ تعاليم زاويته من الشيخ أحمد بن يوسف الملياني وهناك أيضا الزاوية الفوقانية ببني قومي التي تعرف بزاوية سيدي إبراهيم وحفيده من بعده سيدي عبد المالك بونقاب مؤسس هذه الزاوية سيدي إبراهيم بن مُحَّد المتوفي سنة 1519م وكذلك الزاوية التحتانية ببني قومي التي أسسها سيدي مُحَّد بن عثمان القلاوي نسبة إلى قرية إجلي (اقلي)إضافة إلى زاوية سيدي زكري بتبلبالة والمعروفة بزاوية المرابطين نسبة إلى مؤسسها سيدي أبي زكري بن زكريا بن مولاي ناصر بن مولاي عبد الله بن مولاي مُحَّد بن مولاي علي بن إدريس بن مُحَّد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن فاطمة الزهراء.[3]

[1]–أسسها أثناء إقامته بمصر في بداية القرن 7هـ و13م تلقى أصول التصوف بالمغرب وأمر بتأسيس طريقته في المشرق من طرف شيخه المغربي عبد السلام بن مشيش.

[2]– عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق، ص96.

[3]– مُحَّد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، 1903 م – 1962م، دار أم البراهين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 344.

وقد تواصلت هذه الزوايا فيما بينها لتقاربها الجغرافي وعملت على تحقيق التواصل والتفاعل بين الشيوخ والطرق الصوفية خصوصا ذلك لأنها تنتمي السن أصل واحد في السند الصوفي وهي الطريقة الشاذلية وبفضل ذلك تواصلت الطرق الثلاث وتكاملت في ترسيخ الثقافة الصوفية بمنطقة الجنوب الغربي.

كما كان لشيوخ الطريقة الكرزازية الأثر البارز في صقل وتكوين شخصية سيدي المُحَّد بن أبي زيان وكذلك مؤسس الطريقة الشيخية الشيخ عبد القادر بن مُحَّد السماحي الذي تناول أصول ومبادئ علم التصوف على يد الشيخ سيدي أحمد بن موسى مؤسس الكرزازية ورغم الظروف الصحية التي مرت بها هذه الزوايا خاصة في الحقبة الاستعمارية التي تسببت في مصادرة أوقافها لكن ظلت الزاوية الكرزازية والزيانية في إقرار وتماسك المجتمع وفق مدونة التنظيم الديني الصوفي وتقوية الروابط الاجتماعية على أساس الدين خاصة في غياب سلطة الدولة ومؤسساتها التي ينتظم حولها المجتمع[1].

إن الجنوب الغربي الجزائري نشطت به الزوايا وصانت وحدته الاجتماعية وعالجت النزاعات والخلافات التي قد تفكك أوصاله في ظروف سياسية مضطربة وساهمت في حل معضلات اقتصادية كما وجهت أفراد المجتمع إلى الوجهة الدينية الصحيحة من خلال شيوخ الزوايا والقضاة مما جعل معظم أبناء المنطقة ينهالون عليها طلبا للعلم خاصة وقد كانت هذه الزوايا معبرا لطرق الحجاج والتجار الذين يرافقهم العلماء سواء من المغرب الأقصى أو المشرق العربي فيستقرون بها لحقبة يدرسون بها مدة يتبادلون العلوم الدينية والروحية والتصوف وهذا جعل زوايا الجنوب الغربي الجزائري رائدة في المجال العلمي والثقافي.

[1]- عبد الله حمادي الإدريسي، مرجع سابق، ص97.

المبحث الثاني: تفريعات الزوايا ومناهجها.

الواقع أن الزاوية وجودها ضروري في الحفاظ على الرابط الديني وتحقيق ماكان ينشده أفراد المجتمع من تفاعل قائم بين العلماء من فقهاء وشيوخ الزوايا والقبائل حيث يقول أحمد توفيق المدني: "الزوايا الكبرى هي التي كونت هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن...وكانت واسطة في نقل الإسلام إلى بلاد في أقاصي الجنوب والسودان".[1]

فنجد معظم الباحثين والكتاب ينشدون بالدور الأساسي الذي قامت به الزاوية ضمن وظيفتها ومناهجها المهمة في رصد وحصر نقائص المجتمع والاجتهاد في تغطية هذه الثغرات التي قد تؤدي إلى الانحراف في زمن يملؤه انتشار العلم والعلماء والمتصوفة رغم اختلاف المبدأ لكن النهاية واحدة تصب في إناء واحد وهو الحفاظ على أصول الدين الإسلامي من البدع والخرافات التي قد تخلق في ظروف الزمن المعاش حسب الاحتياج غير مهملين في ذلك ما يحول القيام به أعداء الدين الإسلامي لتفرقة أعلامه وأفراد مجتمعه.

فالزاوية مهما كان نوعها فقد تأسست لهدف ديني اهتمت من خلال دورها في المحافظة على الهوية الإسلامية واللغة العربية كما سعت للاندماج الاجتماعي والتلاقي والتعارف بين أفراد المجتمع والسعي إلى الوحدة عن طريق الوعظ وحل النزاعات بين الأفراد حسب ما جاءت به الشريعة الإسلامية وقد تشابهت الآراء بين الكتاب والباحثين من حيث أنواع الزوايا وأغلبهم اتفقوا على أنها حسب الانتساب الذي تنتمي إليه أو الموقع الذي تقع فيه وأيضاً الوظيفة والدور الذي تقوم به.

أولا:زوايا حسب الانتساب،وهي كما يلي:

ا/زوايا الطرق الصوفية:هذه الزوايا هي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي وقد تكون الزاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها لأن الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر والطريقة لها مريدون وأتباع من بين مهامهم التموين وعند وفاة الشيخ خلافته إما بالوصاية التي يتركها لهم أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة وهذا النوع من الزوايا يسمى أيضاً بزوايا المشايخ، حيث الشيخ فيها يعطي الأوراد أي الميثاق وله أتباع ومريدون يسمون بالإخوان وهنا الزاوية تقوم على أكتافهم وأكتاف

[1]- أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص 131.

المحسنين الذين يمولونها من زكاة وصدقات وتبرعات الشعب، وهذه الأموال تذهب إلى الشيخ المسؤول المباشر للتصرف بها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل احتياجاتهم بما فيها أجور المعلمين، فالشيخ مسؤول مسؤولية كاملة عن الزاوية وعلى سبيل المثال نجد من زوايا الطرق الصوفية أو ما يطلق عليه بزوايا المشايخ، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة[1]وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ مُحَّد بلكبير بأدرار.

ب/زاوية المرابطين: يعرفها طيب جاب الله على أنها للطلبة ونشر العلم واستقبال العزباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات كما أن هذا النوع ليس لها طريقة صوفية تتبعها ومريدين تابعين، فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل برغم فقرهم واحتياجهم ذلك لأنها ملكية جماعية أي وقف فمواردها محبسة لطلبة العلم فبالرغم من أن المرابطين أحفاد المؤسس الأول للزاوية إلا أنه لا حق لهم أن ياخذوا شيئا من الأموال من زاوية جدهم فكل الزكاة والتبرعات والهبات والصدقات ساء كانت نقود أو حيوانات تعتبر للزاوية من حق طلاب العلم والفقراء القاصدين هذه الزاوية،والفرق بين زوايا المرابطين والمشايخ أن الأولى أي المرابطين ليس لها طريقة أو مريدين كما سبق ذكر ذلك.

ج/الزاوية المنسوبة: هي زوايا الأضرحة حيث يقصد الناس من أجل طلب البركة وهي زوايا منسوبة لشخص ميت يقدسه العامة ويحيون ذكراه ويزورون مقامه للتبرك به.

ثانيا: الزوايا حسب الموقع،ذلك لأن بعض العلماء يفرق بينها وهي:

ا/زوايا المدن: وهي بناية كبيرة لإيواء الطلبة والعلماء الغرباء والمشردين يتوفر بها كل الضروريات قد تصبح مدرسة عليا يخصصلها ويلحق بها مدرس مشهور لتدريس العلوم العالية وهي تحمل اسم مؤسسها أو الحي المتواجدة فيه وقد يكون المرابط التابعة له.

ب/زوايا الريف: تكون في الأغلب مبنية حول قبر مرابط غير معروف كثيرا ويجد حوله قبائل بها أحفاد هذا المرابط ولهذه الزاوية أوقاف من الأراضي والبساتين لمساعدة الفقراء وضيوف الزاوية

[1]- طيب جاب الله، مرجع سابق، ص8.

والقائم على هذه الزاوية يكون حفيد المرابط، فالمرابطون هنا لايقومون بالأعمال اليدوية بل يختصون في التعليم وتربية الأطفال[1].

ثالثا: الزوايا حسب الوظيفة والدور الذي تقوم به.

ا/زوايا العلم: هي زوايا أسست لممارسة النشاط التعليمي وتهتم بتكوين شخصية الفرد المسلم، ذلك لأن التربية هي أرضية التعليم لهذا حرص شيوخ هذه الزاوية على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم، فاهتمام هذه الزوايا بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية مع القيم والفضائل الإسلامية لهذا نجد مثل هذه الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للمخطوطات والكتب في مختلف العلوم والفنون بفضل اعتناء شيوخها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها حتى الأقاليم النائية من الجنوب .

ب/زوايا السحر: هي تلك الزوايا السلبية التي في معظم أعمالها ضرب الدفوف والتصفيق والرقص واللعب بالنار والبدع التي تحدثها في الدين وهذا هو المعيب فيها وقد جلب الأذى لمعظم الزوايا الصالحة مما جعلها في معظم ذهن عموم الشعب أن لفظ الزاوية يعني مزيجا من الرهبانية والفلكلور وسحر وشعوذة.

وهنا يمكن أن نقول بقدر تنوع وظائف الزاوية قد تتواجد بعض السلبيات في استغلال العلم ضمن مسار لا يمت للأخلاق بصلة من بعض الأشخاص الذين لانستطيع أن ننسبهم إلى فئة العلماء، لهذا نجد زوايا العلم اعتنوا كثيرا بمسألة التربية ثم العلم لأنها هي أرضية العلوم فقوامها هو قوام العلم.

كما تنقسم الزوايا حسب التسمية إلى:

- زاوية تنسب إلى شخص ميت يقدره العامة وقد يكون شيخ طريقة.

- زاوية تنسب إلى الطريقة الصوفية.

[1]- طيب جاب الله، مرجع سابق، ص 139.

– زاوية تنسب إلى مكان وجودها وهي ما تعرف بالزاوية المطلقة ومن بين زوايا الطرق على سبيل المثال لا الحصر، وهذا لتعدد الطرق الصوفية في الجزائر واهتمامها بإنشاء زوايا لها هي:

۞ **زوايا الطريقة القادرية:**وهي من أقدم الطرق الصوفية نجد لها الكثير من الزوايا في الجزائر منها زاوية القيطنة بمعسكر وزاوية سي الاحول بوادي خير بمستغانم وغليزان وزاوية بتليليس بوهران وما يلاحظ أن الزوايا التابعة للطريقة القادرية تأخد الاتجاه الارسقراطي،أما الزوايا الدرقاوية فتأخد الاتجاه الشعبي لأن المنظمون بها من القبائل الرعية.

۞ **زوايا الطريقة الرحمانية:** وهي الأكثر انتشارا خلال القرن 19م لكن سلطتها تركزت على المنطقة الشرقية من الجزائرخاصة الريف القسنطيني مؤسسها مُحَّد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري الأزهري من قبيلة آيت اسماعيل لها الكثير من الزوايا منها زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي وزاوية تماسين.

۞ **زوايا الطريقة التيجانية:** وهذه الطريقة تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبوالعباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني من نسب شريف يلقب بالنفس الزكية نسبة إلى قبيلة بني توجين بعين ماضي وقد تواجدت مراكزها منذ العهد العثماني في الأغواط وتماسين وتوقرت وغيرها وهي طريقة تهتم بتهذيب المريد للوصول إلى معرفة الله وهي الطريق استغفار من الكتاب والسنة تشغل أوقاتها بالذكر وخدمة كل الناس بقدر المستطاع، وهناك زوايا تابعة لها كان مهدها المغرب الأقصى ثم دخلت الجزائر كالزاوية الطيبية والعيساوية والدرقاوية.

۞ **زوايا الزواوة:** هذه المنطقة كثيرة الزوايا حتى وصلت إلى اثنين وأربعين زاوية منها: زوايا شلاطة أقبو وهي أقدم الزوايا التعليمية بالمنطقة درس بها العديد من العلماء من بينهم الشيخ مُحَّد البشير الإبراهيمي وقد كانت مخصصة لحفظ القرآن وقرائته وتفسيره

۞ **الزاوية السحنونية:** مؤسسها عمرو الشريف تميزت بإرسال البعثات إلى تونس وتشجيع الحصول على العلوم الإسلامية واعتنت بالتدريس فجلبت شيوخا من تونس.[1]

[1]– فايزة حرزي، الزوايا ودورها في التصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، 1830م – 1945م، مذكرة ماستر، تخصص التاريخ، جامعة مُحَّد خيضر بسكرة، 2019م، ص 20.

۞ **زوايا الطريقة الحنصالية:** هي من فروع الطريقة الشادلية تنسب إلى الشيخ يوسف الحنصالي المغربي من عالى مرابطية ودخلت هذه الطريقة إلى الجزائر بفضل سعدون الفرجيوي وهو من تلاميدة سعيد بن يوسف الحنصالي مراكز تواجدها في قسنطينة ووهران.[1]

۞ **زوايا الطريقة الشابية:** مؤسسها مُحَّد بن مخلوف بنواحي القيروان وكان أول اتصال لها بالجزائر في القرن العاشر الهجري وكان لها مقدمون بالأوراس منهم عيسى[2].

وهناك طرق صوفية كثيرة ذات زوايا منتشرة عبر أرجاء الوطن نظرا لنشاطها الديني وأتباعها مما يمكنها من بناء زوايا لممارسة عملها وهنا يمكن ذكرها بشكل مختصر لما لها من تأثير في الأتباع والمريدين التابعين لها مما يجعل الطريقة تعرف نجاحا كبيرا بفضل جهود الشيخ خاصة في الحث على نشر الأخلاق والفضائل والتوحيد مع الاهتمام بالعلم الروحاني ومن هذه الطرق يوجد:

۞ **الطريقة الشاذلية:** تأسست في النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي إذ تعتبر أقدم الطرق بالمغرب العربي تعتبر منطقة "بوريت" بمراكش مركزا لها لتنتقل إلى الجزائر بعد ذلك بفضل مرونة تعاليمها واعتدال نهجها تنسب لأبي الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي استقر بقرية شاذلة إحدى قرى تونس[3].

۞ **الطريقة الطيبية:**مؤسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الوزاني من أشراف المغرب إلا أن الطريقة نسبت لأحد أولاده مولاي الطيب الذي أخذ العلم من علماء بلده وعرف عنه التقشف والزهد فعاش فقيرا ورغم ذلك لما أسس زاويته الأولى ازدهرت ازدهارا كبيرا فقد كانت تأوي الأيتام وتطعم الطعام وقد انتشرت هذه الزاوية بالجزائر وأصبح لها فروع ومقدمون منها الزاوية الطيبية في معسكر وقسنطينة وقد استمدت هذه الزاوية أصولها من الطريقة الشاذلية.

۞ **الطريقة السنوسية:** تأسست على يد الشيخ مُحَّد بن علي بن السنوسي الخطابي الحسني بدوار الطورش بالقرب من مستغانم درس بجامعة الازهر، أسس السنوسي زاوية على تل "أبوقيس"بمكة كانت مركزاً للطريقة استقطبت الكثير من المريدين مما استثار عداوة علماء الوهابيين الذين اعتبروه من البدع مما اضطر الشيخ السنوسي يترك مكة المكرمة عام 1840م وذهبإلى ليبيا حيث أسس بها زاوية

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 86.
[2]- مرجع نفسه، ص -ص 263، 268.
[3]- مرجع نفسه، ص -ص 263، 268.

ثم مصر والسودان والجزائر،وكان منهجها تعلم العلم وتعليمه وإرشاد العباد إلى الله ودعوتهم إليه، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته.

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن الزوايا حسب الطرق الصوفية كثيرة ومتعددة حسب نشاط المريدين والأتباع لهذه الطرق وتأثيراته في المجتمع، ولكل منها طريقة أذكار، وأسلوب توريثها بين الورثة مما يجعلها تتميز عن بعضها البعض فليس هناك مكان من الجزائر يخلو من الزوايا سواء الشمال أو الشرق أو الغرب أو الجنوب ممَّا فيه موضوع دراستنا وهو الجنوب الغربي الذي يزخر بتعدد زواياه من زوايا العلم والإطعام والضيافة.

والقصور هي زوايا في حد ذاتها، اشتهرت باسم شيوخها كزاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي أو زاوية البكري أو زاويةالرقاني وغيرها كثير خاصة بإقليم توات ففيه تتباين الزوايا من حيث الأدوار والأهداف التي أسست من أجلها فلكل منها منهاجا خاصا تقوم عليه لازال الأحفاد يسيرون متشبثين بزواياهم، ومن زوايا العلم والقرآن التي عادة ماتشيد بناؤها بالقرب من المساجد مثل زاوية الشيخ سيدي مُحَّد بلكبير بأدرار وزاوية سيدي بوغرارة للشيخ أحمد الحاج بكراوي بتمنطيط وزاوية الشيخ الحاج مُحَّد العالمي بزاجلو والزاوية الكنتية للشيخ الحاج امُحَّد الكنتي بزاوية كنتة وهي كثيرة بهذا الإقليم نظرا للدور الهام الذي تقوم به.

هذا كما تتعدد الزوايا بمنطقة الساورةعلى غرار مثيلتها من الأقاليم على سبيل المثال زاوية سيدي أحمد بن موسى الساوري بوادي الساورة وبلاد كرزاز والطريقة الموساوية الكرزازية الشادلية.

وفي تندوف زاوية الشيخ بلعمش وزاوية الشيخ سيد أحمدالركيبي(الرقيبي)وسيدي أحمد العروسي وزاوية الشيخ ماء العينين والتي كانت الملاذ الآمن للمظلومين ومحاكم لفصل المنازعات ومنارات للعلم.

المبحث الثالث: الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12هـ)و(17م/18م)

1) إقليم توات والنهضة العلمية والثقافية:

توافد على إقليم توات العديد من العلماء عبر فترات مختلفة، واستقر به الكثير، منهم الشيخ العالم مولاي سليمان بن علي الإدريسي(ت670هـ)الذي كان بفاس سنة 580هـ[1] وكذلك الشيخ المجاهد مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ)بعد مروره بعدة عواصم علمية سنة 870هـ[2] وكل هؤلاء وغيرهم من العلماء الوافدين لهذه المنطقة كانوا من أصحاب الوزن الثقيل في العلم وكل منهم وبمجرد وصوله تولى نشاط معين سواء في القضاء أو التدريس أو الفتوى وهناك من عمر فبنى زاوية، ومنهم من جمع بين كل ذلك، فكان أثرهم كبير أدى إلى ظهور نهضة علمية في الإقليم[3]، كذلك قيام شخصيات من المنطقة برحلات إلى الحواضر العلمية في تلك الفترة طلبا للعلم إما بغرض الأستزادة في العلم كما هو حال الشيخ أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد التزدايني الجراري (ت941هـ) حيث تزود بالقرآن ومبادئ العلوم عن والده بمنطقة أولاد سعيد بتميمون وقد انتقل إلى مدينة فاس ليزيد في رصيده العلمي[4]وأيضاً الشيخ عبد الكريم بن المُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد التواتي (ت1042هـ)حيث تتلمذ ببلده على يد والده ثم انتقل إلى عدة حواضر علمية[5]وكذا أبوه المُحَمَّد بن أبي مُحَمَّدات

---

[1]– مُحَمَّد البكراوي، جوهرة المعاني، الورقة 24 ظهر، نقلاً عن: – عبد الحميد بكري، النبذة ، مرجع سابق، ص 67.

[2]– قدم الشيخ المغيلي في تلك السنة ثم غادرها ليرجع اليها سنة 882هـ، أنظر: – مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مج1، مرجع سابق، ص 66.

[3]– مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مج1، مرجع سابق، ص، 66، يراجع أيضاً:– مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12م، دار السبيل، الجزائر، ط1، 2009م ، ص 122، عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص67ومابعدها .

[4]–عبد الرحمن الجوزي، ذاكرة الماضي في حياة أولاد القاضي، مخطوط: (بحث مكتوب بواسطة الحاسوب)، ص 9.

[5]– مُحَمَّد البكراوي،الجوهرة، الورقة 9، وجه وظهر، نقلاً عن: – عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 120.

(ت1008هـ)من قبله حيث رحل من توات إلى فاس [1]وابنه مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت1092هـ)الذي تعلم في بلدته ثم تتلمد على يد علماء الحرمين.[2]

وهناك من ارتحل للتحصيل مثل:الشيخ عمر الأكبر(1152هـ)[3]والشيخ مُحَمَّد بن أب المزمري (ت1160هـ[4])، والشيخ امُحَمَّد بن أحمد(احميدان) الزجلاوي الأب (كان حيا سنة 1174هـ)وغيرهم كثير، ويبدو أن المنطقة في هذه المدة الزمنية عرفت ركودًا علميًا دفع بهؤلاء إلى الترحال والسفر بحثا عن أهل العلم والعلماء للتزود والاستزادة حيث صور لنا تلك الحالة من الركود الشيخ عبد الرحمن بن باعمر التنلاني (ت1189هـ) في قهر سنه عند قدوم عمر الأكبر التنلاني من رحلته الطويلة بعد التحصيل، حيث يقول: "فقدم علينا...فوجد بلاد توات وتينجورارين جيدها عاطل من العلوم، وجل طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء، فضلا عن غيرها مما تحارمته الفهوم...".[5]

فهو هنا يصور الوضع العام الذي طبع الحياة العلمية في تلك الفترة ونجد العياشي يشاركه في هذا التصور وقد سجله في رحلته عندما مر بتوات وبالضبط بمنطقة تسابيت خلال القرن الحادي عشر هجري حيث قال: "....ولم نلق هناك أحد ينسب إلى ولاية أو صلاح ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل التجارة...وسد الخطيب خطبة وعظية حسنة تلقفها من صحيفة إلا أنه أكثر فيها اللحن".[6]

والظاهر من خلال ما سبق أن كل منطقة وعلى غرارها توات كانت لها فترة ركود وخمول علمي زاحمها مدة من الزمن ولكن رغم ذلك لا يمكن إهمال جهود هؤلاء الأعلام خلال هذه الفترة حتى لو

---

[1]- مُحَمَّد البكري، نفسه، الورقة 14 ظهر .

[2]-أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق خير الدين شترة، دار كردادة، ط1/1433هـ-2012م،ص414، يراجع أيضاً: - عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 128.

[3]- التمنطيطي (مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق)، **جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني**، مخطوط بخزانة تمنطيط، أدرار، مخطوط، وبخزانة شاري الطيب بن عبد الله كوسام..

[4]- البكراوي (مُحَمَّد بن عبد الكريم)، **درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام**، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط_ وبخزانة أبناء عبد الكبير، المطارفة، الورقة 15 ظهر .

[5]- التنيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، **فهرسة عبد الرّحمن بن عمر التنلاني التواتي**، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار ، الورقة 03 وجه .

[6]- العياشي، الرحلة، ج 01، مصدر سابق، ص 38 .

كانت فردية ولكنها تظل محاولات ذات شأن وقيمة لأن نشاطهم كان محدودا ولم تكن ذات تأثير عام كما هو الحال عند بعض الأسر والأفراد الذين كان فيهم أعلام بارزون أمثال ما ذكرنا منهم سابقا كالشيخ موسى بن مسعود (ت920هـ)وعومر بن الصالح الأوقروتي (ت998هـ)، وأبي عبد الله المُحَمَّد عبد الله بن عبد الكريم الجراري (ت1035هـ) وأحمد بن يوسف التنلاني (ت1064هـ) وغيرهم، من الأعلام الوافدين الذين كان لهم تأثيرهم وأثرهم الإيجابي على الإقليم لكون نشاطاتهم وفعالياتهم مكنت لظهور فترة جديد تبدأ بطلوع القرن الثاني عشر هجري وهي فترة الازدهار بسبب مساهمات الوافدين الأعلام ورجوع أبناء المنطقة من طلاب العلم فبرز من خلالها جو علمي حدث في الإقليم وهذا يصوره لنا الشيخ عبد الرحمان بن باعمر التنلاني في شخص عمر الأكبر بعد عودته من رحتله، فبعد أن ذكر الصورة القائمة يردف قائلا: "....فنارت بنورعلومه أرجاؤها وانكشفت لنا لظهور شموسه أقمارها، فوفد عليه الطلبة من كل ناحية وأخذوا عنه وانتفعوا به كثيرا..."[1]، ويقول أحد الباحثين عن كلام التنلاني معلقا: "ذلك الإقرار من الإمام مؤشر صادق على أن عصر النهضة العلمية في الإقليم بدايته مطلع القرن الثاني عشر هجرية، وما سبقه كان محاولات فردية اقتصرت على أصحابها ولم يكتب لها الامتداد لتؤثر في المحيط القريب فضلا أن تعم ثمرتها عموم البلاد...".[2]

وهنا يمكننا القول أن الحركة العلمية والثقافية بإقليم توات عرفت في مرحلة ما من الزمن الركود والخمول لفقدانها الأعلام والأجلاء الذين رحلوا في طلب العلم أو يمكن أن يعود ذلك لظروف اقتصادية وسياسية انعكست على المنطقة فافتقرت خلالها للتواصل بين علماء المناطق سواء من ناحية الغرب للمغرب الأقصى أو من ناحية الشمال الجزائري وشرق البلاد من المشارقة إلى غاية الثاني عشر هجرية الفترة التي عرفت بعصر النهضة العلمية لإقليم توات الذي تأثر بوفود علمائها إليه وهجرة أبناء توات إلى تلك الحواضر فكان انتعاش الحركة العلمية والثقافية به وإنتاج حركة التأليف والتصنيف في العلوم مما أظهر ثروة تواتية علمية عظيمة تحتفظ بها ذاكرة الإقليم ممثلة في مخطوطاته الشاهدة على تلك الحركة، فكثرت مراكز التعليم والتدريس في جميع المناطق بعد أن كانت مقتصرة على مناطق معينة فيما مضى.

[1]–التنيلاني (عبد الرحمان بن عمر)، **فهرسة عبد الرّحمن بن عمر التنلاني التواتي**، خزانة الطيب الشاري، كوسام، أدرار مخطوط، الورقة 03 وجه .

[2]– الزجلاوي (عبد الرحمان)، **أرجوزة شبكة القنّاص في نظم درة الغواص**، مخطوط، بخزانة،مولاي سليماني، أدرار.

حيث تقلد علماء توات مناصب الفتوى والقضاء والتدريس والتوجيه فصارت معظم المراجعات في النوازل تتم بين علماء الإقليم بعد أن كانت في السابق يراجعها علماء الأمصار مثل ماهو الحال في نازلة اليهود حيث ترافع فيها أطراف القضية إلى علماء الحواضر في ذلك الحين".[1]

كما هو الوضع في القضية التي اختلف فيها الشيخ ميمون بن عمر والباز الامريني (ت901هـ)وعلماء المنطقة فترافعوا إلى علماء فاس[2]، هذا والشأن نفسه في مسألة مجلوب السودان التي تراجع فيها أهل المنطقة، الشيخ سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري (ت 1066هـ)،والشيخ أحمد بابا التمبكتي (ت1036هـ)كانت تلك سببا في أن يفرد لها مؤلفاً والظاهر من خلال هذا أن العلماء بمنطقة توات لا يتركون فرصة الاستزادة والتزود بعلوم الدين والدنيا إلا ويتفقهون فيها وتنافسوا في ذلك على أن يكون هذا التنافس يخدم تكامل علوم بعضهم ويصحح ما يلزم منه لتحقيق هدف الإصلاح والتوجيه والتدريس دون الحاجة إلى مراسة المشارقة في حل قضية ما بينهم للإدلاء بفتوى قد يحتاج إلى سرعة الحل والنظر في القضية في حين مراسلة علماء المشرق أو المغرب تأخذ وقت طويل لوصول المطلوب في تحقيق المراد، لهذا رأينا أن الكثير منهم قد سافر وتزود أو التف حول من جاء من علماء المشرق والمغرب وطال مقامه بالإقليم فعلم وأفتى وتخرج على يديه علماء إقليم توات وبذلك صارالعلماء يجوبون أطراف الإقليم منتقلين بين مراكز العلم ومناطق حضور المشايخ، ينشرون العلم وترسيخ المذهب خارج الإقليم.

2/الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم توات:

بفضل تلك النهضة العلمية ازدخر إقليم توات بالعديد من الزوايا التي برزت في المحافظة على الهوية الثقافية ونشر العلم بين سكان المنطقة منذ نهاية القرن 9هـ/15موسبب انتشارها يعود إلى نزوح العلماء والزهاد الذين ساهموا في تنشيط الحياة الثقافية عن طريق تأسيس زوايا دينية وعلمية وصوفية بهذا الإقليم والدليل على ذلك الكم الهائل للمخطوطات التي أصبحت ميراثا حضاريا ومادة علمية

[1]- أنظر نازلة اليهود وما وقع فيها من الأخذ والرد في: -الونشريسي (أحمد بن يحي)، **المعيار المعرب والجامع المغرب**، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1981م، ص 229 فيما بعدها.

[2]- أنظر تلك القضية في التمنطيطي (مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق) ،**جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني**، مخطوط بخزانة تمنطيط، أدرار، مخطوط، وبخزانة شاري الطيب بن عبد الله كوسام ، لورقة 20 ظهر.

تدرس في المؤسسات التربوية لما تقدمه من نظرة جديدة للمجتمع عن حياة سكان هذا الإقليم منذ قرون عديدة.

وعليه لإبراز تاريخ إقليم توات بصفة عامة والزوايا بصفة خاصة سنسلط الضوء على أهم الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية وهي:

أ. الزاوية الزجلاوية ودورها في الحركة العلمية بإقليم توات:

هذه الزاوية من بين الزوايا الأكثر شهرة في الإقليم لما كان لها من الأثر البالغ الأهمية في نشر العلم والثقافة الدينية والاخلاقية منذ تأسيسها على يد مُحَّد بلعالم الزجلاوي في القرن 11هـ/17م إلى غاية اليوم هذا، حيث تخرج العديد من أبناء المنطقة من هذه الزاوية واختصوا في فنون متنوعة كالتدوين والتدريس والإفتاء ولهم الكثير من المؤلفات والمخطوطات التي لا تزال دفينة الخزائن التواتية ويرجع تأسيس هذه الزاوية الزجلاوية تماما إلى القرن الرابع والنصف هجرية على يد مؤسس البلدة[1] سيدي امُحَّد بن الحاج علي الأنصاري الذي تفرعت عنه سلالة الأنصار المتواجدة في توات وفي الصحراء عموما وأبرز أحفاده العلامة سدي مُحَّد بن أحمد الزجلاوي الأنصاري.[2]

- **الهيكل التنظيمي لهذه الزاوية:** تتكون من قسمين هما:
- **الهيكل المادي:** المتمثل في مسكن الشيخ بجانب الزاوية والمسجد الذي يتكون بدوره من ساحة تقام فيها الدروس الليلية للطلاب والصلاة أيام الصيف وقاعة للصلاة ويوجد بجانب المسجد ضريح الولي الصالح سيدي علي بن حنيني، ويوجد فيها حوالي 8غرف للطلبة تتسع كل غرفة حوالي 50 طالب وبها مكتبة مكونة من قاعة واحدة بها العديد من الكتب أهمها كتب القرآن والحديث وتفسيره وكتب الفقه والتفسير والنحو والفلك وكتب عصرية أيضاً.

[1]–البلدة هنا القصد قصر زاجلو يقع شمال بلدية زاوية كنتة ويبعد ب 5 كلم عنها وأصله كلمة بربرية متكونة من كلمتين زو – أغلي وتعني قطع اللحم .

[2]–بقادر عبد القادر، ألفية الغريب نظم مُحَّد الزجلاوي الشهير بابن العالم(دراسة وتحقيق) ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2008م –2009م، اشراف: –د. الطاهر مشري،جامعة أدرار ، (2008–2009)،ص 12.

ومن خلال هذا الهيكل المادي لاحظنا أن معظم زوايا إقليم توات تعتمده في طريق بنائها التنظيمي لأنها تعطي الأولوية للعلم والتعليم ومن الركائز الأساسية هي القرآن والسنة وملاحقها لهذا نجد في بنائها الهيكلي هناك قاعة االمكتبة التي تجمع مختلف الكتب للعدبد من العلماء ومن بينهم كتب الشيخ نفسه شيخ الزاوية.

❦ **الهيكل المعنوي:** يتمثل في المؤطرين وعلى رأسهم شيخ الزاوية وهذا المنصب يتعاقب عليه أهل الزاوية مع اعتبار الكفاءة والعلم من أحفاد العالم الزجلاوي، ومهمة شيخ الزاوية الإشراف على الزاوية من حيث صيانة أملاكها وتحضير الاحتفال بالمواسم المختلفة كإحياء وفاة الشيخ المؤسس (ما يعرف في العامية بالسلكة[1])،بالإضافة إلى استقبال الهدايا والهبات التي تقدم للزاويا [2]، كما يوجد المدرسين الذين يعينهم الشيخ لتدريس الطلبة والإشراف عليهم ويشترط فيهم أن يكونوا قد حفظوا القرآن الكريم حيث يكون لكل مجموعة من الطلبة مدرس مشرف على تدريسهم ويجد فئة التلاميذ المنتسبين نظاميا إلى الزاوية وهم طلبة مختلفين في مستوياتهم وأعمارهم وفي الالتحاق بالزاوية لا يتطلب ذلك أي شروط لأن أبوابها مفتوحة لكافة الفئات والأعمار.

وهنا نستدرك كيف أن الزاوية قد بذلت قصارى جهدها للقضاء على الأمية في المنطقة وفي نفس الوقت هي تشجع على طلب العلم والنفقة فيه خاصة علوم الدين والعبادة للحفاظ على رسالة الرسول مُحَمَّد ﷺ وزيادة على ذلك تحاول الزاوية حل المشاكل سواء كانت أسرية أو اجتماعية عامة وحتى الخلافات الاقتصادية في تقسيم المياه على البستنة لهذا أهل توات كانوا يقدرون شيوخ الزوايا ورجال العلم لهم مكانة مرموقة في المنطقة التواتية لا تقدر بثمن.

وبالإضافة إلى فئة التلاميذ الصغار من البلدة الذين لا يعدون ضمن تلاميذ الزاوية الوسميين إلا بعد التحاقهم بشكل رسمي وقبولهم، هذا ويوجد فئة المستمعين من العامة والزوار الغير منتظمين الذين يحضرون حلقات التدريس التي يشرف عليها شيخ الزاوية ليلا وتكون للتلاميذ وغيرهم من المواطنين من أهل البلدة وخارجها الراغبين في حضور الدروس.

---

[1]- **السلكة**:كلمة تطلق على وليمة عشاء أو غذاء للصيوف ومقرئي القرأنعلى روح الميت إحياءا لذكراه وصدقة على روحه .

[2]- بن زيطة أحميدة، الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات ،الملتقى الوطني الاول للزوايا بأدرار ، أيام: 1، 2، 3، ماي 2000مبدار الثقافة أدرار. الجزائر.

وهناك كذلك أشخاص يتطوعون لخدمة الزاوية وضيوفها وتلاميذها وهم يقومون بالخدمة المادية والمعنوية يمثلون الطلبة الكبار في الزاوية حسب البرنامج العادل الذي يحدده شيخ الزاوية وقد ينزل على الزاوية ضيوفا لزيارة شيخ الزاوية أو أولياء الطلبة المتمدرسين في الزاوية.

ومن خلال هذا يتطلب منا إعطاء ولو نبذة قصيرة عن مؤسس الزاوية الزجلاوية العلمية التي يتخرج منها سنويا العديد من طلبة العلم والعلوم الدينية.

❁ **مؤسس الزاوية العلمية الزجلاوية:** هو أبو عبد الله [1]مُحَّد بن امُحَّد بن أحمدبن مُحَّد بن أبي بكر الأنصاري نسبا التواتي وطنا وبلدا الزجلاوي منشأ[2]، يرتفع نسبه إلى الصحابي الجليل أبي أيوب الانصاري ولد قبيل منتصف القرن الثاني عشر الهجري في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة، كان والده امُحَّد أحد أعلام المنطقة تعلم بسجلماسة بالمغرب الأقصى وتلمسان النحو وأصول الفقه، وكان مفتي الديار التواتية لقب مُحَّد ب(ابن العالم)، تلقى علومه الأولى بمسقط رأسه على يد والده الشيخ امُحَّد احميد، حفظ القرآن والمنون ومختصر الخليل كما أخذ العلم عن عدد من الشيوخ أبرزهم تأثيرا في تكوين شخصيته امُحَّد بن أحمد بن مُحَّد بن أبي بكر الأنصاري وهو والده وعن عبد الرحمن بن عمر بن عبد القادر التنيلاني (1098-1152هـ)، وتتلمذ على يد مُحَّد الزجلاوي عدد كبير من التلاميذ الذين حملوا مشعل العلم بعده منهم أبو العباس أحمد رزوق بن أبي عبدالله بن مُحَّد بن موسى الجعفري وعبد الله بن عبد الرحمن التينيلاني وعبد الرحمن بن ادريس (1181هـ-1233هـ) كذلك عبد الله بن أبي مدين بن أبي بكر التمنطيطي (1189هـ-1231هـ) وأيضاً الحسن بن مُحَّد الزجلوي وعبد الرحمن بن امُحَّد الزجلاوي.

وقد كان لمحمد الزجلاوي حظ في التأليف والكتابة على سبيل المثال النوازل ومنظومة التفسير، ومنظومة ألفية الغريب والكثير من المخطوطات حبيسة رفوف خزائن المنطقة، توفي مُحَّد الزجلاوي يوم الثلاثاء 23 شوال 1212هـ الموافق لـ 9 ابريل 1798م في بلدة زاجلو حيث دفن.[1]

[1]- ذكره صاحب الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتيةالتنيلاني (مُحَّد عبد القادر بن عمر)، **الدُّرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف الإدريسيين والعلويين**، خزانة كوسام، أدرار ، ص16.

[2]- عمر (عبد العزيز)، **قطف الزهرات من أخبار علماء توات**، الجزائر: دار هومة للنشر، 2004م، ص 123.

ب. الزاوية الكنتية:

تتموقع الزاوية الكنتية بين قصر عزي شرقا أو القصبة وسبخة وادي مسعود غربا وشمالا وادي عربي وقد تأسست هذه الزاوية على يد أحمد بن مُحَمَّد الرقادي 1025هـ/1616م الذي اختطها على الأرض التي اشتراها من أولاد جرير ومن أهل عزي ومن المقاطبة[1]وأسس مسجدها سنة1034هـ/1624م في حياة الشيخ الرقادي وفي مرجع آخر أسس مسجدها سنة119هـ/1610م وخلف مؤسس الزاوية تسعة أولاد وثلاث بنات وهم على التوالي عمر، عبد الوهاب، عبدالمؤمن، امُحَمَّد، علي، عبد القادر، مُحَمَّد، مصطفى، عبدالله، عائشة، فاطمة وخدبجة[2]وقد تميزت الزاوية الكنتية حسب ماورد في النوازل بالحيوية والنشاط الفكري والديني لدرجة كان يجري البحث بين طلبتها في بعض المسائل الفقهية واللغوية المثارة مما يثير للتنافس فيما بينهم حولها مما جعلهم يؤلفون فيها التآليف من كل صنف[3]، كما كانت هذه الزاوية تستفيد من الكتب المجلوبة إليها من كل الجهات خاصة من المغرب الأقصى، هذا وتتميز هذه الزاوية بأنها أعطت مكانة لتدريس المرأة.

وقد أوجدت قسم منها لتدريس الفتيات والنساء وأشهر النساء الكنتيات في هذا المجال خديجة بنت علي بن أحمد[4]خاصة في النحو والفقه والصرف ويذكر أن مؤسس الزاوية الكنتية قد ترك وصية يوصي فيها بالتعلم، والتدريس والتربية والدعوة إلى الله والاستقامة في الحياة الدنيا والإحسان إلى آل بيت رسول الله ﷺ بصفة عامة والشرفاء الذين يقطنون معهم بقصر زاوية كنتة وهم أبناء مولاي مُحَمَّد المعروف بحمو بلحاج "[5] كما تعتبر الزاوية الرقادية المنحدرة من نسل الفاتح الإسلامي والصحابي الجليل عقبة بن نافع الفهري الذي أشرفت عليها العائلة الرقادية تحت إسم مؤسسها الشيخ أحمد

[1]– مُحَمَّد حوتية، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق،ص 242.

[2]– الشيخ مُحَمَّد الرقادي الكنتي، الزاوية الكنتية الرقاديةفي نشر العلم والمعرفة وإيواء الصيوف ، الملتقى الوطني الأول حول الزواياأدرار، ماي، 2000م، ص 9.

[3]– عبد الرحمن الجنتوري، جمع وترتيب المسعدي مُحَمَّد بن عبد العزيز، مخطوط بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة، أدرار ص33.

[4]– مُحَمَّد حوتية، نفس المرجع، توات والازواد، ج1، ص 244.

[5]– مُحَمَّد حوتية، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 244، مُحَمَّد الرقاديالكنتي، الزاوية الكنتية الرقادية في نشرالعلم والمعرفة وإيواء الضيوف، الملتقى الوطني الأول حول الزوايا، أدرار، ماي، 2000م ص 10.

الرقادي بن مُحَمَّد الرقادي الكنتي الذي وفد إلى توات مع القوافل التجارية ونزل بزاوية الشيخ عبد القادر بن عومر حيث رافق شيخها فترة من الزمن فأمره بالانتقال إلى مقر الزاوية حاليا[1].

فبنى بها مسجدا وعمل بالتدريس فيه تحت إشرف ابنه السي حمو بلحاج الذين كانوا عماد هذه الزاوية من حيث التموين وطبعا بفضل نشاطه التعليمي هب إليه الكثير من الطلبة من توات وخارجها ومنهم الشيخ أحمد القطيبي الدمراوي، ونزيل قرية أدمر، وأحمد ومُحَمَّد أبناء الحاج أحمد الموساوي نزيل أولاد الحاج والعديد من الطلبة من بلاد السودان والمغرب منهم الشريف عبد الله بن مُحَمَّد البوشنتوفي المغربي، نزيل قرية لحمر بمنطقة بشار والشيخ أبو عبد الله ابن عبد الجبار الفيجيجي، والشيخ صديق بن عبد الله الواجدي.[2]

فلما توفي مؤسس الزاوية الرقادية سنة 1016هـ/1607م خلفه الشيخ مولاي امُحَمَّد بن السي حمو بلحاج مشيخة الزاوية مكملا مسيرة المؤسس في التدريس والتربية والإطعام لعابري السبيل حتى وافته المنية، فتولى ابن الشيخ المؤسس علي بن أحمد الرقادي المشيخة حتى توفي فتولى بعده العديد من الشيوخ.

ويبدو أن الزاوية الكنتية الرقادية بلغت شهرتها خارج منطقة توات خاصة أنه يعود لهم الكثير من الفضل في نشر التعاليم وأصول الدين الإسلامي بالسودان الغربي والمحافظة عليه في تلك المنطقة وذاع صيتها في أقاصي بلاد السودان الغربي لذلك ظلت تواصل نشاطها إلى اليوم وقد ازدخرت خزائنها بمخطوطات عديدة لمختلف المشايخ.

ت. زاوية سيدي البكري بتمنطيط:

إن زاوية البكري هي إحدى زوايا الإقليم التواتي وهي لا تقل شهرة عن غيرها بالمنطقة لأنها تعد مركز إشعاع فكري وثقافي لإسهاماتها في نشر العلم والمعرفة في أنحاء توات وخارجها منذ تاريخ تأسيسها عام 1112هـ/1701م ونجد تاريخ آخر عند الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في كتابته الرحلة العلية

[1]- مولاي عبد الله اسماعيلي، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات للشيخ مُحَمَّد بن عمر بن الحبيب البداوي، (دراسة وتحقيق)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2015م، ط1، ص 16.

[2]- الكنتي، الحاج أحمد، التعريف بشخصية أحمد الرقادي الكنتي مؤسس الزاوية الرقادي، الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية، زاوية كنتة، 20 ماي 2004.

تاريخ التأسيس منذ 1109هـ/1689م على يد الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بن المُحَّد الذي عرفه الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق في كتابته جوهرة المعاني: "...بلعالم الهمام تاج الدين العارف حامل لواء المحبة الغراء..."[1] ولد الشيخ سيدي مُحَّد البكري بن عبد الكريم سنة1042هـ/1632م أخذ علومه الأولى على يد أخيه القاضي الشيخ سيدي مُحَّد ثم الشيخ سيدي مُحَّد بن علي الوقروتي والشيخ أبي معروف الهبلاوي والشيخ سيدي مُحَّد بن عمر البداوي وقد قصد المغرب الأقصى ليواصل رحلته العلمية وعاد بعدها عالما ومعلما ومفتيا.[2]

وقدذاع صيته داخل الإقليم وخارج البلاد حيث وصل ذلك إلى تونس ومصر والبقاع المقدسة وفلسطين...الخ من خلال زيارته لها لأنه أخذ العلم على يد العديد من أعلامها كما أفاد الكثير من الطلاب ويذكر عنه أنه أسس العديد من الزوايا لتكون مركزا لتحفيظ القرآن وإلقاء الدروس وغير ذلك ومن أعماله الخيرية الزاوية البكرية بتونس وزاوية تقرت التي أوقف لها أوقافا لتمويلها وزاوية ببلاد الشام وهذا لما عرف عنه من يسر الحال فكان يسخر المال الذي رزقه الله إياه في خدمة العلم والدين ورعاية ذوي الحاجات سواء من أقارب وأيتام ومساكين وأبناء السبيل، هذا وله زوايا أسسها بقرية اينغر بنواحي عين صالح وبعد عودته من رحلته التي دامت ثلاثين سنة إلى مسقط رأسه بتمنطيط،أنشأ زاويته بالقرب من تمنطيط لتكون آخر زاوية يؤسسها في حياته وهي الزاوية البكرية تتوسط بين قرية بني تامر وتمنطيط شمالا وجنوبا ومطار أدرار والطريق الوطني رقم 6 شرقا وغربا وقد أوقف لها العديد من البساتين والأراضي التابعة لها[3].

وهي متكونة من ثلاث قصبات هي قصبة غوزي والقصبة وقصبة الزاوية حيث هذه الأخيرة تضم ضريح الشيخ مُحَّد بن البكري[4]، ونسب شيخ الزاوية هو ابن الشيخ عبد الكريم عالم توات ابن الفقيه الشيخ مُحَّد بن أحمد ميمون بن عمرو بن مُحَّد بن عمر الباز ابن أبي العباس أحمد ابن أبي سالم

[1]- بكراوي مُحَّد عبد الحق وبكراوي مُحَّد المهدي، الزاوية البكريةأعلام ومخطوطات، الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمانانموذجا، مجلة رفوف، العدد الثاني، ديسمبر، 2013م، جامعة، أدرار، ص 346.

[2]- مرجع نفسه، ص 346.

[3]- بكراوي مُحَّد عبد الحق وبكراوي مُحَّد المهدي، مرجع سابق، ص 348.

[4]- عبد الصمد فندو قومه، مُحَّد غنجور، دراسة تحليلية وصفية الزاوية البكرية بتمنطيط نموذجا، رسالة ماستر، كلية الاداب واللغات، قسم الفنون، اشراف شمسية فايزة، جامعة المدية، 2015م – 2016، ص 26.

ابن الحسن الأمريني ابن أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن يحي ابن مُحَمَّد ابن إدريس مؤسس الدولة الإدريسة بالمغرب الأقصى ابن عبد الله الكامل ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب[1] وأول من نزل من العائلة البكرية هو الشيخ سيدي عمرو الباز عام 809هـ/1406م[2]، قدم بزوجته وولديه سيدي ميمون وسيدي التوهامي من فاس وسكن تمنطيط بالتاريخ المذكور سالفا لكنه رحل بعد فترة من الزمن مخلفا ابنيه المذكورين سابقا ومن الشيخ سيدي ميمون تفرعت العائلة البكرية وانتشرت بتوات[3].

ثم نعود إلى الزاوية البكرية التي أنشأها سيدي مُحَمَّد البكري بن عبد الكريم واختار لتسيير وإدارة شؤونها ابنه الشيخ سيدي مُحَمَّد باستشارة من زميله العلامة الشيخ سيدي علي بن حنيني وأشرف الشيخ سيدي علي بن حنيني على وضع الحجر الأساسي للزاوية وسماها "محبوبة".[4]

وهنا يذكر عنهم مُحَمَّد بن الطيب بن الحاج عبد الرحيم المعروف ببابا حيدة: "...بقيت تلك الصفات في أولادهم خلف عن سلف ولهم حرمة ووفاء في الأقطار ما أمكن فيها بلوغ صيتهم ولهم خزائن جمعت فيها القواميس والتفسير والفقه وغيرها ولا شك أن حالتهم وكرمهم وهمتهم تأذن بعلو شأنهم ومقامهم...".[5]

ويقول عنهم أيضاً مولاي أحمد الإدريسي الطاهري: "...وبجانب قصور متقدمة قصر تيمي (تمنطيط) وهو أعظم قصور توات بل أقدمها ...صار مركز إشعاع للعلم والمعرفة واقتباس الهدى والفصل بين الناس بالحق والعدل استقر به أولاد الولي الصالح والقطب الفاتح سيدي مُحَمَّد البكري،

---

[1]- رسم نسب العائلة البكرية، مخطوط بخزانة زاوية سيدي البكري، تيمي، أدرار الجزائر، رقم 02.

[2]- البكراوي (الحاج مُحَمَّد العالم)، **الدُّرة البهية في الشجرة البكرية وبعض الأخبار التواتية**- (مخطوط)زاوية سيدي البكري، ص12.

[3]- بكراوي مُحَمَّد عبد الحق وبكراوي مُحَمَّد المهدي، مرجع سابق، ص 350.

[4]- بكراوي مُحَمَّد عبد الحق وبكراوي مُحَمَّد المهدي،**الزاوية البكرية أعلام ومخطوطات: الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن أنموذجا**، الملتقى الدولي حول المخطوط: المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا-واقع وآفاق (1: 2013: جامعة أحمد دراية- أدرار: الجزائر) . .ع. 2 (عدد خاص) (تشرين الأول 2013)، ص 348.

[5]-ابن بابا حيدا (مُحَمَّد الطيب)، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح: فرج محمود فرج، ملحق كتاب إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م،ص 18.

نفعنا الله ببركته وبعلومه آمين، وأولاد هذا الولي فيهم العلم قديما ومشهورون بالصلاح والتواضع والكرم والخير الكثير ومحبة أهل البيت النبوي..."[1]

ويظهر أن هذه الزاوية البكرية التي ذاع صيتها لفضل مشايخها من نشر للعلم واهتمام بالمساكين وعابري السبيل، هذا يوازي العناية الكبيرة والاهتمام الكثير بالأوقاف من فقاقير وبساتين التي حبست للإنفاق على احتياجات الزاوية فقد عرف أعلامها بالعلم والصيت الحسن وامتهان عدة مراكز كالقضاء والتدريس وهذا كان واضحا في وصف مولاي أحمد الإدريسي الطاهري للقطب الفاتح سيدي مُحَمَّد البكري وأولاده الذين تعدى عملهم مستوى منطقة تمنطيط إلى توات كاملا.

هذا ويبدو أن المكان الذي اختير لهذه الزاوية كان مناسبا في نشر العلم بين أنحاء توات مما يجعلها أحد المراكز التجارية والحضارية خصوصا لقاصدي الأسواق التجارية و عابري السبيل الذين أصبح بإمكانهم التوجه إلى الزاوية للحصول على الطعام والمأوى.

والزاوية متكونة من شيخ الزاوية وهيئة للتدريس وهيئة للمتعلمين وهيئة للخدمات وأملاكها التي احتبسها مؤسس الزاوية كما أسلفنا ذكر ذلك ومسجد الزاوية وكتاب (اقربيش).

وفي الأخير الزاوية تتميز عن غيرها بأن مكانها أرض اشتراها مؤسسها وجعلها حبسا على الفقراء والمساكين وتشبه غيرها بنشاطها التعليمي والاجتماعي حيث حملت على عاتقها لواء تطوير الحياة الثقافية من خلال نشر تعاليم العلم وتعاليم الدين الإسلامي دون إهمال جانب إيواء المسافرين وعابري السبيل ومواساتهم، وهذا هو الطابع الذي يشتمل إقليم توات في كل ركن أو قصر إلا وكانت هناك زاوية مهما كان تخصصها إلا وتمارس النشاط التعليمي والثقافي.

وقد ساهم العلماء الوافدين على إقليم توات بتنشيط الحركة العلمية والثقافية حيث تحولت زوايا عدة إلى مراكز علمية رائدة وصل صيتها خارج منطقة توات على غرار غيرها من الزوايا و منها:

[1]- الإدريسي (مولاي أحمد الطاهري)، **نسيم النفحات في ذكر جوانب في أخبار توات**، مخطوط خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، ص 10.

ث. الزاوية التنلانية:

شكلت هذه الزاوية مركز إشعاع علمي انعكست أنوارها على إقليم توات وغيره من بلاد إفريقيا لما اجتمع فيها من الأعلام ما افترق في غيرها، تخرج منها العديد من الفقهاء وعلماء الدين آثروا الساحة العلمية[1] بل هي مزرعة المعرفة في الصحراء الجزائرية واتصف أعلامها بالجد والاجتهاد والنشاط ونشر العلم والارتحال من أجل تعليمه وتعلمه فكان منهم الفقهاء والقضاة والأدباء وحفظة القرآن وحملة تشريع الشريعة للبلدان والرحالة فاشتدت لها الرحال واشتدت منها وارتبطت بغيرها من قصور توات أخذا وعطاء، ولقد نوه الكثير من المؤرخين والعلماء برجال تنلان في الوثائق والتراجم والإجازات والكتب وحفظ لهم التاريخ ثروات علمية هامة في الثقافة وعلم الشريعة وفنون عديدة.[2]

وقد تأسست هذه الزاوية على يد الشيخ سيدي أحمد بن يوسف فكانت رزق الله الواسع والنور الساطع في الخمسينات أواسط القرن الحادي عشر للهجرة ومن أعلام هذه الزاوية التي هي إحدى قصور تيمي في الشمال الشرقي لمدينة أدرار نبدأ بالمؤسس سيدي أحمد بن يوسف المولود بأولاد ونقال سنة 1002هـ والمتوفي سنة1058هـ وهو الشيخ أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن مُحَّد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسين بن يوسف بن أحمد بن داود بن مُحَّد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دادان بن سكناس بن مغرور بن قيس بن مُحَّد بن قيس بن مُحَّد بن مُحَّد بن...بن عثمان بن عفان[3] وله أربعة أبناء هم السيد عبد الكريم وأبناءه أولاده السيد أبو الأنوار وأهل اقبلي وأهل أُولف وأبناء الحاج مُحَّد في تنلان والسيد عبد الله في أولاد ونقال.و الإبن الثاني السيد مومن لم يبقى من ذريته إلا السيد الوالي، والإبن الثالث السيد عبد القادر جد السيد عمر الأكبر والأصغر وأولاده و أولاد بقدير وأولاد عمهم في ورقلة، أما الإبن الرابع هو السيد مُحَّد كان عقيما لم يولد له شيء والإبن الثاني للسيد يوسف والد السيد أحمد(المؤسس)وهو السيد معروف أخو المؤسس له ابنان وهما عمر والد الشيخ سيدي عبد الرحمن بن بعمر وجد سيدي البكري والسيد عبد

[1]- خير الدين شترة، **الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2013م، ص 206.

[2]- باي (بلعالم مُحَّد)، **الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني**، الجزائر: دار هومة، 2004م ص - ص 3، 4.

[3]-مُحَّد باي بلعام، الرحلة العلية الى منطقة توات، مج1 ، مرجع سابق، ص- ص82، 83.

الحميد جد السيد يوسف الشاعر[1]وتفرع شجرة الشيخ ماشاء الله في ذلك من أعيان وأعلام وعلماء يمكن الرجوع إليهم في الكثير من المراجع خاصة للشيخ مُحَّد باي بلعالم.

فالشيخ سيدي أحمد بن يوسف الونقالي الذي ولد بأولاد ونقال وأسس زاويته تنلان بتاريخ مذكور سابقا في11رمضان 1058هـ/1648م يقول فيه المهداوي: "فبنى جامعها وحفر فقاراتها وعمر قصرها وبساتينها وجعل كل ذلك صدقة"[2]وقال عنه السيد مُحَّد بن عبد الكريم البكراوي في ترجمة الشيخ المؤسس لتنلان قال: "كان شيخا عالما، ماهرا في علم الحديث وغيره، له أشعار جيدة وتآليف مفيدة، وكان يدرس الحديث بقصر المنصور و وقع بينه وبين أخواله بغضا فورخ في ذلك...كان أكثر الناس صبرا وأوسعهم إخلاصا أخذ عن شيخه سيدي عبد الكريم بن مُحَّد بن أبي مُحَّد.. "[3]

وقد تناوله الكثير من علماء توات في تآليفهم بالوصف الحسن لمحاسنه وأعماله بالإضافة إلى ذلك أشهر علماء هذه الزاوية الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني والشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن والشيخ عمر بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني الأصغر والشيخ أبي الانوار بن عبد الكريم التنلاني والشيخ الشاذلي بن عمر بن عبد القادر التنلاني والشيخ أبي زيان مُحَّد فتح بن عبد الرحمن التنلاني.[4]

هذا وقد تعلم الشيخ مُحَّد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني على يد والده وعن شيخه أبي العباس سيد أحمد بن عبد العزيز الهلالي فكان إماما في المذهب المالكي ودرس أمهات المذهب وتضلع في النحو والعروض والمنطق، فقد كان ينسخ الكتب كثيرا ويدرس ويفتي، رحل إلى زاوية كرزاز واتبع طريقتها الموساوية وصار مقدما لها، له فتاوي كثيرة سجلت له في مخطوط الغنية توفي عام1233هـ/1817م .

[1]– مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مج1، مرجع سابق، ص 83.

[2]– بعثمان (عبد الرحمان)، الدور العلمي للزاوية التنيلانية، الملتقى الوطني الربع إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية أبان العصر الحديث 1500-2000م، جامعة أدرار، 19/ 20 ابريل 2010م ، ص 81.

[3]– مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مج1، مرجع سابق،ص 81.

[4]–عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق،ص 10 ومابعدها.

إن شهرة الزاوية من شهرة أعلامهاكثيرة الأحفاد من أهل العلم والدين استقطبت العديد من شاغفي العلم والمنجذبين إليه من أصقاع الإقليم وخارجه، وقد برز أهل تنيلان في مجال الرحلات فتركوا العديد منها، نذكر مثلا في باب الرحلات الحجازية[1]، رحلة عبد الرحمن بن عمر إلى الحج سنة 1188هـ/1774موفي باب الرحلات العلمية نذكر رحلة عمر بن القادر التنلاني التوتي لطلب العلم في فاس (ت1152هـ/1739م)ورحلة عبد الرحمن بن عمر التنلاني لطلب العلم بسجلماسة، أما الرحلات ذات الأبعاد الثقافية والاجتماعية نذكر رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنلاني إلى مدينة الجزائر العاصمة سنة1231هـ/1816م ورحلة عبد الرحمن بن عمر إلى بلاد التكرور وأن أهم ميزة انفرد بها علماء تنلان خلال القرن 12هـ الثاني عشر الهجري أنهم كانوا موسوعيين فنجدهم متضلعين في علوم اللغة والفقه والحديث مع نبوغهم في فنون الأدب والرحلات والتاريخ.

ومن هنا نستنتج أن الزاوية التنلانية تعتبر نموذج للدعوة والإرشاد والفتوى بإفريقيا والمغرب الإسلامي في ذلك الوقت ورغم أن إقليم توات لم يستطع أن يشكل وحدة سياسية ثابتة إلا أن علماء توات عرفوا كيف يسيرون هذا المجتمع بتشكيل مايعرف بحكم الجماعة من خلال عمل شيوخ الزوايا في القضاء والفتاوى وفصل النزاعات لسكان المنطقة.

ويعد عبد الرحمن بن عمر التنلاني الرائد الأول في تدوين الرحلة التواتية بناء على ما خلفه من مخطوطات ومدونات علمية وأدبية وشرعية مثمرة.

ويمكن القول أن رحلة الشيخ عبد الرحمن التنلاني منتوات إلى مكة مرورا بالصحراء الليبية و البلاد المصرية وحواضر الحجاز، رحلة لا تخلو من فوائد تاريخية وجغرافية هامة.

ويبدو أن زاوية تنيلان خلال نهاية القرن 11هـ وبداية القرن12هـ نافست زاوية تمنطيط حيث عرفت أزهى عصورها وذروة عطاها، فبعد الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد التنلاني الذي أعطى نفس جديد للزاوية حيث تصدر التدريس وقصده طلبة العلم من كل نواحي توات نظرا لغزارة علمه وحسن تدريسه، فقد تخرج على يده الكثير و الذين أثروا على الساحة العلمية في توات ومن أشهرهم

[1]– مخطوط، خزانة بن الوليد عبد القادر باعبد الله، تيمي أدرار.

الشيخ ابوزيد عبد الرحمن الجنتوي والشيخ عمر بن المصطفى الرقادي، والشيخ مُحَّد بن أب المزمري وعبد الرحمن بن عمر التنلاني.

ج. زاوية أبي حفص أي زاوية المهدية:

تأسست هذه الزاوية على يد الشيخ لفقيه أبو حفص عمر بنعبد الرحمن بن عبد القادر بن سيدي أحمد بن يوسف التنلاني سنة1119هـ/1707م في منطقة المهدية بعد أن فجر المياه وأنشأ البساتين[1]وقد اعتنت الزاوية بالتدريس وتحصيل العلم وكذلك استقبال عابري السبيل واستضافتهم وإطعامهم وإصلاح ذات البين وتنظيم عقود الزواج وكل الإصلاحات الاجتماعية في المنطقة، لذلك اعتمدت في تموينها على الهبات والهدايا والصدقات من ميسوري الحال على شكل أموال وماشية وإبل ويطلق عليها بالزاوية المهدية لأن مقرها بقصر المهدية إحدى قصور تيمي على بعد 7كلم جنوب غرب أدرار.

ح. زاوية عين صالح:

تميزت بنشاط ثقافي عظيم لوجود العديد من المشايخ العلماء من بينهم سيدي إبراهيم بن أحمد الانصالحي وسيدي عبد العالي بن أحمد الانصالحي، وغيرهم من الفقهاء الذين رفعوا لواء العلم في منطقة تيديكلت أمثال الفقيه سيدي أحمد بن الفقيه وسيدي إبراهيم وسيدي مُحَّد بن بلحاج وأعلام أولاد الحاج وأولاد أبي القاسم وقد توطدت علاقاتهم بأعلام تنلان وغيرهم عبر مواسم عبور الحجيج على قصور تيديكلت[2]، مما جعل الزاوية تستفيد من موقعها في تقاطع محورين هامين اقتصادي تجاري وعلمي ثقافي، لحركة التجار والطلبة من بلاد السودان إلى إقليم توات.

[1]- مُحَّد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، ط2، اجزائر، دار هومة، 2002م، ص85.

[2]- بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية والثقافية بأقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن12هـ/ 18م، رسالةماجستير في التاريخ العام، تخصص التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي، اشراف د. حوتية مُحَّد، جامعة أدرار، أحمد دراية، 2011م-2012م، ص 122.

خ. زاوية جنتور:

بقصر قنتور أحد قصور تينجورارين أو تيكورارين، انتسب اسمها للشيخ الجنتوري الذي استقر بها مدرسا وموجها ومصلحا، تأسست على سيدي الحاج لحسن الشريف منذ القرن الثامن هجري الموافق للقرن الرابع عشر ميلادي واعتنى بها أحفاده بتدعيمها بخيرة العلماء مثل:الشيخ الجنتوري، وقد ساهمت هذه الزاوية في نشر اللغة العربية وآدابها خاصة لأن المنطقة يغلب عليها اللهجة الزناتية الأمازيغية.

د. زاوية بدريان:

تقع بناحية تيكورارين تيميمون وأسسها مُحَّد عبد الله الصوفيفي مطلع القرن 11هـ/17هـ سنة1004م وهي تعتبر ثمرة جهود أقطاب التصوف الثلاث في عائلة الصوفي وهم سيد الحاج بومُحَّد وولده، سيد الحاج الصوفي ثم ولده سيدي مُحَّد عبد الله الصوفي، وقد تعددت أدوارها من إطعام وتعليم ومحطة لركب الحجيج زيادة على حفظ الرسائل والمخطوطات والمصنفات والمؤلفات من وثائق تحبيس (الوقف) أو أحكام قضاء أو فتاوي ونوازل وغيرها كثير بالإضافة إلى استقبال مريدي الطريقة.

ذ. زاوية سيدي عمر بن صالح بأوقروت:

ظهرت هذه الزاوية أيضاً كمركز إشعاع ثقافي وعلمي بمنطقة أوقروت، أسسها الشيخ سيدي عمر بن مُحَّد بن الصالح خلال القرن العاشر هجري، تشتهر باسم زاوية سيدي عومر الذي توفي عام 1008هـ/1599م، وفد عليها الطلبة والضيوف من كل الجهات، نزل بها العياشي سنة 1072هـ/1661م وذكر ذلك في رحلته يقول: "...وكنا نزلنا بقرب زاوية سيدي عمر بن مُحَّد صالح الأنصاري الخزرجي الشامي، ولقيت بها رجلا ممن ينتحل الفقه، اسمه سيدي مُحَّد ابن علي بن أبي بكر، وهو في غالب الظن من أهل الخير وله بعض الخبرة بفروع الفقه..."[1]ومن أشهر شيوخ هذه الزاوية مُحَّد بن علي النحوي الأوقروتي وقد تخرج منها علماء كثيرون منهم الشيخ سيدي علي بن حنيني والشيخ البكري وكان بها طلبة من خارج الإقليم مثل مُحَّد بن عبد الله ابن عبد الكريم الوطاسي

[1]- مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، وزارة الثقافة، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع،2009م، ص 145.

والأديب عبد الحكيم بن عبد الكريم السجلماني[1] وهنا يؤكد لنا أن شيوخ الزوايا كانوا يتهافتون على كل عالم ذي علم في نواحي إقليم توات وخارجه وكذلك يتوافد عليه العلماء والطلبة من الخارج إليه، فلا يميزون في أخذ العلم من هذا دون ذاك أو زاوية وقصر صغير عن زاوية كبيرة ومشهورة.

ر. زاوية اقبلي بتديكلت:

عرفت شهرتها في القرن الثاني عشر ميلادي على يد مؤسسها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمان العقباوي أبي نعامة سنة 1137هـ/1725م فذاع صيتها للدور العلمي الذي كانت تقوم به من تدريس الطلبة كما كانت مجمع قوافل الحجيج القادمة من توات وبلاد السودان، مما يتيح فرصة تلاقي العلماء والمشايخ وتبادل الكتب ونسخها، كما كان الشيخ أبو نعامة أميرا لركب الحجيج القادمة من توات بقيادة الشيخ أحمد بن الحاج أمين الغلاوي التواتي شيخ ركب الحجيج لبلاد التكرور، فهو يقودها إلى أرض الحجاز. كما يوجد بالزاوية خزانة عظيمة للمخطوطات والكتب.

وإلى جانب هذه الزوايا التي تطرقت إليها هناك العديد من زوايا العلم بإقليم توات قد لا يتسع المجال لذكرها كلها تفضيلا، منها زاوية كوسام وزاوية الشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم التنلاني بتيديكلت التي غلب في الأخير عليها اسم زاوية مولاي هيبة بن مُحَمَّد وزاوية سيدي حيدة وزاوية الحاج بلقاسم بتيميمون وزاوية تسفاوت والزاوية الرقانية وزاوية الشيخ الحاج بن عبد الكريم المغيلي وزاوية الجديد وغيرها كثير.

ونستنتج من خلال ما درسنا لهذا الإقليم أنه يشتهر بإنتشار الزوايا والمدارس القرآنية التي تتميز بالإعتدال والوسطية المستوحاة من المرجعية الدينية ولازالت إلى غاية اليوم تؤدي رسالتها الدينية من تلقين علوم الدين الإسلامي وأصوله وهذا ساهم في إرساء منظومة إجتماعية متماسكة ومنسجمة والتي بنيت أسسها على قيم السلف الصالح في التسامح والتآلف والاستقرار الإجتماعي والعيش المشترك وقد أكد الشيخ الدباغي أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال إغفال الدور الكبير الذي أدته الزوايا المنتشرة بهذه المنطقة ومدارسها القرآنية في إرساء أسس العيش المنسجم في كنف السلم والإستقرار مما جعل من منطقة توات محل استقطاب لعديد الشعوب من مختلف الأمصار والأصقاع.

[1]- مبارك بن الصافي جعفري، مرجع سابق، ص 146.

وقد تناولنا عن هذا الإقليم مجموعة قليلة من كثرة من الزوايا في منطقة توات وهي زوايا العلم وقد يرجع تاريخ نشأة هذه الزوايا إلى نشأة المنطقة التواتية بمناطقها الثلاث توات، تيدكيلت وجورارة حيث يؤكد الشيخ مُحَّد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية: "...فتوات هي الزاوية والزاوية هي توات والأدلة على ذلك كثيرة ويتجلى في أن إسم الزاوية قد أطلق على كثير من قرى البلديات، وما ذاك إلا أكبر دليل على العناية التي كان يوليها سلفنا الصالح لهذه المؤسسة التي أسسها رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضي نحبه ومنهم من ينتظر..."[1]

فمن خلال ذلك تظهر لنا مناطق بأسماء الزاوية مثل زاوية حينون التي يرجع تاريخ تأسيسها إلى دخول الإسلام للمنطقة وزاوية بلال بآنزجمير وزاوية لحشف بسالي وزاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل وزاوية الدباغ وزاوية بوغرارة بتيميمون والقائمة طويلة وعلى رأسها المدرسة والزاوية للشيخ سيدي مُحَّد بلكبير.

لقد حاولت دراسة بعض هذه الزوايا بمنطقة توات رغم أنها كثيرة ومهما حاولت منحها حقها في الدراسة لا أعتقد ذلك لأن حتى المطلع عليها لا يستطيع أن يكتفي منها، وعليه يجب دراسة الزوايا المتواجدة بإقليم الساورة وعلى رأسها الزاوية الكرزازية، زاوية أحمد بن موسى الكرزازي والزاوية الزيانية.

3)الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الساورة:

لقد أرخت معظم المصادر التاريخية للمنطقة وخاصة ما تعلق منها يكتب الرحلات على أن المستوى الثقافي والديني لسكان منطقة الساورة بما فيها بشار قبل تأسيس الزوايا كان متدينا وبحاجة ماسة لنهضة فكرية وبعث ثقافي، حتى مدينة بني عباس التي كانت تمثل حاضرة علمية ومركز إشعاع ثقافي في عهد الشيخ الفقيه أحمد بن أبي محلي (967هـ-1560م/1022هـ -1612م) قد أصابها الوهن ويذكر الرحالة العياشي في رحلته المعروفة بماء الموائد مظهرا من مظاهر ذلك التخلف في قوله أنه: ...لما وصلنا بني عباس وجه إلي سيدي إبراهيم السوسي وكان معنا في الركب سؤال منظوم في ثلاثة أبيات وحاصله أنه قال: ...هل يجوز للشاعر اللحن في القوافي أم لا ؟ فاستهجنت هذا

[1]- مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مج1، مرجع سابق، ص 343.

السؤال واستنكرت أن يكون صاحبه ممن له بضاعة من الأدب ماسة، وعلمت أن قصده السؤال عن ضرائر الشعر، وما يقع فيه مما هو بعيد عن منهج العربية، ولا يجري على قواعدها، فأجبته بأبيات مضمونها أن اللحن لا يسوغ في شيء من الكلام نظمه ونثره، إلا أن النظم لما أضيف من النثر اغتفرت فيه أشياء كثيرة لا يفتقر مثلها في النثر ولا يسوغ".[1]

أماالرحالة أحمد الهشتوكي فيبرز دور العلماء في تصحيح المفاهيم الدينية وشعائره إذ يقول "...فقمنا يوم الجمعة في أجنتهم إلى أن حان وقت الجمعة فدخلت أنا ومولانا عمر فصلينا في قصرهم –بشار– الجمعة فوجدنا أكثرهم قاعدين في أزقتهم غير مبالين بصلاة الجمعة فخاصمناهم خصاما شديدا وذكرنا لهم عصاة أثموا على فعلهم إثما شديدا".[2]

والواقع أن تدهور الحياة الثقافية والفكرية ظاهرة عمت كل بلاد المغرب خلال القرن السابع عشر وحتى الحواضر الكبرى كفاس وتلمسان لم تسلم منها وذلك من خلال الوصف الذي وصفه أبو القاسم الزياني لتردي الوضع الثقافي بتلمسان"...وهؤلاء الطلبة بتلمسان ليس فيهم من يحسن منطقا ولا لغة ولا عربية ولا صلاح اللسان ولا يتعاطون الفروع الفقهية والأحاديث النبوية ..."[3] وهي فترة مرت على منطقة الجنوب الغربي للجزائر بما فيه مناطق أخرى من الشمال، ولكن لا يمكن إهمال دور الوافدين من الطلبة والعلماء في إثراء الحياة الثقافية وتنشيط الحركة العلمية لمناطق الجنوب الغربي بما فيه الساورة على غرار غيرها من أقاليمه.

ومن هنا نلاحظ أن داء التدهور الذي أصاب الحياة الثقافية بالجنوب الغربي من توات والساورة وغيرها كان في نفس الفترة الزمنية.إن دل على شيء إنما يدل على الترابط بين أقاليم المنطقة الجنوبية وتأثرها بما يحدث في أغلب مناطقها والفضل فيه هنا يعود إلى سيرورة الحركة الثقافية المتمثلة في

[1]– العياشي عبد الله بن مُحَمَّد، الرحلة العياشية الى الديار النورانية، مج2، مصدر سابق، ص 77.

[2]– أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن داود بن يعزى التنملي الهشتوكي (ت 1127هـ / 1715م) هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، مخطوط رقم ق 190، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب، ص97.

[3]– الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991م، ص 144، مُحَمَّد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، 1903م – 1962م، دار ام البراهين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، ص ص 328، 329.

الرحلات العلمية لمختلف العلماء المتنقلين بين جنباته بحثا على نهر للنهل منه مما ساهم في تنشيط الحركة الثقافية وتجديد حيويتها من جديد.

وهنا نستعرض زوايا منطقة الساورة أي بشار حاليا وهي:

أ) الزاوية الزيانية:

وهي من الزوايا التي تفاعلت وأثرت في الحياة الثقافية للمجتمع، مقرها القنادسة وهي مدرسة للتعليم ومركزا لترسيخ الثقافة الإسلامية الصوفية، توافد عليها أفواج من طلبة العلم من كافة المناطق خاصة لوفرة مراكز الإيواء والإطعام بها كما تردد عليها مشايخ وعلماء كثر من بينهم الشيخ أبا الحسن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الحاحي والشيخ مُحَمَّد بن عبد الله التلمساني الذي كان عالما بشتى علوم المنطق والبيان وهناك أيضاً العلامة إدريس بن مُحَمَّد المنجرة الذي زار الزاوية عام 1136هـ /1723مُدوّن زيارته تلك في مؤلفه "عذب الموارد في رفع الأسانيدً" وعن ملاقاته للشيخ مُحَمَّد بن بوزيان يقول: "لقيته ببلدة واستفدت منه، لقيني وواعدني وصرح لي بما أرجو الله في حصوله وأكثر"[1] وقد اتخذت الزاوية حفظ القرآن الكريم بالمداومة على قراءة الحزب اليومي بعد صلاتي المغرب والصبح من كل يوم وقد تفرد الشيخ مُحَمَّد بن أبي زيان عن غيره بإضافة طريقة المذاكرة والمناظرة في تلقين العلوم الدينية وتثبيت مبادئها حتى يتسنى لهم مناقشة القضايا المطروحة والمسائل المعقدة لتدريب الطلبة على الإبداع والخروج من دائرة الإتباع إلا في حالات الضرورة والعمل على ربط العلم بالتزكية المجاهدة أي تزكية النفس الميالة إلى الراحة والتعالي ومجاهدتها على القراءة وطول المذاكرة مع الشيخ ومجالس العلم والذكر، يمد الطالب بطاقة روحية يلمس المزيد من تجلياتها في قوة التركيز والإنتباه —فلقد كان الشيخ أكثر قربا من طلبته حيث كان يتفقدهم ويواسيهم خاصة الذين جاءوا من المناطق البعيدة ويكرمهم ويسمح لهم بزيارته في كل يوم أربعاء من الأسبوع.[2]

[1]– الفندوسي أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد بن القاسم، شراب أهل الصفا في الصلاة علر النبي المصطفى، تحقيق خمادي عبد الله، خونا أحمد محمود الجكني، الجزائر، دار الهدى، 2008م، ص 70.

[2]– التازي علي عبد القادر، منهل الضمان ومزيل الهموم والكرب والاحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا مُحَمَّد بن أبي زيان، مخطوط موجود بخزانة الزاوية القندوسية، ولاية بشار، غير مصنف، ص ص 194، 195.

هذا وقد كان لهم إسهامات متنوعة أثروا بها الثقافة العربية الإسلامية بالعديد من المخطوطات التي تناول أصحابها مواضيع مختلفة فالتأليف كان له نصيبه في تقييد ما كان يدلي به العلماء في حلقات الدرس أمثال الفقيه الحاج علي بن عبد الرحمان التازي الذي تتلمذ على يد الشيخ بن بوزيان وألف كتابه "منهل الظمآن ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج مُحَمَّد بن أبي زيان" والفقيه عبد الرحمان بن مُحَمَّد اليعقوبي في مؤلفه"فتح المنان في سير الشيخ مُحَمَّد بن بوزيان" وألف الفقيه مُحَمَّد مصطفى بن الحاج البشير القندوسي كتابه " طهارة الأنفاسً والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المحمدية ".[1]

إن الزاوية الزيانية التي أسسها الشيخ سيدي مولاي أحمد بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن أبي زيان بن عبد الرحمان بن أحمد بن عثمان بن مسعود بن عبد الله الغزواني بن عجال بن سعيد بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي حرمة بن سلام بن عيسى بن مزوار بن علي حيدرة بن مُحَمَّد بن إدريس بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ ولد سنة 1631 بقصر تاغيت بولاية بشار وتوفي عام 1143هـ/1732م والده عبد الرحمان بن مُحَمَّد بن أبي زيان من قصر بربي ببني جومي من قوم يقال لهم البيزان كانوا قد هاجروا من بربي إلى نواحي مكناس، قبرهما في تاغيت توفيا وتركا إبنهما يتيما فكفله أعمامه إلى أن بلغ فعاد من تاغيت إلى القنادسة التي حينها كانت تحت حماية قبيلة ذوي منيع، فنزل عند عمه الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الرحمان الذي كان موجودا بالزاوية التي كانت تنسب إلى الشيخ عبد الرحمان بن أحمد والمسماة بالزاوية الرحمانية وقد تكفل عمه بمصاريف رحلته إلى سجلماسة (تافيلالت) بالمغرب وتمكن على يد الشيخ العلامة مبارك بن عبد العزيز العنبري الذي كان يعرف بالشيخ مبارك بن عزي من دراسة العلوم الإسلامية بجميع فروعها.

إلا أن ظهور الإضطرابات في المنطقة جعلته ينتقل إلى فاس حيث أحسن إليه المحسنين بتأمين مصاريف تعليمه فتابع دراسته في المدرسة المصاحبة على يد فطاحل علمائها كالشيخ قسوس والشيخ عبد القادر الفاسي ثم توجه بعدها إلى أداء فريضة الحج فمكث بالمدينة المنورة ومكة المكرمة لطلب العلم وبعدها عرج على الجامع الأزهر ثم إلى جامع الزيتونة بتونس حيث أتم دراسته ومنها رجع إلى

[1]- مُحَمَّد برشان، مرجع سابق، ص 332.

القنادسة عام 1098هـ/1686م حيث أسس زاويته وبدأ بالتدريس ونشر العلم بالمسجد العتيق وقد تتلمذ وتخرج على يده العديد من الطلبة من شتى بقاع المغرب العربي واستقبلت زاويته الألوف من الزوار وكان يلقن أوراد طريقته التي أخذها عن شيخه أبي عبد الله مبارك بن عبد العزيز العنبري الغرفي السجلماسي الفيلالي وهو عن شيخه أبي عبد الله مُحَمَّد بن ناصر الدرعي صاحب زاوية تمكورت بوادي درعة بجنوب المغرب، فهي الطريقة اليوسفية مليانية زروقية شاذلية. وبعد وفاته تولى تسيير الزاوية ابنه الشيخ مُحَمَّد لعرج بعد موافقة كل أهالي البلدة والقبائل المجاورة ويقول فيه العلامة مُحَمَّد بن الطيب القادري المتوفي عام 1187هـ/1773م في كتابه نشر المتاني: "...ومنهم الشيخ الكثير التلاميذ والأتباع أبو عبد الله مُحَمَّد ابن بوزيان القندوسي والقنادسة بلاد ذات نخيل بالصحراء على مسيرة يوم من فجيج يحدث عنه أصحابه بكرامات وحسن السيرة وخلف أولادا يسلكون طريقه."

ويمكننا أن نلاحظ هنا الظرف الصعب الذي مر به شيخ الزاوية الزيانية أثناء رحلته العلمية جعله يكرس حياته في تأسيس زاوية بمنطقة القنادسة للتعليم والتدريس ونشر اللغة العربية وأسس الدين الإسلامي مما جعلها قطب ديني وثقافي يشد إليه الترحال لطلبة العلم فحافظت على وظيفتها العلمية والدينية وساهمت في تماسك المجتمع الساوري.

ب) الزاوية الكرزازية:

ظهرت هذه الزاوية بالجنوب الغربي بمنطقة الساورة وبالتحديد في كرزاز، تنسب إلى مؤسسها سيدي أحمد بن موسى بن خليفة بن موسى بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن علي حيدرة بن مُحَمَّد بن ادريس بن عبد الله كامل ابن حسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ.[1]

ولد الشيخ سيدي أحمد بن موسى سنة 898هـ بفاس حيث نشأ ثم ارتحل برفقة والده إلى بلاد كرزاز وهناك تاريخ آخر لمولده سنة 863هـ على لسان بوحسون الحاج بوفلجة ولد الشيخ سيدي أحمد بن موسى وقال الشيخ مولاي التهامي غيتاوي في كتابه الدرر"...ولد شيخنا ﵁ بفاس كما

[1]- حسوني مُحَمَّد، اللبانة الرمزية، مطبعة الريان، 2007م، ص- ص 119، 120.

حققه صاحب الاعتزاز ولم يكن له شك في أن مسقط رأسه بفاس، ولم يذكر تاريخ ولادته وإنما قال في أواخر القرن التاسع الهجري والذي حدثنا به الشاب الكريم أخونا في الله أبو فلجة بوحسون من آل الشيخ أن ولادته كانت سنة 897هـ".[1]

والظاهر أن هناك اختلاف على تاريخ ومكان ولادته ما يرجحه المؤرخون أنه ولد بفاس سنة 897هـ و هذا ما زكاه العلامة الشيخ الهاشمي الكتاني والعلامة الشيخ مُحَمَّد بن جعفر الكتاني الفاسي والشيخ السرغيني المراكشي والشيخ سيدي مُحَمَّد بن الحبيب المكناسي تعلم الشيخ أحمد بن موسى في فاس وعلى يد علماء وشيوخ في علوم الدين منهم الشيخ سيدي مُحَمَّد بن أبي جمعة الصوماتيالمكناسي ثم الفاسي المعروف بالهبطي صاحب وقف القرآن المعمول به عند المغاربة حيث حفظ القرآن وأجازه فيه ثم وجهه أبوه إلى علماء أجلاء جمعوا بين علوم الظاهر والباطن بفاس ومنها إلى سجلماسة عند الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمان السهلي[2] ثم إلى الإمام سيد أحمد لعروسي[3] وكذلك تعلم على يد الشيخ سيدي موسى والمسعود[4]بتوات، وهناك علماء آخرين منهم الإمام مُحَمَّد بن غازي المتوفي عام 918هـ وأحمد الغساني المتوفي عام 922هـ ومُحَمَّد بن إبراهيم الغساني المعروف بالوزير المتوفي عام 970هـ وكذلك الشيخ عبد الله قنون الحسني والإمام أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجوري الفاسي، المتوفي بفاس عام 995هـ[5]..

فقد تصدَّر في التدريس والفتوى بفاس وبأكبر مساجدها فانتشر صيته بالمغرب فقصده الطلاب من كل الجهات ولم يدخل الشيخ سيدي أحمد بن موسى منطقة الساورة إلا بعد اكتمال الأربعين من عمره بدعوة من أبيه فاحتضنه أهلها وأخذ على نفسه تعليمهم كبارا وصغارا وتهذيب أخلاقهم، فلانت طباعهم، بعدما عرف عنه حسن التدبير والإخلاص في عمله، فكانت طريقته أن يجمع أمور الدين من فقه ومعاملات وغيرها في شعر ملحون، وهذا مارغب فيه الكبار عادة لسهولة حفظه

[1]- مولاي غيتاوي التهامي، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي أحمد بن موسى، طبع ANEP، 2004م، ص69.

[2]- **الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن السهلي** من علماء سجلماسة عرف بالزهد والعبادة كان مجدوبا، توفي سنة 1539م .

[3]- **الإمام سيدي أحمد لعروسي** هو عالم من علماء الساقية الحمراء، توفي سنة 963هـ.

[4]- **سيدي موسى والمسعود**، شيخ جليل عرف بالعلم والتصوف، سكن قرية تاسفاوت بتيميمون حتى توفي.

[5]- عبد الله حمادي الإدريسي، أتحاف بني قومي ببعض أخبار حاضرة تاغيت وبلادها بني قومي، مرجع سابق، ص 65.

فاستنارت عقولهم وانشرحت صدورهم، فتنافسوا عليه وانهال عليه الطلاب من توات وتيمون وعين صالح وبشار وتلمسان وتلمسان وغيرها وقد قسم أوقاته بين العبادة والخلوة والذكر والتعليم والتوجيه والإرشاد والباقي من وقته لأسرته ذلك لأنه كان عالما وزاهدا منصفا، جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة والأصول والفروع من الفقه وتفسير الحديث والنحو وغير ذلك.

توفي الشيخ أحمد بن موسى في 17ربيع الأول 1013هـ وعمره يناهز 115 سنة وضريحه قرب زاويته بقصر الزاوية الكبيرة بكرزاز[1]، وما يميز هذه الزاوية الكرزازية بالرغم من أنها اتخذت اذكارها من الطريقة الشاذلية إلا أنها زادت عليها أذكارا كالبسملة في الأذكار الصباحية ويطلب من مريدها فهم أذكارها وأسرارها وعدم البوح بها لاحد كما أنها لا تلقن لقليلي العلم والصغار الذين لم يبلغوا الرشد كما تشترط فيها السبحة وتلتزم مريدها بذلك وهدفها تنقية الباطن من الأمراض والعلل من عقائد شركية باطلة والتحلي بالأخلاق الإسلامية والرقي بالمريدين إلى درجة الإحسان في العبادات حتى بلغوا مرتبة يشعروا فيها أنهم في الحضرة الإلهية والغرض زيادة ترسيخ الإيمان في القلوب ونشر علوم الرع بين الناس[2].

وتمر السلسلة في أحفاد سيدي أحمد بن موسى الكرزازي ومنهم عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن أحمد بن موسى المدعو أبو فلجة الكرزازي المؤسس الثاني للزاوية الكرزازية سنة 1115م إلى أن تصل إلى الشيخ أحمد بن مُحَمَّد الشيخ الحالي للزاوية ورغم أنها تعتبر من زاويا العلوم الرائدة في الحركة العلمية والثقافية في الجنوب الغربي لكن تبقى لها طريقتها في التصوف وهي الطريقة الموساوية المتفرعة من أصول الطريقة الشاذلية كما أسلفنا ذكر ذلك.وظلت هذه الزاوية معهدا لتحصيل العلوم الدينية واللغوية ومجالس لتثقيف العامة من الناس، كما حفظت للمنطقة قيمتها الروحية والوطنية.

[1]- **كرزاز** هي بلدة قديمة توجد على بعد 332 كم جنوب ولاية بشار وتبعد عن أدرار بنحو 250كم أصبحت دائرة عام 1986 م، تقدر مساحتها الإجمالية 10520كم مربع، ومعنى اسمها المكان الضيق لوضعيتها الجغرافية الضيقة المحصورة بين الكثبان الرملية والروابي الصخرية.

[2]- عبد الله حمادي الإدريسي، إتحاف بني قومي ببعض أخبار حاضرة تاغيت وبلادها بني قومي، مرجع سابق، ص 66.

ت) الزاوية الشيخية:

تأسست على يد الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد السماحي البوبكري نسبة إلى أبي بكر الصديق وهو حفيد سيدي سليمان بن أبي سماحة في حدود سنة 1568م بمنطقة بني ونيف شمال مدينة بشار.

ث) زاوية سيدي عبد الرحمن بن السهلي:

بوادي قير والزاوية الفوقانية ببني قومي تعرف بزاوية سيدي إبراهيم وحفيده من بعد سيدي عبد المالك بونقاب[1].

ج) الزاوية التحتانية ببني قومي:

أسسها سيدي زكري بتبلبالة والتي عرفت أيضاً بزاوية المرابطين نسبة إلى مؤسسها سيدي أبي زكري بن زكريا بن مولاي ناصر بن مولاي عبد الله بن مولاي مُحَمَّد بن مولاي علي بن إدريس بن مُحَمَّد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن فاطمة الزهراء [2].

ح) زاوية رب العالمين:

بقرية بني يخلف ناحية قرزيم بوادي الساورة ولاية بشار، مؤسسها المرابط سيدي عبد الله بن الشيخ الفارسي القادري الغلبوني الساوري (ت1140هـ/1728م)اشتهر أسلافه بالمرابطين كغيرهم من رجال الزوايا الصوفية ويصل نسبة إلى عبد القادر الجيلالي، فهو سيدي عبد الله بن مُحَمَّد بن الشيخ بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن يوسف بن فارس بن عبد العزيز بن عبد الله بن عيسى بن السيد عبد القادر الجيلاتي بن موسى بن عبد الله بن يحي بن مُحَمَّد بن داود بن موسى بن الكيلاني بن عبد

[1]- عبد الله حمادي الإدريسي، اتحاف بني قومي ببعض أخبار حاضرة تاغيت وبلادها بني قومي، مرجع سابق، ص 67.
[2]- مُحَمَّد برشان، مرجع سابق، ص 344.

الله بن موسى بن الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء[1].

أما نسبه بالغلبوني الساوري فإلى قصر غلبون أحد قصور وادي الساورة بصحراء بشار وقد اندثر هذا القصر اليوم وقد أسس سيدي عبد الله بن الشيخ زاويته التي دفن فيها بقرية بني يخلف ناحية قرزيم جوادي الساورة وطريقته الصوفية الشاذلية في أصلها إلا أن الذين خلفوه بالزاوية، سلكوا الطريقة القادرية ولقنوا أورادها ماضيا وحاضرا وهو أخذ هذه الطريقة الشاذلية عن شيخه سيدي عبد المالك المكنى بونقاب من بن أبي بكر بن ابراهيم القومي(ت1076هـ/1665م)صاحب الزاوية الفوقانية ببلاد قومي وعن شيخه سيدي أحمد بن موسى بن خليفة الساوري (ت1013هـ/1604م) كانت مهمة الزاوية الإصلاح والإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الله على بصيرة والنصح للمسلمين، توفي سيدي عبد الله بن الشيخ ببني يخلف في 12ذي الحجة عام1140هـ/1728م بعد أن أوقف جميع مصالح زاويته لله رب العالمين حتى سمي"عدو العلامة مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الطيبن أبي محلي القاصاوي الخلفاوي الساوري فسميت هذه بزاوية رب العالمين "[2]وبعده نقل مقر الزاوي من بني يخلف إلى محل آخر من ممتلكاته وهو قصر قريب من بني يخلف يسمى قزريم وهي به إلى اليوم.

وانتهجوا فيها طريقة الإحداد من تعليم القرآن الكريم وإصلاح ذات البين وإطعام الطعام والدعوة إلى الله والنصح للمسلمين وشيخها الحالي هو سيدي الحاج مُحَمَّد بن الحاج أحمد بن مُحَمَّد البدري بن مُحَمَّد المكي بن أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن بن سيدي عبد الله بن الشيخ، ونلاحظ أن منطقة الساورة تتعدد بها الزوايا كغيرها من الأقاليم ومعظمها زوايا إطعام وإصلاح ولكنها لا تحيد عن طريق التعليم ونشر تعاليم الدين الإسلامي وأصوله ومبادئه[3].

فنلاحظ أن من هذه الزاويةالتي كانت ببني يخلف تفرعت إلى زاويةرب العالمين بقرزيم ثم تفرعت إلى عدة فروع في نواحي الساورة منطقة بشار وتقريبا سارت على نفس النهج والورد والعمل،

[1]- نفسه.

[2]- عبد الله حمادي الإدريسي، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي الساورة وفروعها بالصحراء المغربية الشرقية تاريخا ومناقب وبطولات، 2012م، ص 97.

[3]- نفسه.

وإلى جانب منطقة الساورة هناك في أقصى الجنوب الغربي توجد مدينة تندوف التي تزدان بزواياها كغيرها من الأقاليم للحفاظ على أصول الدين الإسلامي وتعليم وتحفيظ القرآن والحديث الشريف.

4)الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم تندوف:

إن أكثر الزوايا شهرة بإقليم تندوف هي زاوية سيدي مُحَّد المختار بن الأعمش ذلك لأن أسرة ابن الأعمش هي التي أسست مدينة تندوف وعمرتها وهي أسرة عريقة في العلم والدين والإصلاح، تنحدر من قبيلة تجاكانت التي سكن بعضها نواحي شمامة وتفرق بعضها الاخر في نواحي كثيرة مثل شنقيط والساقية الحمراء ووادي درعة وغيرها من المناطق الصحراوية الشاسعة.

والمعروف عن هذه الأسرة أن معظم أفرادها علماء لما قدموه للإسلام من أعمال جليلة وعلى رأسهم العلامة الشيخ ابن الأعمش الكبير المولود في شمامة التي أخذ العلم على يد علمائها الكبار فأصبح منهم وعند طريقه لأداء فريضة الحج مر بقبيلة تجاكانت التي نزل بها وتزوج منها فولد له ابنه مُحَّد المختار ابن الأعمش صاحب الزاوية المعلومة وتوفي ابن الأعمش الكبير قبل سنة1260هـ[1] تاركا ما أجاد به من علم وفتاوى ومخطوطات ذكر ذلك في ترجمته في كتابه المعسول للسوسي.

أما إبنه مُحَّد المختار ابن الأعمش مؤسس مدينة تندوف سنة 1267هـ أو 1270هـ[2]، كان من كبار العلماء الذين عمت شهرتهم في كل الجهات حيث يقول عنه السوسي في كتابه المعسول "هو فريد في العلوم وفي القراءات فإليه يصار في حل المعضلات وفتح أبواب المشكلات وأخذ العلم أولا عن والده وعن غيره من علماء شمامة ثم قصد الشيخ سيدي مُحَّد بن الشيخ المختار الكنتي فأخذ عنه ولازمه مدة أهلته ليكون من رجالات العلم المشهود لهم".[3]

والدارس لهذه الزاوية يتبين له العلاقة الوطيدة بين تأسيس مدينة تندوف وزاوية بلعمش فقيام الثانية بقيام الأولى حتى المؤسسيعد عالما من علماء هذه الأسرة التي تبنت الزاوية المدينة معاوبما أن

[1]- صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 541.
[2]- مرجع نفسه، ص 536.
[3]- مرجع نفسه، ص 542.

والده صهر قبيلة تجاكانت[1]نلاحظ أن الإبن عاد إلى أخواله من قبيلة تجاكانت في زمور[2]حيث زوجه رئيس القبيلة الديماني بابنته التي أنجب منها أبناءه وبعد وفاة الديماني رحل الشيخ مُحَّد المختار بن الأعمش شمامة[3]ليتفرغ لبناء مدينة تندوف بمساعدة أخواله وشاركت في البناء النساء المتحجبات ليلا والرجال نهارا فأنشأ أول شيء المسجد الأعظم ثم المنازل وكان هذا سنة 1270هـ فتولى الشيخ مُحَّد المختار ابن الأعمش تدريس الحديث بهذا المسجد، فانجذب لزاوية مُحَّد المختار ابن الأعمش العديد من العلماء المعروفين الذين درسوا بمسجدها ومكثوا طويلا بها مثل الشيخ مُحَّد محمود التركزي اعتنى بتدريس صحيح البخاري وغير ذلك وكذلك العلامة الشيخ ماء العينين والشيخ مُحَّد يحي الولاني وللشيخ مُحَّد المختار بن الأعمش مؤلفات كثيرة أنت مكتبة زاوية آل بلعمش بما احتوته من كتب ومؤلفات ومخطوطات في شيء العلوم كاللغة والنحو والفقه والتصوف وغيرها.

توفي الشيخ مُحَّد المختار بن الأعمش سنة 1384هـ دفن بمدينة تندوف وعلى ضريحه قبة بناها مولاي بن التوهامي من تلاميذ الشيخ وصهره.

من أبناء الشيخ مُحَّد المختار ابن الأعمش، الشيخ مُحَّد المولود أكبر أبنائه والشيخ مُحَّد الصغير والشيخ سيدي عبد الله بن مُحَّد المختار والشيخ سيدي مُحَّد أحمد بن مُحَّد المختار، سيدي أحمد يقن بن مُحَّد المختار(دكنا) والشيخ مُحَّد الأمين وكل منهم عالم في علوم الدين واللغة، فقيه زمانه فعائلة بن الأعمش أوآل بلعمش التي من بطن الموساني من تجاكانت توارثوا العلم والقضاء كابرا عن كابر لذا ذكر عنهم العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي قال: "العلم جكني".[4]

[1]- **تجاكانت**، وهي قبيلة عربية نزلت بتندوف خين بنتها نحو 1270هـ فيهم علماء وقضاة ومفتيون ومؤلفونوقد نزل بعضهم مدينة مراكش عند وفاة أبن الأعمش .

[2]-**زمور** :الواقعة بالشمال الغربي من بلاد موريتانيا الحالية، كما يقع جزء منها اليوم بالصحراء الغربية المحادية لتندوف.

[3]-**شمامة**: بلاد بالجنوب الغربي الموريتاني ببلاد القبلة منها تحاذي بلاد السنغال.

[4]- عبد الله حمادي الإدريسي، تندوف وتجكانت، تاريخا ومناقب وبطولات، ج1، دار الكتاب الملكي، وزارة الثقافة الجزائر، ص15 .

ويقول العلامة المغربي مُحَّد المختار السوسي المتوفي بالرباط عام 1383هـ/1963م في كتابه المعسول عن آل بلعمش: "أسرة كبيرة في العلم من قبيلة تجاكانت التي يقطن بعضها أصالة قطر شمامة...".[1]

وهناك أوصاف كثيرة لكتاب ومؤلفين عن العائلة التندوفية التي لعبت دورا هاما في الحفاظ على الموروث الثقافي والعلمي بالمنطقة والمخطوطات التي صانتها من الضياع شاهدة على ذلك كما ساهم فقهاء وعلماء وشيوخ الرقيبات بدور بارز في الحفاظ على المنهج الإسلامي القويم من خلال محاظرهم وكتاتيبهم التي تواجدت بوادي وحمادات تندوف والتي انتهجوا فيها طريقة تربوية تعليمية أصيلة، منها للشيخ الفقيه سيدي أحمد الرقيبي وكذا الفقيه الجليل والقاضي الألمعي توهامي سيدي لحبيب الذي تولى القضاء الشرعي بتندوف هذا الذي قضى فترة من عمره ببني عباس وتبلبالة وهو سليل عائلة فقهية ومحافظة بالإضافة إلى الحضارة الثقافية التي تعكسها زاوية أهل بلعمش ودويرة أهل العبد ودار الديماني الوسري ومخطوطات تتوزع على خزانة آلبلعمش وخزانة أهل العبد وخزانة الفقيه باليل الرقيبي صاحب زاوية ببادية تندوف .

أ. زاوية الشيخ سيدي أحمدالركيبي (الرقيبي):

تبعد زاويته عن إقليم السمارة حوالي 120كلم مرورا بوادي الساقية الحمراء، لم تتوان زاويته في نشر العلم المعرفة فقصدها الطلاب من مختلف الافاق وتخرج من مدارسهاومحاظرها عدد من الشيوخ والعلماء مثل مُحَّد البوهالي الركائبي المتوفى سنة 1313هـ/1895م ومُحَّد بن يوسف الركائبي المكتوفى سنة 1304هـ/1886م ومُحَّد بن عبد الرحمن الركيبي الطالبي وغيرهم.

ولد الشيخ سيدي أحمد الركيبي عام 999هـ/1590م بنواحي واد درعة في منطقة الخراويع وتوفي وعمره 75 سنة أما نسبه فهو سيد أحمد بن مُحَّد بن يوسف بن علي بن عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد بن موسى بن غانم بن كامل بن تكميل بن زين العابدين بن حيدرة بن يعقوب بن علي بن مزار بن مضار بن عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن عبد السلام الملقب بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن مُحَّد بن جزعة بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن مُحَّد بن إدريس الأزهر بن

[1]- مرجع نفسه، ص16 .

إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ.

وأخذ الشيخ سيد أحمد الرقيبي تعليمه في جامع الزيتونة بتونس كما عرف عنه الزهد في الحياة والإكثار من الخلوة للتفرغ للعبادة فكانت له خلوة في غار بازاء جبل زيني مكث فيها عابدا وذاكرا مدة عشر سنوات، عرفت هذه الخلوة باسمه إلى الآن وبعد خلوته خرج للناس واختلط بهم وتصاهر مع قبيلة سلام فأنجب ثلاثة أبناء من زوجته "العايزة"الذين تفرعت قبيلة الرقيبات عنهم وهم: القاسم واعل واعمر، وله منها بنت واحدة اسمها سلطانة وقد أدركته المنية في حدود 1075هـ/1664م بالساقية الحمراء[1] بواد الحبشي.

وقد اشتهر كثيرا بعلمه وإصلاحه على غرار غيره من العلماء بالمنطقة لأن تندوف منذ قرون وهي تعيش على النظام القبلي خاصة قبيلة الرقيبات وتحاكانت اللتان نشبت بينهما نزاعات كثيرة وفي الأخير استطاعتا أن تتكيفان تبعا لطرائق وأساليب المعيشة التي تفرض على الجميع الحركة المتواصلة قصد التجارة أو الرعي وهذا كان دوما طبع سكان الصحراء. وقد ضمت تندوف أحياء قد ذكرناهم سالفا المتمثل في حي أو قصابي الموساني وقصابي الرماضين وقصابي أهل العبد التي أسسها العبد ولد مُحَّد ولد الحرطاني وقد تضامنت هذه الأحياءوالقبائل للدفاع عن المنطقة ضد المستعمر الفرنسي وهذا لم يمنع الزاوية أن تتولى القيادة الروحية للذود عن المنطقة وضمان حماية السكان.ومن هنا نلاحظ أن المعلومات شحيحة عن زوايا تندوف في اللحظة التي نجد أن معظم المؤلفات تتحدث كثيرا عن زاوية ابن الأعمش التي أخذت نصيب الأسد باعتبارتأسيس تندوف من تأسيس الزاوية.

وفي ختام مبحثنا هذا يمكن أن نستخلص مايلي:

- أن منطقة توات قصورها زوايا وزواياها قصور، ولكل شبر منها تجد ضريح لولي صالح وعالم جليل قد بنى زاويته بالمنطقة.
- في الساورة ببشار وكرزاز وغيرها من أقاليم الساورة معظم زواياها نشأت بتبني طريقة صوفية اعتنت وأنشات زاوية بها كالزاوية الشيخية والزيانية.

[1] – **الساقية الحمراء:** هي المقاطعة الواقعة بجنوب بلاد الصحراء الغربية الحالية الواقعة جنوب غرب تندوف .

- في منطقة تندوف الزاوية الأكثر شهرة زاوية بلعمش وقيامها من قيام المنطقة في حد ذاتها وهذا الاختلاف والفرق بينها وبين غيرها أن الزاوية أنشأها عالم وزعيم قبيلة كالزاوية الأعمشية وزاوية سيد أحمد الرقيبي.
- أن منطقة تندوف تميزت بوجود المحاضر والاعتماد عليها بشكل لافت في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وتحريف أصول الدين بالقراءة والكتابة بين بدو ورحل المنطقة مما ساهم في استقرارهم ذلك لأنها اتصفت بالمرونة مع ظروف الصحراء وأحوالها لأنها لا تتقيد بالحدود والمكان، فهي مؤسسات متنقلة مع القبيلة، ذكورا وإناثا وأساتذتها علماء القبيلة أنفسهم.
- تميزت تندوف في بادئ أمرها بالطابع السائد بمنطقة الصحراء الغربية وموريتانيا لأن معظم ساكنيها ذات أصول منهما في الفترة التي كانت فيها الصحراء سائبة والقبائل بها ترتحل وتتنقل حسب حاجة مواشيها مما جعل بعض منها يستقر بهذه المنطقة الأقرب إلى مسقط رأسهم، ورغم ذلك حملوا معهم علومهم وعلمائهم ولم يعملوا أن يتوارثوا العلم مما جعلهم يعظمون مكانة العلماء ويخدمونهم مثلما كان مع الشيخ سيد أحمد الرقيبي وغيره.
- أن إقليم توات واسع من توات الوسطى وتيديكلت وقورارة وانتشار الزوايا إلا أن علمائها ربطتهم وحدة متناسقة ومتضامنة اجتماعيا وثقافيا الغرض فيها إتمام النقائص وتحقيق الأهداف وإصلاح الأوضاع وخدمة السبيل والمحافظة على أصول الدين الإسلامي.
- والملاحظ أيضاً أن أقاليم الجنوب الغربي بما فيه توات والساورة قد مرت بفترة جفاف وقحط علمي جعل منها مايشبه منطقة طرد أي خروج طلبتها إلى نواحي المشرق والمغرب للتزود بالعلم والاستزادة.
- كذلك عرفت المنطقة خلال القرن الثاني عشر هجري فترةجذب لمختلف العلماء الوافدين من مناطق متنوعة، إما بسبب تجارة قوافلها وما تحتويه من أشخاص بأغراض متباينة يدفعهم القدر إلى المكوث بالمنطقة أو بسبب قوافل الحجيج المارة على نقاط معلومة من الجنوب الغربي مما يجعلها تنشر النور بالمنطقة فيتنافس طلاب العلم ويتسابقون على أهل العلم من العلماء للتزود بما جادوا به عليهم من علوم الدين وتوجيه وإصلاح للفكر وترشيد لما يجب أن يخدم الأمة.
- نجد أن بعض هؤلاء العلماء الذين جلبهم القدر أن يغييروا مخططاتهم ويدفعهم للمكوث بالمنطقة والاشتغال بنشاط التدريس أو الفتوى أو القضاء.

- من بين هؤلاء العلماءالذين جلبهم القدر من استطاع أن يعمر فيبني زاوية ومنهم من جمع بين كل ذلك كالشيخ عبد الكريم المغيلي مثلا.
- أن النهضة العلمية التي ظهرت بالإقليم كانت نتيجة تكاثف جهود العلماء الوافدين وعلماء المنطقة الذين رحلوا في طلب العلم وعادوا إلى بلادهم مسلحين بما تستطيع حمله أكتافهم لإصلاح مايجب لمحاربة ما انتشر من بدع وتصحيح مفاهيم الدين الإسلامي وتعليم مقوماته وقواعده بتحفيظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة العربية وقواعدها من نحو وفقه وعروض ومنطق.
- بعد عصر النهضة التعليمية الذي شمل أقاليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرن الثاني عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي اكتفى علماء المنطقة بالمراجعة في النوازل بين علماء الإقليم بعدما كانت تتم بمراجعة علماء الأمصار وتأخذ في ذلك زمن طويل.
- من بين مميزات معظم الزوايا بأقاليم الجنوب الغربي أنها ذات هيكل تنظيمي مادي ومعنوي سالف الذكر، لكن يختص فيها بوضع مكتبة تابعة لها تحتضن كل الأساسيات من أمهات الكتب بالإضافة إلى مؤلفات العلماء والشيوخ لهذه الزوايا.
- والميزة الأخرى التي تتميز بها هذه الزوايا سواء العلمية منها أو التي تنتهج الجانب التعليمي مع الإصلاح والإطعام هو توارث منصب المشيخة في الزاوية سواء بأن يورثه الشيخ الأول لمن يراه مناسبا بعده في المشيخة من أبنائه أو حتى إخوانه أو قد يتعدى الأمر إلى صهره مايدل على أن المسالة في التوارث قائمة على الأنسب علميا منها نسبيا.
- هذا وهناك خاصية أخرى ميزت الجنوب الغربي في الفترة التي كانت الأمور فيها سائبة إلا أن العلماء عرفوا كيف يسيرون المجتمع بتشكيل مايعرف بحكم الجماعة من خلال عمل شيوخ الزوايا في القضاء والفتاوي وفصل النزاعات وإصلاح ذات البين.
- أن تموين الزوايا العلمية معظمه اعتمد على الهبات والصدقات والهدايا باختلاف شكلها إلا أن هناك مشايخ زوايا ميسوري الحال اشتروا أرض الزاوية وأوقفوا لها البساتين والفقاقير والنخيل حفاظا على مصدر تمويلها.

المبحث الرابع: من أعلام الزوايا العلمية بالإقليم

أ) من أعلام الزوايا العلمية بإقليم توات:

إن علماء الزوايا بإقليمتوات ماشاء الله كثيرون بأعمالهم التي قاموا بها وعديدون بآثارهم التي خلفوها والفضل لهم يعود في النهضة العلمية بهذا الإقليم منهم الوافدون ومنهم أبناء الإقليم ومنهم الوافدون الذين استقربهم المقام إلى الممات بإقليم توات، سنحاول أن تستعرض بعضهم بإيجاز للتعريف بالدور العظيم الذي ساهموا به في حماية الدين الإسلامي واللغة العربية في المنطقة ومنهم:

1) **الشيخ عبد الكريم المغيلي**: هو مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العباس ليصل نسبه إلى الحسن المثنى بن فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب ولد بتاريخ 831هـ/1427م هو من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري كان مفكرا ومصلحا امتد صيته إلى غاية الساحل الافريقي وأدغال إفريقيا بعد رحلته الطويلة استقر به المقام بإقليم توات.تتلمذ على يد العديد من الشيوخ أمثال الشيخ أحمد بن يحي الونشريسي 914هـ والشيخ مُحَمَّد بن يوسف السنوسي 895هـ والشيخ حافظ التنسي 899هـ وابن مرزوق الكفيف901هـ والشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي 875هـ والصوفي الكبير إبراهيم التازي 866هـ والشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن مرزوق 842هـ.

تردد على أماكن عديدة بين تلمسان وبجاية والجزائر العاصمة فتوات ثم فاس ومنه إلى السودان الكبير ثم عاد إلى إقليم توات الذي استقربه حوالي 882هـ واستطاع حينها الاتصال بالشيخ سعيد المقري والشيخ عبد الرحمان الثعالبي والشيخ يحي بن ايدر والشيخ أبي العباس الوغليسي[1]واستطاع الشيخ مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي في وقتقياسي أن يسجل اسمه في ذاكرة معظم الأفارقة حيث استطاع في رحلته القصيرة التي لم تدم سوى عشرين سنة أن يتنقل بين مدن وقرى إفريقية متناثرة في ربوع الغرب الإفريقي منها(اهر، تكدة، أغادس التي أسس بها مسجد الكرامة، كشنا، كانو، سنغايو وغيرها).[2]

[1]– أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث وفي التراث، منشورات، الحضارة "، تلمسان، 2011م، ص14.

[2]–مرجع نفسه، ص23.

للشيخ مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي ثلاث أبناء من زوجته زينب وهم علي الذي توفي في أولاد سعيد وعبد الجبار الذي جعله أبوه على إمارة توات وقتل فيها من قبل اليهود أما ابنه عبد الله فهو الإبن الثالث، كما كانت له زوجة ثانية بالسودان الغربي وأنجب منها وقد استقر أول الأمر بإقليم توات في تمنطيط ثم انتقل إلى منطقة بوعلي حيث أسس زاويته الدينية التي تحمل اسممن تلامذته: مُحَمَّد ايد أحمد بن أبي مُحَمَّد التازختي المشهور بلقب ايد أحمد وكذلك العاقب الانصمي هو العاقب بن عبد الله الانصمي المسوفي نسبة لقرية بالسودان.

ومُحَمَّد بن عبد الجبار الفجيجي وعمر الشيخ الكنتي المشهور بالعلم والولاية لقد لقي الشيخ المغيلي مكانة علمية مرموقة بين معاصر من العلماء والأولياء الصالحين، له كرامات في عصره نقلها بعض من ألفوا عنه، كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فلا يخلوا كتاب تراجم أو نوازل أو تاريخ منطقة إلا يتحدث عن اسمه على رأس شيوخ مناطقها وعلمائها وزهادها، له مؤلفات عديدة منها البدر المنير في علم التفسير، توفي سنة 909هـ حسب ترجيح المؤرخين.ويعتبر الشيخ مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي التلمساني من العلماء الوافدين على إقليم توات الذين استقر بهم المقام إلى أن وفته المنية.

2) **الشيخ عبد الكريم بن امُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد التواتي:** ولد عام 944هـ بتمنطيط حيث نشأ وتعلم على يد والده سيدي امُحَمَّد، حيث قال عن نفسه في كتابه الرحلة في طلب العلم: "أن أول فائدة استفذتها من أبي كانت قوله: لم حرف جزم، فحفظتها ولم أفهم معناها".[1]يعتبر رحمه الله شيخ المشايخ الأعلام وقدوة أئمة الأنام والقاضي العدل الجامع بين الحقيقة والشريعة.

أما مشايخه الذين تعلم على أيديهم بعد والده الذي حفظ عليه القرآن إلى سورة الأعراف منهم الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة التونسي الجزائري والشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي السجلماسي وسيدي أبي زيان التلمساني وسيدي أحمد بن بو معزى والشيخ سيدي سعيد المقري والشيخ سيدي مُحَمَّد عبد الحكم بن عبد الكريم الجراري، وقد أخذ العلم عن عدد من الشيوخ الأجلاء والعلماء المبرزين وهم كثيرون ذكرنا بعضهم ولم نذكر الأغلبية على سبيل المثال: الشيخ سيدي أحمد بابا التمبكتي والشيخ سيدي علي الأجهوري المصري وهو شيخ الزرقاني عبد الباقي الخرشي والسبرختي ومن تلاميذته ابنه القاضي الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم والشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني

[1]–عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص 21.

والشيخ سيدي مُحَّد بن اعلي الأوقروتي وقد قال عنه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري: "هو الشيخ الإمام العالم الهمام اللغوي النحوي البياني الحسابي الفرضي الأصولي، العروضي الفقيه المحدث الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية".[1]

وقال عنه صاحب الدرة الفاخرة: "كان إماما عادلا متفننا في علوم شتى كبير القدر وافر الحرمة وتولى القضاء وانتهت إليه الرياسة".[2]

تولى المحكمة الشرعية أي القضاء وهو له كاره لكن حاجة الأمة له دفعته إلى القبول به ومع ذلك كان رحمة الله يقول: لان أعمل جزارا أحبإلي من صناعة القضاء والنظر في أمور المسلمين وكان ذلك سنة 1022هـ بالديار التواتية فملأ البلاد عدلا حتى قال بعض معاصريه: "إنك لما ألقيت السلام أطاع الخاص والعام فهنيئا لك بقوله: المغرور من غررتموه، وكان يعرف بعالم توات، فأصبح حامل لواء النص والقياس.

وللشيخ مؤلفات عديدة نذكر منها: غاية الأمل في إعراب الجمل وهو شرح على لامية ابن المجراد وهو كتاب قيم عظيم الفائدة وهو لا يزال مخطوط وتحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز وكتاب قيم كذلك قسمه لما يلي: المقدمة تشمل نبذة عن فضائل الحج والباب الأول في آداب المسافر لهذا المقام والباب الثاني في أفعال الحج والعمرة والباب الثالث في ذكر ما أمكن من المزارات والخاتمة، وكتاب شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان.[3]

3) الشيخ مُحَّد بن أب المزمري (ت1160هـ):

هو الشيخ العلامة العالم الفقيه النحوي، صاحب التاليف العديدة السيد مُحَّد ابن أب بن حميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري ولد بقرية أولاد الحاج بأُولف بجوار قصر اخنوس سنة 1094هـ وهذه القرية تابعة حاليا لبلدية تمقطن دائرة أُولف ولاية أدرار، بها تلقى مبادئ علومه الأولى توفي عنه أبوه أب عام 1125هـ،أما نسبه إلى زمورة من أرض البراير، المخزومي، القرشي .

[1]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص 25 .

[2]- مرجع نفسه، ص 25.

[3]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص.52 .

تتلمذ على يد مجموعة من المشايخ من بينهم الشيخ مُحَّد الصالح بن المقداد بتاريخ القرن الثاني عشر هجري وبعدها اتصل بالفقيه سيدي عمر بن المصطفى بن سيدي عمر الرقادي بتاريخ 1157هـ حيث مكث بزاوية كنتة دارسا ومدرسا ثم توجه إلى تمنطيط حيث درس بها طويلا فيقول عنه الشيخ مُحَّد باي بلعالم في محاضرة ألقاها بعنوان نبذة من علماء توات خلال اليوم الدراسي الذي يحمل عنوان التكامل العلمي والتاريخي بين ولاية تمنراست – دائرة انغر–ولاية أدرار بتاريخ سبعة وعشرين ماي ألف وتسمائة وتسعة وتسعون الموافق ليوم إحدا عشر من شهر صفر ألف وأربعة مائة وعشرون هجرية يقول: – "..فالشيخ مُحَّد بن أب كان من العلماء الأعلام والعباقرة البلغاء الكرام ...قضا حياته في العلم والتعليم والإرشاد والتوجيه وهو العالم الوحيد الذي ربط بين مناطق توات الثلاثة وغيرها فولد بأُولف من تيديكلت وتلقى العلم وقام بالإمامة والتعليم في توات وكانت وفاته بقورارة حيث لفظ أنفاسه الأخيرة بتيميمون .

لقد كان ابن أب بحق شاعرا مفلقا بليغا لغويا تصريفيا عروضيا، رائق الحظ، كما كان رحمه الله من العلماء الذين الاذين ربطوا تواتا بغيرها من البلدان وكان شخصية عالمية ...كان يعرف بصاحب الجولان فلقد جال في المغرب الأقصى وفي مالي بتمبكتو وأروان إلى غير ذلك ....[1]"

والواضح أن الشيخ مُحَّد بن أب المزمري فاق أهل عصره فقد عرف عنه في عمله الاتقان والجدية والفطانة ويباحث كثيرا وورعا في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة حتى يحيل على غيره ولو كان أدنى منه وكان كثير المطالعة، لا تكاد تجد كتابا بتوات إلا وتجد خطه فيه.[2]

له مؤلفات عديدة مثل الأرجوزة، وما زالت مخطوطاته متناثرة عبر الخزائن التواتية، لم ينتهي البحث والتنقيب عن مجملها.وقد توفي الشيخ يوم الاثنين الأغر من جمادى الثانية سنة ألف ومائة وستين هجرية (ت1160هـ) ودفن بتيميمون بمقبرة سيدي عثمان وسط المدينة.

إن الشيخ مُحَّد بن أب المزمري كان نادرة زمانه لدرجة طغيان مخطوطاته في معظم خزائن إقليم توات رحل وترك آثاره خلفه مازال بعضها لم يتم التحقيق فيها.

[1]– مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ص 134.

[2]– أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص 499 .

4)الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري:

يعد ظاهرة فقهية فريدة في بلاد توات كما يعد من أوائل الطلبة الذين درسوا لدى الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني فقد تميز بنبوغه في الفقه لدرجة أنه فاق شيخه عمر بن عبد القادر لاستحسان طريقته في التدريس وهذا بشهادة الشيخ مُحَّد بنعمر بن أحمد الحبيب بن مُحَّد بن المبروك البوداوي في مخطوطه نقل الرواة حيث يظهر استحسانه لطريقة الجنتوري في التدريس وأنه استفاد منه أضعاف ما استفاد من الشيخ عمر بن عبد القادر.

ويذكر ضيف الله بن مُحَّد بن أب على لسان أبيه أن الجنتوري بلغ في مستواه العلمي مبلغا فاق به شيخه عمر بن عبد القادر، حتى أنه لو أدركه لقرأ على يديه[1]وقد عمل الشيخ الجنتوري في التدريس بتينجورارين التي هي مستقر للشيخ مُحَّد بن أب المزمري، حيث كان يقضيان معا أوقاتا طويلة في إصلاح مقطوعاته الشعرية ومراجعة النوازل التي كانت ترد له وحسب فهرسة التواتي عنه فإن الشيخ الجنتوري لم يكن ينظر بعين الرضا للمستوى العلمي لطلبة منطقة تينجورارين لقلة استيعابهم ولغلبة العجمة عليهم وكان يفضل عليهم طلبة توات لجودة قرائهم وقرب لسانهم للعربية قوة استيعابهم لدرجة رغبته في الرحيل إلى المشرق لعله يجد من يأخذ عنه، رغم أن الشيخ الجنتوري تلقى تكوينا محليا لعدم التحاقه بأي من الحواضر العلمية خارج توات إلا أنه انتبه إلى أزمة الجمود الذي كان يعاني منه الفقه المالكي بفعل اكتفاء علمائه بالنقول والاختصارات والاهتمام بالفروع وترك الأصول، حيث دعا إلى ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة بوصفهما مصدر كل الأحكام.

وما يعرف عنه أن الشيخ عبد الرحمن الجنتوري ولد بين سنتي 1100هـ 1110هـ/1689م و1699م[2]بقصر الجنتور ونسبه بالكامل هو عبد الرحمن بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن مُحَّد بن علي الأنصالحي، والجنتوري هو اللقب الغالب على العلامة أبي زيد وهونسبة لقصر أجنتور التابع إداريا لبلدية أولاد عيسى الواقعة على بعد 65كلم غرب تيميمون، والشيخ من عائلة عريقة ومحافظة ومشهورة بالفقه والعلم وهي عائلة تنحدر من قصر تيطاف في بلاد توات الوسطى ثم انتقلت

[1]–مولاي عبد الله إسماعيلي، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات، للشيخ مُحَّد بن عمر بن الحبيب البوداوي ،دراسة وتحقيق دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص14.

[2]–أحمدبوسعيد، مرجع سابق، ص 52.

إلى منطقة عين صالح من بلاد تيديكلت وتنسب عائلة الجنتوري إلى أبي أيوب الأنصاري الذي تشتهر ذريته بالعلم في مختلف قرى توات وقصورها.

شبَّ الشيخ في بيئة علمية تقليدية وتنشأة دينية فقهية، فقد تلقى مبادئ علومه الأولى على يد والده الشيخ أبي اسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن فقد حفظ القرآن في سن مبكرة ودرس مذهب الإمام مالك بأصوله وفروعه ومتونه ثم أخذ على ابن عمه المشارك عبد العالي بن أحمد بن عبد الرحمن مختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتلمساني والفرائض وألفية بن مالك وبعض تآليف القلصادي [1] ثم ارتحل إلى فاس لكنه لم يمكث بها طويلا وأرجعه أهله، لكنه انتقل إلى تيليلان حيث كانت إحدى المراكز العلمية بتوات وقتئذ فتتلمذ على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني وأخذ عليه دروسا في مختصر خليل وجمع الجوامع والسلم في المنطق وتلخيص المفتاح ولامية الأفعال ودروسا في صحيح البخاري ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وألفية ابن مالك ومنها عاد إلى أجنتور ليقيم بها مدة فعاد إلى تينلان ليدرس مرة أخرى مدة ستة أشهر على يد الشيخ أبي حفص مختصر السنوسي في المنطق وعقيدته الكبرى وأخذ الإجازة العامة عن شيخه ورجع إلى بلاده، جنتور واستقر بها.

وما يوصف عنه أنه كان مثابرا وحريصا على التحصيل، شديد التركيز سريع النبوغ في شتى صنوف العلم وسباق في التلقي مع سرعة الحفظ وبديهة الاستحضار وقد شهد بذلك تلميذه المسعدي الجراري قائلا:"وكان رحمه الله تعالى رواية ودراية وحفظا، فيستحضر نقول ابن عبد السلام وابن عرفة والشيخ خليل في التوضيح ومن بعدهم كالشارح الكبير وابن غازي والحطاب والأجهوري وغيرهم على ظهر قلب، ويبحث معهم في نقولهم ويميز بين الصحيح والسقيم وينسب كل قول لقائله، ولا يتهم في نقل وهو أمين فيه، وليس الخبر كالعيان .[2]

وهنا نستنتج من خلال ما يذكر عن هذا العلامة الشيخ أبو زيد عبد الرحمن الجنتوري أن مشايخه كثر بالإضافة إلى أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني ووالده سيدي إبراهيم بن عبد

[1]- **القلصادي أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي القرشي البسطي**، من أئمة الاندلس، فقيه من المالكية، توفي بباجة بتونس له أشرف المسالك الى مذهب مالك وكانت وفاته بتاريخ 891هـ / 1486م .

[2]- عبد الرحمن الجنتوري،(النسخة ب)جمع وترتيب: مُحَمَّد بن عبد العزيز المسعدي الجراري، مخطوط بن عبد الكبير، المطارفة،أدرار، ص 2.

الرحمن الشيخ النوازلي وهناك العلامة الأديب المحقق المتفنن سيدي الحاج عبد الحكم بن العالم العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بن أحمد، كما أخذ إجازته عن الشيخ سيدي أحمد بن الحاج الامين والسيد مُحَمَّد بن الحسين القبليين والشيخ الجامع أبو عبد الله البليدي الغرناطي مدرس الجامع الأزهر والاشرفية، واجازه الشيخ سالم بن مُحَمَّد النفراوي القاهري[1] في الفية ابن مالك وأيضاً الشيخ الدميري الشافعي الغنيمي الأزهري في صحيح البخاري[2].

ويذكر عن الجنتوري تواضعه وإقراره بفضل شيوخه وعلى رأسهم الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني حيث قال فيه الجنتوري: "اختبرت علماء القاهرة والحرمين فلم ألق فيهم من يصل أصبع رجل شيخنا أبي حفص إلا واحدا في علم الحديث لقيته بمكة، لكن قراءهم يتقنون مخارج الحروف جيدا".[3]

وإن دل هذا على شيء إنما يدل على تواضع العلماء وتفقههم ومعرفة مكانة العلم والدور المطلوب من العلماء، فالجنتوري من العلماء القلائل التواتيين الذين اشتهروا بإعمال الفكر واستخدام المنطق، فنوازله تشير إلى ذلك فقد كان حريصا على المزاوجة بين المنقول والمعقول. هذا ما ذكره تلميذه عبد الرحمن بن عمر في إحدى المسائل: "...فلم يزل يراجعني حتى رجعت إلى رأيه، ووقع لي ذلك معه في مسائل، وتلك عادته، رحمه الله، مع كل من خالفه، لا يزال يراجعه بالمعقول والمنقول حتى يسلم له صاحبه أو يرى منه عنادا"[4]

ولايمكن أن أقول عنه أو أزيد أكثر مما قال عنه البكري بن عبد الكريم بن البكري في وصفه له: – "العالم العامل الورع البركة، إمام أهل عصره علما وعبادة وسيد الأوان، العلم الفرد الذي لم تسمع

[1]– **النفراوي سالم بن مُحَمَّد أبو النجا الضرير**، المفتي العلامة النحرير، أشتهر بمعرفة فروع المذهب المالكي، أخد عن أحمد النفراوي والزرقاني، توفي سنة 1168هـ / 1755م، ينظر مُحَمَّد بن مُحَمَّد مخلوف، المصدر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكيةالقاهرة، المطبعة السلفية، 1930م، ص 338.

[2]– بعثمان، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، **فهرسة عبد الرّحمن بن عمر التنلاني التواتي**، مذكرة شهادة ماجستير في التاريخ الحديث،(غير منشورة)، جامعة بشار، إشراف: د. مُحَمَّد بن معمر، السنة الجامعية 2009/2008، ص 116.

[3]–أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات، مرجع سابق، ص 55.

[4]– أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات، مرجع سابق، ص 56.

بمثله في أبناء جنسه أذن، ولم ترى عين من يدانيه، الذي يراقب الله تعالى في سره وجهره، السيد الحاج عبد الرحمن بن الحاج ابراهيم الجنتوري".[1]

والظاهر أنه في هذه الفترة القرن 12هأصبح السبق والأفضلية في النبوغ والتقدم للشيخ الجنتوري خاصة بعد وفاة الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني فانتهت الرياسة في العلم بالديار التواتية للشيخ الجنتوري فتخصص في النوازل بالإضافة إلى مهام أخرى وأصبح المرجع الأول كلما وقع تنازع بين العلماء توات حول نازلة من النوازل ومن المشايخ الذين تتلمذوا على يد الشيخ الجنتوري الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني و مُحَّد بن أحمد بن عبد العزيز الفرعوني المسعدي[2]الجراري وكذلك مُحَّد عبد الرحمن الإبن الوحيد لمؤسس زاوية اجنتور سيدي الحاج لحسن وكذلك الفقيه مُحَّد عبد العالي بن عبد الحكم والفقيه سيدي مُحَّد عبد الجبار بن أحمد التنكرامي الجراري وابنه مُحَّد المكنى أبا عبد الله ومن مؤلفاته الكثيرة "نظم معونة الغريم في بعض أحكام قضاء الدين" و"رسائل وأاجوبة ردا على قضاة الوقت" و"شرح على مختصر خليل" و"رجز في علم الكلام في مسألة الكون" وطبعا مؤلفاته كثيرة وعديدة لا يمكن أن نذكر معظمها فذكرنا بعض منها فكل عالم من علماء توات تميز عن غيره بخاصية تميزه خاصة في أسلوبه بالتدريس واستقطاب الطلبة ومناظرة العلماء فالشيخ الجنتوري جمع بين هذا وذاك.

5)الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعمر التنلاني:

هو الشيخ عبد الرحمن بن عمر بن مُحَّد بن معروف بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن مُحَّد بن علي بن الحسين بن الحسن بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن داود بن مُحَّد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدان بن دان بن سكناس بن مغرور بن قيسبن مُحَّد بن مُحَّد بن مُحَّد بن ابان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف[3]، ولد سنة 1121هـ بقصر تنلان وحفظ القرآن على يد الشيخ أبي

[1]- البكري بن عبد الكريم بن البكري، أعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بالخزانة البكرية، تنمنطيط، أدرار، ص16/ نقلاًعن: - أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات، مرجع سابق،ص57.

[2]- نسبة الى قصر فرعون أو مسعد الواقع في الناحية الشمالية لمدينة تيميمون.

[3]- هذه السلسة منقولة من مكتبة حفدة السيد أحمد بن يوسف مؤسس تنلان، الشيخ مُحَّد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، مصدر سابق، ص3

حفص عمر بن عبد القادر وذلك بعد رجوعه من فاس سنة 1129هـ كما قرأ عليه صحيح البخاري وشمائل الترمذي وكتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ثم رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل والمرشد المعين والآجرومية ثم درس المنطق وعلوم اللغة كألفية بن مالك ولامية الأفعال وتلخيص المفتاح والسلم في المنطق وغيرها .

وقد قال فيه القاضي سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق: -"...شيخ الشيوخ وبقيت الرسوخ، العلامة، الفهامة علم الأعلام ومرشد الإسلام أبوزيد، كان رحمه الله، عالما، ثاقب الذهن ذا وقار وديانة، إنتهت إليه رياسة الفقه بالديار الصحراوية...".[1]

ويصفه الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم على أنه علَمًا من الأعلام وداعية من الدعاة للإسلام، فصيح اللسان، رحب الجنان مع عفة وصيانة، وقار وديانة ذا فهم ثاقب ورأي صائب".[2]

فنلاحظ هنا أن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعمر التنلاني من علماء منطقة توات الذين تميزوا بعلومهم وأخذوا شهرتهم لصفاتهم وأسلوب تدريسهم ولا ننسى مسقط رأسه تنلان البلاد التي كانت خلال القرن الحادي عشر للهجرة مركز إشعاع انعكست أنواره على مناطق الصحراء الكبرى والبلاد الشرقية والغربية بل في جميع نواحي إفريقيا.هذا إضافة إلى أن منطقة تنلان في تلك الفترة انبثق منها العلماء الأعلام والفقهاء والقضاة والأدباء وحفظة القرآن وحملة الشريعة وارتبطت تنلان بغيرها من قصور توات بعد ما شدت إليها الرحال وشُدت منها حتى أن ذكرها في الوثائق و المخطوطات نوه به الكثير من المؤرخين ولنذكر بعض علماء تنلان الذين اشتهرت بهم المنطقة كالشيخ عمر الأكبر والشيخ أبو الأنوار بن عبد الكريم والسيد الشاذلي بن الشيخ عمر المتوفى بفاس والشيخ عمر بن عبد الرحمن الأصغر والشيخ بوزيان بن عبد الرحمن ....وغيرهم كثير. ولا يمكن أن نهمل هذا القصر تنيلان بلاد العلم والعلماء فلا ضيرإن كان الشيخ عبد الرحمن بن باعمر التنلاني منهم[3].

[1]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص61

[2]- الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، مصدر سابق، ص5.

[3]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص61.

وقد أخذ الشيخ العلم عن مشايخ عديدة داخل الوطن وخارجه، ومنهم شيخه العلامة أبو حفص عمر بن عبد القادر المتقدم الذكر وهذا الشيخ أبو حفص غالب علماء توات أخذوا عنه ولا يرى له مثيل في العلم.

هذا، وقد سافر الشيخ إلى مدينة فاس لأجل طلب العلم وقرأالقرآن على يد الأستاذ الشهير أبي عبد الله سيدي مُحَّد السالم بن سيدي مُحَّد البرباعي المصباحية بفاس وقرأ مقدمة ابن آجروم على يد الأديب سيدي مُحَّد العربي بن الأستاذ أبي عبد الله مُحَّد بن مقلب الفاسي وكذا الأستاذ الشيخ النحوي سيدي أحمد السقاط وهناك علماء عديدون درس على أيديهم العلامة النحوي أبي عبد الله سيدي مهدي بن عبد السلام الحلو الفاسي والعلامة أبي عبد الله سيدي مُحَّد بن عبد الله السجلماسي والفقيه المشارك سيدي إدريس المشاط الفاسي.

أما من داخل الوطن فقد أخذ العلم على يد الشيخ أبو حفص عمر السالف الذكر والشيخ سيدي عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري.[1]

كذلك العلامة سيدي مُحَّد المصطفى بن الفقيه الولي الصالح سيد أحمد بن الرقاد الكنتي والشيخ سيدي مُحَّد بن أب المزمري والشيخ العالم الصالح الحافظ المشارك أبو العباس سيدي أحمد بن صالح السوقي التكروري.[2]

وكان للشيخ عدة مؤلفات منها في الفلك أرجوزة تكلم فيها عن منازل النجوم وعدة شهور وله أرجوزة مدح فيها تأليف إمام الحرمين المسمى بالورقات وكذلك فهرسته التي ترجم فيها لعدد من شيوخه.

وللشيخ تلاميذ كثر، لكثرة ترحاله ومجالسته، ولا يمكن ذكرهم كلهم ومنهم الشيخ سيدي مُحَّد بن عبد الرحمن التنلاني 1233هـ والشيخ سدي مُحَّد بن مُحَّد بلعالم الزجلاوي 1212هـ والقاضي الفاضل الشيخ سيدي عبد الحق بن عبد الكريم 1210هـ.

[1]- عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ج1، مرجع سابق، ص68

[2]- مرجع نفسه، ج1، ص87

ولقد كان من قدر الله عز وجل أن يكون الشيخ في ركب الحجج متوجها نحو البقاع المقدسة فيصلها، ويؤدي فريضته، لكن بعد أداء المناسك، كان الركب متوجها نحو توات فدخلوا القاهرة يوم الخميس 12 صفر 1189هـ وزار الشيخ رحمه الله المزارات في القاهرة كقبر الإمام الشافعي والسيدة زينب وابن وهب وغيرهم في يوم 29صفر 1189هـ، توفي الشيخ رحمه الله بالقاهرة، ودفن في مقبرة الشيخ أبي عبد الله المنوفي.

إن الحديث عن علماء توات الذين كانوا أعلام المنطقة في قيام النهضة العلمية بها لايمكن حصرهم والحديث عنهم جميعا لاتساع عملهم ونشاطهم وتفاصيل حياتهم وتعدد مشايخهم وتلاميذهم، لهذا قد أكون تحدثت بتفاصيل واسعة عن بعضهم وقد أكون اقتصرت واختصرت عن بعضهم فرأيت أن أكتب نبذة وجيزة عن بعض منهم:

6)**الشيخ سيدي عبد الله البلبالي**: – هو أبو عبد سيدي مُحَّد عبد الله سيدي أحمد الحبيب البلبالي ولد سنة 1250هـ، أعجوبة زمانه وله القدم الراسخة في أصول النحو والصرف واللغة وأصول الفقه وفروعه وعلوم الحديث والتفسير، من حملة راية العلم بتوات ومقصد الطلبة من جميع الجهات، تخرج على يديه العديد من العلماء من بينهم: – الشيخ سيدي أحمد ديدي، والشيخ سيدي مُحَّد بن عمر بن مُحَّد الحبيب البداوي والشيخ الحاج مُحَّد بن عبد الكريم القاضي التمنطيطي والشيخ الحاج عبد القادر بن الحاج عبد الرحمن التنلاني والشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي والشيخ الحاج الطيب التنلاني والشيخ عبد الله بن عبد الكريم الخوجة التنلاني[1]، وقد قال عنه أحد تلامذته القاضي سيدي مُحَّد بن عبد الكريمبن عبد الحق التمنطيطي: "...شيخ الشيوخ للديار الصحراوية وحامل لواء الأمة المحمدية وقطب الشورى وقاضي الورى، شيخنا شيخ الجماعة ".[2]

توفي بكوسام يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة عام 1317هـ وهو متربعا بيده السبحة بعد صلاة العصر وقد رثاه الكثير من تلامذته في أشعارهم منهم القاضي سيدي مُحَّد[3].

[1]– رواية الشيخ الحاج مُحَّد بن حسان، تينلان، 2014/07/10م، مولاي عبد الله اسماعيلي، دراسة وتحقيق، نقل الرواة عمن أبدع قصور توات، للشيخ مُحَّد بن عمر بن لحبيب البوداوي، ص43.

[2]– عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص101.

[3]– نفسه، ص101.

والظاهر أن هذا العالم عاش عصر ازدهار الثقافة بتوات، حيث كانت المنطقة تزدان بأمهات الزوايا، فقد تابع تدريس الفقه والعلوم الدينية مما نفع البلاد والعباد.

7) الشيخ السيد مُحَمَّد بن بلعالم الزجلاوي:

من آل سيدي علي بن حنيني الأنصاري هو الشيخ الإمام المقدم الهمام التوتي نسبا ومنشا ودارا وأخذ عن الشيخ سيد عبد الرحمن بن عمر التنلاني، فكان بحرا زاخرا لا يقاس بمكيال، ألف تآليف عديدة وتحاور مع العلماء الأجلاء، فمن تآليفه الشهيرة شرحه لأبي المودة خليل، ثم ألفيته في غريب القرآن التي هي للطلبة كالغذاء للأرواح توفي يوم الثلاثاء 23شوال عام 1212هـ[1]. والشيخ ولد في قصر زاجلو المرابطين وبها نشأ على يد أبيه سيدي مُحَمَّد ثم انتقل إلى قصر تنلان وتتلمذ على يد الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعمر التنلاني السالف الذكر، وكان الشيخ الزجلاوي أحد أعضاء مجلس الشورى بمجلس قضاء سيدي عبد الحق بن عبد الكريم التمنطيطي وهو ما أهله لجمع نوازل والده سيدي مُحَمَّد وترتيبها وأضاف لها نوازل سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني ونوازل سيدي عبد الرحمن بن باعمر، تنقل الشيخ الزجلاوي إلى أرض التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي في مسقط رأسه، وهذا عالم آخر جليل له تأثير متميز في النهضة العلمية بإقليم توات وخاصة ما خلفه من مخطوطات وتآليف وما يزال يحقق في بعضها للحصول على المحصول والتزود بعصارة علمه وفقهه.

إن علماء الإقليم التواتي لا يحصون مثل المحيط العريض تصب فيه بحار وأنهار لا يعرف الجفاف، فإقليم توات كانت ولا تزال أرض ولادة لمشايخ وعلماء أجلاء يسقون العقول تحت مدارس وزوايا مشهورة.

8)**الشيخ عمر بن صالح الوقروتي (ت998هـ)**: هو الفقيه الجليل، الشيخ سيد عمر بن مُحَمَّد بن صالح، مولده ومنشاه ووفاته في بلدة أوقروت تشبث بطلب العلم فمنحه الله العلم والمال وأخذ عن سيد مُحَمَّد بن أبي بكر الودغاغي وعن سيد موسى بن المسعودي وعن سيد أحمد بن يوسف المليانى وعن سيد عبد الله الخياط، توفي رحمه الله عام 1008هـ.[2].

[1]- عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص51.

[2]- عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات،نفس المصدر، ص- ص 56- 57.

9)**الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم البكراوي:** ويسمى السيد مُحَّد البكري بن عبد الكريم المريني، وصف بأنه العالم الهمام، كان شجاعا عارفا عالما متفننا في علوم شتى، قاضي الصحراء، وذكر من شيوخه السيد مُحَّد بن علي الأجروتي التواتي والشيخ السيد سعيد قدورة وأخوه الشيخ الحاج مُحَّد القاضي التواتي والشيخ الحاج مُحَّد بن عمر البداوي هؤلاء هم مشايخه أم تلامذته فهم أبناؤه الأربعة الشيخ مُحَّد الصالح والشيخ عبد القادر والسيد مُحَّد والشيخ عبد الكريم وابن أخيه الشيخ سيدي عبد الله بن مُحَّد بن عبد الكريم.

إن منطقة توات شاسعة وواسعة تتوزع بين أقسام توات الوسطى وتديكلت وقورارة وبها تتنوع الزوايا والمدارس العلمية التي ساهمت بتعدد علمائها ومشايخها في النهضة العلمية والثقافية بإقليم توات وفي الجانب الآخر من الجنوب الغربي القصد هنا مشايخ زوايا إقليمالساورة وتندوف وهؤلاء كنا قد أسلفنا ذكر ترجمتهم على أساس أنهم مشايخ زوايا ومؤسسين لها كالزاوية الكرزازية لسيدي أحمد بن موسى الكرزازي.

10) الشيخ أحمد بن موسى الكرزازي:

ولد سنة 898هـ بفاس ونشأ بها ثم ارتحل مع والده إلى بلاد كرزاز ويذكر الشيخ مولاي التهامي غيتاوي في كتابه الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ، ناسبا للإمام الشيخ مُحَّد بن المصطفى الكنتي والأستاذ بوفلجة بوحسون ما نصه: -"ولد شيخنا ﷺ بفاس كما حققه صاحب الاعتزاز ولم يكن له شك في أن مسقط رأسه بفاس، ولم يذكر تاريخ ولادته وإنما قال في أواخر القرن التاسع الهجري والذي حدثنا به الشاب الكريم وأخونا في الله أبوفلجة بوحسون من آل الشيخ أن ولادته كانت في سنة 897هوبنفس التاريخ حدثني الشيخ سيدي مُحَّد لحبيب الوجدي ..."[1]

ويذكر أن بداية دراسته بفاس على يد الشيخ سيدي مُحَّد بن أبي جمعة الصوماتي المكناسي ثم الفاسي المعروف بالهبطي صاحب وقف القرآن المعمول به عند المغاربة وعنه حفظ القرآن متقنا وأجازه فيه وكان الإمام الهبطي مشهورا في علم القراءات وقواعد الإقراء وعلوم التجويد وتحقيق الرسم والضبط وإليه المرجع فيها ومن علماء فاس إلى علماء ومشايخ سجلماسة منهم الشيخ سيدي مُحَّد بن عبد

[1]- بن موسى تيه، سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، حياته ومآثره، مرجع سابق، ص11.

الرحمن السهلي والإمام سيدي أحمد لعروسي نزيل الساقية الحمراء ثم على يد سيدي موسى والمسعود بتوات الذي كان شيخه في الوصول وسيدي أحمد لعروسي شيخه في التربية وسيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمن السهلي في التلقين.

وهناك مشايخ آخرين تتلمذ على أيديهم هم: الإمام مُحَمَّد بن غازي وأحمد الغساني ومُحَمَّد بن إبراهيم الغساني المعروف بالوزير والشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجوري الفاسي والشيخ سيدي أحمد بن موسى لما عاد من الساقية الحمراء إلى فاس، درس بها وأصبح على رئاسة الفتوى بعد وفاة شيخه ابن غازي سنة 918هـ ثم انتقل إلى تازة وتصدر التدريس بها بأكبر مسجد فيها فذاع صيته بالمغرب فقصده الطلاب، فصار مأوى للقاصدين وقدوة للعارفين وبعدها درس بمراكش وسوس والونشريس ثم بني حماد بتلمسان ثم رجع إلى بلاده سنة 903هـ/1483م وعمره حينذاك الأربعين سنة[1].

وانتهى به الأمر بدعوة من أبيه بمقر قرية أولاد موسى بواد الساورة وهناك بنى مدينة العلم التي بفضل الله عليه شاع صيته خارج واد الساورة فانكب عليه الناس من كل درب، مسرعين إليه من كل النواحي من بشار وتلمسان وتوات وتميمون وعين صالح وغيرها، فكان الشيخ مقصد للمستفسرين يوضح ما أشكل وعسر فهمه عليهم وترأس الإفتاء وبقي على ذلك حتى وفاته فقد قضي الشيخ حياته في طاعة الله من قيام وصيام وعبادة وإرشاد وإصلاح باعتباره شيخ الزاوية الكرزازية ويغذي مريديه حسيا ومعنويا إلى أن وافته المنية. هذا العالم الجليل الذي سقى واد الساورة وتوات بعلمه حيث كان له تلاميذ فيها هم مشايخ وعلماء أجلاء بفضل الله عليه، ساهم في النهوض بالحياة العلمية بالمنطقة[2].

وفي آخر هذا المبحث يمكننا أن نستخلص أن:

- علماء إقليم توات والساورة وتندوف عرفوا فترة من تقلبات الظروف السياسية والاقتصادية بالجنوب الغربي للجزائر وتأثره بالأحداث السياسية والاقتصادية التي تقع في الشمال الجزائري أو الغرب المغربي للمغرب الأقصى وسجلماسة باعتبار تلك الفترة لم يكن هناك حدود تميزه عن بعضه

[1]- بن موسى تيه، سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، حياته ومآثره، مرجع سابق،ص11.

[2]- مرجع نفسه، ص12.

البعض إلا ما يتطلب من دفع الإتاواة والضرائب التي كان يفرضها حكام تلك النواحي على سكان البدو والرحل في أقاليم الصحراء.

● لقد رأينا نماذج عن حياة وتفاصيل بعض العلماء سواء في توات أو الساورة مما يدل على الترابط والتناسق بينهم بأخذ العلم عن بعضهم وتفوق التلميذ على الأستاذ في أغلب الأحيان،ورغم ذلك هناك التواضع والزهد في الحياة والعفة والتفاني الذي تخلق به علماء هذه الأقاليم مما كان من بين الأسباب التي أدت إلى جذب الطلاب إليهم للأخذ عنهم.

● ومن جهة أخرى لاحظنا أن هجرة العلماء من مختلف مناطق الجزائر كتلمسان وبجاية إلى منطقة توات كان عاملا على تحفيز خبرات أخرى إلى الهجرة إليها، ومن ثم انتشار العلم بين الناس وكان ذلك حافزا على عدم انتقال أهل توات إلى مناطق أخرى مادام العلم وأهله موجودا بينهم[1].إن هؤلاء المشايخ منهم من عاش فترة الركود الثقافي بالمنطقة مادفعه إلى الترحال نحو نواحي تشبع رغباتهم في طلب العلم وعاشوا فترة الازدهار والنشاط الثقافي في جعل هؤلاء العلماء يساهمون بقدر كبير بإنتاجهم العلمي من مخطوطات وتآليف ونظم وأراجيز.

- لقد تنوعت العلوم في المنطقة وروعي فيها التدرج في تعلمها وتعليمها وهذا بفضل الله على هؤلاء العلماء الذين تواضعوا فانجذب إليهم طلبة العلم مما دفع بعضهم إلى تأسيس زوايا ومدارس علمية.

استنتاجات الفصل الأول: –

لقد تناولنا في هذا الفصل أربع مباحث ترتكز كلها على الزوايا من حيث النشأة والتطور في المنطقة الصحراوية مع ذكر تفريعاتها ومناهجها دون أن أنسى أهم الزوايا الرائدة للحركة العلمية سواء في توات بأقسامها أو منطقة الساورة أو مدينة تندوف، مع ذكر نماذج لمشايخ الأقاليم الثلاث تقريبا، لا لشيء إلا لإظهار مدى قيام البلاد إلا بقيام العلم بها ولن يتحقق ذلك إلا بوجود حاملي الراية العلمية للنهضة الثقافية في البلاد ويمكن تلخيص ذلك في عدة نقاط هي:

[1]– عبد القادر باجي، مرجع سابق، ص82.

- لم يكن التعليم في الجنوب الغربي حكرا على المدارس بل كان نطاقه أوسع من ذلك، فقد كانت المساجد والزوايا مراكز علمية مساعدة ومكملة للمدارس الكبرى، ففيها يتلقى الطلبة المبادئ الأولية للعلوم وينال العامة نصيبهم من العلم والثقافة.
- أن مثل الحركة العلمية في المنطقة لا يمكن أن ينمو ويرتقي بمعزل عن مصادر المعرفة والتي كان معظم الطلبة منشغلين بجمع الكتب ودراستها ويدل على ذلك كثرة المصنفات المعتمدة في الحياة الدراسية وخير برهان على ذلك تعدد الخزائن، فلو بحثنا عن أكثر الأماكن غنا بموروث المخطوطات لوجدنا أنه لا يوجد أكبر من الجنوب الجزائري، ذلك أنه لا يخلوا أي قصر عتيق أو بيت ورثه مشايخ الزوايا من المخطوطات التي استفاد منها البشر والعلماء وبدون مبالغة، فكل مناطق الجنوب تزخر بالكم الهائل من هذا الموروث، وهذا دليل على وفرة العلم والعلماء والميزة التي تميز بها هذا الجنوب الغربي هو الصدر الرحب من استقبال العلماء لطلبة العلم، فمن منا لا يعرف الشيخ العالمي والشيخ بلكبير بأدرار والشيخ بوزيان ببشار وزاوية بن بلعمش بتندوف وغيرها.
- لقد كان لمؤشرات النهضة العلمية بالمنطقة الصحراوية نتائج ملموسة في الوقائع وقد تمثل ذلك في ظهور الكثير من العلماء الذين ساهموا في تطوير الحياة العلمية والفكرية في هذا القرن، رغم تدهور الأحوال الاجتماعية والسياسية. فقد كانت إسهاماتهم متنوعة.
- إشتغل العلماء ومشايخ الزوايا من زوايا علمية أو صوفية على التدريس والتأليف، فتركوا للأجيال تراثا علميا زاخرا وشاركوا في حركة الإصلاح ضد التيارات المنحرفة على مسرح الأحداث لتلك الفترة فعلموا على تجنيب المجتمع من الوقوع فيها ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ الحاج مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي وغيره كثير.
- لقد كان لمؤشرات النهضة العلمية بالمنطقة الصحراوية نتائج ملموسة في الواقع وقد تمثل ذلك في ظهور الكثير من العلماء الذين في ساهموا في تطوير الحياة العلمية والفكرية في هذا القرن، رغم تدهور الأحوال الاجتماعية والسياسية.فقد كانت إسهاماتهم متنوعة.
- اشتغل العلماء ومشايخ الزوايا من زوايا علمية أو صوفية على التدريس أو التاليف، فتركوا للأجيال تراثا علميا زاخرا وشاركوا في حركة الإصلاح ضد التيارات المنحرفة على مسرح الأحداث لتلك الفترة فعملوا على تجنيب المجتمع من الوقوع فيها ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ الحاج مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي وغيره كثير.

- لقد كان الاضطرابات السياسية وسوء الأحوال المعيشية لدى بعض المفكرين والمثقفين أثر سيء على الحياة الثقافية، فقد أدتردي الأحوال ببعض المثقفين إلى الهجرة مشرقا أو مغربا متحملين مشاق الحياة في سبيل طلب العلم بينما انزوى بعضهم مفضلا عيشة الزهد والهروب من أدران الحياة.[1]
- اضطلعت المنطقة في العصر الوسيط بمهام حضارية مكنتها من أن تلعب دورا علميا وثقافيا هاما وقد ألقت هذه الحركة العلمية بظلالها على المناطق المجاورة، لدرجة يذهب معظم المؤرخين والباحثين إلى أن تلك الادوار التي أدتها توات يرجع أساسا إلى كونها همزة وصل بين الشمال والجنوب ومعبرا إستراتيجيا للقوافل التجارية من السودان الغربية وإليه وكذا قوافل الحجاج التي تعبر المنطقة.
- لقد نشطت حركة التعليم في تلك الفترة، فأصبح الناس يحرصون على تعليم أبنائهم وصارفيهم العلماء والقضاة وأثروا المنطقة بالعديد من الكتب، ونظرا لتوافد العلماء على البلاد، فقد جعلهم يساهمون كثيرا في نهضة البلاد الثقافية والعلمية واستطاعوا أن يقفوا في المنطقة على الكثير من العادات السيئة الوافدة إلى توات من جهة السودان الغربي وكان من العلماء المساهمين الشيخ المغيلي وعبد الله العصنوني وأخيه سيدي سالم وغيرهم من العلماء حيث نزلوا بالمدن الكبيرة كتمنطيط وعلموا فيها مختلف انواع العلوم.
- أما عن وقت التعلم للطالب فلم يكن محددا، إذ كان وقت الدرس يبدأ يوميا من صلاة الصبح إلى الزوال في فصل الصيف وشتاء من الصباح الباكر إلى وقت صلاة الظهر.ومن حصل على الاستيعاب الكامل والتفوق استطاع أن يغادر مكان التعلم بعد حصوله على الإجازة من شيخه، فإذا تحصل عليها معناه أن شيخه قد أذن له في تدريس العلوم.
- كان هناك التنوع في العلوم والتدرج بها يبدأ بالدراسة في الكتاتيب ثم تحفيظ القرآن الكريم ثم تعلم بعض المعارف الفقهية كمتن ابن عاشر[2] ومختصر الأخضري[3] في الفقه والآجرومية وقطر الندى في النحو على جهة الترقي من الأسهل إلى الأصعب ومن المختصرات إلى المطولات فإن حصل المقصود وظهرت النجابة على الطالب ساقه المعلم إلى الزاوية الأم كي يأخذ من شيوخها، فيقرأ لابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل في الفقه، أما في النحو فتعاد دراسة الآجرومية للمراجعة، وقطر

[1]- عبد القادر باجي، مرجع سابق، ص80

[2]- **ابن عاشر هو عبد الواحد بن أحمد بن علي**، الأندلسي،الفاسي، المالكي، عالم، مشارك في القراءات والنحو والتفسير ولد سنة 990هـ وتوفي في 1040هـ من آثاره: المرشد المعين على الضروريمن علوم الدين.

[3]- **الخضري هو عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو زيد الاخضري**، البنطيوسي ولد سنة 920هـ وتوفي سنة 983هـ.

الندى والألفية ولامية الأفعال لابن مالك[1] وفي المنطق السلم للأخضري وفي فرائض الرحيبية وفرائض المختصر.

- كان الطلبة مجبرون على حفظ المتون حفظا تاما فلا ينتقل من الآجرومية مثلا إلى قطر الندى إلا إذا أحاط بالأولى إحاطة شاملة حفظا للمتون ومعرفة للمعاني والشروح.
- إهتم علماء هذه المناطق بالتآليف إلى جانب التدريس، فوضعوا مصنفات ومختصرات في فنون شتى كعلوم اللغة وأصول الفقه وكانت منهم مؤلفات كثيرة وساعدهم على وضع تلك التآليف الدروس التي تقدم من طرفهم للطلبة فإذا قدم درسا دون ما قاله، حتى إذا أنهى ذلك العلم بين الطلبة، يخرج الطالب المجتهد بالإجازة فيه، ويثمر مجهود العالم بتآليف في ذلك الفن إما تعليقا أو شرحا أو اختصارا.
- تعددت ثقافة المنطقة وعلومها نظرا لاحتكاكها الكبير بينها وبين الأقاليم الأخرى، فالعلماء والمثقفون والتجار وحتى السياسيون كانت لهم محطات بهذه الأرض، فعملوا على تنويع ثقافتها وأفكارها وعلومها واكتسب أهل الإقليم التواتي من علاقتهم مع الأقاليم الأخرى ثقافات واسعة، فاطلعوا على أحوال تلك البلدان المجاورة وأخذوا عنهم بعض فنون العلم والأدب وصهروها في قوالب تخص عادات وأعراف المنطقة، فما كان موافقا لتعاليم الدين الإسلامي أخذوه وماكان مخالفا تركوه، وهنا يتضح دور العلماء في غربلة الثقافات والعلوم.
- هذا الاحتكاك الجتماعي والحضاري جعل المنطقة تثري رصيدها المعرفي وتزيد في ذخيرتها الثقافية لتتمكن من التواصل مع جميع الشعوب المجاورة لها.
- أن الحركة العلمية والثقافية التي عرفتها توات جعل منها أحد أهم المراكز النشيطة بالصحراء الجزائرية و الإفريقية وهذا ما لاحظناه من انتقال أسرة علمية من توات نحو السودان الغربي وتكوين مراكز علمية جديدة نتج عنه التأثير الكبير على هذا الوسط بإدخال تغيير واضح في المحافظة على الدين الإسلامي ونحن هنا نستدل بآل كنتة التي ذاع صيتها بالسودان الغربي.
- بعد القرن الثاني عشر الهجري أخصب مراحل تاريخ توات العلمي حيث ازدهر الحياة العلمية في مختلف أرجائها وحازت زواياها المنتشرة شهرة كبيرة، جعلتها مقصدا للطلبة من كل البقاع.

[1] – **ابن مالك:هو مُحَمَّد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الجيامي**، الأندلسي، نحوي، لغوي، مقرئ، مشارك في الفقه والاصول والحديث ولد سنة 600هـ وتوفي سنة 672هـ من آثاره الألفية في النحو وغيرها .

- –أنالأسرة التواتية استطاعت أن تحافظ على كم هائل من التراث المتمثل في المخطوطات التي كان عمادها مشايخ وعلماء أجلاء أثروا مكتباتها بمصنفات اختلفت مجالاتها وتنوعت مضامينها وفوائدها وتبقى منارة تهتدي بها الأجيال الصاعدة وضرورة تكاثف الجهود لإنقاد ما يمكن إنقاذه من هذا التراث الذي قضت عليها الأرضة وهي حشرة ترابية أو الإهمال من طرف بعض العائلات بالاحتفاظ بها دون السماح للباحثين بنفض الغبار عنها.
- لكن رغم كل ذلك يعتبر الإقليم التواتي من أكثر الأقاليم الجزائرية حضورا للزوايا القرآنية والمدارس الفقهية على مر التاريخ، إذ إلى غاية اليوم لم ينقطع العمل الخيري التطوعي عن الزوايا والكتاتيب والمدارس التعليمية حتى بلغ عددها لأزيد من مائة مدرسة وزاوية علمية.

الفصل الثاني: الدورالاجتماعي للزوايا العلمية

المبحث الأول: الزوايا العلمية والسياسة الاستعمارية

المبحث الثاني: الدفاع عن الهوية الإسلامية

المبحث الثالث: الأدوارالتربوية للزوايا العلمية بالإقليم.

المبحث الرابع: من مظاهر النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية

المبحث الخامس:دورالزوايا في الحياة السياسية والوطنية

المبحث الأول:الزوايا العلمية والسياسة الاستعمارية

ا)**السياسية الاستعمارية:** عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالتوسع إلى المناطق الصحراوية الجزائرية حتى يربط بين مستعمراته الإفريقية المتقاربة باعتبار الصحراء الجزائرية الجسر العابر لهذه المستعمرات الإفريقية غربا وشمالا وجنوبا فقامت فرنسا بحملات استكشافية لهذه المناطق من بينها الجنوب الغربي الجزائري والقصد هنا إقليم توات والساورة وتندوف بحيث تكمن اهمية الإحتلال للصحراء بالسيطرة الكاملة على البلاد الجزائرية، خاصة وأن الجنوب الجزائري كان معقلا ومقرا للتعبة البشرية والمادية لمختلف الثورات الشعبية، ولهذا إنتهجت فرنسا سياسة استعمارية خاصة بالجنوب الصحراوي لتستطيع أن تحقق غايتها في التوسع، تمثلت في إرسال شخصيات عسكرية ومدنية أوروبية عديدة، غرضها جمع المعلومات عن المنطقةسواء من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية، ومن هؤلاء الذين كرسوا جهودهم لجمع هذه المعلومات و القيام بهذه المهمات الفرنسي « رونييه كاييه «(rene caille)الذي توغل إلى أعماق الصحراء، فعبرها من السنغال إلى تمبكتو ثم عاد عن طريق توات وتافيلالت، مما ساعدت المعلومات التي جمعها في مذكراته فرنسا الاستعمارية لرسم خطط الحرب للتوسعفي الجنوب الغربي الجزائري[1]، كما قام الضابط «دو كولومب»(de colombe)القائد الأعلى لدائرة البيض برحلة استكشافية إلى قصور الجنوب الغربي الجزائري في مطلع سنة 1857مناكتشاف قصور توات وتيديكلت وتينجورارين[2]، واستطاع الرائد «كولونيو»(colonien)والملازم «بيران»(burin)برسم خرائط لإقليم توات وتينجورارين خلال سنة1860م.[3]

وهناك الرحالة الألماني «جيرهاد رولف»(Gerhad Rohlfes)الذي قام سنة 1864 برحلة من طنجة إلى واد زيز عبر الأطلس ومن ثم إلى وادي الساورة، فإيغلي وبني عباس ثم واحات

[1]- إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837م – 1934م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص - ص 403، 405 .

[2]- مرجع نفسه، ص 410

[3]- سيدي سليمان بن علي، جمعية السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار، أدرار، ص7.

توات وتيديكلت التي عبر خلالها قصور تسابيت وسالي ثم عين صالح[1]، وقد دخل المنطقة بزي عربي متنكرا ويذكر عبر التاريخ أنه أول من نصح السلطات الفرنسية بنقل حدودها إلى غاية وادي الساورة حتى يعم الهدوء فيجنوب وهران.[2]

أما الرحالة «بول سولييه»(paul solaillet) إنطلق في رحلة استكشافية منذ سنة 1872م من الجزائر العاصمة إلى عين صالح التي وصلتها في حدود السادس من شهر مارس عام 1873م لدراسة عادات وتقاليد سكان الجزائر، لكنه لم يتمكن من إنجاح مهمته أمام جماعة القصبة [3]التي أوصدت أبوابها أمامه فعاد أدراجه، لكن يعتبر هو أول من اجتاز المنطقة الممتدة من المنيعة إلى غاية عين صالح.

وطبعًا كانت لفرنسا عدة محاولات وحملات استكشافية لتطويع الإقليم الصحراوي تحت قبضتها كرحلة «فلاتير «(flatters) سنة 1880م وقضى عليها بمنطقة الغرامة قرب عين صالح بتخطيط الشيخ عبد القادر باجودا وأولاد سيدي الشيخ[4]وقضي على الملازم الأول «مرسال بالات»(marcel palat) الذي تنكر بالزي المحلي [5]، محاولا اكتشاف قصور تيديكلت، فوصل إلى دلدول وأوقروت سنة 1886م فقتل من طرف أحد مرافقيه من أولاد حمو من شعانبة بوعمامة بالقرب من تيديكلت، أما الأنجليزي «كامي دولسي»(camill douls) استطاع أن يقوم برحلته منطلقا من وزان بالمغرب الأقصى سنة ووصل إلى غاية توات ورقان واولف وقتل في حاسي إينغر سنة 1889م[6]، في حين كانت رحلة «برنارد فيدريك» مع نهاية ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي إلى غاية الحدود الشمالية الشرقية لتوات ورحلة «جوندرور»(Gendror)سنة 1890م إلى تبلكوزة . و

[1]–إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881م – 1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م، ص 37 .

[2]– عبد الله مقلاتي وآخرون، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية، 1956 م – 1962م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م، ص13 .

[3]– إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 421 .

[4]– عهبد الله مقلاتي والاخرون، مرجع سابق، ص 13 .

[5]– حليمة نشاشو مريم عدو، الزوايا والطرق الصوفية بتوات ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي، 1899م – 1962م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، الجامعة الإفريقيةأحمد دراية، أدرار، 2012م، – 2013م، ص 20 .

[6]– سيدي سليمان بن علي، جمعية السجل الذهبي، مرجع سابق، ص 8 .

الواضح هنا أن فرنسا استفادت من خطة البعثات الاستكشافية التي كانت ترسلها نحو المناطق الجنوبية الصحراوية الجزائرية مما دفعها للاضطلاع على طبيعة إقليم الصحراء، خاصة الجنوب الغربي منه ومن خلالها بدأت عملية الإحتلال.

وهنا للحديث عن دور الزوايا العلمية أمام السياسية الاستعماريةكان لابدأن نتحدث عن كيفية إحتلال فرنسا لهذا القسم من الصحراء المتمثل في الجنوب الغربي بأقاليمه الثلاثة موضوع الدراسة حتى نستطيع أن نستشف رد الفعل تجاه أسلوب فرنسا المستعمرة بهذه المناطق.

وهنا عليه أن نتطرق لاحتلال مناطق وأقاليم هذه البلاد بشكل موجز، ما يخدم موضوع الدراسة، وعليه عملت فرنسا على محاصرة إقليم توات باحتلال الجنوب وهو إقليم تيديكلت والشمال وهو إقليم تينجورارين وبذلك تمكنت من إحتلال توات الكبرى ضمن مخططاتها التوسعية المعتمدة على الرحلات الاستكشافية.

- **أولا: إحتلال إقليم تيديكلت:** تم الإحتلال لهذا الإقليم بواسطة بعثة استكشافية تحت حماية عسكرية بقيادة النقيب «بان»(pein) رئيس المكتب العربي بورقلة وكانت تسمى ببعثة فلامون على أساس مهمتها التعرف على مكونات هضبة تادميت الجيولوجية والنباتية وإمكانيات مياهها الجوفية وقد اصطحبت هذه الحملة خمسة عشر فارسا وتسعين مهاريا، هذا إضافة إلى أربعين مهاريا تحت قيادة مقدم الطريقة القادرية بورقلة، لكن الحملة كانت بتكليف النقيب "جرمان"(German) بحماية البعثة عند الحاجة مع فرقة الصبايحية الصحراوية [1]وانطلقت يوم 28 نوفمبر 1899م من ورقلة إلى عين صالح عاصمة تيديكلت وفي يوم 27 ديسمبر 1899م خيم النقيب "بان"المكلف بحماية بعثة فلامون عند فقارة الحاج عبد القادر بالفقيقيرة [2]وفي هذه اللحظة استعد سكان عين صالح وقصر الساهلتان(الفوقانية والتحتانية)وحاسي لحجر وأولاد محي وأولاد دحان[3]في هذا الوقت استطاع الحاج المهدي باجودة، شيخ قبيلة باجودة من جمع المقاتلين بقصر ايقسطن، وفي اليوم الموالي إندلعت معركة إيقسطن التي اجتمع فيها معظم قوات القصور المجاورة التي جاءت لنجدة عين صالح والدفاع عنها

[1]- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوبالغربي الجزائري، مرجع سابق، ص109 .

[2]- الفقيقيرة، التي تبعد عن إيقسطن بحوالي 5 كم، ينظر أعمال الندوة السنوية السابعة، منصور الوادي، 2012 م، ص13 .

[3]- سيدي سليمان بن علي، جمعية السجل الذهبي، مرجع سابق، ص10.

ضد الإحتلال الفرنسي الذي تمكن من السيطرة على المنطقة بعدما تكبد المقاومون خسائر فادحة إنجر عنها مقتل الحاج المهدي وأخوه بوعمامةوجرح المرابط أحمد بيلو واستشهاد 56 شهيد و49 أسير من مختلف القصور واستولت فرنسا على 99جملا وما يقارب 500 قطعة سلاح في حين كانت خسائر فرنسا، تكاد لا تذكر [1]، لكن أهالي القصور المجاورة لعين صالح تجمعوا وانتظموا في فرق عسكرية لتكوين جيش لمجابهة التوسع الفرنسي، فكان عددهم ما يقارب 800 محارب قرب قصر الدغامشة بالبركة يوم 14 جانفي 1900م وأرادوا بذلك مباغتة العدو صبيحة اليوم الموالي في المنطقة المرابطة بها بالكثبان ولأن المنطقة مكشوفة طبيعيا وأمام اشتداد ضربات العدو وكثافة نيرانه اضطر أهل الدغامشة إلى التراجع والإنسحاب لإعادة تنظيم الصفوف[2]وكرروا هجاماتهم طيلة مكوث القوات الفرنسية بالقصر الكبير مما جعل الوالي العام«لافار»يدعمها بقوات إضافية بقيادة «بومقارتن»(Boumgartin)الذي وصل إلى القصر الكبير يوم 18 جانفي 1900م وإندمجت قواته مع بعثة فلامون مما أدى إلى إنهزام الثوار.

وأسفر ذلك عن مقتل 100 مجاهد وجرح 200 منهم واستشهاد مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني وهنا استطاعت البعثة من إتمام سيرها والدخول لعين صالح بعدما خسر الجيش الفرنسي أربعين عسكريا دفنوا في إينغر[3] التي توجه إليها الناجون من الثوار بعد إنكسارهم في الدغامشة واستجمعوا القوات من قصور إقليم توات وتينجورارين فتوالى عليهم الفرسان من قصور تسابيت وتيميمون وتيط وأقبلي وأولف حتى وصل عددهم إلى 1300 فارس بقيادة باشا تيمي إدريس بن الكوري وهذا في 14 فيفري 1900م، فكان اللقاء مع القوات الفرنسية قرب عين طارقا التي تبعد بـ 14 كم شرق إينغر فدارت المعركة يوم 19 مارس 1900ما اضطر خلالها المجاهدون إلى الإنسحاب والاحتماء بقصبة أولاد حادقة وقصبة أولاد أحمد جلول، استعصت الأولى وسقطت القصبة الثانية بعد دفاع مستميت، بعدها توجهت القوات الفرنسية إلى تيط ودخلتها يوم 23 مارس

[1]- عبد الله مقلاتي وآخرون، مرجع سابق، ص15 .

[2]- المرجع نفسه، ص 16 .

[3]- وفي سنة 1965م نقلت جثمانه إلى فرنسا، أما الخونة الذين كان يزيد عددهم عن عشرين نقلهم الجيش الفرنسي إلى المقبرة الشرقية، شمال الحدب بعين صالح، ومقابرهم معلمة بالجير إلى يومنا هذا، ينظر، مولاي عبد الله اسماعيلي، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح، نشرية خاصة بالملتقى الوطني للبعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، ولاية أدرار، يومي 15-16 ديسمبر 2012م، ص 82 .

من نفس السنة وبعد يومين من ذلك سقطت أقبلي فأولف وارتكب الاستعمار مذبحة كبيرة في إينغر، راح ضحيتها 500 قتيل معظمهم من النساء والأطفال و162 أسير[1]الذين تم نقلهم إلى المنيعة يوم 21 أفريل 1900م.[2]

ثانيا:إحتلال إقليم تينجورارين:

كان توجه فرنسا مباشرة نحو الجهة الشمالية لإقليم تينجورارين حيث أرسلت السلطات الاستعمارية يوم 27 أفريل 1900م قواتها بقيادة العقيد «مينسترال»(Menstrel) يتكون الجيش من 800رجل ومدفعين إنطلاقا من المنيعة نحو إقليم قورارة الذي وقف سكانه بالمرصاد وقاوموا الجيش الفرنسي مما جعله يستعين بإمدادات من البيض قوامها أربعمائة جندي سهل الأمر أمامه للدخول مدينة تيميمون في 12 ماي 1900م وسقطت بعدها قصور الزوى ودلدول في يد الإحتلال[3] ثم توجهت القوات الفرنسية نحو باقي إقليم تينجورارين لكن المقاومون الثوار استفادوا من معركة إينغر، فنسجوا خطة استراتيجية محكمة جعلت العدو يندحر أمامهم تمثلت في إخلاءالقصر من النساء والأطفال وإبعادهم لتعطيل المدفعية من جهة وتقليل الخسائر البشرية من جهة ثانية وخاصة بعد إنضمام مجاهدين من قبائل الشعانبة والغنانمة. ورغم تطور أسلحة العدو الذي كان بقيادة النقيب "بان"و"فالكونيتي"(Falconatti)، [4]فإن بسالة المجاهدين جعلت العدو يتراجع، حيث سرح بعض أفراده ونقل آخر، وهنا قام الجنرال "سرفيار" (Servieres) بنقل جيش ضخم تحتقيادته لتمشيط مناطق توات وتطويقها وذلك في 20 فيفري 1901م، فلم يجد فرصة أمام هجومات الثوار من قبائل الشعانبة والغنانمة والمحارزة والخنافسة للمركز العسكري بتيميمون، ولما جاء العقيد "بان" في دورية استطلاعية إلى شروين أوهمه الثواربإنسحابهم من قصر شروين، حيث إنقسموا إلى فرقتين إحداها اتجهت نحو قصابي وأخرى إلى "تبو"فدارت معركة كبيرة وضعت العدو بين فكي كماشة خاصة بعد

[1]- عبد الله مقلاتي وآخرون، مرجع سابق، ص 18 .

[2]- سيدي سليمان بن علي، جمعية السجل الذهبي، مرجع سابق، ص 11 .

[3]- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي، مرجع سابق، ص 114 .

[4]- **فالكونتي** كان قائد ملحقة تميمون .

إنضمام أهالي طلمين فانهزم الجيش الفرنسي وانسحب مخلفا خسائر بشرية ومادية منها مصرع الضابطRamillonومُحَّد بن الطيب أحد أتباع الطريقة القادرية بورقلة في الفيلق العربي.[1]

ثالثا:إحتلال إقليم توات

وهنا وجهت القوات الفرنسية أنظارها نحو توات الوسطى بعد إخضاع شماله وجنوبه، بعد حصره بين قوتين فرنسيتين وباعتبار منطقة توات الوسطى مكشوفة جغرافيا، فكانت الإستراتيجية وضع منطقة توات بين فكي كماشة، فحاصر الإقليم التواتي فرقتين من الجيوش الفرنسية إحداها بقيادة الجنرال "سرفيار" تتكون من ثمانمائة جندي مع أربعة مدافع والأخرى تحتوي على ثلاثمائة جندي تنطلق من تيديكلت والفريق الآخر في تيمي بذلك استطاعت فرنسا إخضاع إقليم توات بعدأن وقعت عاصمته في قبضة القائد الفرنسي يوم 10 فيفري 1901م وأصبحت توات الكبرى بأقاليمها الثلاث تحت السيطرة الاستعمارية التي مثلت نقطة تحول كبرى في تاريخ الجنوب الجزائري مع تحول الحياة السياسية إلى يد الفرنسيين عن طريق تعيين قادة جزائريين مسؤولين أمامهم عن السكان وحركاتهم واتصالاتهم، فهم المعروفين بالتنقل والترحال الموسمي، إما للتجارة او لطلب العلم، أما الوضع الاجتماعي فقد دخل إقليم توات عهدا جديدا من الإحتلال الفرنسي ارتبط بتحول المقاومة العسكرية إلى المقاومة السياسية ومن الاستقلالية إلى السيطرة الاستعمارية.

فعملت السياسة الاستعمارية على محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي من خلال الزوايا التي ظلت لفترة طويلة تحافظ على هذه المقومات الوطنية لذا لم تسلم هذه الزوايا من وطأة الاستعمار الفرنسي، بتوقيف النشاطات التعليمية، خاصة وأن النظام الإداري الاستعماري المنبع في هذه المناطق الصحراوية نظام عسكري باعتبار معظم السكان جزائريون فقط والمتمثل في تقسيم البلد إلى وحدات إدارية على رأس كل منها ضابط فرنسي فرنسي تحت إمرته قائد المقاطعةمع إنشاء مراكز مراقبة على طول مناطق الهضاب كالبيض والجلفة والمنيعة مثلا، خصصت لها وحدة عسكرية وإدارة محلية تمثلت

[1]– عبد الله مقلاتي وآخرون، مرجع سابق، ص 21 .

في المكاتب العربية التي مهمتها جمع الضرائب وتحقيق الأمن من خلال المتابعة الدائمة للسكان والتجسس عليهم [1].

وباعتبار الزوايا في إقليم توات كانت مأوى لعابري السبيل ومَعلم لنشر العلم وتثبيت دعائم الإسلام فقد واجهت كغيرها من الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر سياسة عنيفة تمثلت في تأميم الأوقاف والتحكم في المساجد والزوايا وتقليص تأثيرها والقيام بالدراسات حول العشائر والتحكم في الدراسات العليا من المدارس الإسلامية لتشكيل نخبة علمانية.وفي هذه النقطة بالذات لاحظنا أن فرنسا اهتمت بالشيوخ أصحاب الزوايا الذين لهم جاه وشرف الكلمة المطاعة بين الناس لتطويعهم لخدمة فرنسا مقابل الألقاب (كالباشا آغا)، وامتلاك بعض الأراضي والتوسع فيها على حساب السكان حتى تكون له مكانة عند السلطات الاستعمارية مما جعل بعض الزوايا يتغير مسار أسلوبها في التعليم والاهتمام بالطلبة واستغلالهم في الخدمة داخل الزاوية وفي الأرض الزراعية على حساب الهدف المنشود منها، هذا وقد أصدرت السلطة الفرنسية مرسوم إنشاء المدارس الابتدائية في بعض المدن والاهتمام بالتعليم لترويض الأهالي وتضخيم التحضر الاستدماري والإغراء بتقديم الخدمات الطبية مع تنشيط حركة التنصير خاصة وأن الأخوات البيض هم من كانوا يتكلفون بمهمات المساعدة الطبية للأهالي في المناطق الجنوبية محاولين في ذلك إعطاء نظرة مغايرة وهي نشر الحضارة والديانة المسيحية.

إهتمت السياسة الفرنسية بالهندسة المعمارية ووضع التماثيل وتسمية الشوارع وغير ذلك.

-أصدرت قانون الأهالي لحرمان الجزائريين من حق المواطنة مثل منع الاطفال من الالتحاق بالمدارس القرآنية مع الرقابة على الحج باعتباره المنفذ على الشرق.

[1]- G ،G ،A ،TABLEAU DE LA SITUATION DESETABLISSEMENTS FRANÇAIS DANS L ALGERIE ،1866 – 1865 ،P ،X L V ،IMPRIMERIE ، HMPERIALE ،PARIS ،MDCCC ،L X II ،JEUDI 8/2 ،ANNEE ،N° ،1859 EMEG ،COURRIER DE L ALGERIE ،EMILE ،THULLIER ،LES BUREAUXARABES ،1869 ،P: 1 .

-اعتمدت فرنسا سياسة "فرق تسد"للتفرقة بين العشائر والإخوانيات والمرابطية تفريقا ثقافيا وتعيين الشيوخ وعزلهم وعرض الإسلام في صورة منحطة لفرض الثقافة الغربية وتنشئة طبقة من الزعماء الدينيين للقيام بالمهمة.

لكن الزوايا العلمية وغيرها من الطرق الصوفية كان لها دور أساسي ورئيسي في تثبيت دعائم الإسلام في معظم البلاد الجزائرية وخاصة الجنوب الجزائري وهذا الأمر ينطبق تماما على علماء توات و رجال الدين، الذيين اهتموا ببنائهم وقد تطورت مابين القرن التاسع الهجري والخامس عشر ميلادي وأصبحت تدعوا إلى الجهاد وإهمال الصلح والتكافل الاجتماعي[1]، وظلت زوايا العلم تقوم بوظيفتها كتحفيظ القرآن والعلوم الشرعية والتعليم لمختلف الاعمار.

كما كانت هذه الزوايا التواتية محلا لإلتقاء المجاهدين وتمرير رسالة الجهاد، بل تعدى الأمر من مجرد التوجيه والتعبئة إلى المشاركة الفعلية كما هو الشان في معركة الدغامشة التي كان في مقدمتها الكثير من شيوخ الزاويا أمثال مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباسي الذي كان قائد هذه المعركة يوم الرابع جانفي عام ألف وتسعمائة ميلادي 1900م كما هو الشأن أثناء المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة الذي وصل إلى إقليم توات في بداية 1882م حيث وجد المساعدة المادية والبشرية والمعنوية لاستئناف كفاحه، فكان عليه كسب المزيد من الرجال لصفه وبوصفه رجل دين وعلم، أنشا زاوية له في قصر عبود بمقاطعة زوا لدلدول بمنطقة تميمون حيث أصبحت الزاوية مكانا للضيوف وعابري السبيل وتلقين المريدين أسرار طريقة أولاد سيد الشيخ وهذا جذب إليه الوفود من الأقاليم التواتية لتبايعه على الكفاح وتسانده بالرجال والمال[2]، مما دفعالاستعمار الفرنسي في إلحاق الدمار بهذه الزاويا على مستوى هياكلها كإحراق المخطوطات وإبادة المنتمين إليها بشتى الوسائل وتخصيص بعثات للاطلاع على حقيقة الزوايا، خاصة بعد مقتل (دوفولكو) الذي كان جاسوسا على أعمال هذه الزوايا [3].

[1]- عبد الله عباس، مرجع سابق، ص- ص 78، 80 .

[2]-مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج 2، ص- ص 13، 14 .

[3]- عبد الله عباس، مرجع سابق، ص 124 .

ونلاحظ أن الزاوية التواتية نشأت من أجل أهداف دينية خالصة، أهمها تثبيت دعائم الإسلام الصحيح وأحكامه في نفوس المسلمين الجدد الذين ظل إسلامهم ناقص لبعدهم عن مراكز التوجيه الإسلامي وقد ظلت العلوم الدينية بمختلف أنواعها المحور الأساسي للزاوية .

رغم قساوة موقف الإحتلال الفرنسي اتجاههذه الزوايا العلمية المتمثل في إصدار المراسيم ضدها ومتابعة معلميها وغلق مدارسها خاصة التي بنيت من تبرعات الأهالي وهذا ما حدث لمدرسة الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير بتميمون الذي لم يكن ينجو من كيد المستعمر ومحاولاته للتفتيش وغلق المدرسة، فقيض الله له الشرطي الهاشمي دينار الذي كان يأتيه بالأنباء ويحاول أن يحمي المدرسة من التفتيش ومع ذلك قام المستعمر باعتقال الشيخ مرة وأجرى له استنطاق وأطلق صراحه بعد تجمع الأهالي حول الثكنة العسكرية[1]، ولأن السلطات الفرنسية كانت تراقب هذه الزوايا وتحاول خلق الأسباب لإغلاقها، فقد ساعدت بعض الظروف على ذلك لما كان الشيخ كلف أحد تلامذته وهو الطالب الصديق يعاقب بعض الطلبة لتربيتهم وحثهم على حفظ القرآنومن وسائل عقابهم كانت (القرص) مما يجعل آثارها بادية على أجسادهم، فيذهبون إلى المدارس الفرنسية وأثناء حصة الرياضة البدنية ينزع الطلبة ثيابها ويرتدون لباسا تظهر من خلاله علامات العقاب (القرص) بادية على أجسامها فتسألهم المعلمة الفرنسية عن سبب ذلك فيحدثونها، فاتخدت السلطات الفرنسية ذلك ذريعة بالقبض على الطالب الصديق بتهمة الضرب المبرح وكبلوه في الحديد وفتشوا الزاوية ولم يعثروا على أي دليل يساعدهم رغم محاولات الشرطي سلكة عبد الرحمان في الدفاع عن الزاوية كما يفعل دوما لأنه كان يعلم الشيخ مُحَّد بن الكبير عن قرارات فرنسا لتفتيش الزاوية وطبعا كان قرار غلق هذه الزاوية في تميمون وخاصة وأن الشيخ مُحَّد بن الكبير كان يعمل على نصرة المجاهدين وزرع روح الثقة والنصر والثبات ويحثهم على الصبر وتحمل المشاق والصعاب كما كان يطعم موفدهم.[2]

ولأن الزوايا تسعى للمحافظة على الثقافة الجزائرية الإسلامية، استطاعت أن تقف في وجه الاحتلال الفرنسي، فهي العدو المباشر له بعدها أدرك مكانتهاوقوتها ونفوذها، وقد إنبهر الفرنسيون من استجابة الجزائريين الفورية لشيوخ الزوايا، فكان القضاء عليها هو الحل للاستمرار في

[1]- مولاي التهامي غيتاوي، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي مُحَّد بن الكبير رحمة الله ورضى عنه، منشورات ANER، ص 33 .

[2]- مولاي التهامي غيتاوي، مرجع نفسه، ص 32 .

الجزائر.فتعرضت الزوايا لما تعرضت له المساجد من اغتصاب السلطات الاستعمارية لأوقافها، لتحرم بذلك آلاف الموظفين والعلماء والفقراء من حقوقهم المشروعة التي نصت عليها الأوقاف[1]حيث صادرت أملاكها وضمت مداخيلها إلى أملاك الدولة الفرنسية وعملت السلطات الفرنسية على إنشاء المدارس الإبتدائية الفرنسية لسحب التلاميذ من الزوايا ونشر التأثير الفرنسي ازاءها وأيضا حاربت فرنسا كبار المرابطين واستدرجت بعضهم بالوظائف أو تشجيعهم على الدروشة والدجل بدل العلم والتعليم، كما كانت السلطات الفرنسية تضييق الخناق على الزوايا بالتفتيش المفاجئ ومنعها من نشر التعليم العام وفرض برنامج ضيق عليها يسمح لها فقط بتحفيظ القرآن دون تفسيره أو تعليم قواعد اللغة وأصول الدين دون الفهم.

إن تعطيل الزوايا العلمية أدى إلى البؤس الاجتماعي والجفاف العلمي وتأخير كبير في الدراسات الفقهية مما انعكس ذلك على وظائف عديدة منها وظيفة القضاء مثلا.

ومن سياسة فرنسا اتجاه هذه الزوايا تشديد الرقابة عليها وبث الخلاف والانشقاق داخل الزوايا وبين الطرق الصوفية وضربها ببعضها البعض لإضعافها وإسقاطها بين أحضان إدارة الاحتلال طلبا للعون والمساعدة[2]، ولكن بعد تضاؤل المقاومات الشعبية انتهج الإحتلال الفرنسي سياسة التقرب من شيوخ الزوايا وهي سياسة موازية لسياسة القمع. فظاهريا أعطى مكانة لشيوخها بحضور المناسبات الدينية لها وباطنيا كان يسعى إلى إضعاف عقيدتها[3].ولملء الفراغ ومحاصرة نشاط الزوايا العلمية وغيرها فأنشأت الحكومة الفرنسية المدارس الفرنسية وأصدرت مرسوم 18 اكتوبر1892م اشترط المرسوم أن يكون لكل زاوية سجل تسجل فيه أسماء التلاميذ وعائلاتهم ومحل إقامتهم وتاريخ ميلادهم...الخ، وبقدرما كان هذا المرسوم يخدم الزوايا من الناحية التنظيمية إلا أنه يظهر تخوف فرنسا من الفئات

[1]– بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، 1830م – 1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012م، ص 138 .

[2]– عثمان زقب، السياسة الفرنسية في الجزائر، 1830م – 1914م، دراسة في الأساليب الإدارية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015م، ص 117 .

[3]– هاجر عطيلي، موقف الإحتلال الفرنسي من المؤسسات العلمية والدينية في الجزائر، 1830م – 1938م، مذكرة ماستر في التاريخ تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، اشراف مُحَمَّد الحاكم بن عون، 2018م / 2019م، ص56 .

المتعلمة لكن تكون محل مراقبة لديها ويساعدها في عرقلة التعليم في الزوايا ومنافسته ووضع الشروط المضادة له مع عدم توظيف خريجي الزاوية.

وفي خلاصة الموضوع فإن السياسة الاستعمارية حاولت بأساليبها ومراسيمها القضاء على نشاط الزوايا ومحو دورها الاجتماعي والتربوي واحتوائها إلا أن هذه السياسة لم تنجح معها، واستطاعت الزوايا أن تواصل نشاطها الثقافي والديني كسد منيع أمام الإحتلال الفرنسي حيث يقول مُحَمَّد نسيب في هذا الشأن: "إن طالب الزاوية كان يتمسك بدينه ويتعلق بشخصيته ويعتز بثقافته العربية الإسلامية في الوقت الذي كان الناس يتهافتون فيه للغة الفرنسية، لغة الخبز المغموس في دماء الضحايا والمذبوحين..."[1]

إن الزوايا صمدت أمام السياسة الاستعمارية التي انتهجتها في إقليم توات رغم أساليب القتل والتنكيل مثل ماحدث في زاوية حينون اولف العرب والتنكيل بالحاج أحمد بن الحاج مُحَمَّد وتدمير الزاوية بتاريخ 06جوان1899، هذا غير عمليات الجلد والتعذيب والضغط والتشريد للعائلات والاشخاص كتشرد العلامة الفقيه عبد الرحمن بن الإمام الذي ذهب إلى طرابلس واحرقت كتبه بالنار [2]

ورغم كل ذلك يوجد بتوات رجالا علماء ومشايخ عظماء كانت مهمتهم الدعوة إلى الله ونشر العلم والجهاد وتلقين الذكر وكان الناس يحترمونهم وحتى الغزاة الذين كانوا يتدون على القرى اذا سمعوا بوليا من الأولياء في قرية اعتبروه درعا وحصينا لها.[3]ولا يعتدون ليها وهذه منفعتهم امثال الشيخ مولاي عبد الله الرقاني والشيخ مولاي هيبة والشيخ أحمد الرقادي وغيرهم من الأولياءالصالحين لهذه الزاوية الزوايا والقصور.

رغم التعنيف الاستعماري اتجاه زوايا العلم والعلماء إلا أن هناك مواطن كان يحترموهم فيها لدرجة علمهم لذلك استمر نشاط هذه الزوايا العلمية بطريقة أو بأخرى بموازاة العمل الجهادي لزحزحة العدو من البلاد.

---

[1]- طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، عدد 14، جامعة البويرة، أكتوبر، 2013م، ص 144 .

[2]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، مرجع سابق، ص- ص 310، 311 .

[3]- مُحَمَّد باي بلعالم، المرجع نفسه، ص 555 .

رابعا :إحتلال إقليم الساورة

مر إحتلال هذا الإقليم بمرحلتين في إطار التوسع الاستعماري الذي يدخل ضمن التصور الشامل لإحتلال القطر الجزائري إضافة إلى الغاية الإستراتيجية سياسيا واقتصاديا الهادفة إلى احتكار تجارة السودان الغربي عبر الجنوب الوهراني باعتبار المنطقة بوابة الصحراء ذات مزايا أمنية دفاعية بفضل مايحيط بها من سلاسل جبلية وأحزمة كثبانية رملية يستعصي على كل عدو اختراقها بسهولة لهذا عملت السلطة الفرنسية على إرسال بعثات استكشافية كمرحلة أولى دامت من 1855الى1881مما أعطى لفرنسا تصور عن الصحراء وأهميتها التجارية بين الشمال والجنوب وفي هذا يذكر الدكتور "فلامن"(FLAMAND) الذي زار المنطقة في بداية القرن العشرين في قوله : "إذا القيتم نظرة على خريطة الجزائر فإنكم تلاحظون في أقصى الجنوب الوهراني جزرا من الواحات على ظل وادي الساورة، أين يتواجد المسلك الذي تقوم عليه تجارة القوافل عبر الصحراء ومن ثم فإن إحلاله يضمن التحكم في أهم المسالك التجارية عبر الصحراءخاصة تلك المتجهة إلى السودان، كما يمكن من خلاله قطع أواصر الاتصال بيين الحركات الدينية المسلمة باتجاه إفريقيا".[1]وهنا يذكر " ليوتي" (LYAUTEY)": أن احتلال شمال إفريقيا لا يعود فضله إلى الغزو العسكريبقدر مايرجع إلى الذين رسموا لنا الخريطة الإثنوغرافية لقبائل الشمال الإفريقي "[2].يتبين لنا هنا أن فرنسا إنتهجت طريقة البعثات الاستكشافية للصحراء الجزائرية لدراستها في شتى المجالات الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية والثقافية لترسم بعد ذلك خريطة التوسع والإحتلال بعد إدراك مواطن الضعف وكيفية الاستغلال لها .

وقد بدأت عملية الإرساليات الاستكشافية لإقليم الساورة مع بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر حيث وصلها الكولونيل '' دوكولومب ''(de colombe) القائد الأعلى لدائرة البيض خلال الفترة الممتدة بين (1854-1866)وذلك بتاريخ 11جانفي 1855 عبر منطقة الجنوب الغربي برفقة كتيبة عسكرية، اجتاز خلال رحلته مناطق عدة منها بشار، عين الشعير، القنادسة وعاد مرة أخرى في 18مارس 1857 لكنه فشل في إخضاع المنطقة أمام مقاومة شرسة من سكان هذا

[1]- محمد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصاديةفي منطقة بشار، 1903م – 1962م، دار أم البراهين للنشر والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، ص57 .

[2]- LYAUTEY (PIERRE) ،VERS LE MAROC ،LETTRE DU SUD ORANAIS ،1903- 1906 ،PARIS LIBRAIRIE COLIN ،1937 ،P: 31 .

الإقليم ضد كل الحملات العسكرية المصاحبة لمجموعة من الباحثين لاستكشاف جيولوجية المنطقة من كل النواحي منهم الدكتور «ماريس»(mares) وفي سنة 1860 توجه الكولونيل «دوكلونيو»(de cloniaux) والنقيب "بيران" (burin)عبر حملة عسكرية إنطلاقا من مدينة البيض باتجاه واحات توات مرورا على منطقة بشار بغرض تطوير التجارة مع الصحراء واستطاع الملحق العسكري بمكتب الشؤون العربية بالبيض الضابط «فيروناي»(ferronays)تصميم خريطة عامة لجغرافية المنطقة تسهيلا للحملات التوسعية بغرض الإحتلال الشامل.

وتكونت حملة فرنسية أخرى بقيادة الجنرال"دو ويمبفن" (de wimpffen) قائد الفرقة الفرقة العسكرية للقطاع الوهراني وهي حملة تأديبية لقصر بوكايس الذي تم الاستيلاء عليه يوم 8 أفريل 1870م وبعد يومين وصلت القوات الاستعمارية إلى قنادسة، ثم نزل الجنرال الفرنسي إلى واد قير ليشتبك مع سكانها في معركة العبادلة يوم 14 أفريل 1870م وأخفق في الاستلاء عليها. وبذلك لم تفلح فرنسا في فرض سيطرتها على قصور هذه المنطقة حيث صرح بذالك الضابط "رين"rinn، ""في 21جانفي 1881م بالجزائر إذ يقول:"الحملات المختلفة منذ 1864م على منطقة القصور ثم بعد ذلك في سنة 1870 ترهن وتكشف إذ ما تجاوزنا من المبالغ الهائلة المنفقة عليها، بأن أهدافنا المسطرة لم تتحقق..."[1]، وهو ما أيده "دوكاستري"في تصريحه: "الجنوب قد ضيع لفرنسا نصف قرن من الزمن، والأموال الضخمة تقدر بالملايين كان من الأفيد استثمارها في توسيع نفوذنا في مناطق حيوية كالمغرب مثلا ... "[2]

وهنا كلاهما يتحدث عن الخسائر التي خسرتها فرنسا في محاولاتها لإخضاع هذا القسم من الجنوب الغربي الجزائري ولكنها في نفس الوقت غنمت الكثير من خلال هذه البعثات التي أرست الضوء على المسالك الجغرافية الصحراوية والكنوز والثروات الطبيعية المتنوعة في هذه المناطق ورغم فشل حملة "بيرطروند" (bertrand) التي إنطلقت في يوم 26 مارس 1900 من جنان الدار التابعة لمنطقة بني ونيف والتي وصلت إلى تاغيت وإقلي، فوقعت معركة الزعفراني يوم 30 جويلية 1900 بقيادة «دوسوسبيال»(de susbielle) والإخفاق الذي سجلته القوات الفرنسية . إلا أن

[1]- محمد برشان، مرجع سابق، ص 60 .

[2]- ايف لاكوست، وأخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابحوآخرون، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنونالمطبعية، الرغاية، الجزائر، 1984م، ص 387 .

الاستعمار الفرنسي أجرى اتفاقيات مع المغرب الأقصى[1]وعين الجنرال "ليوتي"(lyautey) على رأس قيادة إقليم العين الصفراء فكثف هذا الأخير مراكز المراقبة وبعدها إخضاع منطقة جنين بورزق بحلول سنة 1895م وتزامن ذلك مع مد خط السكك الحديدية بين العين الصفراء وجنين بورزق، هذا الخط الذي أصبح وسيلة لتوسيع الإحتلال، فتوغلت قوات الإحتلال في الصحراء ووصلت إلى بشار واحتلتها يوم12نوفمبر1903م بعد مقاومة عنيفة من سكانها حيث بعدها اعتبرتها كمقر لقيادة إقليم الجنوب الغربي الذي كان في العين الصفراء لتقريب إدارة القيادة العسكرية من الأراضي الجنوبية.

ولم يكن من السهل على الاستعمار الفرنسي التوسع بهذا الإقليم فقد واجهه السكان بأشكال مختلفة من الرفض والمقاومة منها مقاومة أولاد سيد الشيخ (1864م-1874م)التي احتضنتها قبائل المنطقة ووسعت من نشاطها إلى الجنوب كقبائل العمور وذوي منيع وأولاد جرير تحت راية الشيخ بوعمامة .

وهنا يظهر نجاح استثمار العامل الديني في استقطاب القبائل لمقاومة الإحتلال في معركة واد قير 15أفريل1870وكان النصر لهم ومنها معركة المنقار 2سبتمبر 1903م ورغم السيطرة الفرنسية على بشار إلا أنه لم يمنع من استمرار الهجمات والغارات المنفردة للقبائل على مراكز القوات الفرنسية.

إن الاستعمار الفرنسي لم ير في النظام القبلي السائد بأقاليم الجنوب عائقا يحد من سلطة الإدارة الاستعمارية بقدر ماكانت تمثله الزوايا وانتماءاتها الطرقية وشبكاتها الاجتماعية والتي يمكنها أن تنظم مقاومات فعالة ضد للإحتلال، إلا أن الرابطة القبلية إن ظلت تؤازرها القيم الروحية فإنها تقضي على الوجود الفرنسي ولذا كانت الزوايا والطرق الدينية الصحراوية هاجسا للسلطة الفرنسية التي عملت على مراقبتها، وهنا يتحدث الأمير خالد عن السياسة الاستعمارية التي انتهجت بالجنوب الصحراوي في محاضرة ألقاها في باريس في شهر جويلية 1924م حيث قال: "إن أهالي مناطق الجنوب هم تحت رحمة حكامهم الطغاة في دوائرهم فهؤلاء الضباط لهم صلاحيات مطلقة يمددونها

[1]- عقد هذا الاتفاق في باريس بين وزير خارجية فرنسا ديلكاسي delacasseنظيره المغربي عبد الكريم بن سليمان رئيس البعثة المغربية في 20 جويلية 1901م، كرس هذا الاتفاق ماتضمنته اتفاقية لالة مغنية 1844م وحمل اعتراف المخزن المغربي بشرعية التوسع الفرنسي في منطقة الجنوب الوهراني من بين فصولها مايتعلق برسم الحدود الجزائرية المغربية ووضعية ذوي منيع وأولاد جرير .

ويقلصونها حسب هواهم، إن هذا النظام لهو أشنع من قانون الأهالي لا يخضع لرقابة ولا حدود له، إن البدوي الراحل قد دمر وحول إلى متسول".[1]

وهذا هو الأمر الفادح حيث كان مصير سكان الجنوب تحت أهواء ورغبات أشخاص بمثابة ضباط عسكريين هدفهم ثروات ومعادن الصحراء. إن إقليم الساورة غني بموروثه الثقافي والفكري وبخاصة مايتعلق بالإسلام وعلومه وفنونه وقد واصل الإقليم على ذلك من خلال الطرق الصوفية كالزوايا الزيانية والكرزازية والشيخية على الرغم من الفترة الاستعمارية العصبية وسياستها المتشددة ضد الزوايا والتي ركزت ضرباتها على كل ما يميز هذه الشخصية العربية الإسلامية فبقيت مدن الإقليم محافظة على اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتغذى منهما الشباب الطامح للاقتداء بأجداده من أهل الفضل الذين نقلوا هذه العلوم وحافظوا على التراث العربي فاستمر نشاط الزوايا رغم الضغوطات الفرنسية بحيث امتازت الزوايا الكرزازية بالدور السياسي المسالم اتجاه التوغل الفرنسي لمنطقة الساورة، رغمأن هناك عدد كبير من الزوايا خلال هذه الحقبة الاستعمارية توقفت عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية بسبب استيلاء الاستعمار على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزاوية في نشاطها باستثناء الزوايا التي كانت لها أملاك خاصة تعتمد عليها كالزاوية الكرزازية والزيانية والقندوسية[2].

ورغم ذلك فإن السلطات الاستعمارية جعلت هذه الزوايا تحت وصاية ومراقبة منها مع محاولة تهميش دور الزوايا من خلال إقامة مؤسسات تربوية تضاهيها وموازية لنشاطها التعليمي الاجتماعي بغرض تحطيم نفوذ الزوايا باستثناء بعضها على غرار ذلك الزاوية الزيانية التي حظيت بامتياز ممارسة نشاطها بترخيص رسمي من السلطات الاستعمارية [3]، مما جعلهم ينحازون إلى السلطة الاستعمارية وهذا ما أفقدهم ثقة المجتمع، وبذلك يتضح وضع الزوايا في إقليم الساورة إبان الحقبة الاستعمارية فمنها من تعايش مع السياسة الاستعمارية كالزاوية الزيانية ومنها ما انتفضت وأعلنت رفضها وعملت على تعبئة المقاومة ضد الإحتلال.

---

[1]- وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، أشغالملتقى بشار (دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية)، سلسلة القوافل العلمية 2، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010م،ص 36 .

[2]- محمد نسيب، زوايا العلم والفرأن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989م، ص- ص 217، 227 .

[3]- محمد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافيةفي منطقة بشار، مرجع سابق، ص- ص 352، 353 .

خامسا: إحتلال تندوف

استمرارا لعمليات التوسع الاستعماري للقارة الإفريقية بربط مستعمرات فرنسا في الشمال والجنوب والشرق والغرب وباعتبار منطقة تندوف ممر عبور نحو إفريقيا الجنوب والمغرب الأقصى وموريتانيا غربا من خلال نشاط القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء وهذا الموقع الاستراتيجي لتندوف أهله لأن تلعب دورا اقتصاديا وتاريخيا وثقافيا، ضمن المحيط المغربي حيث قام الإحتلال الفرنسي بإرسال بعثات استطلاعية للأماكن التي ينوي احتلالها منطلقا في ذلك بمعرفة سكانها وأحوالهم وثقافتهم منذ 1923م، وقد استطاع الإحتلال الفرنسي بعد السيطرة على إقليم توات سنة 1901م ثم الساورة سنة 1904م، تابلبالة سنة 1910م وعرق شاش سنة 1912م أن يوجه أنظاره نحو منطقة تندوف حيث قامت فرقة المهاري العسكرية بحملة استكشافية في منطقة تندوف وكان ذلك في إفري لوماي 1925م بمساعدة حملة عسكرية قوامها مائة وثلاثون جنديا تحت قيادة الضابط "ريسوت"(ressot) وكانت هذه البعثة تتضمن ثلاثة ضباط وطبيبا وجيولوجيا هو "منتشكوف" (mentchikoff) ولما وصل إلى منطقة المحجر في 9 أفريلمن نفس العام عبرت البعثة منطقة الداورة وتنفوشي وجبال الوركريز إلى غاية دواوير قبيلة أولاد عريب وانطلاقا من بئر «زمول» إنحدرت البعثة الاستكشافية صوب النجود العليا لتصل إلى تندوف فوقع الاحتكاك مع الركيبات أثناء العودة إلى الضاية الخضراء فكان هجومهم شرسا لكنهم سرعان ما فروا مخلفين قطعانهم التي وقعت غنيمة للحملة العسكرية التي ترافق البعثة الاستكشافية ومنها اتجهت هذه الحملة إلى تابلبالة.

فقد كان لهذه البعثة صدى واسع من خلال النتائج المحصل عليها في اكتشاف طرق تجارية عابرة لهذه المناطق مثل الوركريز و النجود العليا لدرعة وتندوف والضاية الخضراء، فاعتبرها السلطة الفرنسية ذات إنجاز كبير لرسم خريطة الطريق والمكان وتجميع عينات طوبوغرافية ودراسة جيولوجية ونباتية لتندوف وقبائل التجاكانت.

وهنا نشير إلى رحلة الدكتور «اوسكارلانز»(oskar lenz)الذي كلف بدراسة مرتفعات الأطلس المغربي والمناطق الجنوبية القاحلة خاصة من تندوف إلى تمبكتو فاخترق المغرب الأقصى من

طنجة إلى تندوف ومنها إلى تمبكتو[1] وبعدأن تمكن الإحتلال من مدينة تندوف في 31 مارس 1934 م ولم يكن ذلك سهلا أمام مقاومة أهالي تندوف للاستعمار الفرنسي حيث قاطع الأهالي التعامل مع السلطة الفرنسية كونهم نصارى والاختلاط بهم رجس وعدم اقتناء بضائعهم وحمل السلاح ضدهم وأعلنوا الكفاح المسلح ووقفوا في وجهه وأمام أطماعه التوسعية، رافضين بذلك الخضوع خاصة عند اندلاع الثورة المسلحة في الفاتح من نوفمبر 1954م إنتفض سكان تندوف راغبيين في الجهاد، فكانت معركة "مركالة "[2]التاريخية التي دارت بين مجاهدي تندوف وجنود الاستعمار الفرنسي عام 1956م، فاستشهد بها 11 شهيد ومعركة «حاسي منير «والسويحات ووادي الداورة ومعركة "أم العشار "[3] الشهيرة التي هزت كيان الإحتلال الفرنسي ومعركة «لوتيتات»ورغم ذلك فقد صمد أهلها أمام أنواع التعذيب والتقتيل. إن المقاومة التي قام بها في تندوف لا تقل أهمية عن باقي المقاومات التي ظهرت في الجنوب الغربي وفي جميع ربوع الوطن، إن مقاومة سكان تندوف كانت عفوية لم تكن منظمة مثل غيرها، لذا تميزت بأنها كانت تقوى وتشتد في بعض الأحيان وتنطفئ شعلتها أحيانا أخرى.

ولم يقتصر دور شيوخ وقبائل تندوف على الدفاع عن الدين والوطن وتقوية الإيمان بالله في محاربة النصارى حيث كانت هناك شخصيات أخذت عبء تدريس القرآن الكريم بالكتاتيب القرآنية المتنقلة فمنهم من اعتنى بالإصلاح والعمل على نشر أواصر المحبة بين الناس مثل سيدي أحمد الرقيبي الذي إنتشرت ذريته في مختلف أنحاء الصحراء.

إن علماء مدينة تندوف رغم التواجد الفرنسي إلا أنهم استمروا في إثراء الحياة العلمية والثقافية في تندوف وماجاورها خلال القرنين التاسع عشر والقرن لعشرين الميلادي وقد لعبت قبيلة تجاكانت دور بارز في هذا النشاط العلمي والحركية الثقافية من مساهمات علمية وإن كانت هذه الزوايا لم تسلم من تشدد المراقبة الفرنسية عليها إلا أنها لم تقف جانبا عن مقاومته بشتى الطرق في الوقت الذي كانت تقوم فيه بدورها الأساسي والوثائق والمخطوطات خير شاهد على ذلك في خزائن الرمضانيين وابن العبد وبلعمش .

[1]– إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، مرجع سابق، ص 61 .

[2]– منطقة جبلية بصحراء تندوف .

[3]– منطقة بصحراء تندوف .

وكما ذكرنا سابقاأن اكثر الناس تخشاه السلطات الاستعمارية هم شيوخ الزوايا لذا قامت بغرض رقابة صارمة على المواطنيين وشيوخ الزوايا[1]وتعيين الأعيان مع إصدار الكثير من القرارات لتصفية المؤسسات الدينية بإثارة المشاكل والشكوك فيما بينها لضربها مع بعضها مما يتسنى للسلطة الاستعمارية التدخل فيها وفي تنظيماتها الداخلية والاطلاع على شؤونها صغيرها وكبيرها مع وضع حد لنشاطاتهم وشراء ذمم المتعاونين بالضغط عليهم ورفع الضرائب النخيل مع الاستيلاء على الأوقاف[2]والغرض هنا استعمال كل وسائل الضغط لتجهيل الأهالي وتشريد علماء الدين واضطهادهم حتى تتمكن السلطة الاستعمارية من السيطرة عليهم وهنا يقول الجنرال الفرنسي "دكروا": "يجبأن نضع العراقيل أمام المدارس الإسلامية وثقافتهم القومية كلما استطعنا وهذا لينسى الجزائريين ماضيهم وحضارتهم مع الوقت ومن لغة عربية ويستبدلونها باللغة والثقافة الفرنسية"[3].

كما يذكر عمار هلال في كتابه "أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر"أنه حسب التقارير التي أوردتها السلطات العسكرية الفرنسية يقول: "هل أنها فعلا سعت لتوفير تعليم فرنسي ؟كما وكيف اللأهالي بالجزائر لفقدانهم تعلم لغتهم الأصلية، فيشيرون أن اللغة العربية كانت كثيرةالإنتشار في ربوع الوطن كله وأن كل الشعب الجزائري كان مثقف".[4]

ومن هنا نستنتج أنه ورغم السياسة الاستعمارية العنيفة اتجاه الزوايا العلمية في أرجاء الوطن ومحاولاتها في القضاء وطمس مقومات الهوية الوطنية والمتمثلة أساسا في الدين الإسلامي واللغة العربية إلا أن هذه الزوايا العلمية في شتى أنحاء الوطن وبالأخص أقاليم الجنوب الغربي الجزائري جاهدت على جبهتين أو لهاكيفيةاستمرار نشاطها في مسيرة الحركة العلمية والثقافية، والجبهة الثانية هي المثابرة على تعبئة النفوس في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي لدفعه عن البلاد.

---

[1]- فايزة حرزي، الزوايا ودورها في التصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، 1830م – 1945م، مذكرة ماستر، إشراف الامير بوغدادة، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، 2019م، ص 31 .

[2]- عباس كحول، زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، 2013م، ص- ص32، 33 .

[3]- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للنشر، 2010م، ص- ص 63، 64 .

[4]- عثمان سعدي، مأساة شعب وتبلد ضمير، مجلة الأداب، العدد05، بيروت، لبنان، ماي 1955م، ص- ص، 7، 8 .

◄ أن اهتمام فرنسا بالجنوب الغربي بعدما كثفت من الإرساليات والبعثات الاستكشافية خلال القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر الميلادي اهتمت كذلك بما كتبه الرحالة العرب المسلمون عن الصحراء كالإدريسي وابن بطوطة وابن حوقل وحسين الوزان وغيرهم.

◄ ركزت فرنسا في استكشافاتها على معرفة معظم الطرق التجارية الصحراوية.

◄ إستعانت السلطة الاستعمارية بالعديد من المغامرين لرسم مخططاتها والحصول على معلومات ودراسات جغرافية ونباتية وجيولوجية وحتى دراسة سكان الصحراء باختلاف أجناسهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم.

◄ إنتهاج السلطة الاستعمارية أسلوب خاص بالزوايا والطرق الصوفية مستفيدة من تقارير البعثات العلمية، لما لهذه الزوايا من تأثير على الأهالي سواء في تعليمهم أو اكتساب احترامهم وطاعتهم المطلقة في أغلب الأحيان.

◄ نجاعة الزوايا بطرق أو بأخرى في استمرار نشاطها حسب ظروف كل إقليم من مناطق الجنوب الغربي وفي تعبئة الأهالي لمقاومة السلطة الاستعمارية أو المشاركة الفعلية لشيوخ الزوايا في بعض المناطق .

◄ رغم الاختلافات والصراعات القبلية إلا أنها وقفت مع بعضها ضد الإحتلال الفرنسي .

◄ رغم التنكيل والتعنيف الفرنسي لهذه الزوايا إلا أنها كانت تقف موقف الاحترام لبعضها مما يبين قدرة هذه الزوايا على جعل الحكومة الفرنسية لا تستهين بقيمة واحترام الزوايا.

◄ كان تركيز الإحتلال الفرنسي على الطرق الصوفية والزوايا بالتقليل من صلاحيتها ومراقبتها نظرا لتأثيرهم في الأهالي لمجابهة الاستعمار وهذا كان واضحا من خلال ثورة بوعمامة.

◄ رغم اغتصاب السلطات الاستعمارية لأوقاف الزوايا إلا أن معظمهم استطاع الصمود أمام السياسة الاستعمارية.

المبحث الثاني: الدفاع عن الهوية الإسلامية.

أ) بإقليم توات:

إن توات الزوايا العلمية مؤسسة تربوية تعليمية سواء في هيكلتها أو في مواردها البشرية من طلاب وشيوخ للتدريس أو حتى في برامجها التي ترتكز على حفظ الكتاب والسنة وعلوم الشريعة وقد نجد مختلف الزوايا والطرق الصوفية اهتمامها بالدين الإسلامي واللغة من أساسيات برامجها هذا الاهتمام منذ الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام وتأسيس الزوايا والرباطات في بلاد المغرب العربي والعالم الإسلامي فلطالما كانت سامية للروحانيات الإسلامية وقد ساهمت في إشاعة إحساس ديني قوي من باب الحرص الدائم على السمو الأخلاقي في الأوساط الإسلامية[1]، ولهذا يعد التوجه الديني القرآني من أولى اهتمامات الزوايا في العملية التربوية بغرض تعديل السلوك وتحقيق استقرار النفوس وتهذيبها بالقيم القرآنية مما يجعله ينعكس على تصرفهم اليومي، فالطالب يسير على نظام داخل الزاوية مضبوط جدا بجملة من القوانين وأداء لفرائض وتقديم الخدمات داخل الزاوية وغرس قيم العمل التطوعي.[2]

فالزاوية بإقليم توات تشتهر بإسهامها الديني وبعلمائها الذين ذاع صيتهم حتى خارج الوطن، فهي لها واقعها المحلي وخصوصيتها التي تعطيها الاستقلالية والإنفراد عما هو خارج توات وهذا منذ نشأتها بالإقليم إلى يومنا هذا.

وهذا يعود إلى استقرار مجموعة من العلماء بالمنطقة أمثال الشيخ سليمان بن علي والشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي الذي حارب اليهود بالمنطقة دفاعا عن الهوية الوطنية من بدع وشعوذة اليهود ومحاولات سيطرتهم في الوسط الاجتماعي التواتي، كما ساهم في عمارة توات ويكفي أن كل ركن من توات هو زاوية مهما كان نوعها إلا أنها أقيمت لتعليم الناس أمر دينهم وإصلاح ما يمكن إصلاحه من أحوالهم كمدرسة الشيخ أحمد باي بأولف أو الزواية الزجلاوية أوالزاوية البكرية وكذا الكنتية وزاوية

[1]- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة مُحَمَّد يحيان، دار الحكمة، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1999م، ص 4.

[2]- أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص 173.

الشيخ مُحَمَّد بالكبير وغيرها كثير، فمنذ تأسيس هذه الزوايا بالإقليم صارت مراكز إشعاع فكري ثقافي وحضاري، ساهمت في نشر الإسلام واللغة العربية وفي بناء المجتمع التواتي ضمن القيم الإسلامية على مر الزمن، كماساهمت في المقاومة الثقافية والشعبية والحفاظ على الثوابت أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر ومن أمثلة ذلك ثورة الشيخ بوعمامة الذي هيأ جميع القبائل الصحراوية عن طريق مريدي الطريقة الشيخية[1] المنتشرين في كامل المنطقة التواتية حيث بايعه أهلها خاصة مريدي الطريقة في منطقة تينجورارين مما جعله يعلن الثورة على الاستعمار الفرنسي بمنطقة الجنوب الغربي سنة1881م، وأثناء وجود الاستعمار بتوات كان شيوخ وأبناء الزوايا في مقدمة المقاومين.

فقد قاد الشيخ الحاج المهدي باجودا شيخ الزاوية والطريقة السنوسية في عين صالح المقاومة بنفسه وكذا الرقاني مولاي عبد الله بن مولاي العباس من أبناء الزاوية الرقانية ومُحَمَّد ولد حميدة من زاوية حينون والهيباوي مولاي عبد القادر من زاوية مولاي هيبة وهذه أمثلة قليلة من كثير ماقامت به الزاوية في تقوية الإيمان وتثبيت القلوب على الجهاد والشهادة حفاظا على البلاد والدين وتلك المعارك التي جرت في شتى أنحاء أقاليم توات لهي دليل على تشبث التواتيين بدينهم الذي يدعوهم للجهاد حفاظا عن الدين الإسلامي واللغة العربية لدرجة إعلان الجهاد في كل المناطق من البلاد التواتية سواء تسابيت أو سالي والهبلة وتيط وأقبلي وغيرها مع فرض ريبة على المتخلفين عن القتال[2] من طرف الأعيان وشيوخ الزوايا وتوجه الجميع للخوض في المعارك ضد الإحتلال الفرنسي.

وبعد هذه المقاومات العنيفة التي قادتها الزوايا، راح الاستعمار يستهدفها مباشرة فاستولى على أوقافها وقطع مواردها وقيد أنشطتها وشجع على قيام زوايا موالية لها تكرس ثقافة الرضوخ والاستسلام مما ساهم في نشر البدع والخرافات، نتج عن كل ذلك وقف كثير من الزوايا لأنشطتها، لكن ما تبقى منها واصلت نشاطاتها الثقافية والاجتماعية وحمل لواء المقاومة الثقافية والحفاظ على الثوابت الوطنية وغرس الروح الدينية ومبادئ الجهاد في الصغار ومن أمثلة ذلك دور الزاوية البكرية في تمنطيط في استمرار رسالتها التعليمية رغم الظروف الصعبة في وقت كان يصعبأن تجد في توات من

[1]- مؤسسها الشيخ عبد القادر بن مُحَمَّد بن سليمان الذي ولد سنة 940هـ / 1533م بفقيق درس على يد والدهوعمه الشيخ أحمد المجدوب وأنتقل إلى فاس ودرس بها الطريقة الشاذلية عاد بعدها إلى فقيق وبنى بها زاوية للعلم، وارتبط بعدد من شيوخ توات مثل الشيخ سيدي أحمد بن موسى والشيخ أبي مُحَمَّد دفين تبلكوزة، توفي سنة 1025مه / 1616م .

[2]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج2، ص 11 .

يقرأ رسالة، وكان من الطلبة الذين تخرجوا منها الشيخ سيدي مُحَّد بالكبير[1]، والذي تمكن هو الآخر من إنشاء زاوية له بتميمون سنة 1943م لتعليم القرآن والسنة وعلوم الشريعة والمبادئ الإسلامية الصحيحة وبعد غلقها من طرف السياسة الاستعمارية، فتح زاوية ومدرسة بوسط مدينة أدرار، بعد سنة 1950 فتوافد عليه الطلبة من كل درب.

وأثناء الثورة قام بتقديم الدروس والمواعظ التي حث فيها الناس على الصبر والثبات والجهاد في سبيل الله، هذا بالإضافة إلى استقبال المجاهدين من الولاية الخامسة والسادسة في الزاوية العلمية للشيخ مُحَّد بالكبير متنكرين في شكل طلبة من الشمال من بينهم المجاهد مُحَّد شريف مساعدية وأحمد دراية وبلهوشات وغيرهم وبفضل هذه الزاوية التي ساهمت بالنشاطين التعليمي والجهادي كونت متعاونين مع الاستعمار وعيون للثورة لمد المجاهدين بالأخبار أمثال الهاشمي دينار الذي كان يعمل كشرطي لدى الاستعمار ويغطي على الشيخ عند إدارة الاستعمار ويبلغ رجال الثورة عن كل ما يدور داخل الإدارة الاستعمارية .

كما ساهمت هذه الزوايا في إفشال مخططات الاستعمار بفصل الصحراء عن الشمال والذي كان للشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي[2]دورا في ذلك حسب ماورد في مخطوطه نسيم النفخات في ذكر جوانب من أخبار توات وكان شاهدا على ذلك حيث يقول:«...وعندما حاول أن يفصل الصحراء عن القطر الجزائري وعن المغرب ومالي وأن تكون الصحراء تحت راية فرنسا يسيرها الصحراويين أنفسهم ... فكلفوا بهذه المهمة...المفتون مُحَّد محمود بن الشيخ قاضي تمبكتو صاحب أزواد[3]...

كما أن الفرنسيون بذلوا له العطايا الجزيلة و جعلوا رهن إشارته أنواع المراكب من طائرة فمادونها...فوقف له كثيرا من أهل الحل والعقد على وثيقة كانت معه على أن الصحراء يجب أن

[1]- مولاي التهامي غيتاوي، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومأثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي مُحَّد بالكبير، المؤسسة الوطنية للأتصال، الجزائر، 2002م، ص 9 .

[2]- الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ولد عام 1325هـ / 1907م بالمغرب الأقصى تبحر في علوم الدين وحفظ القرأن واللغة، جال في مناطق مختلفة، أقام بسالي حيث أسس زاويته بها، له الفضل في تخريج الكثير من الأعلام منهم الشيخ مُحَّد باي بلعالم وغيره توفي في المغرب سنة 1399هـ / 1979م .

[3]- المنطقة وسط وشمال مالي وتعد تمبكتو عاصمتها .

تكون منفصلة عن الجزائر والمغرب ومالي وهكذا وصل إلى توات...وعرض علينا هذه الخطة... فعلمت أن هذا مكر وخديعة وحيلة وأمر خطير فطلبت منه السماح وادعيت بأني مريض فزجرني الحاكم الفرنسي وقال لابدأن تذهب مع القاضي السيد مُحَّد محمود... وماوسعني إلا أن ذهبت معه وكان في ذهابي خير كثير لأنني أعترف في الظاهر وفي حضرته وأحذر الناس منه في الباطن وعند غيبته حتى أفشلت عنه خطته من أولها إلى آخرها[1]...».ومن خلال هذه الفقرة من مخطوط نسيم النفحات للشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي يتضح لنا الضغط الذي كانت تمارسه السياسة الاستعمارية في فرض قوانينها على شيوخ الزوايا حتى تجعل من المواطن يسير على قدوتها لتحقيق مآربها ولكن هذه الزوايا ومشايخها لم يحققوا للاستعمار مطالبه.

وهنا يذكر مُحَّد نسيب في كتابه زوايا العلم يقول :«وقف الاستعمار الفرنسي حائر حيث وجد الأبواب مغلقة في وجهه الطرق مسدودة أمامه، لم يجد منفذ يتسرب منه إلى داخل الأمة المعتصمة بالقرآن المتمسكة بالإسلام وعمل على طمسها وتشويه سمعتها ثم القضاء عليها بطرق الحيل والدس والمكر والخداع فاستولى أولا على أموال الأوقاف (الأحباس)وقطع منها كل موارد الرزق وجميع المساعدات ظنا منه أنه بهذه الطريقة سيقضي عليها بلا شك بل لم يكتفي بهذا العمل المخزي اللإنساني فعمل إلى التشويه والتزييف والمغالطة ويشجع ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والهمم الساقطة والعقول المريضة والأرواح الشريرة على إنشاء أوكار الفساد... يسمونها الزوايا أي زوايا البندير والزرادي، زوايا المناكر والضلالات... حتى تختفي زوايا القرآن والعلم وتبرز زوايا الشعوذة والدروشة ... وتتشابه الأعمال وتختلط الأمور ... فيوهموا الناس ويضللوا العقول حتى يصبح بعضهم لا يفرقون بين زوايا القرآن والعلم وزوايا الشعوذة والدروشة...»[2]

وهنا أصبح على زوايا العلمأن تحارب الاستعمار من جبهتين في تصحيح ما يحاول تضليل الأهالي به من عمل الزوايا وفي جهةأخرى استمرار نشاطها ودورها اتجاه المواطن الجزائري أينما كان وأينما حل لحماية نفسه من المغالطات والبدع التي تحاول الاستعمارية زجه فيها، ففي الجنوب الغربي الجزائري وبالأخص إقليم توات أكبر الزوايا به زاوية تمنطيط وزاوية الشيخ أحمد الطاهري في سالي

[1]– مبارك جعفري، الزوايا في منطقة توات ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية ومقاومة الاستعمار الفرنسي، ملتقى البعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، (2012/12)، وزراة الشؤون الدينية والأوقاف، أدرار، الجزائر، ص9 .

[2]– مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج1، ص ص 358، 359 .

وزاوية الشيخ مُحَمَّد بالكبير وغيرها من زوايا العلم قد غطت البلاد برجالها الذين تخرجوا من هذه المدارس الأصلية فهنا يؤكد الشيخ مُحَمَّد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية «إن هذه المدارس العلمية لها فروع منتشرة عبر التراب الجزائري وهذه المؤسسات الدينية بأصولها وسائر فروعها لم يظهر منها أي خروج عن منهج الكتاب والسنة النبوية وهكذا سائر زوايا توات ومدارسها على هذا الدرب وعلى الإستقامة ولا ننكر أن في سائر الوطن زوايا ومدارس على هذا المنهج لأن منها فروعا تفرعت من هذه المدارس وواصلت رسالتها. فمساجد ومدارس القطر الجزائري من العاصمة شمالا إلى برج باجي المختار جنوبا ومن تبسة شرقا إلى مغنية غربا الكثير من المساجد والمدارس إطاراتها من ولاية أدرار»[1].

إذن معظم مشايخ ومؤرخين في إقليم توات يؤكدون العمل الجاد الذي قامت به زوايا العلم إبان الاستعمار بهذا الإقليم سواء لخدمة الدين الإسلامي أو لخدمة الوطن بالمحافظة على مقوماته الإسلامية الوطنية دون كلل أو ملل أو خوف وتحت الضغط والتنكيل الاستعماري.

ب) دور زوايا الساورة في الدفاع عن الهوية الإسلامية :

إن الزوايا في هذه المنطقة تكيفت مع الواقع الذي فرض عليها وما وجودها واستمرارها إلى اليوم إلا لتأكيد على استمرارية عملها ونشاطها كمدرسة لتكوين النشئ ومعهد لتحصيله العلوم الدينية واللغوية لتحفظ للإقليم قيمته الروحية والوطنية بصيانة أصالة المواطن ومقاوماته الشخصية على الرغم من الفترة الاستعمارية التي استهدفت معظمها في اغتصاب أوقفاها وتوقيف مواردها وتحديد نشاطها ووضعها تحت المراقبة بفرض الضرائب عليها.

فلولا تلك الجهود العظيمة لهذه الزوايا لما بقي أثر للعربية ولا لعلوم الدين ومن بين الزوايا التي استطاعت بإقليم الساورة في أداء مهمتها ولأنها كانت لها مواردها وأملاكها الخاصة هي زاوي سيدي أحمد بن موسى بكرزاز والزاوية الزيانية بالقنادسة فقد ساهمت في تماسك المجتمع وفق مدونة التنظيم الديني الصوفي[2] مع تضييق حجم الخلافات وتقوية الروابط الإجتماعية على أساس الدين الإسلامي، رغم السياسة الاستعمارية التي جعلت الزوايا من خلال إنشاء مؤسسات تربوية موازية لها تعليما وتربوية.

---

[1]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج1، ص ص 363، 364 .

[2]- مُحَمَّد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، مرجع سابق، ص 346 .

حاولت السلطات الاستعمارية أن توظف بعض الزوايا التي لها فروع في البلدان الإفريقية كوسيلة لتحقيق التغلغل التجاري والسياسي والديني وخاصة الزاوية الزيانية التي كانت تتمتع بمكانة روحية وسياسية على مستوى المنطقة وامتد تأثيرها إلى الدول المجاورة كالمغرب الأقصى وبلاد السودان من خلال الفروع التي كانت تملكها في هذه البلدان مما جعل السلطات الإستعمارية تتعامل معها وفقا لهذه المعطيات حتى تستطيع أن تحقق أهدافها المتمثل طبعا في الإستيطان والتغلغل نحو الجنوب فاستغلت المواقف في زعزعة مركز الزاوية سنة 1906م وهذا ما اعتبرته الزاوية الزيانية إعتداء على أملاكها وتهديدا لمصالحها فحاولت مجابهة المشروع بدعوة سكان القنادسة إلى رفضه ومقاومته بمغادرة المنطقة والهجرة إلى تافيلالت دار الإسلام[1] إلا أنهمفي نهاية المطاف أمام الإمتيازات والتسهيلات المقدمة لشيوخ الزاوية وعلى رأسهم سي إبراهيم رحب الشيوخ بالمشروع وشكروا الحاكم العام .

– نفهم من هنا أن بعض الزوايا بهذا الإقليم قد تبدوا أنها خضعت للسياسة الاستعمارية، لكنها لم تهمل دورها في استمرارية المحافظة على مقومات الهوية الوطنية بتعليم علوم الدين وتحفيظ القرآن على الرغم منأن السلطة الاستعمارية تعتبر شيوخ الزاوية الزيانية خاصة إبراهيم والشيخ مُحَّد المصطفى القندوسي (1852-1859م) والشيخ مُحَّد بن عبد الله (1860-1894م) وإبراهيم بن مُحَّد بن عبد الله المعروف ب سي إبراهيم(1894-1918م)الأكثر إخلاصا وتقربا من السلطة الاستعمارية مما جعل أغلب مرابطي هذه الزاوية يمتعصون من مواقف شيوخهم التي كانت تضر بمصداقية الزاوية في حين باقي الزوايا رفعوا لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي فحافظت المدارس التي كانت تلحق بالمساجد أثناء الفترة الاستعمارية على تحفيظ القرآن باعتباره مفتاحا للمعرفة والمادة الأساسية الوحيدة الملقنة عادة في الكتاتيب والمدارس القرآنية التي كانت موزعة عبر محيط بشار حتى كادت لا تخلو منها حي أو منطقة من مدينة بشار وإليها يعود الفضل في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية ونشر القراءة والكتابة باللغة العربية.

وقد أسندت إليها مهمة تعليم الأطفال الذين يتراوح أعمارهم بين 10 سنوات إلى 13 سنة ولا يزيد نشاطها عن تحفيظ القرآن وقد نجحت هذه المدارس بجوار المساجد يقصدها طلبة العلم من الحي وفيها يتلقى المتعلم القواعد الأولى للغة والنحو والصرف إلى جانب مبادئ العلوم الدينية كالفقه

[1]– مُحَّد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، مرجع سابق، ص 348 .

والتفسير وبالرغم من أن التدريس في الكتاتيب القرآنية بطرق تقليدية إلا أنه يتخرج التلاميذ منه حافظين للقرآن الكريم ويكسبون فصاحة اللسان وبلاغة الكلام خاصة في ظل الحملة التي وجهتها السياسة الفرنسية لتفريغ الأطفال من هويتهم الدينية والوطنية فلولا التعليم العربي الحر لما بقي من العربية إلا صورتها وانعدت تعاليم الإسلام بهذه الديار [1].

وإلى جانب هذه المدارس فقد حافظت الزاوية الكرزازية على استمرار نشاطها الديني والتربوي وكانت الزاوية الكرزازية تأوي لديها المجاهدين العابرين بين منطقة توات والساورة ومناطق بشار إلى تيمون وقورارة وأدرار خاصة بعد الثورة سنة 1954 حيث اهتمت بحمايتهم وضمان الطريق لهم وتوفير الغذاء والمركوب من الدواب ليقطعوا بواسطتها الطرق الصعبة من واد أو عرق فعاقبت السلطات الفرنسية الزاوية الكرزازية بحرق مخطوطاتها وكتبها التي كانت تتضمنهم الدار البيضاء في مكتبة خاصة بها. رغم أن هذه الزاوية ومريديها كانت دائما تختار البعد عن الصراعات السياسية وتسعى للصلح بين الناس ولفك النزاع ومنع الإقتتال بين القبائل وفي سنة 1881 م/1299هـ أقام شيخ الزاوية أي سيدي أحمد بوعجاجة بن الكبيرين علي بوحسون بن مُحَّد بن مُحَّد بن عبد الرحان أبي فلجة بن مُحَّد بن شيخ سيدي أحمد بن موسى سنة 1896م/1314هـ وهذا تاريخ وفاته، علاقة طيبة مع السلطات الفرنسية ويطلب منها سنويا الترخيص له بالسفر إلى القبائل الجزائرية لجمع هداياهم إلى الزاوية[2].

والواضح هناأن أدوار الزوايا الزيانية والكرزازية تخلف حسب مكانة مشايخها الذين يتوارثون المشيخة عليها فمن الدور التعليمي التربوي إلى دور الزيارات وجمع الهدايا والتقرب من السلطات الاستعمارية في حين لاحظناأن المدارس القرآنية الحرة ساهمت بشكل كبير بهذه الإقليم في المحافظة على مقومات الهوية الوطنية في تعليم علوم الدين وتحفيظ القرآن واللغة العربية.

[1]– مُحَّد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، مرجع سابق، ص 363 .

[2]– عبد الله حمادي الإدريسي، تاريخ ومناقب زاوية سيدي أحمد بن موسى الساوري(ت 1013هـ / 1604م) بوادي الساورة وبلاد كرزاز، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 185 .

ت) دور زوايا تندوف في الدفاع عن الهوية الوطنية:

لقد لعبت قبيلة تجاكانت دورا بارزا ومهما في الحياة العلمية لمدينة تندوف وماجاورها لما قامت به من مهام تعليمية ومساهمات علمية وماعرفت به من نشاط علمي ونشر لمبادئ الدين والأخلاق الحميدة، فقد كانت محطة للعلماء وطلبة العلم والمريدين وكل ذلك تجلى من خلال منبرين علميين كانا و لازالا بالمدينة و هما زاوية مُحَّد المختارين بلعمش الجكني التندوفي ودويرة أهل العبد المسعودي الجكني التندوفي التي قامت بنشر العلم وتخريج حفظة القرآن وإعطاء الفتوى لمريديها كما شاركت في عدة معارك دموية دفاعا عن إقليم تندوف كانت دائما تقدم الدعم والمأوى للثوار من الشمال، لهذا كانت عرضة لكثير من العقوبات حيث قامت السلطات الاستعمارية بحملة إعتقالات واسعة في صفوف المناضلين التندوفيين ضمن إنتخابات البلدية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية 1947م حيث وصل عدد المعتقلين إلى 120 معتقل مما جعل نضالهم السياسي سريا إلى غاية إندلاع الثورة التحريرية الكبرى.

ورغم محاولات الاستعمار الفرنسي للقضاء على مقومات المجتمع التندوفي إلا أنه لم يستطع، فقد حافظ على هويته الثقافية في طريقة لبسه ولغته الحسانية.هذا إلى جانب مساهمة فقهاء وعلماء وشيوخ الرقيبات في الحفاظ على المنهج الإسلامي القويم من خلال كتاتيبهم الدينية والتعليمية والتوجيهية للعلامة الشيخ الفقيه الصالح سيد أحمد الرقيبي. وما يلاحظ على المجتمع التندوفي إلى غاية اليوم مساهمة الأسرة التندوفية في تماسك المجتمع في الحفاظ على عاداته وتقاليده دون السماح للسلطات الاستعمارية بمحوها وطمسها فهي جزء من هويتها الوطنية وهذا دليل على عراقة وأصالة هذا المجتمع التندوفي وعمق حضارته الضاربة في التاريخ منذ تأسيس مدينة تندوف لهذا لاحظنا تضامن سكان تندوف مع الحركات الثورية في الجزائر دفاعا عن وطنهم وحفاظا على هويتهم العربية الإسلامية الجزائرية وباعتبار اللغة العربية هي لسان الإسلام وانتماء ثقافي وحضاري ومقوم الشخصية الوطنية الرافضة للاستعمار، فإن التعليم بالزوايا والكتاتيب يمثل المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية وهذا في حد ذاته رفض وتصدي للسياسة الفرنسية التي انتهجتها السلطات الاستعمارية بأقاليم الجنوب وتندوف واحدة منهم بإنشاء مدارس فرنسية موازية لنشاط الزوايا بالإقليم، محاولة

بذلك صنع البلاد بصبغة فرنسية حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر، ماضيا حاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها العربية وتاريخها الإسلامي وانتمائها الحضاري [1].

ولأن المسألة الأساسية التي اشغلت المجتمع التندوفي هو ضرورة الوقوف في وجه سياسة الإحتلال الهادفة إلى القضاء على مقومات الشخصية الوطنية بكل الوسائل الممكنة، فكانت مقاطعة السكان في التعامل مع الفرنسيين وباعتبار معظم سكانها حينها كانوا بدو رحل، فقد كانت كتاتيبهم ترحل وتتنقل معهم بتلاميذها ومدرسيها فحافظت بذلك على ركيزة الإسلام وتجذرها في ربوع العقول هذا إضافة إلى الاسهامات الكبيرة لمدارس وزوايا المختار بلعمش واحفاده من بعده باستمراره النشاط التعليمي تحت الضغط الاستعماري .

ومن هنا نستنتج كيف أن السياسة الفرنسية عملت على مطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة بالجزائر وبالجنوب الغربي خاصة ورغم تعميمها للغة الفرنسية في مجالات الإدارة والمدارس النظامية والعمل الرسمي و وسائل الإعلام ومختلف النشاطات الثقافية، تماشيا مع سياسية الفرنسة والإدماج ورغم محاولة الإحتلال القضاء على مراكز الإشعاع الثقافي والفكري الذي تمثله تلك المدارس والجوامع والزوايا بتحويل بعضها إلى كنائس أو معاهد ثقافية فرنسية فإن الملاحظ هنا أن معظم الزوايا العلمية حافظت على نشاطها بإقليم توات حفاظا على مقومات هويتها الوطنية ورغم تحول بعض الزوايا الطرقية للتعامل مع الاستعمار الفرنسي والخضوع له إلا أن مدارس التعليم العربي الحر قامت بدورها عوضا عنها بإقليم الساورة دون أن تهمل النشاط الضئيل لبعضها في تخريج علماء وحفاظ القرآن الذين بدورهم اعتنوا بتأصيل مقومات الهوية من علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية والعبادات في براعم هذا الإقليم الذين كان لهم الصدى في الدفاع عن الوطن والمشاركة في الثورة التحريرية الكبرى ناتج عن تربية إسلامية أخلاقية عربية بين أيادي فقهاء وعلماء هذه الأقاليم والدليل تلك المخطوطات التي تختزنها خزائن زوايا توات وتندوف والساورة مايؤكد على استمرارية الإنتاج العلمي والفقهي قبل وأثناء الإحتلال الفرنسي أن مقاومة الإحتلال ورفضه له دلالة على حماية المقومات الوطنية بما تحمله الجزائر من عادات وتقاليد وتاريخ ولغة ودين وأجناس متضامنة متعايشة مع بعضها من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها وقد يكون شمال الجزائر عانى من سياسة الفرنسة لتتمركز

[1]– عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص ص 39، 40 .

معظم القوات الفرنسية به إلا أن إقليم الجنوب الغربي استطاع الحفاظ على لغته العربية ودينه الإسلامي لقلة اختلاط سكانه بالمستوطنين الأوروبيين وتجنبهم التعامل مع الفرنسيين إلا ما استلزمت الضرورة به حتى تحت العقاب الفرنسي .

المبحث الثالث: الأدوار التربوية للزوايا العلمية بالإقليم.

1) إقليم توات:

وجدت الزوايا بمثابة السور الحصين للمجتمع وقد تأسست في كل زمن لأجل الحفاظ على العقيدة والمبادئ الإسلامية الصحيحة إزاء حملات الفرنسة التي كان الاستعمار يحاول تعميمها واستبدالها مكان لغة الدين والبلاد وفي هذا تصدت له الزوايا بالمحافظة على الهوية الوطنية والشخصية الإسلامية وقد سخرت كل إمكانياتها المادية والبشرية في سبيل الذود عن العقيدة الإسلامية وصيانة القيم الإنسانية وترسيخ مكارم الأخلاق ونشر الخير والسلام بإنشاء العدل ونبذ الظلم والطغيان.

وفي هذا المجال يقول مُحَّد المأمون مصطفى القاسمي الحسني:"إن رسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه، رسالة شاملة شمولية هذا الدين، أنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع، فهي معقل تربية وجهاد، ومعهد علم وعمل، ومواطن تلاوة وذكر، ومجلس إصلاح وقضاء، ومكان رأي ومشورة، وملتقى تعاون وتضامن وتكافل ..."[1]

والواضح أن الكاتب في هذه الفقرة قد جمع ووضح الأدوار الحضارية التي تقوم بها الزوايا في شتى أنحاء البلاد وهذا يذكرنا بالحضور القوي للزوايا في منطقة توات في الناحية الاجتماعية ساهمت في نشر ثقافة التعاون الاجتماعي في كل المناسبات الاجتماعية خاصة تلك التي تتمثل في فتح أبوابها أمام عابري السبيل وتساعد الفقير والمحتاج وحتى المناسبات الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف وعاشوراء عن طريق المدائح الدينية وسرد ابن عاشر مما يتيح الفرصة للأجيال أن تتذكرها وتحييها إلى جانبها بطرق وأساليب صحيحة خالية من البدع التي حاول الاستعمار الفرنسي صبغها بها .

[1]- مُحَّد المأمون مصطفى القاسمي الحسني، واقع الزوايا اليوم، الملتقى الوطني الأول للزوايا، أدرار، محرم، 1421هـ / ماي 2000م، ص3 .

لقد تعددت الأدوار التربوية للزوايا في توات وأهمها.

- **التعليم في الزوايا:** إن الغرض من تأسيس الزاوية هو التعليم بحيث يقصدها الطلبة من كل الجهات لتلقي العلوم الشرعية وحفظ القرآن وبشكل مجاني مع ضمان السكن والإطعام بفضل الأوقاف التي تعتمد عليها وقد برزت زوايا عديدة في هذا المجال بمنطقة توات ومنها الزاوية البكرية بتمنطيط أو زاوية مُحَمَّد بن الكبير أدرار أو الزاوية الكنتية وزاوية حينون وزاوية مولاي هيبة والزاوية المهدية وزاوية بوغرارة وغيرها كثير، مما سمح بإنشاء زوايا جديدة بعد الاستقلال. أما ما تفرع عن الزوايا الأولى الأم أو أجيز لأحد الطلبة من شيخه بأن يواصل رسالته العلمية بإنشاء زاوية جديدة كزاوية مولاي التهامي غيتاوي بأوقديم وزاوية الدباغ بتنركوك وزاوية الشيخ خليلي بتميمون وغيرها كثير، وأغلبها استمد منهجه في التعليم من القرآنالكريم والسنة النبوية الشريفة وهو أن يبدأ الطالب بحفظ القرآن الكريم ولما يتقدم في الحفظ يطلب منه حفظ الأحاديث النبوية وبعض المتون الفقهية حيث يبدأ الطالب بكتابة المتون في آخر اللوح لسهولة حفظها ويستمر على هذا الأسلوب لغاية ختم القرآن وحفظه ثم يصير الطالب في مرحلة متقدمة يدرس فيها العلوم الإسلامية كالفقه والحديث والسيرة والنحو والتفسير[1] ويتم الدرس والطلبة يشكلون حوله حلقة علمية متصلة ومتسلسلة يلقي فيها الشيخ درسه فيمطره الطلبة بأسئلتهم ومناقشاتهم وكل حلقة درس مخصصة لتخصص معين مثل حلقة للسيرة وأخرى للفقه والثالثة للنحو وهكذا تباعا وتتواصل الدراسة من الفجر إلى صلاة العشاء طوال الأسبوع ماعدا صباح يومي الخميس والجمعة[2] والشيخ هو محور العملية التعليمية وهو الذي يجيز المتعلم في الأخير عند نهاية تعلمه حتى يتسن لهأن يعمل كمدرس في البداية حتى يصل إلى درجة العلماء فالشيخ هو السند بالنسبة للطالب حتى يبلغ درجته العلمية[3]، فهو العمود الفقريفي العملية التعليمية للمحافظة على وحدة الطريقة والمذهب والعقيدة، فلهذا ظل المجتمع التواتي متمسك بالمذهب المالكي إلى غاية اليوم.

---

[1]- مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، ص 8 .

[2]- أمُحَمَّد الكنتي، دور آل كنتة في نشر الاسلام، أعمال الملتقى الثاني حول دورأل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية المنعقد بتاريخ 20ماي 2004م، زاوية كنتة، أدرار، ص 4 .

[3]- مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، 2009م، ص 137 .

وكانت أغلب الزوايا التواتية تقوم بتلاوة القرآن بشكل جماعي ما يسمى بالحزب بين صلاة المغرب والعشاء وبعد صلاة الفجر ويتم ختمه مرة في الشهر وهذا يساعد كثيرا الأميين الذين يتعلمون بالسمع والمشاركة في القراءة حتى يتم الحفظ ولو قليل وعامة الناس في الذكر للقرآن يوميا، ففي زاوية الشيخ مُحَمَّد بن الكبير مثلا يعقد ثلاث مجالس[1] وهي:

– مجلس عام يعقد بين المغرب والعشاء لجميع عامة الناس والطلبة يميزه سهولة وبساطة المواضيع والدروس التي يتناولها.

– مجلس علمي خاص بالطلبة الحافظين للقرآن والمتون ويسمى بدرس الصباح يتناول فيه مثلا مختصر خليل بشرح الدريدي وحاشية الدسوقي والفية بن مالك بشرح ابن عقيل والمكودي وغيرها

– ومجلس أسبوعي ذا صبغة اجتماعية تربوية توجيهية في يومي الخميس صباحا والجمعة مساء، يكون مخصصا للزوار والعامة والطلبة يفتح فيه النقاش لطرح مختلف الأسئلة على الشيخ للإجابة عليها .

ومن العلوم التي يتم تدريسها بالزوايا مايلي :

– علوم القرآن: يبدأ فيها الطالب بحفظ القرآن مع أحكام التجويد والقراءات والتفسير وأسباب النزول مع دراسة مجموعة من الكتب من بينها "تفسير الشاطبي على الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع لابي الحسن بن بري" و"التأويل في معاني التنزيل" للشاطبي، و"شرح الخزرية" لأبي يحي زكرياء الأنصاري، و"تفسير ابن جوزي" و"الإتقان في علوم القرآن" للشاطبي.

– السنة النبوية الشريفة:وتخصص لها حلقات يومية تدرس فيها صحيح البخاري، وشمائل الترمذي والشفاء للقاضي عياض والأربعين النووية وألفية العراقي في علوم الحديث وسيرة ابن هشام، بكل متونه ومصطلحه ورجاله.[2]

– الفقه: وهنا وفق المذهب المالكي كل ما يتعلق بالعبادات والمعاملات ومن الكتب والمتون التي يدرسها الشيخ كمتن ابنعاشر، ومتن العبقري في حكم سهو الأخضري، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومختصر خليل وتحفة الحكام لابن عاصم وأسهل المسالك وغيرها مع الشرح والتوضيح لكل أصول الفقه وقواعده و فروعه .

[1]– عبد الكريم الدباغي، جهود الشيخ الفقيه، أعمال الملتقى الوطني الاول للشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير، المذهب المالكي وجهود علماء المنطقة في نشره وترسيخه، أدرار، 10 – رجب 1431هـ / 23-24 جوان 2010م، ص- ص 234، 235 .

[2]– مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 249 .

من "فتح الرحيم الملك في مذهب الإمام مالك" و"فتح الجواد على نظم العزية لابن باد" و"الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري"وأيضا "المباحث الفكرية على الأرجوزة البكرية"، وهنا لا يمكن أن تذكرها جميعا، محاولين إبراز بعضها لأهميتها وضرورتها لمن سيكون عالما وشيخ زاوية مستقبلا.

– العقيدة: وهو علم الكلام والتصوف بدراسة مصنفات التوحيد كجوهرة اللقاني وشرحها والمتن السنوسية.

– اللغة العربية: باعتبارها لغة القرآن تعطى لها العناية في كل زوايا توات من علم النحو والصرف والعروض والقوافي ودواوين الشعر[1]وفقه اللغة وأهم المتون المعتمدة متن الآجرومية وألفية ولامية الأفعال لابن مالك وملحة الإعراب للحريري إلى جانب البلاغة والمنطق والحساب والهندسة والجغرافيا والفلك والطب.

وإلى جانب التعليم تعنى الزوايا بغرس القيم الفاضلة والأخلاق الإسلامية وتكوينهم وإعدادهم للحياة، بتحفيظ بعض المتون وشرحها مثل "النصيحة الهلالية" و"لامية ابن الوردي"و "هدية الألباب في جواهر الآداب"للشيخ حسين الجسر المصري، فالشيوخ في الزوايا يكون اهتمامهم منكبا على الأخلاق والتربية أكثر من التركيز على التحصيل العلمي وهذا اقتداء بالسلف الصالح مثل الإمام الشافعي الذي يقول:"قال لي الإمام مالك يامُحَمَّد إجعل عملك دقيقا، وعلمك ملحا فانظر رحمك الله، ماذا يصلح الدقيق يامُحَمَّد إنها قطرات من الملح على أكوام من الدقيق فاعمل".[2]

كماأن عبد الرحمن بن القاسم المصري الفقيه المالكي (ت سنة 191هـ/807م) الذي قال: "خدمت الإمام مالك عشرين سنة، كان منها ثماني عشر سنة في تعلم الآداب، وأخذت منه العلم في سنتين".[3]

ومما يؤكدأن زوايا العلم اعتنت كثير بأخلاق حامل العلم، نجد الشيخ عبد الكريم المغيلي يوصي كثيرا على الجانب الأخلاقي والحث على إتقان العمل في التحصيل والتهذيب لذا كانت الزوايا تدفع

[1]– مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 249.

[2]– مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، المؤتمر الدولي الثاني، رؤى تربوية إسلامية معاصرة، واقع وطموح، المعهد العالي للدراسات الإسلامية جامعة آل البيت المفرق المملكة الأردنية الهاشمية، 11/10أفريل 2012م.

[3]– مبارك جعفري ، الزوايا ودورها التربوي، مرجع سابق، ص 11.

بالطلبة إلى القيام بأعمال لصالح الزاوية كتجديد بناء الزاوية أو العمل في البساتين التي تم وقفها لصالح الزاوية وهذا في أيام العطلة الأسبوعيةحتى يغرسون فيهم حب العمل وإتقانه ومهارات في مختلف الفنون خاصة الطلبة الذين لديهم تأخر في الفهم أو بلادة في الفكر لهذا نجد أغلب الحرفيين وأصحاب المهن في توات من خريجي الزوايا .

ويبقى الشيخ خير مثال لطلبته في هذه المسيرة التعليمية من خلال معاملته لهم ووده وعطفه عليهم وحرصهم الشديد لهم وتفقدهم والسؤال عنهم وعن أحوالهم واحدا واحدا مما يجعلهم يشعرون باهتمامه ومعرفتهم.وهذا ضمن نظام داخلي للزاوية يخضع فيه تمدرس الطلاب إلى قواعد تنظيمية تضبطها برامج وتعليمات يلتزم بها الطلاب، وعلى الطالب الحضور بصفة منتظمة لسائر الدروس والمواظبة عليها وأداء الصلوات الخمس بالمسجد و حضور الحزب بعد صلاة المغرب والصبح بالمدرسة تحت مراقبة حضور الطلاب ومواظبتهم بصفة دائمة وصارمة.[1]

وكانت الزاوية تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية والاجتماعية من المبتدئ إلى العالم، سواء الطفل أو الشيخ أو المرأة والفقير والميسور، وتبذل لكل طالب ما يريد من فروع المعرفة حسب استيعابه وطاقته وهوايته ومستواه الثقافي وهي لا تسد أبوابها ولا ترد طالبا.[2]

والزاوية العلمية لا تعرف العطلة إلا أيام معدودة لسبب ما أو مناسبة ما وهي تضمن الأكل والمبيت والاستفادة من جميع مرافق الزاوية من مكتبة ووسال النقل.

ويتحصل الطالب بالزاوية عن طريق شيخه إجازة تثبت استيعابه لما تعلمه بالزاوية عن شيخه وتختلف هذه الإجازة إلى إجازة سماعية تثبت امتلاك الطالب القدرة على تتبع اقوال الشيخ وحفظها وهناك إجازة عرض تسلم للطالب الذي استطاع أن يسرد على شيخه كل ما حفظه من معلومات واستذكار النصوص ومعرفتها بشروحها[3]وإجازة كاملة يحصل عليها الطالب الذي يصبح قادرا على ذكر الأسانيد وإسنادها إلى مصادرها الأولى ومعرفته للروايات بعد التمكن من العلم الذي يدرسه[4].

---

[1]- محمد باي بلعالم، مرجع سابق، ج2، ص ص 343 -344 .

[2]- محمد الصالح حوتية، مرجع سابق، ج1، ص 250 .

[3]- محمد الصالح حوتية، مرجع نفسه، ج1، ص ص 265، 266، أنظر:- محمود كعت، تاريخ الفتاش، د م، د.ن، 1961، ص180.

[4]- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدي، تاريخ السودان، د، م،د.ن، 1998، ص 46 .

نستخلص أن الزاوية العلمية كمؤسسة تربوية تهتم بالطالب من جميع النواحي حتى يتسنى له القيام بدوره ليصل إلى غايته وتكرس لذلك كل الظروف المادية المعنوية في الزاوية من مبيت وأكل وصلاة واطلاع في مكتبة الزاوية وحفظ وفهم لشروحات الدرس ضمن حلقته حول الشيخ الذي لا يهمل لا كبيرة ولا صغيرة لها علاقة بالزاوية أو الطالب مهما كان مستوى عمره أو جنسه أو ثقافته، فالزاوية تهتم به علميا وأخلاقيا وتربوية لا تتركله الوقت إلا للنوم أو العطلة التي تسمح بها الزاوية له هذا غير بعض الأعمال التي يقوم الطالب في الزاوية ولصالحها ولمصلحته كتدريب له على امتهان بعض المهن وتنمية هواياته وحثه على العمل وإتقانه ويكافؤ الطالب في الأخير بإجازة تسمح له بالعمل كمدرس وإذا اكتمل علمه يفتح لنفسه زاوية يكون جدير بتسييرها .

– **تربية الأفراد وتزكية النفوس:** يتميز المجتمع التواتي بمتانة العلاقات العامة، لما يسودها من الود والتعاطف والتراحم والتآخي [1]وهذا يجعل التربية فيهم ترسخ صفة الفرد جزء من الجماعة، لاينفك عنهم ولا ينفصل، حيث معظمهم يعيش ضمن عائلات واسعة تعيش في مكان واحد قد يتعدى عدد أفرادها العشرين، يأكلون ويشربون ويواسون بعضهم البعض ويتولى النفقة فيهم كبيرهم سنا الذي يحظى بالاحترام منهم جميعا وهذه الأخلاق أخذها أهل توات من دينهم الإسلامي الذي يحثهم على أخلاق كثيرة كالصدق في التعامل والمحبة والمواساة بين المسلمين في السراء والضراء، لدرجة لم يكن الأجنبي في توات يلقى أدنى حرج أو ضيق لتميز طبائعهم بالكرم.

وكان فيهم إذا وجد طفل يقوم بعمل غير لائق، فإن الأول الذي يلقاه يؤدبه، دون الرجوع لأهله وهذه صفات تميزهم عن غيرهم على اختلاف أجناسهم وافتراق طبائعهم[2]فقد اعتنوا بزيارة الأقارب ومراعاة حقوقهم والنظر لأحوالهم والاجتهاد في طلباتهم وكانت اللقاءات بينهم متواصلة بهدف تزكية الروابط لزرع الخير والمحبة بينهم، ولقد كان أهل توات يستغنون بالقول أكثر من الفعل[3]حيث قال الفقهاء: كم حاجة قضيناها بتركها، وما لم يوجد يستغنى عنه فجل أكل التواتي أيام القحط من التمر، يؤكل ليلا فقط أما في النهار فلا شيء مع أكل الجزر في وقته و اللحم المجفف لمن حسنت أحواله.

---

[1]– عبد الفادر باجي، الإمام المغيلي عصر ه وحياته دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة، الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، ص 52 .

[2]– عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 20 .

[3]– عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 26 .

والواضح أن سكان توات كانت لهم أخلاق اكتسبوها من التربية الإسلامية وحرصهم على عدم مخالفة الدين الإسلامي لقوة إيمانهم واعتقادهم بأن يسيروا على منهج السيرة النبوية في تربية أبنائهم بعاداتهم وتقاليدها وتوارثها خلف عن سلف حتى تجتمع كلمتهم وقلوبهم تحت راية الإسلام.

- تنمية روح الجهاد لدى سكان المنطقة:

لقد تميزت الزاوية وبالأخص زاوية الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي بالجمع مابين المهمة التعليمية والمهمة الحربية، فقد كانت قاعدة لانطلاق الجيش المغيلي في حربه على اليهود، وقد كان الشيخ المغيلي حريصا على الأخوة الإسلامية وإقامة نظام إسلامي لبناء مجتمع متوحد، تحكمه مبادئ الشريعة الإسلامية فقد دفع الناس للجهاد ضد مفاسد اليهود في الإقليم التواتي، خاصة وأن إقليم توات عرف الكثير من التقلبات والتغيرات، بسبب الأنظمة المتعاقبة وقيام الدول وسقوطها وبعض الصراعات القبلية كيحمد وسفيان ثم الإحتلال الفرنسي الذي ضرب البلاد باحتلال تيديكلت وغيرها من أقاليم توات فلم يتهاون التواتيون عن أداء واجب الجهاد في سبيل ردع الاستعمار الفرنسي فكان الرجال الأبطال والمجاهدين الأخيار الذين راحوا شهداء في معارك عديدة سالفة الذكر منها معركة الدغامشة وإينغر وغيرها شارك فيها مشايخ علماء وطلبة علم وسكان عاديين فهموا معنى الجهاد والذود عن البلاد والنهي عن المنكر ولو زهقت فيه الروح في سبيل تحقيق ذلك.

- تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

لقد تنوعت العلوم في منطقة توات وروعي فيها التدرج في تعلمها وتعليمها وقد كانت بداية الدراسة بالكتاتيب بتعليم الصغار الحروف الهجائية على اللوح وتدريجيا من الحروف إلى حفظ القرآن الكريم من سورة قصيرة إلى الطويلة بتنشيط الذاكرة وتثبيت القرآن بها وأثناء ذلك ضمن جلسات الدرس يتم الشرح والتفسير مع حفظ الحديث النبوي الشريف وكان المراد من دراسة هذه العلوم معرفة الأحكام الشرعية ودلائلها ومقاصدها وفوائدها لذا يتم التركيز على العلوم النقلية من توحيد وتفسير الحديث والفقه والأصول وعلم الكلام والتصوف وهناك العلوم اللسانية التي تشمل النحو الصرف والعروض والبلاغة واللغة والأدب والتاريخ والغرض من دراستها الأستعانة بها على فهم القرآن الكريم والحديث وضبط ألفاظهما وتبيينها للناس حتى معتقداتهم ويتقنوا عباداتهم ويخلصوا لربهم ويحسنوا المعاملة مع بعضهم البعض دون إهمال العلوم الأخرى كالعلوم العقلية من منطق ورياضيات

وحساب وجبر وهندسة والطبيعيات من طب وكيمياء إلى جانب الفلسفة والحكمة وعلم السياسة والموسيقى.

فبدراسة هذه العلوم يعرف الصحيح من الفاسد والنافع من الضار وبممارستها يستوقد الذكاء والفطنة ويزداد الإدراك قوة . وقد أدى الاهتمام بتحفيظ القرآن والحديث الشريف إلى نبوغ كثير من العلماء في مختلف فنون المعرفة واشتهر المتخصصون في الحديث والفقه واللغة والطب والفلسفة والفلك، فالقرآن الكريم وجامع لكل العلوم والأزمان والحديث الريف بمثابة نافذة تطل على القرآن لتوضح وتفسر مقاصده ويوجه إلى ضروريات العبادة وكيفيتها، فلا تخلو زاوية علم أو تربية أو تصوف إلا كان تعليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من أساسياته الأولى وبعدها يتدرج الطالب إلى بقية العلوم الأخرى، ومنذ دخول الإسلام والأمم والسلاطين يتنافسون على تنشيط الثقافة والعلم التي أولها علوم الدين الذي منطلقه القرآن الكريم والحديث الشريف .

- خدمة المجتمع بنشر عادات وتقاليد صحيحة:

إن عادات وتقاليد أهل توات معظمها لايخرج عن نظم الشريعة الإسلامية بعكس العصر الحالي تداخلت فيه تكنولوجيات غريبة أثرت بشكل سلبي على تربية الأجيال فابتعدت عن عادات وتقاليد الأداء التي من بينها إكرام الضيف والحرص على سعادته وكان هذا الفعل متعارف بين أهالي توات في جميع القصور لدرجة تتناوب العائلات في الاستضافة للضيف لدرجة جعلوا في معظم القصور بيوت مقصورة على الضيوف والمسافرين وبتخصيص أوقاف خاص بالمسجد يستعان بها على تلبية احتياجات الضيوف[1]. وكان أهل توات يقيمون أفراحهم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية كالزواج يتم كما هو منصوص عليه في الفقه الإسلامي مع زيادة بعض التقاليد الخاصة بالمنطقة، وهناك عادات خاصة عند ولادة المولود يذبح العقيقة وعزم الضيوف وإقامة الولائم ولا يسمى الولد إلا في اليوم السابع.

أما في شهر رمضان فهناك مظاهر عديدة غير الاستعداد للصوم، فالصائمون الجدد ذكورا أوإناثا يحظون برعاية خاصة من جديد الثياب والذبح لابنه أجود ما يملك ويتزينون ويخرجون إلى المسجد بقصد الصلاة وذلك يوم السابع والعشرون من شهر رمضان، هذا كما يتم عزم الصائم

[1]- عبد القادر باجي، الإمام المغيلي، المرجع نفسه، ص 51 .

الجديد من أسرة إلى أخرى سواء ضمن العائلة أو الجيران لتحبيبه في الصيام وتشجيعه على الصبر والاستمرار والتقوى والإيمان .

وهناك عادة تقديم حفاظ القرآن ليؤموا في الصلاة بالناس في العشر الأواخر من شهر الصيام ويتنافس الصغار منهم معى الكبار للحصول على إمامة الناس بحزب أو حزبين في صلاة التراويح .

وفي إطار التكافل الاجتماعي هناك ما يسمى بالتويزة وهو يعني المسارعة نحو مساعدة الآخرين في شكل جماعي لإنجاز مشاريع ضخمة في أقل وقت ممكن سواء إعداد كسكس لما يكفي لعام كامل بين النساء ويكون هذا العمل الجماعي لنسوة من دار لأخرى، أما بين الرجال في موسم الحصاد أو لإتمام بناء منزل شخص ما وعادة استقبال الحجاج والذهاب بهم إلى المسجد قبل عودتهم إلى بيوتهم والقيام بالولائم لأجلهم والفرح والسرور لعودتهم سالمين وهذا عند شيخ الزاوية يباركون لهم بالحج والسلامة معا.

وهناك عادات وتقاليد أخرى خاصة بالابن أو البنت عند ختمة القرآن وحفظه وتقام له العزائم ويلبس لباس تقليدي ويرافقونه في جولاته حول البيوت في القصر يكافئونه بالهدايا أوالنقود أو البيض وكل شيئ ممكن يقدم له سرورا بحفظه للقرآن ويدعونه له بالخير والبركة على يده .

ومن عاداتهم أيضا في الطبأن العين مهما احمرت أو أصابها رمد فإن دوائها قطرات من حليب أم مرضعة ويتداوون بالكي والحجامة والقطران والأعشاب الطبية وغير ذلك كثير [1]، أما عاداتهم في المناسبات الدينية كثيرة ولكل مناسبة عادتها الخاصة بها وفرحتها الخاصة تميز ذلك اليوم عن غيره كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف أو عيد الاضحى وعيد الفطر ويوم عاشوراء ومعظمها لايخرج عن مضمون الشريعة الإسلامية.

فعادات وتقاليد المجتمع التواتي ثرية جدا ولا تكفي صفحات الكتب لذكرها جميعها حتما سيكون هناك تسلسل طويل لجمعها جميعها بتفاصيلها .

– تشجيع حركة التأليف والكتابة والرحلة العلمية :

لقد حرص أهل توات على انشغالهم بالعلم وطلبهم للمعرفة وصار منهم العلماء والقضاة فأثروا مكتباتهم التواتية بالعديد من الكتب المؤلفة من قبل أهل المنطقة ومما زاد الأمر خيرا توافد العلماء على

[1]– عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 29 .

المنطقة مما ساهم في نهضة البلاد وبث الروح والثقافة بها أمثال الشيخ سيدي أبو يحي بن مُحَمَّد المنياري والشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي والشيخ سيدي عبد الله العصموني وغيرهم كثيرون.

وفي ظل التدريس فإن العلماء ركزوا اهتماماتهم على التأليف فوضعوا مصنفات ومختصرات في مجالات شتى كعلوم اللغة، الفقه، أصول الفقه، التاريخ، التراجم، المنطق، علم الفلك، الحساب، والسير وكانت مؤلفاتهم كثيرة وساعدهم على ذلك الدروس التي تقدم من طرفهم للطلبة، فإذا قدم درسا دون ما قاله حتى إذا أنهى ذلك العلم بين الطلبة، يثمر مجهود العلم بتاليف في ذلك الفن إما شرحا أو تحشية أو تعليقا أو اختصارا.[1]

لهذا يعتبر القرنان الثاني عشر هجري والثالث عشر هجري أي القرن الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي أخصب عهود منطقة توات لما ظهر بها من علماء ومؤلفات علمية على يد مجموعة من العلماء منهم الشيخ عبد الله الجوزي (ت1035هـ/1625م)والشيخ أبو مُحَمَّد دفين تبلكوزة وتشهد على ذلك تلك المخطوطات العديد ضمن الكثير من الخزائن الموزعة على زوايا وقصور توات كالنوازل الفنية والزجلاوي فظهرت بذلك عائلات علمية واشتهرت في المنطقة كعائلة البكري، عائلة كنتة وغيرها تتوارث العلم أبا عن جد، فتنوعت المخطوطات والتآليف لمشايخ ساهموا في تأليفها أو جمعها واقتنائها، ناهيك عن علماء تميزوا بالترحال لطلب العلم مثل أبي الأنوار عبد الكريم التنيلاني والشيخ مُحَمَّد عبد الرحمان السكوتي المايخافي الذي توجه إلى ورقلة ثم البقاع المقدسة والشام ومصر وله مؤلفات كأرجوزة جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب[2] والشيخ مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد القبلاوي قام برحلات عديدة منها إلى تمبكتو وطرابلس وساهم في إثراء الخزينة العلمية بساهل لما جمع من كتب ومخطوطات وتآليف وهناك العديد من العلماء ومؤلفاتهم ليت المجال يتسنى لذكرهم جميعا.

ويبدو من خلال المخطوطات المصنفة أغلبها في اللغة والفقه غير ذلك من العلوم بدرجة أقل وأكثر المؤلفات التواتية التي أبدعوا فيها في الفقه والتفسير والنحو وعلوم أخرىأقل تأليفا.

وكانت معظم هذه التآليف لاتخرج عن المذهب المالكي، بالرغم من إطلالاتهم على المذاهب الأخرى ومن بين المؤلفات الجديدة أيضا في الفقه ما ألفه الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي كتابا سماه "مغني النبيل في شرح مختصر خليل"وألف الشيخ سيدي عبد الكريم بن مُحَمَّد كتبا منها:"حاشية على

[1]- عبد القادر باجي، الإمام المغيلي، مرجع سابق، ص 85 .

[2]- مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، مرجع سابق، ج1، ص ص 296، 300 .

مختصر اللقاني على ابن الحاجب، وشرح على مختصر خليل" وفي التفسير مثلا ألف سيدي مُحَمَّد بلعالم الزجلاوي: " منظومة في تفسير غريب القرآن"وألف سيدي عبد الرحمان بن عمر التنلاني كتابه: "الدر المصون في إعراب القرآن الكريم"وفي اللغة العربية للشيخ سيدي عبد الكريم بن مُحَمَّد التمنطيطي: "غاية الأمل في إعراب الجمل"ومن تآليف ابن أب المزمري كتاب:"نيل المراد من لامية ابن المجراد"و"روضة النسرين في مسائل التمرين"وتآليف في التاريخ الطرائف والتلائد لسيدي مُحَمَّد المختار الكنتي و"الكواكب البرية في المناقب البكرية "سيدي الحاج مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري[1]. وكما سبقأن ذكرت لايمكن أن نجمل كل التآليف التواتية فمنها مخطوطات كثيرة ومتنوعة ما زالت لم تنفض عنها التراب وتكشف خبايا العلوم التي بها ليستفيد منها الخلف عن ذلك السلف.

– تولي القضاء والإفتاء:

لإيجاد المخرج من المشاكل وضبط الموازين الشرعية بعدأن تحزبت الأحزاب للفساد والتخريب لجهلهم للعلم والآداب والتأديب حتى أصبحوا يتضاربون بالرصاص ويرجعون في أمورهم لحكم شيوخ الطوائف على حسب الأغلبية، ففقدت الوحدة الحقيقية في غياب السلطة التنفيذية وبسبب الفتنة فالجماعة التواتية إنقسمت كلمتها فلا تسري قرارات يحمد على سفيان ولا العكس، الأمر الذي إنعكس على القضاء الذي لابد له من سلطة تنشئته وتسهر على تنفيذ أحكامه لصعوبة بقاء المنطقة دون قضاء، فكان حتميا تعيين القاضي من مهام ولي الأمر الغائب في المنطقة كما تكلم عنه القاضي مُحَمَّد بن عبد الرحمن البلبالي حين سئل عن تعيين القاضي في ظل عدم وجود السلطان بقوله:"الأمر يرجع لجماعة الحل والعقد وهم أفاضل أهل البلد في الدين والعقل فهم من يتولى اختيار القاضي"[2]وأكد على شروط تعيينه التي حددها الشرع.

وفي هذه الحالة حتى لا تبقى أمور البلاد سائبة يتحتم على أعيان البلاد أن يختاروا الأنسب حسب الشروط الشرعية من يتولى فيها تطبيق العدالة وهنا يتحدث مُحَمَّد بن مُحَمَّد الزجلاوي حيث يقول

[1]– عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع السابق، ص ص 51، 52 .

[2]– قاسمي خديجة، القضاء بمنطقة توات خلال القرنين 12 و13 هجريين / 1699م – 1882م، دكتوراه، تخصص فقه وأصول، مجلة الحوار الفكري، مجلد 15، عدد 01، السنة 2020م، ص 148 .

:«أما مسألة نصيب الجماعة للحاكم فيما تحكم فيه القضاة، فنقل الشيخ سالم[1] عن تهذيب الطالب أن أطراف البلد، وحيث لا سلطان تقوم فيه صالحوا البلد مقام الإمام.وقال النفزاوي في شرح الرسالة: والذي ينصبه، أي القاضي هو الإمام الأعظم، أو نائبه، إن كان عدلا، وإن لم يوجد واحد منهما فجماعة المسلمين»[2]وباعتبار جماعة الحل والعقد هي التي تعين القاضي كبديل لحل المشكلة في حالة وحدة الكلمة في المنطقة ولكن مع الأسف في وجود الصراع على الرياسة بين تيمي وتمنطيط، وفتنة يحمد وسفيان التي فرقت بين هاتين المنطقتين بقاعدة المدينة، حين ظهر ذلك ذلك واضحا في تعيين القاضي، فخلاف الجماعة التواتية وانقسامها كاد القضاءأن ينقسم، هذا بالإضافة إلى من يتولى أجرة القاضي التي هي من واجبات ولي الأمر، والقاضي في منطقة توات كانت له مكانة كبيرة عند عموم السكان ويتمتع باحترام الجميع، ذلك لأن الشخصيات التي تولت هذا المنصب هي من أشهر رجال العلم والدين في وقتها وتنحدر من أسر كبيرة ذات نفوذ لدى الأوساط التواتية، الأمر الذي جعل مشايخ توات يرصون باختيارهم[3]وحتى يتولى هذا المنصب لابدأن تكون تتوفر فيه كل الشروط الشرعية والدينية هو الأشراف على الموازين والمكاييل بالأسواق العامة والسهر على تطبيق القوانين وحفظ النظام العام، إذ تشير النوازل إلى اجتماع أهل تنركوك حين عزموا على إقامة سوق كبيرة بالمنطقة على أن ينصب عليها قاضيا يفصل بينهم في أمور البيع والشراء وغيرها من التعاملات.وقد تناوب على منصب القضاء خلال القرن الثاني عشر الهجري الكثير من الشخصيات العلمية المنتمية أغلبها إلى أسر اشتهرت بتوارث هذا المنصب إبن عن أب ولدرجة احتكاره لسنوات عديدة وأشهرها عائلة البكري في تمنطيط وهنا نستحضر قول أحد الشعراء يمدح ويبين أفضلية آل البكري في تولي مناصب القضاء بتوات:

قضاة وأبناء القضاة وسادة صغيرهم عند الكبيرة كابر.
متى تلق منهم ناشئا في شبيبة تجده على مناهجها هو سائر

[1]- سالم بن محمد السنهوري، (ت 1015هـ)، مفتي المالكية بمصر، أخذ عن شمس البنوفري وبه تفقهوأدرك الناصر اللقاني، أخذ عنه البرهان اللقاني، النور الاجهوري، الخير الرملي، وعامر الشبراوي، له شرح جليل على المختصر ورسالة في ليلة النصف من شعبان وغير ذلك.

[2]- محمد عبد الرحمن البلبالي، غنية المقصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والنوازل مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر، ص615 .

[3]- فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 45 .

وقد وصفها الشيخ الجنتوري بأنها دار القضاء في توات قديما وحديثا[1]وعائلة الجوزي في أولاد سعيد بتيميمون وعائلة البلبالي بتيمي ومن أشهر القضاة وقد أشارت إليهم النوازل بذكر الأسماء لا التفاصيل هم:القاضي سيدي البكري بن عبد الكريم (ت1133هـ/1721م) وقد ورد اسمه في النوازل[2]مقرونا بلفظ العلامة سيدي البكري، وقد تولى القضاء بعد وفاة أخيه الكبير المُحَّد بن عبد الكريم، فسلك فيه مسلك العدل بين المسلمين.وهناك القاضي عبد الكريم بن البكري (ت1174هـ/1761م)، تولى قضاء الجماعة بعد وفاة والده سيدي البكري فسلك في ذلك مسلك العدل بين الناس ولما أنهكه المرض ترك أمر القضاء لابنه عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (ت1210هـ/1796م) اجتهاده في طلب العلم أهله لتولي القضاء بعد وفاة والده وقد اشتهر بعدله في البلاد.

ويذكر عنه أنه كان حريصا على مكاتبة العلماء والفقهاء طالبا منهم المعونة على إحياء السنة وإماتة البدعة[3]وكان أول من شكل مجلسا استشاريا رباعيا، ضم خيرة العلماء والفقهاء في توات وهم الشيخ مُحَّد العالم الزجلاوي والشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني والشيخ عبد الكريم الحاجب والشيخ مُحَّد بن الحاج عبد الله البلبالي، حيث كان القاضي عبد الحق يكاتبهم في المسائل المعقدة في أربع نسخ وينتظر ردهم فيها وعلى أساس ذلك يعمل على تخريج أحكام المناسبة[4].ثم تولى القضاء القاضي أبو حفص عمر بن عبد القادر التنلاني(ت1152هـ/1739م)المعروف بسيدي عمر الأكبر اشتهر بالفقه والإفتاء، تولى قضاء الجماعة في الفترة التي إنتصب فيها عبد الكريم بن البكري قاضيا ولعل مرد ذلك كثرة القضايا والخصومات والرغبة في كسر احتكار تمنطيط دار القضاء، لكنه مالبث أن تخلى عن القضاء وزهد فيه واعتكف إلى الزهد والتصوف.[5]

والقاضي مُحَّدبن عبدالرحمان الشهير بسيدي الحاج بلباليت1244هـ/1828م)استخلف القاضي عبد الحق بن عبد الكريم بعد وفاته على القضاء فسار في الناس سيرة العدل والإنصاف وبعد

---

[1]- عبد الرحمن الجنتوري، رسالة قول بيع أصول الهاربين في المغارم، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، ص 31.

[2]- عبد الرحمن الجنتوري، النوازل، مصدر سابق، ص 32 .

[3]- عبد الرحمن الجنتوري، النوازل، مصدر سابق، ص 10 .

[4]- أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية باقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/ 18م، مرجع سابق، ص110 .

[5]- عبد الرحمن بن عمر التنلاني، فهرسة الشيوخ، مخطوط، تحقيق عبد الرحمان باعثمان، مرجع سابق، ص86 .

وفاته تولى القضاء ابنه الشيخ سيدي مُحَمَّد عبد العزيز البلبالي صاحب نوازل أغنية، كما تولى منصب القصاء القاضي مُحَمَّد الجوزي بن امُحَمَّد (ت177هـ/1763م)سليل أسرة آل الجوزي النازلة بقصر أولاد سعيد إحدى قرى تيميمون والتي توارثت القضاء في المنطقة جيلا بعد جيل، وقد تولى القضاء في منطقة تينجورارين وكذلك القاصي مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الكريم (ت1192هـ/1778م)كان من أشياخ العلامة القاضي سيدي مُحَمَّد عبد الحق واعتمد كثيرا على فتواه، اختاره أهل تيميمون قاضيا عليهم بعد وفاة والده وهناك العديد من القضاة غير ما ذكرت منهم القاضي مُحَمَّد عبد العزيز المسعدي القراري والقاضي سيدي عبد الله بن الزبير [1].

وقد فصل القضاة التواتيون وأصدروا أحكاما في قضايا متعددة اجتماعية وثقافية واقتصادية وقد ذكرت بعض هذه القضايا في النوازل وطبعا ضمن هذه النوازل ذكر ما يعاب على القضاة وأحكامهم وما يستحسن فيهم .

فأغلب علماء وفقهاء توات بلغوا درجات عليا في العلم مما أهلهم للإفتاء ولهم في ذلك تآليف عديدة تضمها خزائن المخطوطات من كتب الفتوى والنوازل كالغنية البلبالية ونوازل الجنتوري وذلك نتيجة الحركة العلمية والفكرية منذ القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي إشتهرت إلى غاية نهاية القرن الثالث عشر هجري، برز خلالها الفقهاء والمفتون والعلماء داخل توات وصلت شهرتهم مختلف حواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي، كما تغير أسلوب التدريس من التلقي والتلقين إلى الحوار والنقاش والبحث، جعل من العقل لا يقبل إلا ما هو منطقي أو يستند إلى دليل شرعي وهذا بفضل وفود علماء من المغرب والمشرق والشمال الجزائري منهم الشيخ أبو يحي مُحَمَّد المنياري الذي قدم توات عام 815هـ/1412م[2].

والشيخ مولاي سليمان بن علي الذي جاء من فاس سنة 580هـ/1184م[3]والشيخ ميمون بن عمرو بن مُحَمَّد الباز القاسي حل في نهاية القرن التاسع هجري ويعتبر أول من أدخل كتاب الشيخ خليل[4]للصحراء وبالأخص توات وسبب ذلك فتوى بينه وبين فقهاء توات ولها قصة طويلة كانت

[1]– عبد الرحمن الجنتوري، المصدر السابق، ص 73 .

[2]– مُحَمَّد الطيب بن الحاج عبد الرحيم – بن باباحيدة –القول البسيطفي اخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ت، ص 27 .

[3]– عبد الحميد بكري، النبذة،مرجع سابق، ص– ص 74، 75 .

[4]– الشيخ خليل، أحد أعمدة المذهب المالكي، له كتاب فقهي بعنوان أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك .

سبب في جلب الكتاب من الشيخ خليل إشتراه بأربعين مثقال ذهب وعاد به إلى توات ليستدل به على فتواه وهناك الشيخ العبدلاوي بن الطيب الفزاني الليبي والشيخ أحمد بن مُحَمَّد الرقاد الكنتي الذي جاء من واد نون بالصحراء الغربية سنة 999هـ/1590م[1].

والشيخ أحمد التيجاني فقد ساهموا في ازدهار الفقه والفتوى خاصة الشيخ بن عبد الكريم المغيلي الذي اعتبر أول من أخضع المعارف الدينية في توات للحوار والنقاش مع البحث والأخذ والرد وكان له باع طويل مع قاضي توات العصنوني في فتوى هدم كناس اليهود وغيرها كتاب المعيار الونشريسي غني بهذه النوازل وقد الحركة العلمية في توات مما انعكس على تطور الفنون داخل الإقليم وظهر كثير من الفقهاء والمفتون وكانت بينهم مناظرات حول مسائل مختلفة كالمناظرة بين علماء تنيلان وتمنطيط حول المرض المخوف[2]أو الحوار الذي وقع بين الشيح محاد بن أب المزمري وعلماء زاجلو حول قضية دين الميت[3]وهناك كذلك رسالة الشيخ عمر بن مُحَمَّد المصطفى الرقادي الكنتي إلى الشيخ مُحَمَّد بن أب المزمري حول قضية الخماس وكان جواب ابن أب المزمري في نازلة سماها "تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة تضمين الخماس".

وقد جعلت هاته المناظرات والمحاورات العلمية والنقاش دافعا قويا للطلبة لمواصلة العلم والبحث والاجتهاد في خزائن ومكتبات إفريقيا الغربية الكثير من كتب النوازل والفتاوى لعلماء توات[4]الذين كان من أبرزهم:الشيخ عبد الرحمن الجنتوري (ت1160هـ/1747م) كانت له مناظرات مع علماء من مختلف الأقطار الإسلامية في الحج، والشيخ عبد الحق بن عبد الكريم بن البكري (ت1210هـ/1796م) والشيخ ومُحَمَّد بن مُحَمَّد بلعالم بن احميدان الزجلاوي (ت1212هـ/1798م) والشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن البلبالي (ت1244هـ/1828م) إلا أنه أثناء الاستعمار للبلاد جعل ينابيع الأنهار تنخفت وتقل، بسبب تشديده الخناق على الزوايا والطرق الصوفية والكتاتيب فعم

[1]- مُحَمَّد بن سيدي المختار الكنتي، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، ج1،مخطوط دون رقم، خزانة الشيخ عبد القادرالمغيلي، الحي الغربي، أدرار الجزائر، ب.ت،ص ص 141، 144 .

[2]- المرض المخوف، هو ما أقعد صاحبه عن الدخول والخروج والتصرف، أو هو مايخاف على صاحبه من الهلاك .

[3]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية،ج2، مرجع سابق، ص 99 ومابعدها .

[4]- بابا يونس مُحَمَّد، فهرس مخطوطات مكتبة جامعة أبادان، نيجيريا، تحقيق جون هنويك، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997 م، أنظر، عبد القادر ماما حيدرة، فهرس مخطوطات مكتبة ماماحيدرة للمخطوطاتوالوثائق، تحرير أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000م، ج1، ص7 وما بعدها .

الجمود إنحصر التعليم وتفشي الجهل إلى غاية ظهور الشيخ مُحَّد بن الكبير الذي يعتبر باعث النهضة الدينية في توات خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي مما أدى إلى بروز جيل جديد من المفتيين والعلماء التواتيين منهم الشيخ مُحَّد بن الكبير، الشيخ مُحَّد بن باي بلعالم.

ويمكن القول هنا أن إقليم توات غني جدا بثروة علمية مجسة ضمن المخطوطات في خزائن إقليم المتباينة توضح مدى تماسك المجتمع التواتي مع كل هؤلاء الفقهاء والعلماء والمفتيون والساهرين على تعديل مساره الديني والحفاظ على نقائه وهويته الدينية وأصالتها.

2)- **إقليم الساورة**:إزدانت مدينة بشار قبل الإحتلال بالمدارس القرآنية والزوايا التي سمحت لعدد كبير من التلاميذ من الحصول على من العلم والمعرفة وهذا في المجال الديني الذي طغى على كل مراحل التعليم الذي كان أقيم في الكتاب والمدارس ويواصل التلميذ تعليمه الثانوي عبر الزوايا والمدارس الكبرى التي أنشات بالمناطق المجاورة.[1]

وأن توافد العلماء لزيارة شيخ الزاوية وبقاءهم مدة من الزمن بهذه الزوايا كان عاملا مساعدا على ترقية المستوى التعليمي للطلبة وهذا من خلال تلك الجلسات التعليمية التي كان ينشطها هؤلاء العلماء بالزاوية فمنهم مثلا الشيخ أبا الحسن علي بن مُحَّد بن عبد الله الحاحي والشيخ مُحَّد بن عبد الله التلمساني الذي كان نابغة في علم المنطق والبيان وأيضا العلامة الشيخ إدريس بن مُحَّد المنجرة وما ساعد الطلبة على حفظ القرآن الكريم المداومة على قراءة الحزب اليومي الذي يكون بعد صلاة المغرب والصبح من كل يوم و بهذه الطريقة تفيد كثيرا الأميين من العامة الذين يحفظون عن طريق السمع.

وقد تفردت الزاوية الزيانية بإضافة طريقتي المذاكرة والمناظرة في تلقين العلوم الدينية وتثبيت مبادئها، لما كان يفتح المجال أمام الطلبة ومنحهم الفرصة لمناقشة القضايا المطروحة والمسائل المعقدة وهذا لتدريب الطالب على الإبداع والخروج من دائرة الإتباع خاصة إذا بلغ الطالب درجة متقدمة من العلم مع تكريس فكرة احترام الشيخ هو احترام للعلم الذي يحمله باعتبار الشيخ المثل الأعلى الذي يقتدى به مثلا وفعلا وإلى جانب الزوايا الصوفية في إقليم الساورة السالف ذكرها كان هناك التعليم العربي الذي تم في مؤسسات ومراكز تعليمية إنتشرت في الصحراء قبل وأثناء الإحتلال تعليما دينيا

[1]- لم تتوفر هذه المؤسسة على تدرج محكم يضبط مستوى التلاميذ وقواهم العقلية، كما أن هذا النوع من التعليم لم يكن لينتهي صاحبه بشهادة علمية أو مايعادلها .و أقصى مايصبوا اليه التلميذ المجتهد شهادة شرفية ومعنوية من قبل شيخه كمؤهل له، ينظر، سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 348 .

محضا فكلها اعتمدت على تحفيظ القرآن الكريم الذي يعد مفتاح المعرفة والمادة الأساسية الوحيدة الملقنة عادة في المدارس والكتاتيب القرآنية التي توزعت عبر محيط الساورة وطبعا بفضلها تم الحفاظ على اللغة العربية والقرآن الكريم، ولو بقدر لايعني الغرض خلال فترة الإحتلال لما انتهجته السياسة الفرنسية لتضييق الخناق عليها وتبقى هذه المدارس القرآنية الأكثر إنتشارا فهي ملحقة بالمساجد مهمتها تعليم الأطفال من عشر سنوات إلى ثلاثة عشر سنة من طرف المدرس أو ما يسمى بالعامية "الطالب" الذي يحمل معارف أولية محدودة يقتصر تعليمهم على تحفيظ الأطفال القرآن وهذه المدارس بلغ عددها في مجموع مناطق إقليم العين الصفراء حسب ما ذكره العقيد بيجو (pigeot)حوالي 300 مدرسة منتشرة في القصور والواحات وحتى في بعض المناطق البدوية ويشرف عليها ما يعرف بالطلبة الذين كانوا يتقاضون أجورا من مجلس الجماعة على عملية التدريس.

لقد كانت الزوايا والمدارس في هذا الإقليم لها شيوخها ومدرسوها المعرفون بأسمائهم ومناهجهم لذلك نجد الطلبة حينما يتحدثون في العلوم يقولون: قال الشيخ "... وهذا منهج صار عليه جل علماء الأمة"[1].

فطالب العلم عليه أن يتعرف بالذين سبقوه من أهل العلم والإجتهاد إذ لولاهم لما وصل إليه علم أو معرفة ويظهرأن طريقة التعليم في الساورة مستمدة من الموروث التعليمي الإسلامي المرتكز على الخطوات التالية :

– **الحفظ**: بحيث يحفظ التلميذ منذ صغره القرآن الكريم حتى ينفتح قلبه لشتى العلوم وتنمي قدراته التحصيلة ويكسب الذوق اللغوي الرفيع وبعدها يحفظ المتون النحوية والفقهية .

– **التلقين**: يلقن التلميذ في صغره أمور الدين والعقيدة حتى يشب متدربا على الحفظ .

– **احترام الشيخ وربط العلم بالمجاهدة والذكر**: وهذا ما يعتمد كثيرا في الزوايا العلمية والطرق الصوفية فالتراث الإسلامي غني بهذه الصفحات المشرقة التي تتحدث عن العلاقة المميزة بين الشيخ والتلميذ، مثلما هو مذكور بين مالك والشافي أو الشافعي وأحمد والخليل وسيبويه، واحترام الشيخ يعني احترام العلم الذي يحمله، فلذلك نجد في الزوايا والمساجد تلامذة عباقرة حافظين مهذبين يتكلمون بنور العلم والمجاهدة عمل إضافة المتصوفة موجود في التراث الإسلامي ويقصد به إلزام النفس الميالة إلى الراحة بالقراءة وطول المذاكرة والمطالعة في الكتب وهذه معظم الأدوار التربوية للتدريس في

[1]– وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، مرجع سابق، ص 58 .

الزوايا بإقليم الساورة إذ يلاحظ أن الزوايا الزيانية إعتمدت على أسس التدرج في اكتساب وتحصيل المعارف وانتهاء بممارسة وظيفة التفسير والإفتاء، فالطالب لما يتم حفظه للقرآن يتلقى متون العقيدة الإسلامية والفقه والنحو والصرف يحفظها ثم يتلقى تفسيرها على يد المدرسين ثم ينتقل إلى متابعة الدروس في علم الحديث والتفسير ثم يتدرج بالطلبة إلى خلاصة ابن مالك في النحو وكتبه كالشافية والكافية وختصر خليل وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد بالنسبة للمتفوقين في الفقه المالكي، على أن ترتيب هذه الدروس يكون بمراحل مع المستوى العقلي للطلبة وتوافق مستواهم العمري ومن الكتب التي كانت تدرس ويتلقاها الطالب وهي نفسها في كل الزواياحتى بزوايا العلم بتوات كما سلف لنا ذكر ذلك منها رسالة أبي زيد القيرواني، وأرجوزة عبد الواحد بن عاشر، مختصر خليل بن إسحاق، ألفية بن مالك[1]لتعليم مبادئ النحو وغيرها.

والواضح هنا أن مناهج التدريس وأساليبها وأهم الدروس والكتب المعتمدة في التدريس بالزوايا بإقليم الساورة لاتختلف عن باقي زوايا أقاليم الجنوب الغربي الجزائري.

– تربية الأفراد وتزكية النفوس:

إن الزوايا عبر مراحلها التاريخية هي مدرسة لتكوين النشئ ومعهد لتحصيل العلوم الدينية واللغوية ومجالس لتثقيف العامة من الناس وقد حافظت على القيمة الروحية والوطنية على الرغم من الفترة الاستعمارية التي استهدفت تعطيل مشروعها الحضاري لكنها استطاعت بتلك الجهود العظيمة أن تصون مقومات الكيان الجزائري فقد كانت مركز لترسيخ الثقافة الإسلامية وتربية الأفراد على العمق الوجداني للمجتمع المحلي وقد تجلى ذلك في دور هذه الزوايا في إنعاش الحركة العلمية بالمنطقة من خلال عملية التعليم والمناهج المتبعة في التدريس والعلوم المتداولة التي يتلقاها الطلبة والتي تعمل على تمسك الفرد بقواعد الدين الإسلامية التي تحثه على التماسك وتقدير القيم الروحية والترابط الخلقي الذي يحكم المجتمع الإسلامي وهذا منذ نعومة الصبي يتم تلقينه السلوك القويم وحفظ القرآن الكريم، فقد عرف عن شيخ الزاوية الزيانية تقربه من تلامذته فمن رأى أنه يحسن حفظ القرآن، أحبه وأكرمه من توجس فيه نفوره من التعليم يؤلفه بالعطاء ويقربه منه وذلك باستعمال الحوافز للترغيب دون ترهيب مما يشجع الفرد ويجره إلى أن يضاعف من الجهد والمثابرة ويكون عن طريق المدح والثناء والمكافأة، ولأن حفظ القرآن يفتح الملكات عند المتعلم فإن ابن خلدون هنا يقول :«...صار القرآن

[1]– محمد برشان، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة بشار، مرجع سابق، ص – ص 367، 368 .

أصل التعليم الذي ينبني عليه مايحصل من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات...».[1]

وهذا صحيح لما يتم تحفيظ القرآن لصبي منذ الصغر مع توجيه سلوكياته حسب تعاليم الدين الإسلامي فانه يشب على أخلاقيات وقيم الإسلام وينفتح الإدراك والتركيز لديه وتستهويه العلوم ويسعى إلى طلب المزيد منها وهذا ما يسهل للطالب حفظ المتون النحوية والفقهية بعد ذلك وقد حذر ابن خلدون في باب العلم من توظيف طريقة العنف والقهر في معاملة الصبيان لأن ذلك الأسلوب ينعكس بالسلب على تحصيلهم المعرفي وعلى سلوكيات الصبي في حياته المستقبلية من حيث تعلم المكر والخديعة وفساد معاني الإنسانية فيه وتجني على حياته بتنفيره من العلم وتضيع بذلك فرصة حفظ الصبي والتلميذ المبتدئ للقرآن في هذه المرحلة التي يكون فيها أكثر تقبلا واستعدادا لاكتساب المعارف وحفظها وبالتالي ترسيخها في ذهنه ومما ساعد الطلبة في الزاوية على حفظ القرآن هو المداومة على قراءة الحزب اليومي بعد صلاة المغرب والصبح والواضح هناأن الزاوية تنتهج أسلوب ملئ الفراغ للتلميذ والطالب وتحيطه بالعلوم الدينية كما تكسبه تنمية بعض المهارات في الأعمال التي يؤديها في عطلة نهاية الاسبوع هذا غير التوجيهات الدائمة والمستمرة في الوسط الذي يعيشه وغير نظرته الدائمة ومراقبته لتصرفات شيخه مما يعتبره مثله الأعلى في العلم والأخلاق فيربي نفسه على التعايش مع هذا الوسط الذي يحببه فيه حسن معاملتهم له واهتمامهم به .

– تنمية روح الجهاد لدى سكان المنطقة .

إن الدين الإسلامي هو العامل القوي الذي جعل السكان يدافعون عن بلدهم ومقدساتهم تحت روح الجهاد وهو أيضا نمى فكرة عدم التعامل مع النصارى وأن لا يجب الرضوخ أمام سياستهم ومحاولات استغلالهم وطبعا كان خلف هذا كله التعليم التربوي لهذه الزوايا والطرق الصوفية التي من الأساس يتم تلقين الشخص منذ صباه على سلوكيات تربى فيه روح الدفاع عن الكلمة وعن الشرف والعرض والأرض وكيف يثق في نفسه للدفاع عن كلمته فما بالك أمام هذا التغلغل الفرنسي في أعماق الصحراء من إقليم توات نحو إقليم الساورة . وأمام سياسة التنصير التي إنتهجتها فرنسا من خلال نظام الآباء البيض الذي وضع أسسه الكاردينال «لافجيري»(lavigerie)[2].

[1]– ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق، حجر عاصي، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1988م، ص 334 .

[2]– مُحَّد هقاري، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان المنطقة مابين 1850م – 1916م، أطروحة دكتوراه، إشراف د. أحمد مريوش، المدرسة العليا للاساتذة بوزريعة، 2015م – 2016م، ص 55 .

حيث عملوا على التقليل من تأثير المرابطين ورجال الطرق الصوفية عن طريق إقامة مجموعة من الكنائس في كل المدن الصحراوية وخاصة الأكثر كثافة بالسكان وفقرا وعوزا ليتولى المبشرين النصرانيين مهمة تقديم المساعدات لساكينيها وهذا لأجل إعادة تنشيط وبعث الكنيسة الإفريقية الرومانية على كامل التراب الوطني[1] وإن كان التضييق الذي مارسته فرنسا ضمن سياستها على معظم الزوايا بهذا الإقليم كالزاوية الزيانية القندوسية، ولكن باقي الزوايا الأخرى أعلنت الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي كالزاوية الكرزازية التي كانت تأوي لديها المجاهدين حيث اهتمت بتوفير الغذاء والركوب لهم والزاوية الشيخية التي أنشاها الشيخ بوعمامة والذي كان على رأس الثورة ضد الاستعمار مما زرع هاجس الجهاد بين السكان واستمرار المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي .

- تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

إن الزوايا في إقليم الساورة جميعها لم تخرج عن طريقة التعليم التقليدي التي تداولت في معظم زوايا الصحراء الجزائرية وهذا كنا تطرقنا له سالفا ودفع الصبيان منذ الصغر لحفظ القرآن الكريم لما لحفظه في الصغر من عظيم الفائدة ولعله النهج الذي ارتضته الزواية الزيانية والزاوية الكرزازية وزاوية بونقاب وزاوية بوسماحة ببني ونيف وغيرها، ومما ساعد الطلبة على حفظ القرآن هو ذاك التكرار اليومي للحزب القرآني بعد صلاة المغرب والصبح مما جعل البعض يحفظه عن طريق السمع فقط ولا يتم تلقي المتون إلا بعد حفظ القرآن بعد يتلقى علوم الحديث والتفسير متدرجا إلى خلاصة ابن مالك في النحو وكتبه المطولة على أن ترتيب الدروس كان على مراحل تتناسب كل مرحلة مع المستوى العقلي للطلبة، فليس هناك تباين بين زوايا العلم في الجنوب الغربي ذلك لأن طريقة التعليم مستمدة من المروث التعليمي الإسلامي الذي يرتكز على الحفظ والتلقين وطبقا في زوايا التربية يجب ربط العلم بمجاهدة النفس على المذاكرة والقراءة والذكر لأنه يفتح القلب ويذهب عنه مشاغل الدنيا وساوس الشيطان مع احترام الشيخ الذي يمثل العلم في جميع الزوايا.

– خدمة المجتمع بنشر عادات وتقاليد صحيحة :

إن الثقافة الشعبية لمنطقة الساورة ثرية بفنونهاالأدبية الشعبية وطقوسها الاحتفالية التي لا يخلو جزءمن مجالها الجغرافي الواسع من هذه الرموز الاحتفالية التي تظهر أصالتها ومشاعرهم ومواقفهم مما يميزها عن غيرهافي انتشار هذه العادات والتقاليد عبر كل تلك الأنحاء والأجزاء فهي ترفيه عن النفس

[1]- نفسه، ص57 .

في شكل جماعي، تقام في المناسبات المختلفة خاصة الأعراس أو الحفلات ذات الطابع الديني التي عادة ما تكون مقيدة ومنضبطة بالأصول ولا يخلو منها استخدام البارود ذو الصنع المحلي المعتمد على مادتي الكبريت والفحم الخشبي. وتبرز الرقصات الشعبية بطابعها الجماعي كشكل تعبيري يعكس هوية وخصوصية كل منطقة حيث تنفرد قصور الشمال (موغل، لحمر، بوكايس، الصفيصيفة) برقصة «الحيدوس»[1]، في حين تميز سكان قصر بني عباس برقصة(الماية) أما قبائل ذوي منيع فتميزوا برقصة «الهوبي» الشهيرة وفي منطقة القنادسة حيث تتجدر الثقافة الصوفية التي شكلت العمق الوجداني لأفراد المجتمع وترسخت في مختلف مناحي الحياة يسجل الغناء الصوفي الهادف الذي يعمل على تهذيب النفوس ولا يشغلها حضورها القوي كثقافة أصيلة.[2]

هذا إلى جانب الشعائر الدينية التي تمثل التراث الحضاري ثقافة وعقيدة وفكر المجتمع ويعكس عقليته وشخصيته المعنوية وهو بذلك يميز مجتمع عن غيره من المجتمعات وتعتبر المناسبات الدينية المجال الملائم لبث مفاهيم التواصل بين الأجيال من جهة وإذكاء الروح الدينية بين الأفراد في زمن المادة الذي تراجعت فيه القيم الروحية السامية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي تبدأ مراسيمه في منطقة القنادسة وغيرها من المدن في الجنوب الغربي الجزائري وذلك في قصر القنادسة مقر الزاوية الزيانية بعد منتصف النهار من يوم 11 ربيع الأول بعد صلاة العصر حيث يمتلأ المسجد بالمريديين لتأدية الصلاة وقراءة القرآن وإنشاد القصائد الدينية (البردة والهمزية للبوصيري) وفي الدار التي تمثل الإقامة الرمزية للزاوية تعمل النساء على تحضير الطعام الذي يقدم للضيوف في جو مليء بالتسبيح والذكر. وهناك عادة زيارة الأضرحة التي تنتشر عبر مناطق الجنوب الغربي والمزارات فلا نكاد نجد قصرا ولا مدينة ولا مقبرة إلا وقد شيد فيها ضريح أو مزار، ومنطقة بشار تحتل المرتبة الثانية بعد إقليم توات من حيث إيواء الأضرحة، والظاهر أن هناك ارتباط بين حركة التصوف وانتشارها في المناطق التي تضم قبور رفات أشخاص يمثلون الصلاح في معتقد العوام على الحقيقة أو الوهم.

[1]- **الحيدوس** رقصة مشهورة يمارسها الرجال والنساء بالضغط على الرجل التي تندفع في حركاتها البطيئة تحت ملحن الموسيقى مع مد اليدينوتغيير حركتهما حسب الايقاع .

[2]- محمد برشان، مرجع سابق، ص- ص 407، 408 .

كما ترسخ اعتقاد العامة في رجال التصوف، فانبهر الناس بكراماتهم وبركاتهم وخرقهم للعادة إلى جانب دورهم في التحكم وحل المشاكل الإجتماعية والإقتصادية[1]ومن ثم يتردد معظم الناس في بشار على أضرحة أولياء الله الصالحين المشهود لهم بالتقوى والصلاح في حياتهم.

صحيح أن هذه الظاهرة الغريبة عن الدين والأقرب إلى الشرك ولكن بعد ثقافة الناس الواسعة مع التوسع التكنولوجي تفتحت العقول وأدرك المواطن أن العطاء من الله والمنعم الله المتصرف الوحيد فيها فإليه يعود الحمد والشكر.

إن هذه العادات التي تمثل الموروث الثقافي بقيم السلبية والإيجابية تتداخل فيه المبادئ الدينية مع المعطيات الإجتماعية ومن هنا صارت العادات مركبا ثقافيا متنوعا ومعقدا فيآن واحد، فالزواج مثلا ظاهرة اجتماعية تعدد الزوجات بين أبناء القبائل البدوية للإكثار من نسل العشيرة والقبيلة بينما يكتفي سكان القصور والواحات من الأمازيغ في الغالب بالزوجة الواحدة عملا بالعرف القديم، فهذه الظاهرة أضحت الغالبة لا يمنعهم عنها إلا الفاقة والفقر وهناك عادات وتقاليد متنوعة بهذا الإقليم منها عادات الختان والولادة ونوع اللباس بالنسبة للمرأة أو الرجل واختلافه من قصر إلى آخر والتي كانت معظمها تحاك بشكل محلي مما يجعل ألوانها مختلفة عن باقي أقاليم الجنوب الغربي.

– تشجيع حركة التأليف والكتابة والرحلة العلمية:

– إن وجود الآلاف من المخطوطات في تلك الخزائن الموزعة على زوايا إقليم الساورة لخير دليل على النشاط العلمي للعلماء، فإلى جانب التأليف، التلقين فالتأليف كان له نصيبه في تقييد ما كان يدلي به العلماء أثناء حلقات الدرس، خاصة من بين الطلبة الأوائل لمدرسة الزاوية الزيانية أمثال الفقيه الحاج علي بن عبد الرحمن التازي الذي تتلمذ على يد الشيخ بن بو زيان لمدة 15سنة ألف كتابا أسماه "منهل الظمآن ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامة شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج مُحَمَّد بن أبي زيان"والفقيه عبد الرحمن بن مُحَمَّد اليعقوبي وله كتاب سماه بـ"فتح المنان في سيرة الشيخ مُحَمَّد بن بوزيان " وقد لازم الشيخ مدة عشرين سنة وهو يرصد كلامه. وألف الفقيه مُحَمَّد مصطفى بن الحاج البشير القندوسي كتابه "طهارة الأنفاس والأرواح الجسمية في الطريقة الزيانية الشادلية المتمسكة بالشريعة المحمدية "تحدث فيه عن مناقب شيوخ الزاوية ونجد كذلك العلامة أبا عبد الله مُحَمَّد القاسم القندوسي الذي تعلم أصول مبائ تعليمه الأولى بالزاوية الزيانية وبعدها سافر إلى فاس حيث تفجرت

[1]– بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر، مرجع سابق، ص 161 .

مواهبه في الكتابة والتأليف وله العديد منها "شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى "عليه الصلاة والسلام[1]وهناك مؤلفات أحمد بن أبي محلي نزيل الساورة أي أبو العباس أحمد بن عبد الله القاضي بن ابي محلي السجلماسي العباسي نزيل الساورة (ت1021هـ/1612م) وهو العلامة الفقيه الصوفي الثائر، العباسي القريشي النسب والسجلماسي الدار ولد سنة (967هـ/1560م) بسجلماسة، تعلم العلوم بمسقط رأسه وببلاد فاس، دمج بين علم الظاهر والباطن أي الشريعة والتصوف، نزل مهاجرا ببلاد بني عباس ولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري حوالي 20 سنة فتصاهر مع شيخ البلد الشيخ عبد الله بن الشيخ مُحَّد بن شمس الدين العباسي وكانت له رحلات مغاربية ورحلتان حجيتان، استفاد من مشايخ المشرق والحجاز مما أكسبه شهرة كبيرة في الأوساط العلمية، خاصة بعد تاليفه لكتابه "القسطاس المستقيم في معرفة الصحيح من السقيم "[2] الذي أعجب به العلماء والمشايخ في مصر وتوات وقورارة وكذلك كتابه "أصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت أو عذراء الوسائل وهودج الرسائل في مرج الأرج ونفحة الفرج إلى سادة مصر وقادة العصر".

ومؤلفات بن أبي محلي التي جلها مخطوط بخزانات المغرب بالرباط وتازة وتمقروت وبالجزائر بقورارة وتوات وبطيوة بالزاوية البوعبدلية وبمصر بالقاهرة وهذه بعض تآليفه التي تفيد من أراد التاريخ للبلاد الساورية وتخومها كأوصليت.[3] أما مؤلفات الشيخ العلامة السيد أحمد بن موسى ولد سنة 863هـ/1443م وقد سبق أخذ تعريفه "علم التوحيد في معرفة الوحيد" وهو كتاب في التصوف وكتابه "البرهان في أحكام القرآن"في التفسير وكتابه "إنارة الطريق ومسالك أهل الطريق الحقيق" يتضمن مسائل فقهية على مذهب الإمام مالك وله أيضا "الفنونفي الشعر الملحون كلمات روحية بأقوال محلية" وله "الرسائل الموساوية في قواعد اللغة العربية"[4]

فهؤلاء نماذج عن بعض علماء الساورة والنشاط العلمي الذي أنتج مجموعة مخطوطات تملأ خزائن هذه الزوايا اليوم.

---

[1]– هو عبد الله مُحَّد بن القاسم القندوسي نسبة إلى القنادسة التي نشأ وترعرع فيها وأخذ تغليمه الأول من الزاوية الزيانية كان جميل المعاشرة وعظيم المذاكرة وله باع طويل في غلم القوم ويد كبرى في التصرف وله تأليف في ذلك سماه "التأسيس في مساويء الدنيا ومهاوي أبليس "و توفي عام 1278هـ / 1861م .

[2]– مخطوط رقم 570 ق، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب .

[3]– وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، مرجع سابق، ص 78 .

[4]– بن موسى تيه، سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، حياته ومأثره، مرجع سابق، ص 26 .

– تولي القضاء والإفتاء:

رعم تباين الزوايا والطرق الصوفية في منطقة الساورة وتواتر خلفاء هذه الزوايا واشتهار أغلبهم في المجال العلمي وعلى الأغلب شيخ الزاوية الكرزازي سيدي أحمد بن موسى الذي شاع صيته خارج وادي الساورة وانكب الناس عليه من كل مكان طلبا للمعرفة سواء من بشار أو تلمسان وتوات وتيمون وعين صالح وغيرهم كثيرا، فقد تميز أنه كان عالما صوفيا زاهدا، جمع بين العلوم الظاهرة والباطنة وبارع في الأصول والفروع من فقه وأصوله وفروعه وتفسير وحديث ونحو وغيره واجتهد، فكان يقصد المستفسرون، يوضح ما عسر فهمه وقد ترأس الإفتاء وبقي على ذلك حتى وفاته وهذا بإجازة أشياخه الذين عرفوا كفاءته العلمية فعاش معلما ومرشدا قاضيا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يحكم بين المتخاصمين فلا يميل لأحد دون آخر فكان من أشهر القضاة والمفتين والمصلح بين القبائل المتخاصمة.[1]

ولكن ظروف الإحتلال الفرنسي فرضت إقامة القضاء بتشكيل أول محكمة إسلامية بمنطقة بشار ويذكر عنها أنها مثلت العدالة المحلية الإسلامية في سنة 1907فيما يتعلق بالأحكام التي طبقت على السكان المسلمين أما الأحكام التي تصدرها هذه المحاكم تم حصرها بموجب القانون الفرنسي في الإجراءات المدنية أي أحكام الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وعلى الرغم من أن القضاء المدني كان معمولا به في المناطق الجنوبية بالجزائر، ومن صلاحيات المحاكم الإسلامية عكس تماما ما كان جاريا به في المناطق التلية لكنه لبس صبغة قمعية من حيث تعيين القضاة من طرف الحاكم العام الفرنسي دون إخضاعهم للشروط المطلوبة في تعيين القضاة منهم الفقيه قاسمي العربي بن مُحَمَّد عمل كباشا عدل ورئيسا للمحكمة خلال سنوات (1912-1922/1923م-1926م).

وكذلك القاضي الفقيه عبد الرحمن بن قدور في سنتي (1928م-1929م)[2]وأيضا القاضي سعيد سي بومزراق الذي استلم منصب القضاء عام 1932م ومنصب باشا عدل رئيسا للمحكمة ببشار والفقيه سي العرابي سنة 1943م والقاضي مُحَمَّد بن عبد الرحمن بالسايح الذي تولى القضاء طيلة الفترة الممتدة بين (1949م-1960م) رغمأن هؤلاء القضاة كانوا من خارج منطقة بشار فمثلا القاضي الشريف مُحَمَّد بن عبد الرحمان بالسايح (1918م-1961م) من مدينة البيض من

[1]– وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، مرجع سابق، ص 52 .

[2]– مُحَمَّد برشان، نفس مرجع سابق، ص 426 .

قبيلة القواريح المنتسبة لأولاد نهار، حافظ للقرآن والمبادئ الأولى في علوم الدين ودارس في المدرسة الابتدائية الفرنسية والتعليم المتوسط وأتم بتلمسان تعليمه الثانوي في الثانوية الفرنكو-إسلامية حيث حصل على شهادة البكالوريا التي ساعدته على التخرج من معهد دراسة القانون الإسلامي ليتحصل على شهادة ليسانس في القانون فدرس الفيلولوجية[1]العربية بالعاصمة في المدرسة العليا ولا نهمل أنه تعلم بالمدرسة القرآنية ولما تعين قاضيا بالمحكمة الإسلامية ببشار ذاع صيته وعدله فأفاد الناس من علمه وزهده وكان صديقا وفيا لشيخ الزاوية الكرزازية سيدي مُحَمَّد علوي والواضح أن القاضي الشريف مُحَمَّد بن عبد الرحمن بالسايح من عائلة محافظة وحافظة للقرآن الكريم حيث يذكر الجيلاني بن عبد الحكم عن عائلته في كتابه المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية: "وأما أولاد سيدنا يحي بن عبد الله بن أحمد الصغير بن أحمد الكبير بن الجيلاني بن يحي ابن صفية فإنهم عرش عظيم بالمبيض (البيض) ولهم ثروة كبيرة وكرم حاتمي وشجاعة عنترية ودين قيم، فإنك لا تجد غالبهم إلا يحفظ القرآن عن غيب ويحقق الفقه والنحو وغير ذلك، وأقلهم يقتصر على حفظ القرآن فقط، والغالب أنك لا تجد أحدا منهم لا يحسن القراءة، ويدعوهم أصحاب المبيض "البيض"بـ "القرايج" " القراريج" ومنهم مقدم الطريقة القادرية التاجر الكبير السيد الحاج بن عبد الرحمن ابن السايح، ومنهم قايد عرشهم السيد الجديد، ومنهم الفقيه النبيه العلامة النزيه الشيخ مُحَمَّد بن السايح القاضي بالمحكمة المالكية بقصر بشار من صحراء وهران".[2]

على مايبدو أن شيخ الزوايا والطرق الصوفية بإقليم بشار ضاق الخناق عليه بسبب السياسة الفرنسية ولكن رغم ذلك لم يتوقف بل استمر عمله الفقهي في مزاولة الإفتاء والقضاء ضمن التنظيمات الإدارية للسياسة الاستعمارية أقصد هنا المحكمة الإسلامية المالكية في بشار والدليل اشتهار القاضي الشريف مُحَمَّد بن عبد الرحمن بالسايح بعدله وسماحته وخبرته بالمجال الذي استطاع تحقيق الغرض الديني فيه فهو خريج المدرسة القرآنية وخريج المدرسة الفرنسية بمراحلها الثلاثة ضمن المجال القانوني .

[1]- علم الفيلولوجية هو علم اللغوية عن علم يبحث عن أصول الكلمات وأشتقافها .

[2]- الجيلاني بن عبد الحكم، المرآة الجلية في ضبط ماتفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية، المطبعة الخلدونية، تلمسان، الجزائر، 1952م، ص 57 .

3) إقليم تندوف :

إن قبيلة تجاكنت تعد العمود الفقري بمدينة تندوف نظرا لدورها الكبير في الحياة العلمية من مهام تعليمية ومساهمات علمية كنشر لمبادئ الدين الإسلامي والأخلاق الفاضلة، فقد كانت محطة للعلماء وطلبة العلم ومريدي الفتوى الشرعية وهذا ما يتضح في نوعية التربية الدينية والأخلاقية ونظام الدراسة وطلب العلم من خلال الإنتاج العلمي الوفر لعلماء منطقة تندوف في شتى ميادين الثقافة الإسلامية حتى من حيث الحركة التجارية والتي تجلب معها أهل العلم العلم وكتبهم وتراثهم .

– الأدوار التربوية للزوايا العلمية بالإقليم:

اهتمت قبيلة تجاكنت بتربية أبنائها وتعليمهم وتوسعوا في نشر العلم وطلبه وتعلم أحكام الدين والمعاملات من خلال المذهب المالكي فقد اعتنوا في تربيتهم للأبناء في التفريق بين الجنسين في المرقد عملا بسنة الرسول ﷺ حتى ينشا الطفل منذ نعومة أظافره متحملا للمسؤولية وكذلك البنت تتمسك بالتعاليم الإسلامية المحتشمة لذا كان تعليمهم يتم في الكتاتيب أو في المساجد على أن يبدأ الطفل تعليمه منذ سن الرابعة ويكون الدرس بعد صلاة الصبح بحفظ القرآن الكريم على الألواح وتلاوته وكلما كبر في عمره ارتفع مستواه إلى حفظ وقراءة المتون الفقهية وبعد صلاة العصر نفس النظام الدراسي يتكرر إلى غاية صلاة المغرب ثم يجتمع الجميع لقراءة الحزب وهكذا حتى يتم تخريج الطلبة حافظين لكتاب الله وللمتون الفقهية وأحكام الشريعة.[1]

إن الزوايا والمساجد بتندوف لعبت دور مميز في إرساء القاعدة العلمية بالمدينة، فهي كانت محطة لطلب العلم والتعليم والفتوى وكل ذلك يتجلى من خلال زاوية مُحَمَّد المختار بن بلعمش الجكني التندوفي ودويرة أهل العبد المسعودي الجكني التندوفي وقد أنجبت مدينة تندوف بفضل هذه الزوايا الكثير من العلماء والفقهاء والشعراءوأهل العلم الفضلاء فمنهم العلامة الفذ مُحَمَّد الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني [2]وابنه سيد أحمد الذي كانت تشد له الرحال لطلب الفتوى وكان ناسخا ووراقا في

[1]– بريك الله حبيب، الحياة الثقافية والاجتماعية بمدينة تندوف خلال القرنين 19م و20م، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، مج4، ع4،جامعةزيان عاشور، الجلفة، الجزائر، 2011/12، ص 44 .

[2]– لقد كان حيا حتى عام 1902 م ولوحظ مخطوطات بخط يده مؤرخة بتاريخ 1877م .

نفس الوقت له العديد من المؤلفات لكن معظمها في حكم المفقود مع الأسف الشديد وكذلك الشاعر صاحب الديوان حسان الشاعر عمار بن لعرب.[1]

كما كان هناك علماء وافدين للمنطقة بل استقروا بها سنين طوال منهم العلامة الكاملي الدرعي التيجاني الطريقة الذي دامت سنين مكوثه بالدويرة والمسجد قرابة العشرسنين يعلم ويفتي ويحاور علماء المنطقة ومن بينهم كذلك العلامة مُحَّد يحي بن مُحَّد المختار الولاتي الشنقيطي الذي دامت إقامته سنة وشهرا في دار أهله العبد (الدويرة) حيث أجاب على أسئلة[2]العلامة أحمد يكن بن مُحَّد المختار بن بلعمش الجكني، فهؤلاء العلماء بالنسبة للزاوية مصابيح النور التي يعود إليهم الفضل في نشر العلم والمعرفة وماتزال رفوف المكتبة عديدة كعلم الفقه والتفسير والنوازل وعلم الطب والآداب والقواعد والنحو والصرف والشعر والبعض من هذه المخطوطات مكتوب بلغات مختلفة ولكن أغلبها باللغة العربية، لغة القرآن التي حافظوا عليها بين صدور أبناء تندوف.

– تربية الأفراد وتزكية النفوس :

إن الزاوية العلمية بتندوف قامت بدور كبير في نشر العلم وإصلاح ذات البين وإطعام الطعام وتعليم العلوم للخاصة والعوام وكل من مر بهم من الشناقطة[3]كمحمد يحي الولاتي الذي من خلال نوازله يظهر مدى تناسق بين قبيلتي الركيبات وتجاكنت المكونة لمدينة تندوف رغم الحروب الطويلة التي قامت بينهم لكن الغالب في الأخير الرجوع إلى كتاب الله، فقد اعتبرت الزاوية التي أسسها مُحَّد المختار بلعمش الجكاني رأس الهرم الاجتماعي لهذه المنطقة فحياتهم اعتمدت على طلب العلم والعمل.

وهنا نقصد بالعمل إمّا التجارة أو الرعي أو الحرث دون اهمال حفظ القرآنالذي كان أساس المعاملات والتربية الدينية إن قبيلة الركيبات لم تهمل الجانب الروحي للفرد وقد ركزت كثيرا على هذا حتى يكتمل الهدف من بناءمجتمع فيه التوقير والتقدير أساس المعاملة والاعتناء بالأسرة مسؤولية

[1]– عبد الله حمادي الإدريسي، تندوف وتجكانت تاريخا ومناقب وبطولات، مرجع سابق، ص– ص 531، 532 .

[2]– مُحَّد يحي الولاتي، رحلة الولاتي من تندوف إلى ولاتة، جزء خاص من الرحلة الحجازية، تحقيق بريك الله حبيب، طبعة دار الارشاد، 2011م ، ص 96 .

[3]– شنقيط .

يتحملها الذكر والأنثى، وفي وصية لسيدي أحمد الركيبي المؤسس وهو يحاول إن يثبت النواة الأولى للقبيلة وكأنها تعليمات يلزم أبنائه بضرورة اتباعها والحزم في تطبيقها حيث "أوصى أبناءه بأن لا يزوجوا بناته إلا لعالم أوحامل قرآن أو شريف...ودعا عليهم إن خالفوا وصيته أن يرفع عنهم الشرف وترك ذريته في تلك الأرض بالتوقير ..."[1]

إن المتأمل لهذه الوصية يفهم مدى ما تزخر به المبادئ الرئيسية التي توظفها كل قبائل الزوايا في سعيها إلى تحديد طبيعة بنيتها الاجتماعية، فهي تتسم بإبراز المميزات المشتركة لدى مختلف الفصائل ملزمة بذلك خط النسب الركيبي الفعلي مما يجعل إنتماء سيد أحمد الركيبي المؤسس لحفظة القرآن المعلوم أن هؤلاء يتميزون بمكانة واضحة يحتلونها كأشباه متعلمين في نظام محدد تاريخيا للإنتاج الثقافي وهو شخصية دينية صوفية مما جعل تراكم الثروات بين يديه من خلال مصاهرته لقبيلة سلام المعقلية ذات البأس الشديد يحدد أن يعمها إحدى صيغ التعايش بين أهل السلاح وأهل الكتاب بمعنى أن تصاهر قبيلة الركيبي المسالمة والملازمة للدين والعلم والتعليم مع غيرها من القبائل القوية الحاملة للسلاح والموقرة لأهل العلم نتج عنه نسيج قبلي فكان الأمر اكتمل بالعلم والتجارة والرعي والقوة في الدفاع عن نفسها رغم التاريخ العريض الذي جعل القبيلتين الرقيبات والتجكانت يتحاربان لمدة طويلة ولد تربية الفرد على علوم الدين الإسلامي وتزكية النفس في الدفاع عنها وعدم التماطل في إحقاق الحق والمحافظة عليه.

-تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

إن الزاوية الأعمشية كغيرها من الزوايا في الجزائر من أساسيات التعليم بها حفظ القرآن الكريم الذي يكون منذ الصغر في المحاضر والكتاتيب، فقد كان العلامة مُحَّد بن المختار بن بلعمش يدرس القرآن والحديث والفقه والنحو وغير ذلك من العلوم الشرعية . ولما قصده من الشرقي مُحَّد محمود التركزي الذي بقي لديه مدة طويلة من الزمن وهو يدرس على يده الصحيح البخاري كما وفد عليه الشيخ ماء العينين فصلى في المسجد وأخذ فنونا من العلم كذلك إضافة إلى الورد القادري إلى جانب

[1]- مُحَّد سالم بن لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، جوامع المهمات في أمور الرقيبات، تحقيق مصطفى ناعمي، تحت أشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص 20 .

العلامة مُحَمَّد يحي الولاتي في رحلته إلى الحج كما ساهم علماء وشيوخ الرقيبات في الحفاظ على المنهج الإسلامي القويم من خلال محاضرهم وكتاتيبهم التي إنتشرت عبر كل بوادي وحمادات تندوف[1].

حيث عمت الطريقة التربوية والتعليمية الأصيلة للشيخ وألفية سيدي أحمد الرقيبي وهي تعليم القرآن الكريم وحروف اللغة العربية عن طريق الكتابة على الألواح الخشبية والحبر الأسود أو الأحمر المصنوع تقليديا ومحليا، حتى الآباء كانوا حريصين على تلقين أبناءهم القرآن الكريم ومبادئ تعلمه وتلاوته ويفضل هؤلاء الآباء أن يلقنوا آيات القرآن الكريم لأطفالهم وهم صغار ليكون الاستيعاب أكثر وأسهل هذا ما توارثه شيوخ تندوف فهم يهتمون بمقولة "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر" وبذلك يكون أطفال تندوف أكثر تعلما لمبادئ الدين مما ينعكس على سلاسة لغتهم وسلامتها كما يلجأ البعض الآخر من سكان تندوف إلى إرسال أبنائهم إلى المدارس القرآنية المتواجد معظمها بالمساجد والتي يؤطرها أئمة لهم تجربة طويلة في مجال تدريس القرآن وتجويده والتحكم في أبجديات اللغة العربية وعلومها.

حيث يرى أهل العلم والمعرفة بتندوف أنه بالإمكان تطوير طرق التدريس التقليدية واتباع مناهج جديدة مع استقطاب أكبر عدد ممكن من تلامذة المدارس القرآنية التي تمثل المساجد مقرا لها وهذا باستعمال السبورة كوسيلة إيضاح عصرية تساعد الطفل على التعلم والاستيعاب حتى يتم مواصلة رفع مشعل التدريس القرآني والحديث الشريف من ألفية ابن مالك وصحيح البخاري ومختصر خليل وجميع الأسانيد والمتون حتى يتسنى لطالب العلم العلم معرفة المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم والارتفاع بالمستوى الفكري والثقافي للطالب والتدريب على القراءة الصحيحة للحديث النبوي.

كما أن دراسة الحديث المتمثلة في أقوال وأفعال الرسول ﷺ تهذب بالنفوس مع الأخذ في الاعتبار الآداب الإسلامية باعتبار النبي ﷺ الأسوة الحسنة التي يسترشد بها المسلم في حياته من معاملات وعمل والتوصل إلى معرفة الصحيح من العبادات مع حسن الاقتداء بالرسول ﷺ.

[1]– مصطفى بن دهينة، قطوف من تندوف، مرجع سابق، ص 11 .

– خدمة المجتمع بنشر عادات وتقاليد صحيحة :

تتوارث الشعوب عاداتها وتقاليدها أبا عن جد وتحافظ عليها خاصة ما كان منها يتوافق والدين الإسلامي وما يميز سكان تندوف ذلك اللباس التقليدي القديم الذين مازالو يحافظون عليه ويعملون على تحديثه منها اللباس التقليدي الذي يرتديه الرجل بمناسبة زواجه يسمى «بالدراعة « كما يمكنه أن يرتدي "البرنوس" و"اللثام"إضافة إلى إلى حمل السيف الصغير وهو في شكله العام يمثل لباس الرجل المحارب المتلثم الدائم الاستعداد للدفاع عن نفسه وأهل بيته في حين تلبس المرأة في ليلة عرسها ما يسمى « بالملحفة» وهذه التسمية منتشرة كثيرا عبر بقاع الجنوب الغربي الصحراوي الجزائري إلا أنها تختلف من منطقة في تفاصيل نسيجها وألوانها وطريقة لبسها وبالإضافة إلى الملحفة السوداء والإزار الأبيض هناك الحلي المصنوعة من الفضة وسلاسل معروفة بـ "تكاطو"عقد "الشركرك" مصنوع من نبات ينمو بالمنطقة يركب في خيط ليشكل سلسلة عقد من الجوهر الحر وهناك الكثير من أنواع الحلي وتسمياتها كما تتزين العروس بمجموعة من الظفائر الرقيقة التي تسمى بـ"سنامانا" مشدودة على الرأس ويدفع الزوج أجرة تزيين العروس ولا تغيب الحنة المزركشة والمنقوشة باشكال تشد الناظر إليها في كفوف العروس وأرجلها وطبعا مصاريفها على الزوج ويقام العرس بالزغاريد والرقصات الشعبية التقليدية المعروفة بـ "القزرة" ورقصة "قارا" والمعروفة باسم "الوازن" كذلك وأكثر ميزة للعرس مازالت مستمرة حيث يقوم الشباب بالرشق بمبالغ مالية في اللحظة التي تقوم فيها النساء برقصات على أنغام محلية مايعرف بموسيقى "امزاد" ويدوم العرس وولائمه لمدة أسبوع[1].

وهناك عادات عديدة لمنطقة تندوف خلال العرس منها يكلف العريس شخص يلقب بالوزير مسؤولية حمل الزوجة إلى الهودج أثناء انتقالها إلى بيت الزوجية وفي تلك اللحظات تحاول النسوة إسقاطها من يديه لإفساد زينتها فيضربهن بعصا تسمى "الخزامة" كما يتم إخفاء العروس لعبة تميز العرس التندوفي وهي من طقوسهم الموروثة حيث بعد وصولها إلى بيت زوجها تعود ماشية إلى بيت أهلها ثم يقوم بإرجاعها إلى بيت زوجها وتبقى على هذه الحالة إلى اليوم الثالث تؤخذ العروس إلى بيت أهلها أين يتم إخفاؤها عن زوجها ليقوم العريس وأصدقاؤه بالبحث عنها وتخصص جائزة لمن يجدها وإذا لم يجدها فإنه مضطر إلى دفع مبلغ من المال من أجل إعادتها وقد يبقى الرجل يبحث عن

[1]– مصطفى بن دهينة، مرجع سابق، ص 12.

زوجته لمدة تفوق الأسبوع وتمكث التندوفية مدة طويلة في بيت أهلها لتتعلم أمور البيت ويصرف عليها زوجها عند أهلها وقد يتجاوز مكوثها بعيدا عن زوجها في بيت أهلها من أسبوع إلى سنة لدرجة قد تنجب طفلها الأول في بيت أهلها أثناء مكوثها هناك وعند رجوعها إلى بيت الزوجية تأخذ معها ما يسمى بـ "الفسحة" بمثابة هدايا لأهل الزوج ويسمى ذلك اليوم ب"التقعاد" ليتم فيها ولائم عشاء يحضره الأهل والجيران والأصدقاء احتفاء بالعروس[1].

فمنطقة تندوف منطقة التقاء ثقافي توارثت هذه العادات والتقاليد من جيل إلى آخر وبقيت راسخة ضمن الموروث التاريخي للمنطقة، وهناك عادات أخرى تميز المجتمع التندوفي في شهر رمضان خاصة البدو منهم حيث يفضل السكان الرحل العيش في الفضاء الشاسع حيث البساطة والهدوء والأمان تحت دفء الخيم وقطعان الإبل والماعز، فالنساء ينشغلن في طحن القمح الذي يصنع منه الحريرة بينما يقضي الرجال يومهم في رعي الإبل وتلاوة القرآن والتدريس في الكتاتيب القرآنية التي أعدت لها الخيم الوبرية في أنحاء الفضاء الصحراوي حيث يجتمع الشيوخ بعد الإفطار في حلقات الذكر والوعظ ويجتمع البعض الآخر في لعبة تقليدية معرفة بـ "الداما" في حين تلعب النساء لعبة «السيق» بعد تقديم موائد الفطور التي لاتكلفهم جهدا مقارنة مع موائد سكان الحضر، وتبقى ظاهرة «التويزة» العادة المشتركة بين كل مناطق الجزائر بما فيها الصحراء وهنا تتضامن النسوة في نسج الخيم من وبر الجمال. هذا إضافة إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وموسم بن بلعمش ومعروف سيدي أحمد الرقيبي ومعروف سيدنا بلال وعيد تيفسكي الذي تشتهر به المنطقة أم لعسل بمناسبة حلول فصل الربيع.[2]

دون إهمال الجانب الأدبي للمنطقة باهتمامهم بالقصائد وسرد الحكم والأمثال والأحاجي والألغاز والأساطير والروايات والحكايا مثل قصة (هدارة رفيق النعام) باللهجة الحسانية القريبة من اللغة العربية في المبنى والمعف، هذا إلى جانب الصناعات التقليدية التي تميزهم عن غيرهم كتراث قائم بذاته تقوم به عائلات تندوفية سواء في مجال الفضة أو النحاس والجلود مبدعين في ذلك .

[1]- مصطفى بن دهينة، مرجع سابق، ص12.

[2]- مرجع نفسه، ص 13 .

فالعادات والتقاليد في اللباس والأكل والتصوف موروث قبلي عن الحياة البدوية التي كانوا يعيشونها وطبعا من تحضر منهم وسكن المدن فقد تطورت حياته وامتزجت بعادات مجتمعات أخرى قد تصاهرت معهم.

– تشجيع حركة التأليف والكتابة والرحلة العلمية:

إن منطقة تندوف وزاويتها المشهورة عرفت حركة علمية كبيرة بفضل إسهامات علمائها أمثال العلامة مُحَمَّد المختار بن بلعمش مؤسس تندوف والزاوية وابنه أحمد يكن فأصبحت مقصد طلبة العلم والعلماء فالشيخ العلامة مُحَمَّد المختار بن مُحَمَّد الملقب بابن الأعمش من أسرة علمية مشهورة بعلمائها فهذا العالم تضلع في العلوم الشرعية واللغوية والقراءات القرآنية وكان ناسخا للكتب لما كان يتعلم على يد الشيخ سيدي المختار الكنتي نظرا لخطه الجميل ولم يهتم بالسياسة والقيادة عن العبادة[1]وقد ترك عدة مؤلفات منها":شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور مخطوط بخط يده ألفه سنة 1263 هـ / 1846 م ومخطوط آخر باسم "معرفة المباني لصحة المعاني والإعانة للمقصر العاني" و"نصيحة قضاة البرية في تحريم الرشوة والهدية" وله "مؤلف في علم النبات" وكتابة بعض الفوائد والشروح على نسخة صحيح الإمام البخاري. والعلامة أحمد يكن بن مُحَمَّد المختار بن بلعمش الذي أخذ العلم عن والده وعن العلماء الوافدين أو الذين يمرون بتندوف إلى الحج فقد أخذ بعض العلوم الشرعية عن مُحَمَّد محمود التركزي والشيخ مُحَمَّد يحي الولاتي[2].

وكان العلامة أحمد يكن فقيها وعالما، ضليعا في علوم اللغة العربية والتاريخ والفرائض والأنساب والتفسير والحديث والسيرة النبوية، فقد كان يدرس ويفتي ويقضي وينسخ الكتب فقد أعتبر عالم تندوف ومنارتها ومن مؤلفاته "طرة على موطأ مالك" وبعض الفتاوي والقصائد الشعرية الموجودة بخزانة آل بلعمش وعمر بلعرب بن مولود بن مُحَمَّد الحرطاني الجكني، شاعرا وأديبا أخذ العلم من أسرته العلمية ومن الشيخ أحمد الكاملي الدرعي أخذ الطريقة الصوفية التيجانية[3] وله ديوان شعري باللهجة

[1]– أبو بكر أحمد المصطفى، منح الرب الغفور في ماأهمله فتح الشكور، تحقيق مُحَمَّد الأمين بن حمادي، منشورات ens، 2011م، ص207 .

[2]– مُحَمَّد مختار السوسي، المعسول، ج18، مطبعة النجاح الدار البيصاء، المغرب الاقصى، 1962م، ص 161 .

[3]– عبد الله حمادي الإدريسي، الإشراق، تندوف وتحكانت تاريخ ومناقب وبطولات، ج2، مرجع سابق، ص 199 .

الحسانية كما هناك مياسة بنت عابدين بن عبد الحي الرمضانية الجكنية التندوفية عرفت بالعبادة والزهد والشعر مداحة للرسول ﷺ.

و هناك العلامة سيدي أحمد بن مُحَمَّد بن الصالح بن بريك الله الشانعي الجكني الفقيه (ت 1858م / 1953م)كان عالما، حافظا، محدثا ومفتيا، ذاع صيته في الكثير من الأمصار وقد ألف العديد من الكتب والرسائل لكنها كلها مفقودة لم يعثر منها إلا على رسائل له مع علماء عصره وفتاويه ووثائق البيع والشراء والأحكام الفقهية بخط يده وكان ناسخا في نساخة المخطوطات التي كانت تأتي مع تجارة القوافل الصحراوية سواء من السودان الغربي أو من ولاتة وشنقيط بموريتانيا أو حواضر المغرب الأقصى وباقي المدن العلمية .

وقد ساهم في بعث الحركة العلمية بالمدينة في القرنين التاسع عشر والعشرون الميلادي. إن القبيلتين الرقيبات وتجكانت التي تعايشت داخل هذه المدينة ساهمت بشكل واضح في ازدهار الحركة العلمية بالمدينة حتى صارت زاوية بلعمش مزار للعلماء والطلبة بمثابة جامعة علمية بهذا الجزء من الجنوب الغربي وخاصة باعتبارها ممر تجاري هام ساهمت تجارة القوافل بشكل كبير في ازدهار الحركة العلمية بالمنطقة فتعددت بها تآليف العلماء ومنسوخات المخطوطات والكتب التي جمعت في مكتبة زاوية بلعمش مازالت إلى يومنا هذا.

– تولي القضاء والإفتاء:

من بين الذين اشتغلوا في القضاء والفتوى الشيخ العلامة مُحَمَّد يكن السالف الذكر حيث كانت الاستفتاءات والأسئلة العلمية كثيرا.أما ترد اليه من حواضر مختلفة وقد قال فيه مختار السوسي ": أنه كان ذاكرا كثير الأوراد، متحريا الحلال في قوته ومعيشته، وقد جمع الله له المحبة في القلوب وزرع له الاحترام والهيبة بين الخلق "[1]وله نوازل بذلك وهناك القاضي والشيخ الجليل توهامي لحبيب والعلامة بريك الله سيدي أحمد ويبدو أن القرن السابع عشر ميلادي قرن ظهور المجامع الإفتائية حيث ذكر صاحب الوسيط أن مُحَمَّد المختار بن الأعمش[2](المتوفي 1107هـ) أول من أجاد من أهل البلاد في تصنيف النوازل وكذلك تلميذه مُحَمَّد بن أبي بكر بن الهاشم الغلاوي(المتوفي 1098هـ) والعلامة الفذ

[1]– مُحَمَّد المختار السوسي، مصدر سابق، ص 165 .

[2]– الشنقيطي أحمد بن الامين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ط2، القاهرة، 1958م، ص 115

مُحَّد الصالح بن بارك الله الشانعي الجكني[1] وابنه سيد أحمد فريد عصره والذي تشد له الرحال في طلب الفتوى وكان ناسخا ووراقا.[2]

وقد كان هؤلاء العلماء الزاوية والدويرة منبرهم حيث كانوا يعلمون طلبة العلم ويدرسون متون الفقه ويتدارسون علم الأصول ويفتون في أمور الدين وغيرها من أمور الحياة وهناك الشيخ عبد الله من علماء أسرة آل بلعمش اشتهر بعلمه وحفظه لمختصر الخليل بن إسحاق في الفقه وكان له رسوخ في العلم ويقصده الناس للقضاء بينهم والفصل في النزاعات والخصومات وكذلك العالم الجليل الشيخ مبلا أي امانة الله ابن أحمد دكن وقد أخذ العلم عن ابيه كمبادئ لعلوم ثم أخذ عن الأستاد مُحَّد مبارك الإمام الراتب لمسجد تندوف الفقه الذي أصبح فيه متمكنا وقد حفظ مختصر خليل وعاش في تمبكتو و ولاتة وامتهن التجارة وعين قاضيا على مدينة تندوف وبقي بها إلى أن توفي سنة 1360هـ .[3]

والواضح هنا أن عائلة ابن الاعمش من الأب إلى الإبن المؤسس للزاوية إلى أغلب أبنائه وأحفاده من العلماء والأدباء وحفظة القرآن امتهن أغلبهم مهنة القضاء والإفتاء وغلبت عليهم محبة الناس اليهم لعدلهم وتواضعهم وعلمهم.

وفي آخر هذا المبحث نستنتج أن الأقاليم الثلاثة توات والساورة وتندوف بها زوايا علمية أو صوفية تقوم بالدورين التربوي والتعليمي وحتى الاجتماعي وخاصة لما يشد لها الرحال من بعيد بحثا عن مطلب العلم فيها فيجب أن يهيأ مكان لاستقبال الطالب والعالم وعابري السبيل والاعتناء به إلى غاية ما يدرك حاجته.

كما نلاحظ أن هناك منهج واحد متبع في طريقة التدريس لحفظ القرآن والحديث النبوي الشريف منذ الصغر باستعمال اللوح والدواة والحرص على تحبيب الطفل للعلم وعدم ترهيبه وهكذا يهتم الشيوخ في هذه الزاويا بكل صغيرة وكبيرة فيها رغم توزيع المسؤولية على معلمين وطلبة قد ماء لتقديم المساعدة .

[1]– وله العديد من المنسوخات من المخطوطات والوثائق التجارية المحلية

[2]– ألّف ونسخ الكثير من المخطوطات في تندوف والمغربوالسودان الغربي وغيرها من الأمصار الأخرى، أنظر:–حمادي عبد الله الإدريسي:تندوف وتحكانت تاريخ ومناقب وبطولات، ج2، ص 195 .

[3]– صلاح مؤيد العقبي، الطرقالصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص –ص 544، 550 .

– إن الزوايا العلمية يقدر عنايتها بتدريس مختلف العلوم فهي لا تهمل الجانب الأخلاقي التربوي فتجد شيوخ الزوايا يكثرون من الدرس والشروح والامتثال باحسن الاداب لأنه هو أول عبرة ومثال لطالبه

– اذا كانت هذه الزوايا تغذي العقول وتحسن السلوك فهي تهتم بالجانب الروحي والجهادي للدفاع عن النفس والعرض والوطن ولاحظنا زوايا ومشايخ قادوا المعارك ضد الإحتلال الفرنسي .

– إن الخزائن الكثيرة المنتشرة عبر أقاليم الجنوب الغربي الجزائري تحتوي تلك المخطوطات والمؤلفات العديدة لعلوم متنوعة نقلية وعقلية في كل المجالات ساهمت بشكل كبير في تطور الحركة العلمية بالمنطقة مما جعل علمائها يتنافسون على حل المعضلات وتسجيل الأحداث ليكون للأجيال المستقبلية درسا يستفاد منه.

– لاحظنا كذلك أن معظم الأسر العلمية كأنها تحتكر مناصب القضاء أو تتوارث هذه المناصب ليس ظلما بها ولكن لشهرة علمائها واستحواذهم على المناصب لجدارتهم مما أدى إلى تنافس الاسر الأخرى في الحصول على هذه المكانة بأحقيتهم العلمية وكثرة مؤلفاتهم وكتبهم وشروحات في معظم العلوم الدينية كالفقه والتفسير واللغة والنحو والطب والتاريخ وهلم جرا مما يدفع بالعلماء المشارقة يتوافدون على نسخ مخطوطاتهم أو القدوم عليهم والإقامة بينهم لأخذ العلم منهم من جميل تواضعهم.

– إن هؤلاء العلماء تركوا خلفهم معظم علومهم التي لم يتم إتلافها سواء بظرف الزمن أو تحرشا من السياسة الاستعمارية، كما خلفوا المكان الذي يحمل بين جدرانه دفء علومهم كالدويرة والمسجد العتيق بتندوف أو الساورة.

– إن العلماء أمثال الشيخ المغيلي الذي أعلن فتواه وحارب من أجل إبعاد دناسة اليهود وعبثهم بإقليم توات والفضل بعد الله يرجع له في نشاط مدنه كتمنطيط وزاجلو ورقان وأولف وقورارة وتيمون ومدينة أدرار التي ورثت زاوية الشيخ مُحَّد بالكبير .

– رغم نقص المادة العلمية خاصة بإقليم تندوف لكن دراستها تثير الفضول وتزيد من الرغبة في البحث والإجابة عن كثير الأسئلة التي قد يتساءل المرء عنها .

المبحث الرابع: من مظاهر النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية

1. إقليم توات:

تعد الزوايا العلمية مكانا للحفاظ على العقيدة والمبادئ الإسلامية الصحيحة إزاء حملات التغريب والانصهار في الثقافات الدخيلة التي كان الاستعمار الفرنسي يبشر بها، فقد جاهد القائمون على الزوايا لتخريج العلماء والفقهاء والدعاة الذين تصدوا في وجه الاستعمار من أجل تحرير الارض والعباد والدفاع عن العقيدة الإسلامية وصيانة القيم الإنسانية وترسيخ مكارم الأخلاق ومعظم زوايا إقليم توات تميزت بإرساء منظومة اجتماعية متماسكة ومنسجمة بنيت أسسها على قيم السلف الصالح في التسامح والتآلف والاستقرار الاجتماعي والعيش المشترك وهذا يتجلى في عديد المميزات الاجتماعية السائدة في المنطقة، فلا يمكن أن نهمل الدور الذي أدته الزوايا المنتشرة بهذه المنطقة ومدارسها القرآنية في تثبيت أسس ودعائم العيش المنسجم في كنف السلم والأستقرار مما جعل منطقة منطقة توات محل استقطاب لعديد الشعوب من مختلف الأمصار[1]وطبعا الفضل في هذا إلى بعض المشايخ والعلماء بالمنطقة ومنهم العلامة الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن بالزاوية البكرية والعالم مُحَّد بلعالم الزجلاوي والزاوية الرقادية الكنتية بزاوية كنته وغيرها من الزوايا، فكل قصر زاوية وكل زاوية قصر بإقليم توات ومن بين هذه النشاطات الاجتماعية لهذه الزوايا كإحياء المناسبات الدينية منها :

- ليالي رمضان وتحييها بإقامة الدروس الرمضانية كل يوم بعد صلاة العشاء في ليلة القدر تقوم بتوزيع كامل أجزاء القرآن على الطلبة والمدرسين كما لغير المنخرطين المشاركة في ذلك وتبدأ تلاوة القرآن الكريم من المغرب حتى طلوع الفجر مع ترديد المدائح الدينية الخاصة بذلك اليوم [2]
- إحياء المولد النبوي الشريف بترديد المدائح والقصائد المشهورة كالبردة والهمزية ويكون ذلك من مطلع الشهر إلى غاية ليلة المولد النبوي الشريف من 12 ربيع الأول في هذا اليوم يقومون بترديد قصائد الميح صباحا ويحتفلون بالطعام للضيوف.[3]

---

[1]– أحمد جعفري، مقال زوايا إقليم توات، النهج الوسطي للزوايا ساهم في أشاعة قيم العيش معا بالمنطقة، جامعة أدرار، الكلمة الافتتاحية .

[2]– بن زيطة أحميدة، محاصرة بعنوان الهيكل التنظيمي للزوايا بمنقة توات، الملتقى الوطني للزوايا بأدرار يوم 1، 2، 3، ماي، 2000م بدار الثقافة .

[3]–بن زيطة أحميدة، مرجع نفسه .

۞ وكذلك الاحتفال باليوم السابع من مولد الرسول ﷺ بقراءة المدائح الدينية والشعائر التعبدية.

هذا غير إحياء ذكرى وفاة الأولياء الصالحين من شيوخ هذه الزوايا المؤسسين لها كل زاوية واليوم المقرر لها بالاطعام وقد يزيد عن ذلك بالزيارة وللمقام ورقصات البارود أو العبيد حسب نوع الرقصات المعهود للمنطقة.

إن الزوايا العلمية تساهم بشكل فعال في حل النزاعات والخصومات وإصلاح ذات البين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يتعلق بقضايا المجتمع لترقية الحياة الاجتماعية وتمتين الروابط بين افراد المجتمع ووترسيخ التعاون وإذكاء روح التكافل والمساهمة في التماسك الاجتماعي فقد كانت أماكن لعقد الزواج سواء فرديا أو جماعيا لدعم الحلال ومحاربة الحرام والمعلوم هنا أن الزوايا العلمية لإقليم توات قد تعدت نشاطاته الاجتماعية حدود الإقليم إلى نواحي جنوب الصحراء بالازواد ومنطقة مالي وخارج الإقليم بنواحي غرداية فيما قام به الشيخ مولاي التهامي من وقفة بارزة في جهود إرساء الصلح بين المالكية والإباضية بمنطقة غرداية كما هو معروف في الثقافة والأعراف داخل المجتمع المحلي وكذلك الزواية البكرية كانت لها مساهمات تاريخية وعصرية في تعزيز أواصر الأخوة وقيم التعايش بين الثقافات ولازالت الزاوية البكرية تعمل جاهدة للاصلاح بالمنطقة من خلال تعليم مبادئ الدين الإسلامي السمح وتثبيت نهج الوسطية والاعتدال وتكريس ثقافة المحبة والتاخي وحب الوطن وتثمين الامن والاستقرار الذي ينعم به الإقليم .

ومن السمات المشتركة لزوايا إقليم توات استقطابها لعموم الطلبة بمدارسها القرآنية بل وحتى عابري السبيل دون تمييز عرقي أو طائفي أو ديني مما جعل المتخرجين من الطلبة الأوائل الداعين للسلم والسلام ومحاربة كافة اشكال التطرف والتميز العرقي .

وكانت لازالت معظم هذه الزوايا ملجأ للضيوف وعابري السبيل بحكم طبيعة المنطقة النائية والقاسية ووجود منطقة توات في مفترق الطرق التجارية وقوافل الحجيج، كما كانت مخبأ للمجاهدين إبان المقاومة الشعبية والثروة التحررية الكبرى كمكان للتموين والراحة والاتصال وهذا ماذكره الشيخ أحمد الطاهري الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات اذ قال: "...والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد

معه، فاذا كان في القصر زاوية، يقصد دار الزاوية، فيجد فيها كل ما يحتاج إليه حتى علف الدواب"[1] وأحيانا تقوم بالعناية بالأيتام والفقراء عن طريق الاشتغال في أوقافها وينتفعون من حبوسها ومن الأنشطة الأخرى المعروفة عن هذه الزوايا هي خدمة ضيوف الرحمان باعتبار توات طريقا رئيسيا لحجاج المغرب وبلاد السودان الغربي.

وقد عملت هذه الزوايا على خدمة الحجاج طوال مدة إقامتهم بتوات حيث كانت لهم أوقاتا معلومة من السنة يأتون فيها ولهم زوايا معلومة يقصدونها سواء في الذهاب أو الإياب مثل زاوية الركب النبوي للشيخ أبي نعامة بأقبلي بتيديكلت للشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن أبي نعامة كمكان تجتمع فيه قوافل الحجيج القادمة من السودان الغربي والمغرب الاقصى مع حجاج توات ومنها إلى الحج[2]هذا بغض النظر عن فوائد نزول الحجيج بهذه الزوايا من استزادة الطلاب من علوم علماء المناطق البعيدة القادمين من أجل الحج واستنساخ مخطوطاتهم العلمية المتعددة.

فهذا بعض ما قانت به الزوايامن نشاطات اجتماعية في المنطقة بتوات والتي استمدتها من إنتماءها العربي الإسلامي لذلك فإن الدين الإسلامي هو محور العملية التربوية والنشاط الاجتماعي لهذه الزاويا التي لازالت تمارس الاصلاح والحث على الاخوة والثناء على التعايش والتضامن والوحدة والالتفاف حول كتاب الله الذي هو أولى بدايات التعلم بها.

2. إقليم الساورة:

إن ما يميز هذا الإقليم تواجد الزوايا الصوفية تقوم بدورين هما الدور التربوي التعليمي والدور الاجتماعي وحتى الدور الأمني بتوفير الطعام والإيواء للضيوف وعابري السبيل وطلبة العلم والعلماء والنظر والفصل في النزاعات وإصدار الفتاوي والأحكام وعقد القرآن والطلاق وكذلك الإشهاد وتوثيق

[1]– مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، نسيم النفحات مصدر سابق، ورقتي 33، 34 .

[2]– مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، مداخلة في المؤتمر الدولي الثاني، رؤى تربوية إسلامية معاصرة " واقع وطموح " المعهد العالي للدراسات الإسلامية جامعة آل البيت المفرق المملكة الاردنية الهاشمية 10/ 11 أبريل 2012م، ص – ص 13، 14 .

عقود البيع والشراء هذاإلى جانب كونها محطة للقوافل التجارية وملجأ للمضطهدين وطالبي اللجوء[1]فهذه الزاوية قائمة على قاعدة متينة أساسها الإسلام يتمثل ذلك في دور العبادة بالمساجد[2].

وتعقد فيه الاتفاقيات وتبرم فيه العقود، والزاوبة مكان للتضامن والتكافل والشعور بالاتحاد مثلما هي مصدر للعلم وتزكية الروح ومنطلق الكثير من الأعمال في الحياة الاجتماعية وحسبنا أن نتوقف على نموذج من هذه الخدمة على المستوى الاقتصادي حيث استطاعت الزاوية الزيانية حفر آبار[3]بالقنادسة لتكون مصدر خير ومورد وبركة ويقول عنه ديبون الحسافيي":كان الفقراء يأوون إلى الزاوية بصورة مستمرة فيجدون فيها ملجأ أما هؤلاء الذين أفقرهم القحط والجفاف فإنها كانت تفتح لهم مخازنها فيجدوا فيها كنوزا حقيقية من الحبوب يغترفون منها لسد حاجياتهم ويقترضون كميات لإعادة زرع أراضيهم فإذا كانت السنة الموالية سنة خصبة أدوا ما عليهم بسخاء وإذا كانت عكس ذلك فلا أحد يطالبهم بما أخذوا اعتبارا أن ما وقع قضاء إلهي".[4]

وهذا جعل سكان المنطقة ينظرون إلى الزاوية بنظرة التقديس والعرفان للدور الذي تقوم به اتجاه المجتمع فيجعلهم يهيبون الصدقات بسخاء لأنهم وجدواأنالعطاء متبادل ولذلك نجدأن الزاوية الزيانية اضحت المتجدرة في اعماق الساوري خلال العصر الحديث حيث ذكر مُحَمَّد برشان في كتابه ": ...ذلك إن أهمية الساورة كطريق لركب الحجيج استقطب رجال التصوف، فالقباب والأضرحة والمساجد والزوايا خلدت أسماء أولئك الأولياء الصالحين الذين استقروا بالصحراء أو مروا بها، ولا تكاد تخلو مدينة أو قصر إلا وتجد بها ضريحا لولي صالح، بل ويعتقد الجميع بالحضور الروحي الدائم للولي الميت، وبقدرته على التوسط والشفاعة بينهم وبين تالله، لذلك لما اضحت قوافل الحج في حماية شيوخ الزوايا كانت محصنة من أي أذى ومن ثم فإن كل من تجرأ على إيذاء السلطة الخارقة للولي

[1]- محابيب نور الدين، آليات التفاعل ومساند الفاعليةالاجتماعية للزاوية الزيانية في قصور الساورة(تاغيت والقنادسة)في الجنوب الغربي الجزائري، مجلة البدر، مج4، ع8، جامعة بشار، 2012/8م، ص 16 .

[2]- مرجع نفسه، ص 16 .

[3]- صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا، مرجع سابق، ص 209 .

[4]- **Louis Rinn**,**Marabouts et** khouan: **étude sur l'**islam en **Algérie** ,1984 ,p. 230.

الصالح فسينال عقاب الله الشديد".[1] وكأن هيبة الزاوية سواء الزيانية أو الكرزازية بهذه المنطقة وفرت الأمن لقوافل الحجيج وحتى التجار خاصة وأن منطقة الساورة ذات أهمية كطريق للقوافل التجارية والحجيج بين الجهة الغربية والسودان الغربي ونحو المشرق فقد أخذت هذه الزوايا بطريقة أو بأخرى على عاتقها الامن من قطاع الطرق الذين يعترضون القوافل .

وهنا "أيضا لويس رين " في هذا التصريح بعد ملاحظات استقاها من معاينة ميدانية قائلا ":...الا أن الملفت للإنتباه هو غياب سور دفاعي يحمي القرية التي أصبحت مع مرور الزمن قصرا كبيرا يضم مجموعة من الأحياء وهي ظاهرة إنفردت بها القنادسة دون غيرها من القرى الصحراوية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى الأمان الذي كان الشيخ يوفره للبلاد من اللصوص وقطاع الطرق ليس في القنادسة فحسب بل في جميع القرى المجاورة حتى أضحى معروفا عند العام والخاص أن اختصاص الزيانيين هو قيادة القوافل وحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق فلا يستطيع تاجر من توجيه قافلة بضائع إلى الجنوب دون أو قبل التأكد من الحماية الزيانية لها".[2]

فلقد اشتهر الزيانيون بحماية القوافل من اللصوص وقطاع الطرق مقابل أجر معين ويبدوا أن ما كان يسمعه اللصوص وقطاع الطرق عن كرامات الشيخ ابن زيان أوجس الخوف مما جعلهم يتجنبون القوافل التي تستقبل الزاوية بقيادة مقدميه أو اقرب أو حتى أتباعه، فصارت بذلك الزاوية الزيانية تسود الحياة الاجتماعية في القنادسة وبني قومي من خلال الأدوار الاجتماعية التي قامت بها وسبق أن فصلنا في ذلك .

إن معظم هذه الزوايا تساهم بشكل أو اخر في كل ما هو خير للمجتمع لأن نشاطها الاجتماعي يعمق تواجدها لدى الساكنة ويجعلهم يتذكرون هذه الافعال الموازية للعمل التعليمي التربوي فكلاهما يخدم الاخر .

[1]– مُحَمَّد برشان مرجع سابق، ص 337.، وانظر العياشي، المصدر السابق، ماء الموائد أو الرحلة العياشية إلى الديار التواتية، تحقيق وتقديم، سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006م، ص- ص 77، 78 .

[2]– **Louis Rinn**, Op.Cit, p412.

ج)إقليم تندوف:-

إن الإقليم التندوفي تميز بالتجانس الاجتماعي القبلي خاصة قبيلتي الرقيبات وتجكانت التي تتعايش مع بعضها وفق طرائق وأساليب المعيش التي كانت تفرض على الجميع الحركة المتواصلة سواء قصد التجارة والمقايضة أو رعي الأغنام والجمال ورغم طغيان اللهجة الحسانية على المنطقة وتأثيرها بشكل عام على القبائل الأخرى كالشعابنة ولغنامة إلا أن زاوية بلعمش والمدرسة القرآنية وقصبة أهل العبد التي تضم علماء وفقهاء وشيوخ الرقيبات ساهمت بشكل فعال على المنهج الإسلامي واللغة العربية من خلال محاضراتهم وكتاتيبهم الدينية والتعليمية والتوجيهية سواء من الشيخ الفقيه والولي الصالح سيد أحمد الرقيبي[1]أو العلامة سيدي مُحَّد المختار بلعمش والزاوية هذه كغيرها اهتمت بشؤون العامة من تعليم وإصلاح ذات البين وحل النزاعات وحتى المساهمة في حماية قوافل الحجيج والتجار خاصة أن معظمهم كانت له تجارته الخاصة التي ساعدته على كسب وافر من المال، كما عملت هذه الزاوية من خلال فقهائها وعلمائها على الوعظ والإرشاد والتوجيه والتحريض على الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، هذا بالإضافة أن الزاوية كانت تعمد إلى ممارسة التعاليم الدينية وعقد القرآن ومختلف العقود للبيع والشراء ويجسد فيها معاهدات الصلح وتحديد خطط الحرب فبالرغم من الاختلاف بين عادات وتقاليد القبائل التي استقرت بها لكن النهج الإسلامي خلق التعايش والتجانس والتقارب ولا ننسى أن معظم شيوخهم وأسرهم من العلماء سواء آل بلعمش أو شيوخ الرقيبات أو آل العبد الرمضانيين[2]وطبعا إحياء ذكرى وفاة شيخ الزاوية بإقامة الولائم فيهي فرصة لمساعدة الفقراء والمساكين[3]وابن السبيل باستقبالهم بحفاوة .

فكأن الدور الاجتماعي لهذه الزوايا المنتشرة بالجنوب الغربي متشابهة فنفس المهام والواجبات باستثناء طبيعة المنطقة وعاداتها وتقاليدها حسب التركيبة السكانية التي تسودها .

---

[1]- مديرية التخطيط لولاية تندوف، مطوية ورشة التراث ناقل للهوية، ص 05 .

[2]- مصطفى بن دهينة، قطوف من تاريخ تندوف، مرجع سابق، ص 6 .

[3]- جوادي سفيان، يحيا محجوبة، أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) على عادات وتقاليد المجتمع بتندوف، دراسة ميدانية لعينة من سكان منطقة تندوف أشرافصفاح أمال، مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2019م – 2020م ، ص 38 .

وفي ختام هذا المبحث الذي حاولت فيه بشكل مختصر لنقص المصادر التي تخدم الموضوع خاصة بالنسبة إلى منطقة تندوف وهنا القصد الزاوية التي تسودها ولقلة المؤرخين والباحثين من الجزائريين في دراسة هذا الإقليم لكن على العموم لم يكن هناك اختلاف سوى أن إقليم توات قد اخذ تقريبا حقه في البحث ولا زال في حين تصدر بن حمادي الإدريسي في التاريخ لهذا الإقليم الإقليم باستثناء المستشرقين والفرنسيين الأوروبيين أثناء رحلات الاستكشاف .

هناك نشاط مشترك بين هذه الزوايا المتعددة والمتنوعة بأقاليم الجنوب الغربي وهو عمل الاصلاح والفتوى وحل النزاعات والصلح بين المتخاصمين وإحياء ذكرى الأولياء الصالحين وعقد القرآن واستقبال ابن السبيل والفقراء والمساكين والتعليم والاهتمام بكل شؤون الحجاج الوافدين منهم والذاهبون وجرأة الزاوية في حماية قوافل التجارة والحجيج .

المبحث الخامس:دور الزوايا في الحياة السياسية والوطنية

لقد حافظت الزوايا على دورها التعليمي والتربوي والروحي إلى بعد الاستقلال حيث واظبت على طريقتها في تعليم القرآن والمواد الشرعية للطلبة وأصبحت هذه الزوايا ضمن برنامج وزارة الشؤون الدينية فتشرف على المساجد والمدارس والمعاهد وتزودها بالائمة والواعظ لكن من ناحية علاقتها السياسية تعرضت للتهميش والتجاهل.

فقد ذكر معظم الباحثين أن الزوايا قد حوربت واقصيت بعنف تحت شعار التخلف والرجعية والبدعة، باجتماع مختلف التيارات المتضادة الذين أصبحوا في جانب واحد ضدها والقصد هنا حزب جبهة التحرير الوطني وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كهيئة دينية مستقلة فضيق الخناق على أنشطتها في الجزائر لعدة سنوات اذ سيطر آنذاك على الساحة الإيديولوجية ثلاث توجيهات تمثلت في التوجه الاشتراكي الذي تبنته السلطة السياسية والتوجه الليبيرالي الذي تبنى افكار غريبة استعمارية تحتقر المجتمعات الأهلية وفرض عليها قوانين مهينة ومنعها من اصلاح نفسها وتوجه اسلامي المتمثل في الطرق الصوفية والاصلاحية أهمها الطريقة الرحمانية والقادرية والتيجانية والعلوية لكن بعضها إنفرد بنفسه وابتعد عن مهامه الأساسية وهي لم تستطع التأقلم مع الأفكار الحديثة[1].

حيث بعد الاستقلال في عهد الرئيس أحمد بن بلة الذي كانت مدة حكمه قصيرة وانشغل فيها بتثبيت وترتيب الأوضاع الداخلية والخارجية للجزائر خاصة في نزاعها على الحدود مع المغرب في حين الجانب الديني تراجعت مظاهره حسب بعض الشهادات في العاصمة الجزائر حيث لوحظ ترك صلاة الجماعة والسخرية من الملتزمين بعباداتهم مما أدى إلى قلة في عدد المتدينين كما اختلفت الطرق الصوفية مع السلطة في وجهات النظر مما جعلها في تضارب واصطدام مثلا: منع الزوايا من التعليم الديني ماعدا الزوايا الموجودة في الصحراء البعيدة عن الأحداث في الشمال كزاوية سيدي مُحَّد بالكبير وزاوية كنتة الرقادية والزاوية البكرية.

[1]- قصة الزوايا في تجاذباتها مع السلطة، جريدة الفجر، 2 ماي 2016 م ص ص 14، 15 ، الرابط:
.www.al .fadjer .com /ar/index-pint ? news: 21277

كما عملت نظام الحكم على تأميم الوقاف والاراضي التابعة للزوايا مما زاد من حدة الصراع بين الطرق الصوفية والزوايا مع النظام الحاكم آنذاك اما في عهد الراحل هواري بومدين كانت فترة تأزم وخناق عاشتها الزوايا لأن السلطة تعاملت معها بعنف بالإقامة الجبرية والتأميم والهجر لأن الرئيس الهواري رغم أنه ابن زاوية إلا أنه كان ينظر إلى الزوايا الصوفية نظرة المنافس للنفوذ والسلطة فانتقم من شيوخها بحجة الجوسسة والعمالة وحاول إبعادها والقضاء عليها من خلال الرفع من قيمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإدخالها في الحياة العلمية والثقافية وتطبيقها في المناهج الدراسية كمرجعية دينية كجعل يوم ستة عشر أفريل ذكرى وفاة عبد الحميد بن باديس يوما للعلم وإهمال الكثير من العلماء الصوفيين الذين ساهموا في الحياة العلمية وغياب تاريخ الزوايا في المناهج الدراسية وحتى الجامعات وإهمال دورها عبر التاريخ نعتها بالتخلف والرجعية والخرافة خاصة الإعلام حيث صدرت جرائد تصفها بالرجعية والتخلف كجريدة المجاهد 1968م[1]باستثناء بعض الزوايا كزاوية الشيخ مُحَمَّد بالقايد بتلمسان وربما هذا هو السبب الذي جعل الزوايا سواء في الشمال أو الجنوب بعيدة عن الجانب السياسي وانحصر وتقلص دورها فلم يتعدى حدود الواجب الذي تأسست لاجله وهو التعليم فالتهميش كان الحل الوحيد لإبعادها عن الجانب السياسي حتى لا تكون منافس قوي في جذب الشباب اليها، أما في عهد الشاذلي بن جديد عرفت الزوايا نوع من الحرية والاستقلالية والحركة في تسيير شؤونها فدب النشاط بها حين أعيدت لها أوقافها ورفعت الإقامة الجبرية عنت شيوخها خاصة الهامل ببوسعادة وزاوية الأحول بغليزان وغيرها فعادت العلاقة بين السلطة والزوايا إلى الأحسن خاصة في فترة الثمانينات مع مطلع التسعينات في فترة الاحتجاجات والأزمة السياسية للوقوف في وجه المتطرفين الذين حملوا شعار (الدعوة والقتال) أغلبهم مثلتهم أحزاب سياسية قائمة على أفكار دينية جهادية، التفتت السلطة إلى الزوايا وطلبت منهم تشجيع إسلام الزوايا في الأوساط الريفية والمدنية .

فكان هذا الوضع مناسبا لعودة الزوايا والطرق الصوفية إلى مجاريها لممارسة نشاطاتها وانتشارها برؤية مختلفة في الأهداف والوظائف عن ما سبق وهكذا بعد عدة خطوات وتغيرات لم تعد الزوايا أماكن للتعبد والاعتزال بل مؤسسات متفتحة على المجتمع بحيث سطرت لنفسها إستراتيجية تتماشى

[1]– محبوبي فاطمة ورحالي الضاوية، الزوايا والتنمية السياسية في الجزائر، التنشئة السياسية والمشاركة السياسية، مذكرة ماستر، شعبة العلوم السياسية، تخصص سياسيات عامة وتنمية، اشراف جمال زيدان، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، 2015م –2016م، ص61 .

والعصر الحالي وهذا ما عبر عنه شيوخ الزوايا مثلا في محاضرة للسيد عبد القادر العثماني شيخ الزاوية العثمانية:"لقد حان الوقت ...فعلى الزوايا أن تتغير..." وفعلا واكبت الزوايا العصرنة وأصبحت تتعاطى مع التكنولوجيا وتعقد الملتقيات الوطنية وتحويل أنشطتها إلى مهرجانات شعبية بطريقة رسمية ومن خلال هذا يظهرأن السلطة أعادت الاعتبار إلى الزوايا وكذلك فعل الإعلام بتقديم حصص عن الزوايا ولقاءات مع رؤساء المنظمات والاتحادات المرتبطة بالزوايا ومشايخها[1].

إن معظم الأهداف السياسية للزاوية غير معلنة فهي تطبع بطابع ديني وثقافي وأحيانا تنادي بتحقيقها ومنها إحياء الهوية الوطنية الجزائرية من مقومات الثقافة الحضارية والدينية والتاريخية والوطنية ومحاربة السياسية الفرنسية التي كانت ترمي إلى القضاء عليها لكنها بعد الاستقلال حاولت غرس الروح الوطنية في نفوس المجتمع وربط الجزائر بالعالم الإسلامي عن طريق المشاركة في المؤتمر الإسلامي، بيدأن السلطة السياسية وجدت نفسها في فترة الألفينيات في أزمات منها أزمة الشرعية الهوية والولاء وأزمة أمنية[2] ...الخ مما دعا السلطة إلى الاستعانة بالزوايا وإنشاء مجلس أعلى للزوايا ومنصب الجمهورية أن يكون من هبة مالك متصوف من أجل حماية المرجعية الدينية للأمة[2] فأنشات الرابطة الوطنية للزوايا عام 2003م الذي يتكون من أكثر من 380زاوية ويطمح إلى أكثر من ذلك لأنه قوة شعبية لما يصبح حليف السلط السياسية من خلال هذا التكتل للزوايا يكون لها مكانة سياسية واجتماعية خاصة لما الزوايا تعلن ولاءها للحاكم ولا تتمرد عليه لأن لها القدرة على تسيير الطبقات الشعبية والتحكم والفصل فيه وهذا ما دفع بالسياسي إلى ضم مؤسسة الزاوية واكتساب رضا شيخها ومريديها بإنشاء علاقات ودية تقضي أنه لا يمكن الفصل بين الزاوية والسلطة فهذا ما صرح به الشيخ علي عية رئيس اللجنة العلمية للزوايا بالجزائر أن:"إبعاد الزاوية والمسجد عن السياسة هو فصل الجسد عن الرأس وبالتالي لايصبح الجسد صالح ولا الرأس صالح فكلاهما يكمل الآخر".[3]

وطبعا هذه النتيجة وصلت إليها السلطة السياسية بعد مخاض جهيد عانت من خلاله تشتت للأيديولوجيات التي تسربت بين الشباب الجزائري خالصة بعد تغير الحياة السياسية والدخول فيما

[1]– محبوبي فاطمة ورحالي الضاوية، مرجع سابق، ص، ص 77، 78 .

[2]– بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة انتروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه، علوم اجتماعية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سطيف، 2014م-2015م، ص ص 312-314.

[3]– ليلى بوزيدي، حصة نقاط على الحروف، قناة الشروق نيوز، 7افريل 2016، على الساعة السابعة والنصف .

يسمى بتطبيق الديموقراطية عن طريق التعددية والحرية فاستلزم إحضار التأثير الروحي والاسترجاع الاعتقادي لدى الشباب للالتفاف حول الدين والزوايا هي التي تمثل هذا الدين. فمساهمة الزاوية سياسيا جنبا إلى جنب السلطة يلملم هذا الشتات الذي تبعثر في التسعينيات السوداء للعودة بالبلاد ضمن الأهداف الثورية والوطنية لتحقيق الأمن والاستقرار، فمنذ تولي الرئيس بوتفليقة الحكم ظهرت الزوايا على الساحة السياسية والإعلامية وعرفت تطورات ونشاطات لمحاربة الإرهاب والتطرف وساهمت في تحقيق الاستقرار والسلم بدعم من الرئيس مما وطد علاقاتها بالسلطة ورفع مكانتها لدى النخبة الحاكمة.

بحيث أصبح لها دور في الانتخابات الرئاسية والمصالحة الوطنية ومن خلال هذا يتبين أنه كلما توطدت العلاقة بين الطرفين دعم بشكله المادي والمعنوي من طرف السلطة وولاء أكبر من طرف الزوايا فكلما كانت هنالك مشاركة سياسية بنسبة أكبر من التابعين والمريدين للزوايا عن طريق التعبئة المباشرة لهم وغير المباشرة لبقية الأفراد الأخرى بحكم العاطفة والغريزة الدينية لهؤلاء الأفراد

1. إقليم توات :

– إن الأحداث السياسية التي عرفتها الجزائر وفي إطار البحث عن حلول لمعضلة عدم الاستقرار السياسي والأمني بسبب الفهم المتطرف للدين الذي أدى إلى توليد العنف السياسي لعشرية كاملة من الزمن ورغم أن زوايا الجنوب الغربي كانت بعيدة جغرافيا ولكنها لم تكن بعيدة عن الأحداث اجتماعيا وسياسيا وخاصة أنها منارة للعلم ومركز للاعتدال والوسطية في الإسلام باعتبارها البناء الاجتماعي التقليدي للدولة الجزائرية ومن هذا المنطلق لعبت الزاوية دورا رئيسا في استرجاع الاستقرار من خلال الخطاب الديني المعتدل وتوجيه المجتمع لنبذ العنف والتطرف كما ساهمت الزوايا في وصول الرئيس عبد العزيز بوتفليقة إلى الحكم في الجزائر من خلال الإنتخابات الرئاسية لسنة1999م بعد مساندة شيوخ الطرق والزوايا منها زاوية الشيخ مُحَّد بالكبير والزاوية البكرية وزاوية الشيخ سي حمي بإنزجمير والزاوية الرقانية وغيرها من زوايا إقليم توات التي كانت لها الصدارة في التفاف المجتمع حولها وهذا لما ترتكز عليه من قاعدة شعبية كبيرة وبعدما ركز عبد العزيز بوتفليقة على الاستقرار الأمني والسياسي كأولوية قصوى في خطاباته وبرنامجه الرئاسي أثناء حملته وهذا قبل أي تفكير في مشاريع البناء والتنمية وكان ذلك باسم المصالحة الوطنية الشاملة كحل للأزمة الوطنية وقد

توافقت رؤيته مع المبادئ الأساسية التي ترتكز عليها الزوايا، بداية بالتسامح والتحلي بأخلاق الإسلام والجنوح للسلم ولهذا اعتمدت الدولة على ما سمته بالإسلام الشعبي الذي تمثله الزاوية أحسن تمثيل في نبذ التطرف والعنف.[1]

إن الدور الذي تحقق للزوايا بسبب حالة الاستقرار التي تمتعت به حيثأن الروابط مع السلطة المركزيةكانت ضيقة مما أعطى زعمائها إنفراد بالتسيير في بداية الأمر قبل أن يعطي النظام ذلك ويحتويها[2]، كما تعتبر الزاوية إرثا ثقافيا ومعلما سياحيا لما قامت به من أدوار في تاريخ الجزائر خاصة أثناء مقاومة الإحتلال الفرنسي حيث كان المحتل يحسب لها ألف حساب ويعتبرها مصدر خطر على تواجده، فالدارس لتاريخ الجزائر يدرك جيداأن جل الثورات الشعبية منبعها الزوايا والطرق الصوفية كالأمير عبد القادر والشيخ بوعمامة والحاج أحمد المقراني والشيخ الحداد والشيخ مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباسي في معركة الدغامشة وهذا الدور الذي كانت تلعبه الزوايا كقواعد خلفية للجهاد ضد فرنسا أرعب المستعمر يقول في هذا الصدد الحاكم العام الفرنسي للجزائر آنذاك "تعظم الزاوية من زوايا الطرق اكثر من تعظيمها لثكنة جنودها وقوادها، وأن الذي يحارب الطرق إنما يحارب فرنسا."[3]

وإن كان ما ذكره الحاكم العام الفرنسي عن الزوايا لإدراكه مدى عمق تأثير هذه الزوايا والطرق الصوفية في نفوس الجزائريين فهي الكفيل الأول عن هذا المواطن منذ صباه ونعومة أظافره يجد نفسه يدرس بها ويحفظ القرآن الكريم ويفهم شروحات مشايخها عن مختلف العلوم الشرعية من فقه وتفسير وعلوم عقلية من طب وفلك وغيره فكيف لا يثق بهذه الزاوية وكيف لا تكون عنصر فعال في المجال السياسي بالدولة حفاظا على الأستقرار وعلى الإسلام واللغة العربية وحرصها على صيانة العقيدة من الإنحراف عن طريق نشر الوعي الديني في أوساط الجماهير بالإضافة إلى دورها في التكافل الاجتماعي بالمعوزين والمساكين وعابري السبيل وغيرها من الخدمات الأخرى.[4]

[1]– زهية جويرو، الإسلام الشعبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2007م، ص 103.

[2]– عبد السلام فيلالي، الجزائر الدولةوالمجتمع، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع العربي، 2013م، ص 95 .

[3]– مُحَمَّد بن عبد الله المقدي، التصوف بين التمكين والمواجهة، دار الصفوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، ص92 .

[4]– صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية للزوايا بالجزائر، مرجع سابق، ص 301.

لذا فإن الدولة الجزائرية أعطت للزوايا دورا رائدا وجعلتها شريكا هاما في تسيير أمور المجتمع والمحافظة على الاستقرار الاجتماعي والسياسي أثناء الأزمات ومن هنا نفهمأن الطابع الغالب على سكان إقليم توات وهو السكينة والمسالمة والعافية ومحبة العلماء لكن هذا لايمنع ارتباطهم الوثيق بزواياهم وشيوخها وأغلب الأحيان الطاعة المفرطة لتقديرهم مدى مقام علماء وشيوخ هذه الزوايا التي لعبت دورا بارزا في التربية والتعليم وهذا بالنسبة لزوايا توات لم يكن منفصلا عن الدور السياسي بحيث تدريس القرآن والسنة والأدب العربي زاخر بما يحول بين الشعب الجزائري وبين الرضوخ للمستعمر فالجهاد في القرآن والأحاديث النبوية الشريفة مما حعل التواتيين يقفون باستمرار موقفا عدائيا من المستعمر وسياسته بل إن زوايا توات كانت في عمق المقاومة فقد قاد الشيخ الحاج المهدي باجودا شيخ الزاوية والطريقة السنوسية في عين صالح المقاومة بنفسه وكذا أبناء الزاوية الرقانية[1] منهم مولاي عبد الله الرقاني والمُحَّد ولد حميدة من زاوية حينون والهيباوي مولاي عبد القادر م زاوية مولاي هيبة وبعدها استهدفت من طرف الاستعمار لما قطع عنها كل موارد الرزق وقيد نشاطاتها ورغم ذلك واصلت الزوايا دورها الاجتماعي رغم الظروف الصعبة ومنها زاوية الشيخ مُحَّد بالكبير[2].

وقد صاحبت هذه الزوايا التواتية قيام الحركة الوطنية من نجم شمال إفريقيا إلى قيام جبهة التحرير الوطني، كما ساهمت في إفشال مخططات الاستعمار منها مشروع فصل الصحراء وهذا بعد الاستقلال عانت لفترة من الزمن من التهميش والاضطهاد لظروف سياسية ثم ما فتئت أن أتفرج الوضع بسبب الفترة السوداء التي وإن كانت معاناة قاسية على المجتمع فقد أدركت السلطة السياسية خلالها مدى أهمية الزاوية في تثبيت الاستقرار والأمن بالبلاد وهذا ما كنا ذكرناه في وقوفها إلى جانب السلطة في تحقيق المصالحة الوطنية والوئام المدني إلى جانب دورها التربوي والتعليمي.

إن الزوايا التواتية اليوم بعد فتح المجال أمامها واقفة إلى جانب السلطة السياسية فيما له علاقة بالمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية وكل ما له علاقة بحماية وحدة المجتمع والتراب الوطني فالزوايا التواتية تشيد يوميا في دروسها الملقاة على سامعيها من المواطنين الحاضرين بضرورة الوحدة والتكافل والتضامن وعدم التفريط في الحقوق السياسية والمدنية والدينية.

[1]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1،ط2 ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص 238 وما بعدها .

[2]- عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة اولف العريقة، مرجع سابق، ص -ص 44- 45 .

2. إقليم الساورة :

– لقد نجحت الطرق الصوفية الزيانية والكرزازية في إحداث التواصل مع المجتمع وأصبحت قادرة على تعبئته وتجنيده للمواجهة الحاسمة مثل الثوارث التي قادتها ضد حكم الأتراك المتأخر في الجزائر وضد الاستعمار الفرنسي وأن قوة الطريقة وسعة إنتشارها مرتبط بمدى حركة الشيخ وتفاعله مع مختلف الاطراف الفاعلة في المجتمع وتوع معارفه وإدراكه لحقيقة المجتمع الذي يعيش بين عناصره وهذا ما أدى إلى ظهور التصوف الشعبي الذي أصبح مقترنا بكل مناحي حياة المجتمع الجزائري فأكثر الطرق الصوفية إنتشارا وشهرة بإقليم الساورة كانت الطريقة الزيانية بالقنادسة والطريقة الموساوية الكرزازية بكرزاز فكل "منها ساهمت بدورها التاريخي والاجتماعي التربوي والتعليمي، كما ساهمت بدور الحماية والأمن في زمن فقدان السلطة على القوافل التجارية والحجيج نظرا لشهرة هيبتها العلمية وفي زمن الاستعمار الفرنسي الذي إنتهج سياسة تضييق الخناق والحد من نشاط هذه الزوايا بعد اغتصاب موارد الرزق.

ثم في مرحلة أخرى عمدت إلى ربط علاقات مع الزوايا لتكون تحت وصايتها ومراقبتها ومن خلالها تربط الاتصال بالأهالي وتنفذ إلى عقولهم والعمل على بسط نوع من النفوذ على الزوايا الموجودة ومزاحمتها ببناء مؤسسات مشابهة وموازية لها لعرقلة دورها الثلاثي كمؤسسة للتعبد والتعليم والاحسان وقد تقلص دور الزوايا بعد اكتشاف الفحم الحجري سنة 1914م واستغلاله سنة1918م وتحول القنادسة إلى منطقة صناعية وظهور العمل النقابي والتجمعات الاقتصادية التي جعلت الأهالي يستغنون عن خدمات الزاوية خاصة لما اخلى شيوخ الزاوية الزيانية بالتزاماتهم بالقواعد والأصول الأولى التي كان عليها الشيخ المؤسس مُحَّد بن أبي زيان القندوسي[1] من تقوى وورع وزهد وإحسان، فوقعوا في المظالم وظهروا بمظاهر الأستعلاء والأبهة ولم يعد المقدم ذلك الإنسان التقي الذي يواسي الضعيف ويخفف عن المقهور وهذا بفضل سياسة الخضوع التي سارت عليها بعض الزوايا فانتهى ذلك الإعجاب الذي حملته تلك الطبيعة البشرية للشيخ والزاوية لبعده عن نهج الهوية الثقافية فظهرت تلك الممارسات التعسفية عن الزاوية كفصل الإنحياز والتمييز العنصري وسلب الممتلكات

[1]– محابيب نور الدين، الأطرالثقافية للهوية ومرجعيات المقدس، دراسة انثروبولوجية لطبيعة التكتل السكاني في الجنوب الغربي الجزائري، القنادسة وتاغيت نموذجا، أطروحة دكتوراه في العلوم، إشراف مهدي العربي، 2014م- 2015م، ص211.

والتحايل على أصحابها كما وقع في قصور بني قومي على مايذكره ساكنتها وقد أنتج هوة بين الأهالي الذين تم استقطابهم من طرف الزاوية والتوجه العام للمجتمع.

والظاهر هنا أن الزاوية تسببت لنفسها بنفور البعض منها لبعدها عن واجبها اتجاه الأهالي دون تفريق أو تمييز فكانت النتيجة التي تسببها لها الاستعمار حتمية لكن بعد الاستقلال عملت السلطة الحاكمة على جعل الأهاالي يجدون بدائل من خلال قانون الثورة الزراعية الذي مكنهم من إنشاء تجمعات فلاحية سدت العوز وفتحت الآفاق وهنا في هذه الفترة تعرضت الزوايا كغيرها للتهميش والسخط مما جعلها بعيدة عن الساحة الوطنية إلا ما تقوم به من عمل تربوي وتعليمي، فتغيير ذلك الولاء للزاوية إلى الولاء للوطن وأصبحت الزوايا مؤسسات تابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف وأصبح التوجه السياسي يقيم وزنا لها لأنه أدرك فعاليتها على مدار التاريخ المحلي حيث كانت لها بعض المبادرات في صناعة القرارات المتعلقة بالهوية الثقافية والاجتماعية ومن مساهماتها تعديل بعض المقترحات المتعلقة بالأحوال الشخصية[1] وقانون الأسرة كما ساهمت في تدعيم قانون الوئام المدني والوفاق والسلم والمصالحة[2]، كما كان دورها فعالا في إيجاد حل لقضية العروش في منطقة القبائل .

إن فاعلية الزوايا لم تنتهي وإن تقلصلت فهي لازالت قائمة وما زالت تلك التجمعات السكنية في واد السورة تكن لها التقدير والاحترام وما زالت المواسم الاحتفالية بها سارية المفعول في واد الساورة كما لازالت الزوايا تتكلف بتحفيظ القرآن وعلومه ويتخرج ليها دفعات من حفظة الكتاب من خلال وظيفتها التكوينية وضمن هذا وذاك مازالت مهابة الأولياء قائمة لأنها مبدأ من مبادئ الهوية وجزء من الذاكرة الجماعية وظهور الطريقة التجانية بالمنطقة وكأنها تعويض لما خسره الأهالي من تقلص لوجود الزاوية الزيانية

إن هذه الظروف التي تعرضت لها الزوايا كان بشكل عام لظروف سياسية واقتصادية عابرة بعدها الإنفراج ومحاولات التكيف مع العصر الحديث وهنا القصد استغلال التكنولوجيا الحديثة في هيكلها التنظيمي حتى تحافظ على سيرورتها من الناحية الاجتماعية أو السياسية .

[1]- صوت الغرب، الصادر بتاريخ 8-12- 2004م، ص3.

[2]- صوت الغرب، الصادر بتاريخ 16-11-2004م، العدد 598.

3. إقليم تندوف:

تعتبر زاوية بلعمش نواة مدينة تندوف وجوهرها وهي لب البعد الروحي والاجتماعي الذي تمثله زاوية الشيخ بلعمش وأبناؤه، فلقد كانت الزاوية في وقت مضى كمدرسة تؤدي واجبها وكمكان للتعبد ويستقبل فيه المريدين والاتباع لتعليمهم وتلقينهم مختلف العلوم الشرعية والدينية وفلسفة الشيخ الروحية ذاع صيتها في كامل المنطقة حتى وصل إلى شنقيط وجنوب الصحراء ورغم ماضيها التير فالزاوية وخاصة مدرستها اليوم بريق ذلك الماضي لما آلت اليه بنيتها المعمارية التي أصبحت اليوم خراب وكذلك الحال بالنسبة إلى دورها التعليمي والروحي الذي أصبح اليوم حديث في خبر كان[1].

فقد حافظ على وظيفته كمسكن يقيم فيه الأحفاد وكمركز يشمل خزينة وثائق ومخطوطات آل بلعمش وتحيي ذكرى ما خلف السلف للخلف من نتاج علمي تيم العمل على تحقيقه ودراسته لإخراجه في شكل تيم للاستفادة منه لكن هذا لا يعني أن الزاوية قد دفعت بالمدينة التندوفية إلى الكثير من التطورات في مختلف المجلات الاقتصادية الاجتماعية السياسية خاصة منذ الفترة الاستعمارية فالفضل يعود إلى التعليم والتلقين وتثبيت مقومات الشخصية الإسلامية في نفوس ابناء تندوف الذين قاموا بدور فعال كغيرهم من أبناء الوطن الجزائري في مقاومة الوجود الاستعماري في المنطقة عسكرا وسياسيا وهذه بعض مقتطفات من خطبة الجمعة سنة 1948م بتندوف جاء فيها "... ومهما تمسكتم بالعروة الوثقى ماكان شيئ ليضركم كيف ماكانت شدته ومهما بلغت سطوته فلا شدة تدوم في هذه الحياة الدنيا ولا بؤس يخاف لمن اعتصم بالتقوى ...الاتحاد كلمة صغيرة في اللفظ ولكنها عظيمة في المعنى إذا تأملنا جيدا تظهر لنا جليا منافع الاتحاد ومزاياه، طالما كتب الكتاب في هذا الموضوع، طالما نوهت الصحف بهاته الكلمات، طالما صرخ الأحراروالمستقلون ...وما السبب في هذا يا ترى.

ما هذه الغفلة وما هذا الرداء الأسود المسدول أمامنا وحال بيننا وبين المنهج القويم حتى سرنا في كل واد نهيم، نتمشى الهوينى ولم ندري إلى أين ...السبب في هذا كله هو الغفلة التي حيرتنا ..نرى الأمور السطحية بأعيننا ولم نرها بأعين قلوبنا، نطلب اللهأن يعين لمن فيه صلاح المسلمين وهو زعيمنا

[1]- عبد الحق معزوز، العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية للأوقاف، تلمسان، 2011م، ص57.

الأكبر مصالي الحاج ونتمنى النجاح له من الله ولمن تاب عنه وتبعه وتبع الشريعة المحمدية"[1]كانت هذه خطبة الجمعة من شهر أبريل 1948م في مسجد الزاوية بتندوف ما يظهر عدم بعد الزاوية عن الجانب السياسي فيما له علاقة بالدفاع عن الوطن وتحريره من الإحتلال الفرنسي فالخطيب يدفع بالسكان إلى ضرورة التكتل والوحدة خلف من يطالبون بالاستقلال وقد أشاد بالإسم والقصد هنا زعيم الحركة الوطنية مصالي الحاج وإن كانت الزاوية تقوم بدورها التعليمي والتربوي، فهي على اطلاع واسع بالأمور السياسية فكانت تدعو الجميع إلى التكاثف أخوة أخوة لاقتلاع شوكة الاستعمار من كل مكان من البلاد رغم التعنيف الذي واجهته من سلطة السياسة الاستعمارية ويذكر المجاهد مُحَمَّد حمادي بن عاشور من أبرز مؤسسي الحركة الوطنية بتندوف قائلا ":...رغم الظروف الصعبة والعزلة وقلة الوسائل، فإن القضية الوطنية جعلت من الواجب علينا أن نتحدى ونواصل النضال حتى تمكنا بفضل الله والرجال من تبليغ أهداف الحركة الوطنية إلى كل شبر من التراب الوطني..."[2].

والواضح هنا أن السكان تكاثفوا خلف الحركة الوطنية بعد تحديد الهدف والمسار وبعد الدفعة القوية التي يتلقونها من مشايخ الزاوية التندوفية من خلال تلك الخطب والدروس التحريضية فكانت النتيجة المشاركة في الثورة التحريرية الكبرى والتصدي للاستعمار الفرنسي في فكرة فصل الصحراء عن الشمال الجزائري فكان النصر حقيقيا حيث يذكر المجاهد عبد الجليل بنان ولد ميلي بأم العسل تندوف ما يلي ":...الاستقلال لم يأت عبثا ولم يكن هدية من فرنسا ...استقلال الجزائر كان بالثمن الغالي ...بالتضحية المعاناة ...وبالروح والدم وكل نفيس [3].."

إن الاستقلال لم يكن سهلا والطريق إليه لم يكن باجتهاد فئة من الأشخاص، بل كان بتعاون جميع المؤسسات والأحزاب والزوايا والشعب والجمعيات والإخوان العرب من بعيد أو قصير، صحيح أنه بعد الاستقلال، عانت هذه الزوايا من التهميش وتأميم أوقافها مما جعلها تحت تسيير وزارة الشؤون الدينية لكن الزاوية التندوفية بعد وفاة معظم علمائها وإنشغال الأحفاد والأبناء بالثورة ضد الإحتلال والظروف الغير المستقرة بعد الاستقلال في الإدارة والتسيير جعلها تتحول إلى مراكز تراث ومخطوطات ومسجد يقوم بدوره على غرار غيره من المساجد رغم وجود الطريقة الصوفية التيجانية التي

[1]- مصطفى بن دهينة، قطوف من تاريخ تندوف، مرجع سابق، ص- ص 59- 60 .

[2]- مرجع نفسه، ص 62 .

[3]- مرجع نفسه، ص 63 .

راجت سمعتها في الداخل والخارج من الواضح أن ما تبقى مجرد تراث يجسد ما كان في الماضي ويعمل الأحفاد حاليا على إحيائه.

ولكن عبر هذه المسيرة الحافلة بالنضال والمعاناة والتحدي افردت تندوف لنفسها مكانا لائقا في سجل تاريخ الجزائر الحافل بالبطولات والانتصارات وكانت بذلك فعلا بين أحضان الكفاح الوطني الذي حقق للجزائر حريتها وكرامتها بين الأمم والشعوب[1].

فقد ساهمت هذه الزاوية كغيرها في ترسيخ قيم الوحدة الوطنية بالحفاظ على الهوية الوطنية والقيام بالتعليم والتربية التي هي وظيفتها الأساسية ومنهجها المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي من خلالها بثت في سلوكيات الجزائريين الجهاد في سبيل الله والوطن كما غرست قيم التكافل والتضامن في جميع الظروف سواء إبان الحرب أو وقت السلم ولم تكن الزوايا بنشر الوعي بين أفراد الشعب من خلال تغذية الصغار بالروح الوطنية مما جعل هذه الزوايا تساهم بشكل فعال في إفشال مخططات الاستعمار التي كانت ترمي إلى تقسيم الشعب الجزائري، كما كان لها دورها في العشرية السوداء أو المأساة الوطنية بحيث كان موقفها واضحا بعيدا عن التطرف والعنف كسبيل لحل المشاكل هذا غير دورها في رأب الصدع وإصلاح ذات البين.

وخاتمة هذا الفصل الذي فصلنا فيه الدور الاجتماعي للزوايا العلمية بالتسلسل من الإقليم التواتي إلى إقليم الساورة فإقليم تندوف مبرزا في خمس مباحث وضع الزاوية العلمية من السياسة الاستعمارية وكيف رسخت الزوايا مبدأ الدفاع عن الهوية الإسلامية من خلال الأدوار التربوية والتعليمية التي تقوم بها حتى توجه سلوكيات الأفراد وتزكي الأنفس مع غرس روح الجهاد لدى سكان المنطقة ولن يتسنى ذلك إلا من خلال تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بتصحيح العادات ومحاربة البدع والخرافات التي نشرها الاستعمار الفرنسي ليحارب بها هذه الزوايا والطرق الصوفية التي خلفت لنا العديد من من المخطوطات والتآليف في شتى العلوم النقلية والعقلية من خلال كتاباتهم ورحلاتهم العلمية وخاصة النوازل التي أظهرت حلول المشاكل تولى القضاء فيها فتاوي لا زال العلماء المسلمون يفتون بها .

[1]- من محاضرات ملتقى الشعر الحساني بالتراب الجزائري لمنطقة تندوف سنة 2005م .

۞ لقد أظهرت الزوايا العلمية بإقليم توات الثراء الكبير في مخزونها العلمي الذي له علاقة وطيدة بأحوال السكان ومعاناتهم وأحوالهم الشخصية فقد استنتجنا أنه :

۞ عانت الزوايا من اضطهاد السياسة الاستعمارية التي استولت على أوقافها واغتصبت موارد ارزاقها لأنها تدرك جيدا مدى تأثيرها في نفوس الأهاليفأدركت أن الخطر في الزوايا التي تعلم الناس وتوجه سلوكياتهم وتربي فيهم الأخلاق الدينية .

۞ أنشأ الاستعمار الفرنسي مؤسسات تعليمية موازية للزوايا لعل ذلك يشغل الأهالي عنها ويقلل من قيمة وجودها خاصة وأنها كانت تحول المساجد إلى كنائس وتوفير كل الوسائل للآباء والأخوات البيض لتحقيق اغراضهم وتنشيط الحركة المسيحية .

۞ إن العمليات الاستكشافية التي شجعتها السلطة الاستعمارية وصرفت عليها أموالا باهضة نجحت في رسم طريق الإحتلال إلى مناطق الجنوب الغربي الجزائري .

۞ ساعدت البعثات الاستكشافية فرنسا في تحقيق مساعيها لمعرفة الطرق التجارية الصحراوية والتحكم فيها.

۞ إن الإقليم التواتي والساوري والتندوفي لم يبق مربوط الأيدي أمام هذه البعثات الاستكشافية بل لاقت منها المقاومة العنيفة التي حاول الإقليم ردها واستشهد خلالها الكثير من المقاومين رغم نجاح فرنسا في تطبيق الإحتلال .

۞ لقد عملت هذه الزوايا على قيادة المقاومة ضد الوجود الفرنسي مثل مقاومة الطريقة الشيخية بزعامة الشيخ بوعمامة والزاوية الرقانية بقيادة الشيخ مولاي عبد الله الرقاني بن مولاي العباسي.

۞ لقد احتضنت هذه الزوايا المجاهدين وساهمت في التعبئة والتوجيه بمشاركتها الفعلية في عدة مقاومات ومعارك سبق وذكرنا ذلك.

۞ لقد كانت هذه الزوايا العدو المباشر للاستعمار نظرا لمكانتها لدى الأهالي وقوتها في تحريك وتحريض النفوس ضد السلطة الاستعمارية وسياستها.

۞ عانت الزوايا الكثير من أعمال التعنيف والنفي وتشديد المراقبة والاضطهاد ولم يجبرها هذا عن التوقف والحياد عن واجبها الديني والتربوي والتعليمي.

۞ لقد نجحت فرنسا قليلا في الخلاف والإنشقاق داخل بعض الزوايا وبينها وبين الطرق الصوفية لضربها ببعضها البعض لإضعافها وإسقاطها بين أحضان إدارة الإحتلال كالزاوية الزيانية، ذلك أنه أعطى مكانة لشيوخها وتقرب منهم لينفر الناس منهم ويفقدون الثقة بكل الزوايا

۞ رغم كل هذا استطاعت بعض الزوايا أن تواصل نشاطها الثقافي والديني لكونها قادرة على توفير مواردها الخاصة.

۞ إن الاستعمار الفرنسي لم ير في النظام القبلي بأقاليم الجنوب الغربي حاجزا يحد من انتشاره وسلطة الإدارة الفرنسية بقدر ما كانت تمثله الزوايا وانتماءاتها الطرقية وشبكاتها الاجتماعية التي عملت على تنظيم مقاومات فعالة ضد الإحتلال.

۞ لقد اشتهرت معظم زوايا الجنوب الغربي بإسهاماتها الدينية والعلمية وتثبيت دعائم الإسلام، الدين واللغة العربية وهذه هي رسالة الزوايا الحضارية المرتبطة بالتاريخ الثقافي.

۞ إن المنهاج الدراسي للزوايا في الجنوب الغربي متشابه لا اختلاف فيه فكل مراحل وأطوار التدريس متوازنة ولكن يبقى العمود الفقري بها هو تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

۞ فهذا الأساس هو القاعدة المتينة التي نشأ عليها الإنسان الجزائري الذي جعله صامدا أمام كل المصائب والمكائد والأعاصير التي واجهته والتي بها استطاع الجهاد والمجاهدة لنصر الحق.

۞ إن الإقليم اليوم يزخر بالعديد من الخزائن العلمية لمخطوطات مازال أغلبها لم ينفض عنه التراب، قد تساهم بشكل كبير في رقي البلاد حضاريا وثقافيا.

الفصل الثالث: الدور الثقافي للزوايا العلمية

المبحث الأول: أهمية زوايا العلم و أثرها في تطور الحركة العلمية والثقافية بالإقليم

المبحث الثاني: الزوايا العلمية وأثرها في انتشار الإسلام بالصحراء الكبرى والسودان الغربي

المبحث الثالث:مكامن الحراك الثقافي وموطنه

المبحث الرابع: الزوايا وروافد الفكر والمعرفة بالصحراء الكبرى والسودان الغربي

المبحث الخامس: مظاهر النشاط العلمي والفكري للزوايا العلمية

تمهيد:

"إنّ التلميذ ثمرة غرس الشيوخ"[1]، فهم الذين يتعهدون بالتربية والتعليم والتوجيه، حتى يستكمل أدواته، وتنضج ملكاته، وتتفجر مواهبه، فيتهيّأ بذلك للتبليغ والإرشاد، سالكا مسلكهم مقتفيا آثارهم، ذاكرا فضلهم، فلولاهم لما تحقق له الوصول".[2]

وهذه إحدى الأدوار التي تقوم بها هذه الزوايا العلمية فهذا التّلميذ اليوم هو العالم غدا وإن لم يتمكن من اكتمال الحصول فهو شخص واعي، مثقف والفضل فيه لهذه الزوايا. فماهي إسهامات زوايا العلم في تطور الحركة العلمية الثقافية بالجنوب الغربي ؟

[1]– الشكعة مصطفى، الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط3، 1991 م ترجمة أبي حنيفة، ص (ج).

[2]– عبد الحليم بوبكر –عبد السميع بوبكر، منهج الشيخ المولود الحافظي في التربية والتعليم، من خلال مراسلاته لتلميذه الشيخ علي بوبكر الزموري،، منشورات ألف صفحة، الجزائر، ص 118 .

المبحث الأول: أهمية زوايا العلم وأثرها في تطور الحركة العلمية والثقافية بالإقليم.

1. إقليم توات:

إنّ نشاط حركة العلم والتعليم وحرص الناس على تعليم أبنائهم عملا بقوله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" وقول نبيه الكريم ﷺ "أطلبوا العلم ولو في الصين" وقوله أيضا"أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" زاد من حرص الناس على طلب العلم والمعرفة فصار منهم العلماء والقضاة فأثروا مكتباتهم بفنون الكتب المؤلفة من قبل أهل توات في مجالات متنوعة من فقه وتفسير ولغة ونحو وصرف وغيرها، ومما زاد البلاد وفرة وخيرا هو توافد العلماء والصالحين على توات، مما بث الروح والثقافة بها.

فدرّسوا أبناء المنطقة وعرفوهم اللّغة والأدب والمنطق وأسّسوا الزوايا ودور العلم، فكان من بينهم الشيخ سيدي أبو يحي بن مُحَّد المنياري والشيخ سيدي مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، والشيخ سيدي عبد الله العصنوني وأخوه سيدي سالم وغيرهم كثير، كما اهتمّ أهل العلم والمعرفة بتوات بجوانب كثيرة في المباحث العلمية ، فقد عالجوا الكثير من الكتب القديمة واعتنوا بالتّآليف وإنشاء القصائد الشعرية والتطرق لآداب الدّين واللّغة والعلوم الإنسانية، زيادة على الكتابة في التراجم والتاريخ، وانشغالهم بالإفتاء والتدريس، مما جعل إقليم توات مركزا حضاريا هاما بزواياه العلمية التي تنافست فيما بينها في إثراء المكتبات التواتية بالعديد من المخطوطات والتأليف في علوم مختلفة منها علم الفقه مثل مغني النبيل في شرح مختصر خليل للشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي وحاشية على مختصر اللقاني بن علي إبن الحاجب، وشرح على مختصر خليل للشيخ سيدي عبد الكريم بن مُحَّد.

وقد اهتم علماء توات بالتفسير كالفتح المبين في شرح القرآن الكريم للشيخ المغيلي وكتاب الدّر المصون في إعراب القرآن الكريم للشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني، كما ألف سيدي مُحَّد بلعالم الزجلاوي كتابه منظومة في تفسير غريب القرآن".[1]

الواضح هنا انتعاش حركة التأليف والتصنيف في العلوم الفقهية والتفسير التي وجد فيهاالكثير من المخطوطات في حين باقي العلوم بأقل منها، مما أظهر ثروة تواتية علمية كبيرة نتجت عن كثرة

[1]- عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص 52 .

مراكز التعليم والتدريس في جميع مناطق إقليم توات وتكون بذلك انتقلت من مرحلة الإستقبال إلى مرحلة الإنتاج[1] حيث صار أبناء المنطقة ممن بلغوا رتبة راسخة في العلم هم العنصر الأساسي في إقامة النشاط الفقهي والعلمي بعد أن كان الوافدون فيما سبق هم صانعي الثراء العلمي.

إنّ ازدهار الحياة الثقافية بإقليم توات كان نتيجة نشاط العلماء الوافدين وعلماء توات مما أدى بزواياها إلى ذيوع صيتها كزاوية الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بتمنطيط والتي كانت من بين الزوايا التي حملت على عاتقها مسؤولية التدريس بتنويع نشاطها التعليمي إلى جانب أنشطة اجتماعية أخرى.

ويكمن الأثر الثقافي لهذه الزاوية في الطريقة التي تتبعها في نشاطها التعليمي التي يطلق عليها بطريقة المغاربة كما قال بن خلدون والتي تبدأ بتعليم القرآن و الإعتناء به عناية خاصة[2]، حيث يمرّ التعليم بعدة مراحل فتبدأ بمرحلة الكّتّاب أو ما يسمى بأقربيش أو المحضرة التي يلتحق بها التلميذ البالغ خمس سنوات فما فوق وهذا بعد قراءة الفاتحة بين الشيخ وولي التلميذ ليمرّ بثلاث مراحل وهي ما يسمى بمرحلة المحاكاة التي يقوم فيها المعلم بالكتابة على لوح التلميذ بالصمغ والقلم ويطلب منه تتبع كتابته ليتعلم كيفية تشكيل الحروف كما يتعوّد على إمساك القلم بأصابعه حتى تسهل عليه الكتابة فيما بعد ثم تكون مرحلة النقل الأيضاحي بمعنى يتعلم فيها كيف ينقل الحروف والآيات، حيث يجلب المعلم طبق به تراب ويجلس التلميذ إلى جانبه ويكتب المعلم على تلك التراب بالطبق ما يريد من الآيات لينقلها التلميذ على اللوحة وذلك لأنه لم تكن هناك سبورات أو أقلام رصاص[3] وبعدها تكون مرحلة الإملاء حيث يقوم المعلم بإملاء الآيات على التلميذ ليكتبها على لوحه وهذا بجمع مجموعة من التلاميذ في حلقة واحدة ليملي على كل واحد منهم من الوقفة التي يقف فيها والهدف من ذلك تعليم التلميذ كيفية ضبط الرّسم القرآني وتحسين طريقة الكتابة وتعلم قواعد اللغة وبعد أن ينهي

[1]- عبد السلام الأسمر بلعالم، الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، إشراف، سعيد فكرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015م – 2016م، ص22 .

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 102 .

[3]- مُحَمَّد نسيب، زوايا القرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989م، ص 108.

الكتابة يقوم بتشكيلها ثم أخذها للمعلم ليصححها معه ويراجع أخطائها ومن ثم يقوم بقراءة لوحه وحفظه.[1]

إنّ هذه الخطوات المتّبعة في التدريس بالزوايا العلمية الأكثر نجابة وحداثة في تمكين الطالب من العلم وترسيخ قواعده التي تحفر في الذّاكرة خطوة خطوة، الواحدة منها تكمل الأخرى حتى لايحدث خلل في التعليم مما قد يضطره إلى ما يسمى بالإستدراك حاليا ويأتي بشكل مرتب ومنظم منذ بلوغه السّن الخامس حيث تكون طينته لينة يشكلها معلمه بطريقة تربوية محضة.

حيث لاحظنا أنّ التلميذ يبدأ بسور قصيرة مراعاة لذهنيته حتى يستطيع استيعاب طولها إلى جانب أنّ أغلب السّور مكيّة. والمعلوم أنّ السّور المكيّة جاءت لترسيخ العقيدة، هذا غير أنّها تشتمل على قصص تشدّ التلميذ إليها ويسهل استيعابها كسورة الفيل والمسد وغيرها.

بالإضافة إلى ذلك أنّ هذه السّور تساعده على قراءتها في الصلاة ما دام مأمور للصلاة[2]على سبع سنين، كما يقوم المعلم بكتابة المتون للتلميذ في أسفل اللوح ليحفظها. وبعدما يتم الطالب حفظ القرآن، يتناوله فقيه الزاوية ليتلقى الطالب كافة العلوم ويتبع في ذلك قراءة الفهم أو قراءة البحث أو قراءة التحقيق أو قراءة بحث وتحقيق بحيث يناقش الشيخ في هذه المرحلة بتدريس مختلف المواد التي أجيز فيها كما يقوم بتدريس البعض من المواد التي اطلع عليها وبذلك فإنّ الزاوية جامعة تقدم للطالب معلومات عامة.

ونشير هنا أنّ الطالب في هذه المرحلة إلى جانب العلوم الشرعية واللغوية التي يدرّسها، يحفظ كل يوم جزء من القرآن بداية من البقرة إلى سورة النّاس حتى لاينساه[3].لهذا كانت الوسائل والمناهج المتّبعة بهذه الزاوية وغيرها من زوايا إقليم توات للعناية بالجانب الأخلاقي والتربية الحسنة فكان إعتمادهم على أساليب ومناهج تحقق الهدف حتى يتخرج الطالب على جانب كبير من الأخلاق

[1]– مبروك مقدم، طرق التدريس، الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية وزارة الثقافةوالإتصال، جوان، 1994م، ص76.

[2]– عبد القادر باخو، طريقة تعليم وتحفيظ القرآن بولاية أدرار، رسالة المسجد، الجزائر، 2004م، ص 68 .

[3]– مُحَمَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج1، مرجع سابق، ص 250.ينظر: – أبو القاسم سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص 18 .

والعلم ومن ثم تتم المحافظة على صلاح المجتمع وصيانته من الإنحرافات لهذا نجد الزاوية تشغل جلّ أوقات الطالب حيث تفتح الزاوية أبوابها من صلاة الصبح إلى ما قبل الزوال ثم تغلق للإستراحة ثم تفتح بعد صلاة الظهر إلى اصفرار الشمس حيث بعد المغرب يقرأون الحزب اليومي إلى غاية صلاة العشاء وهذا ما ذكرناه سالفا وفي كل فترة من الفترتين الصباحية أو المسائية يقومون بعمل ما من حفظ وكتابة.

أما ما يتعلق بتدريس الحديث النبوي فمنهجيته تختلف عن تعليم القرآن والفقه والنحو فعادة ما تكون قراءة الحديث في شعبان إلى ذي الحجة وقد تمتد إلى أكثر من ذلك للعامة وليس الطلاب فقط[1]، ومن كتب التفسير الأكثر شهرة هي صحيح البخاري، موطأ الإمام مالك، والشفا للقاضي عياض، ألفية السيوطي وغيرها وخير دليل على اهتمام الزاوية خاصة البكرية بالحديث النبوي هوما يقيمونه من قراءة لصحيح البخاري ومسلم وخاصة في رمضان. ويرجح أنّ أول منقرأ صحيح البخاري في رمضان بتمنطيط الشيخ سيدي ميمون بن عمر بن مُحَمَّد الأمريني نهاية القرن التاسع هجري الموافق للخامس عشر ميلادي.[2]

أما ما يخص الفقه وتدريسه فهناك تدرج من أصغر الكتب الفقهية إلى أكبرها كالأخضري مثلا وبعد معرفته بأمور الصلاة وأحكام الطهارة والفرائض والسنن يأخذ فقه السهو وأحكامه من خلال "العبقري" لمحمد بن اب المزمري ثم المرشد المعين الذي ألفه ابن عاشر (ت1040هـ)[3]. إن هذه المراحل والخطوات المتبعة في زوايا العلم بإقليم توات لهي خير دليل على العوامل التي أدت إلى تطور النشاط الثقافي والعلمي بهذا الإقليم خاصة القرن الثاني عشر هجرية الموافق للقرن الثامن عشر ميلادي الذي يعرف بالعصر الذهبي في توات في الحياة الثقافية والعلمية فقد كان لتواجد العلماء في

[1]- مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، مرجع سابق، ج1، ص 272 .

[2]- جعفري مبارك، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص 125. وينظر: مُحَمَّد بكراوي،المراجع المعتمدة في التدريس بالزاوية البكرية، الندوة الرابعة حول مآثر العلماء البكريين، 10شوال 1429هـ، ص 10 .

[3]- مُحَمَّد بكراوي، مرجع سابق، ص 11 .

مختلف الاختصاصات أثره الإيجابي في بعث الحركة العلمية بالمنطقة على الرغم من بعدها عن العمران الحضاري[1]، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

- توافد عدد كبير من العلماء من كافة الأمصار كالمغرب وحواضر شمال إفريقيا الذين ساهموا في نهضة البلاد.
- استقرار الوضع السياسي بتوات لماله من تأثير واسع في نشأة الحضارة وازدهار الاقتصاد مما ينعكس على المجال الثقافي للمنطقة.
- الموقع الإستراتيجي للإقليم الذي هو طريق للقوافل التجارية مما ساعد على تبادل الأفكار وتوفر مادة العلم من صمغ وورق.
- سفر الكثير من رجال توات إلى المدن والحواضر سواء الشرقية أو المغربية على شكل رحلات علمية عادت بالأثر الإيجابي على المنطقة ثقافيا وعلميا.
- المؤلفات العديدة والمتنوعة للعلماء خاصة النوازل وغيرها من المخطوطات المنسوخ منها والمؤلف في مجال الفقه والنحو والأدب والحكمة والميراث والعقائد إلا أن أغلبها على نمط شعري.
- المناظرات العلمية التي كانت تقام بين العلماء كالتي اشتهر بها الشيخ مُحَّد محمود الشنقيطي مثلا إلى جانب الرسائل التي تراسل بها العلماء فيما بينهم والتي تنوعت مواضيعها بين أمور الدين والدنيا والفتوى والنصائح والعتاب وحتى الأمور الطبية كالأدوية[2]ومؤلفات الشعر والنثر كديوان الشيخ سيدي مُحَّد البكري بن عبد الرحمن.

لقد أنجبت الزوايا التواتية علماء أجلاء يشهد لهم التاريخ بالعلم والصلاح، كانوا منارة في توات، خلفوا تراث حضاري ضخم ومتنوع[3]وساهموا في نشر الإسلام واللغة العربية وفي بناء المجتمع التواتي وفق القيم الإسلامية على مر العصور كما ساهمت في المقاومة الثقافية والشعبية إبان الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

---

[1]- جعفري أحمد أبا الصافي، رجالات في الذاكرة " محمد ابن أب المزمري وأثره "ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي، ص 32

[2]-سيدي البكري بن عبد الرحمن، ديوان الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان، مخطوط بخزانة تمنطيط.

[3]- سالمي زينب، مبخوت بودواية، الأثر الثقافيوالإجتماعي لزوايا توات خلال القرن 11هـ – 12هـ / 17م – 18م، الزاوية البكرية أنموذجا، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج3، ع3، جامعة بشار، 2017/6م، ص 55.

بالإضافة إلى تلك الرحلات العلمية التي كانوا يقومون بها ودورها في تزويدنا بالعلوم والمعارف كرحلات العياشي والقلصادي وغيرهم، ولا نهمل الدور الذي لعبته حواضر توات في إثراء الثقافة فقد مثلت مراكز لإنتاج علمي وأدبي غزير، كما اعتبرت قلاعا للفكر والحضارة من أبرزها قصر تمنطيط وقصر تينلان وقصر زاوية كنتة وقصر كوسام وقصر أُولف واقبلي.

وإلى جانب ذلك أن الزوايا في منطقة توات شديدة الصلة بالوقف لأن هذه الزوايا كانت تمول عن طريق الوقف، فلا تقوم الزاوية إلا إذا وجد بجانبها وقف استثماري يصرف ريعه على أغراضها، بل إن هذه الزوايا في حد ذاتها هي وقف، فهو يعصمها من الخراب والاندثار، فمثلا زاوية تينلان التي سميت من طرف منشئها سيدي أحمد بن يوسف بـ"رزق الله الواسع"، فالوقف جزء من كيان الزاوية وأحد بذور النهضة بها، فالزاوية بتوات تعتمد كثيرا في نشاطها الثقافي واستمراره على ما أوقف لها من نعم وخيرات على شكل بساتين وعقارات أو ما يجود به أهل الإحسان، وهذه مسألة لا يستهان بها ضمن دورها الثقافي والاجتماعي مما كان له الأثر في الحركة الثقافية والاجتماعية بالإقليم.

فالزاوية العلمية ذات دور فعال في تحريك وتنشيط الحركة العلمية، فلولاها لما كانت هذه الحركة العلمية حيث تمثل نشاطها العلمي في ما يلي:

– حفظ القرآن الكريم والاهتمام به قراءة وتفسيرا والحفاظ على اللغة العربية وترقيتها بالشروح والتعاليق على النصوص والاهتمام بنشر العلم والتفقه في الدين والترغيب في تبليغه مع منح الإجازات العلمية في الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية، الإسهام في الحركة العلمية والثقافية في إقليم توات بالحفاظ على الهوية والشخصية العربية الإسلامية للمجتمع الإسلامي على أنيتم غرس الروح الوطنية والحث على الجهاد في سبيل الله. ومن هذه الزوايا العلمية انطلقت الحركة العلمية على جميع الأصعدة ليكون العلم والمعرفة والصلاح والتقوى[1]، ومن أوائل الزوايا العلمية التي تأسست بتوات هي زاوية الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي (670هـ) في القرن السادس الهجري بأولاد أوشن و زاوية سيدي البكري بقصر تمنطيط وزاوية موسى والمسعود بقصر تسفاوت وقورارة في القرن التاسع الهجري وزاوية سيدي الحاج لحسن الشريف بقصر جنتور قورارة في القرن الثامن هجري وزاوية مُحَمَّد الطالب بن سليمان قصر أدغا، قصبة مُحَمَّد الطيب بأدغا و مدرسة بوحامد قصر بوحامد توات أبو حامد الجعفري

[1]– فرج محمود فرج، إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، مرجع سابق، ص 14.

في القرن التاسع الهجري ومدرسة الشيخ المغيلي قصر بوعلي توات في القرن التاسع هجري وزاوية ميمون بقصر ميمون في القرن العاشر هجري (916هـ) وزاوية الشيخ عمر مُحَمَّد بن عمر قصر بإقسطن قورارة في القرن 10الهجري .فهذه الزوايا نموذج لأغلبية زوايا توات التي كان لها الفضل الكبير في نشر العلم والثقافة بالمنطقة.

3. إقليم الساورة:

تعتبر زاوية سيدي المداني بلحاج إحدى هاته الزوايا التي جمعت بين ما يحتاجه الناس من العلوم في العبادات والمعاملات من الفقه والقضاء والفرائض، زيادة على ما قام به مؤسسوها من جمع الكتب والمخطوطات بخزانات هذه الزاوية يستفيد منها مشايخها وطلابها وزوارها من الباحثين والمؤلفين وغيرها حيث تزخر خزاناتها بالمخطوط العربي في شتى فنون العلم والمعرفة المنبثقة من أصول المعرفة الدينية للأمة الجزائرية مذهب أبي الحسن الأشعري في العقائد وأصول الدين، ومذهب مالك بن أنس في أصول الفقه وطريقة أبي القاسم الجنيد في السلوك والتربية الروحية، فزاوية المرابط سيدي المدني بلحاج[1](ت1311/1893م) ببلاد الساورة تأسست على يد شيخها في حدود 1270هـ/1853م تقع بقصر ماجة على ضفاف واد الساورة ولاية بشار بالجنوب الغربي الجزائري وطريقته قادرية وأخذ الشيخ يعلم الدين بزاويته ويحفظ فيها القرآن الكريم ويصلح بين الخصوم ويقضي بينهم ويطعم الطعام ومن بعده أبناءه وأحفاده رغم الاستعمار الفرنسي، لكنهم حتى بعد هجرتهم ساهموا في تنشيط الحركة العلمية والثقافية، فالعلم مرتبط بالعالم حيثما كان في زاوية صحراوية أو بمنطقة شمالية فمن مشايخ هذه الزاوية الفقهاء الشيخ المجاهد سيدي أحمد بن المدني (ت1336هـ/1917م).

والحاج التهامي بن عبد الوهاب (ت1395هـ/1975م) الذي كان يتقن علم الفرائض وشاعرا ماهرا له قصائد في المديح والأمثال والحكم وكذا الشيخ عبد الله بن الشيخ الذي كان يساعده سيدي عبد الوهاب بن التهامي في تدبير شؤون الزاوية وهو المرابط سيدي محفوظ بن مبروك بن عبد العزيز بن الحاج إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن بن سيدي عبد الله بن الشيخ واسمه العائلي بلمدني والشيخ الحاج عبد العزيز بن الحاج التهامي ولد (1352هـ/1933م) وتوفي سنة (1395هـ/1975م)،

[1]– عبد الله حمادي الإدريسي، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي الساورة وفروعها بالصحراء المغربية الشرقية تاريخ ومناقب وبطولات، دار إبتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 131.

والحاج مُحَمَّد بن الحاج التهامي ولد سنة (1365هـ/1946م)، وتوفي سنة (1424هـ/2003م) وهناك المرابط سيدي عبد الله بن الشيخ الشهير بمولاي العربي وعلم من أعلام هذه الزاوية وصلاحها.

كما تعتبر الزاوية الكرزازية من بين الزوايا التي ساهمت في تطور الحركة العلمية والثقافية بهذا الإقليم حيث تحتفظ خزائنها اليوم بالعديد من المخطوطات بغض النظر عن ما تعرض للحرق من طرف السلطات الاستعمارية، إلا أن العائلات الكرزازية تتوفر اليوم على عدد لا يستهان به من المخطوطات من بينها مخطوط فتح الباري في شرح صحيح البخاري وبها مصحف شريف يعود تاريخ نسخه إلى سنة 783هـ ومخطوط الحكم العطائيةوشرح الشفا على شمائل المصطفى للقاضي عياض وشرح تنبيه الأنام وكتاب في النوازل وفي الفقه الإسلامي وتفسير القرآن الكريم ومخطوط كفاية الطالب الرباني شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني وهذه المخطوطات تزيد عن خمسة وثلاثين مخطوط، ومن بين نفائس المخطوطات التي توجد بالزاوية مخطوط المناقب المعزية في مأثر الأشياخ الكرزازية لصاحبه مُحَمَّد بن عبد الكريم الكرزازي ابن شيخ الزاوية سيدي امُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن امُحَمَّد بن عبد الرحمن أبي فلجة بن امُحَمَّد ابن الشيخ العارف بالله سيد أحمد وبن موسى بن خليفة الشيخ الأول للطريقة الموساوية الكرزازية.

لقد تبين هنا أنهناك تراث ضخم كان نتاج عمل علماء الزاوية الكرزازية والزاوية القندوسية الزيانية، وغيرها من زوايا الساورة تجمع فيها علوم عقلية ونقلية من تراجم والسير والتاريخ والأنساب وتلقين الذكر والطريقة فيما أظهره الله من الكرامات الخارقة للعادة على أيديهم فمجملها مخطوطات غطت مختلف علوم الدين والدنيا في إطار الحضارة العربية والإسلامية.[1]

لقد كانت هذه الزوايا بمثابة مراكز توجيه علمي وديني لأن التعليم كان محفوظا ومضمونا من طرف رجال الزوايا.[2]

[1]- بشير ضيف، فهرستمعلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث (واقع التراث الجزائري بين المعلوم والمجهول)، ج1،مراجعة وتقديم عثمان بدوي، منشورات تالة، الجزائر، 2002م، ص- ص 107، 109 .

[2]- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المراحل الكبرى، الجزائر، دار الفجر للطباعة والنشر، 2005م، ص383.

ولقد ساهمت المكتبات برصيد كبير في إثراء الحياة العلمية بالمنطقة خصوصا وأن المنطقة تعد جسر عبور للقوافل التجارية والحجيج العابرة للمنطقة مما يجعل المكان ملتقى للعلماء العابرين بالمنطقة فيساهمون في إثراء هذه المكتبات بنفائس العلوم، ولا نهمل أن منطقة الساورة متواجدة في محور ثلاثة أقطاب علمية وهي توات جنوبا وسجلماسة غربا تلمسان شمالا وطبعا لا شك أن الحركية بين هذه الحواضر أعطى أهم القرى والواحات التي نزل بها العلماء كمنطقة زاوية سيدي أحمد بن موسى التي ذاع صيتها في بلاد المغرب، لاستقرار العلماء بها[1] وشكلوا مشهدها العلمي في مطلع القرن 11 هجري و17 ميلادي، كان العالم ابن أبي محلي وهو في طريقه إلى الحج وهو الفقيه المتصوف والعلامة القدوة سعيد المقري إبراهيم الهشتوكي ومُحَّد بن القاسم المطماطي وعبد الكريم بن مُحَّد كان إماما عادلا، متفننا في علوم شتى، كبير القدر، وافر الحرمة وعالم توات عبد الكريم بن مُحَّد البكري تلميذ قدورة أن هذا الأخير اتخذ من مسجد ابن عباس بواد الساورة مدرسه لتعليم المتون الفقهية وتقديم الشروح للطلاب، كشرحه لرسالة أبي زيد القيرواني وكان يتردد عليه من توات الشيخ ابن أبي يحيى الشريف، الذي أشار على تلميذه عبد الكريم أن ينزل مجالس العلم بتلمسان. ويظهر هنا ما كان يحدث من احتكاك بين العلماء مما خدم الحركة العلمية وساهم في تطورها بين أقاليم الجنوب الغربي الجزائري من تبادل الرسائل والمناقشات حول قضايا المجتمع خاصة في مواضيع الفتاوى والإصلاح مما أثرى المكتبات والخزائن بما يفيد المجتمع من تفسير للقرآن وحسن المعاملات وآدابها في القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة.

أ) إقليم تندوف:

لقد ساهم علماء تندوف بشكل كبير في الحركة العلمية والأدبية حيث أنتج علماء وفقهاء وأدباء تجكانت الكثير من التآليف والكتب وألفوا في مختلف القضايا العلمية والتاريخية والأدبية وهذه مراسلتهم وفتاويهم ضمن وثائقهم ومخطوطاتهم تملأ المكتبات والخزائن يزيد عددها على المئات من التآليف المهمة والنفيسة المختار السوسي ماسوني وكذا المؤرخ إبراهيم حركات في كتابه حياة موريتانيا.

[1]- الشيخ مُحَّد بن مُحَّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية، دار الكتاب الزعبي، بيروت، ب.ت، ص 309.

وبعد ما أوردنا فيقول السوسي عن مُحَمَّد المختار بن بلعمش الجكني مؤسس مدينة تندوف ما يلي:"كان عالما جديدا.. ".[1]فقد كانت للشيخ مُحَمَّد المختار بن بلعمش مؤلفات عديدة منها معرفة المباني لصحة المعاني بشكل عام يبين فيه ما يختلط على العامة في علم القراءات والتفريق بين التجويد الظاهري والباطني وله مؤلف نصيحة قضاة البرية في معنى الرشوة والهدية، وله أيضا شفاء الصدور في فتح مسألتي المشكور، وله النوازل البلعمشية وهي من أهم تصانيف وتآليف العلامة مُحَمَّد المختار بن بلعمش، ناهيك عن منسوخاته الكثيرة من كتب وتآليف علماء السلف، وهناك مؤلفات أحمد يكن بن مُحَمَّد المختار الجكني وأهمهاأسئلة نوازل العلامة مُحَمَّد يحي بن مُحَمَّد المختار الولاتي الشنقيطي من خلال الرحلة الحجازية وله مخطوط طرز على موطأ الإمام مالك ومخطوط ميزان الشرع آخره ما نصه:- "..وكان الفراغ من تسويده على يد كاتبه عبيد ربه أسير ذنبه أحمدي مُحَمَّدالمختار بن بلعمش...".

ولقد برز في علم صناعة الوثيقة بحاضرة تندوف مجموعة من العلماء والمشايخ رسموا من خلال توثيقهم الإطار التاريخي والثقافي والاقتصادي للمدينة بتوثيق كل الوقائع والأحداث المختلفة التي كان مسرحها مدينة تندوف، وقد نتج رصيد وثائقي عظيم غني بالمعطيات العلمية المهمة والتي تعتبر محطة التقاء التجار ومعاملاتهم ووثائق البيع والشراء خاصتهم والعلماء ومراسلاتهم المتبادلة، فتندوف تحوي خزانة بها العديد من الوثائق والمخطوطات متعددة المواضيع وإن كان أغلبهايصب في العلاقات التجارية بين حاضرة تندوف وحواضر السودان الغربي والمغرب الأقصى سواء كانت عقود البيع والمقايضة والشراء وعقود الدين وإبراء الذمم والمراسلات الإخوانية ووثائق التوكيل، ومراسلات استطلاع أحوال الأسواق واستخبار أحوال السلع والنوازل الفقهية في مواضيع التجارة وغيرها وطلب إيفاد معلمي القرآن وعقود تجارية متنوعة مبرومة مع اليهود خاصة وكذلك مواضيع ودلائل تاريخية أخرى التي ترسم الإطار التاريخي والعلمي والمنهجي للبحث، فمثلا العلامة سيدي أحمد بن مُحَمَّد بن الصالح ابن باريك الله الشانعيالجكني الذي لهم مؤلفات عديدة من الكتب ورسائل ولكنها كلها في حكم المفقود إلا مراسلاته مع علماء عصره وفتاويه الذين يعتمد عليهم في نساخة المخطوطات التي كانت تجلب من السودان الغربي عبر قوافل التجارة، بنشاطه هذا ساهم في بعث الحركة العلمية بالمدينة في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين ميلاديين.

[1]- مُحَمَّد المختار السوسي، المعسول، ج 18، ص - ص 161، 165.

واضح هنا أن علماء تندوف رغم إنتاجهم العلمي إلا أنهم كانوا حريصين على نسخ مخطوطات غيرهم من العلماء استجادة في العلم مما جعل حاضره تندوف معلم من معالم الحركة العلمية والثقافية بالجنوب الغربي الجزائري.

حسبما تطرقنا سالفا، يعود إلى الرحلات العلميه والعلماء الوافدين للمنطقة والخزائن والمكتبات وعلم التوثيق والنساخة والأوقاف التي تساهم بشكل كبير في استمراريه نشاط الزاوية فهي عناصر مرتبطة ومكملة لبعضها البعض.

ومع بداية القرن الثاني عشر هجري بدأت ثمار جهود العلماء تظهر بجلاء، حيث ظهرت عدة مراكز علمية أسهمت في تنشيط الحركة العلمية

ففي توات مثلا اهتم علمائها بتأسيس المدارس فحضيت باهتمام كبير من طرف طلبة العلم واتبع فيها مناهج متعدده الغرض منها تخرج طلبة علم متفقهين. كما تم تأسيس زوايا ازدهرت بجهود العلماء التواتيين الذين شيدوها وتصدروا التدريس والإفتاء بها.

يعود تاريخ الزوايا بمنطقه توات إلى نشأة المنطقة التواتية بمناطقها الثلاثة (توات، تيديكلت، قورارة) إصطبغت معظمها بصبغة روحية ودنيوية سواء زوايا علم أو زوايا إطعام كانت تصب أنشطتها معا في خدمه المجتمع والمحافظة على أسسه وقيمه.

- الرحلات العلمية التي قام بها العلماء عنصر من عناصر التطور العلمي بالإقليم.
- الأوقاف عامل أساسي في المحافظة على استمرارية الزاوية ونشاطها في ما يخدم الحركة العلمية والثقافية.
- المكتبات والخزائن وصناعة التوثيق والنساخة للحصول على مخطوطات الأمصار بنسخهم وتواجد كل منها في معظم مكتبات الإقليم.
- التوافد العريض لمختلف العلماء واستقرار بعضهم ومساهماتهم في التدريس والقضاء والإفتاء وتصحيح بعض العادات السيئة بالمنطقة أضاف بشكل كبير في النهضة الثقافية بالإقليم.
- الإحتكاك المتواصل بين العلماء ومراسلات بعضهم والتناظر فيما بينهم والاختلاف والتوافق مما أضاف إلى المخزون التراثي بالمنطقة.

- حركة التأليف القوية التي شهدتها كل زوايا الجنوب الغربي في تخصصات عديدة من العلوم اللغوية والأدبية والشرعية والنوازل الفقهية.[1]
- مساهمة العلماء في الحياة الاجتماعية كالحد من المظالم وإفشاء العدل بين الناس لإحلال الاستقرار الذي يساعد على الإبداع والتطور الثقافي.
- اشتهار الزوايا العلمية مما جعل الإقليم أحد مراكز ومنارة العلم كمدينة تندوف وكرزاز والقنادسة وتمنطيط وغيرها.

[1]- مُحَمَّد المحفوظ القسطني الدلدولي، روض الزهر اليانع على مشروع المقنع في علم كان لأبي مقرع، تحقيق عبد الله اسماعيلي، دار المقامات، الجزائر، 2012م، ص 47.

المبحث الثاني:- الزوايا العلمية وأثرها في انتشار الاسلام بالصحراء الكبرى والسودان الغربي.

1. إقليم توات:

لم تكن توات بعيدة عما حولها من الأقاليم ، سواء كان ذلك من الناحية الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية، فموقعها الإستراتيجي المميز سمح لها بالتفاعل ثقافيا واقتصاديا مع الحواضر الإسلامية باعتبارها معبر للقوافل التجارية، فلهذا تعددت العلاقات الثقافية لإقليم توات مع الحواضر المجاوره على مستوى الداخلي والخارجي أهمها:

على الجانب الداخلي:

أ. العلاقات الثقافية بين توات والجزائر العاصمة:

الجزائر العاصمة على غرار مدن الشمال الأخرى تميزت بكثرة المجتهدين من العلماء والفقهاء المدققين الذين سبقتهم شهراتهم، مما جعل العلماء يتوجهون إليهم بقصد التعلم والحصول على الإجازات فنجد سيدي عبد الكريم بن مُحَّد درس على يد الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري الذي وصفه في كتابه الرحلة وحصل منه على إجازة[1]، في حين درس الشيخ سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني على يد قاضي الجزائر الشيخ سيدي عبد الله أبو عبد الله علي، وكذلك نجد الشيخ سيد البكري بن عبد الكريم بن مُحَّد درس على يد سيدي سعيد بن إبراهيم قدوره الجزائري ونرى منه الإجازة.

وهذا يدل على الترابط القوي بين علماء الجنوب والشمال ومثلما يحدث في الجنوب بتنقل الطلبة من أجل إشباع شغفهم من العلم من زاوية إلى أخرى أو من شيخ إلى آخر حتى ولو في الشمال.

[1]- عبد الحميد بكري، النبذة، مرجع سابق، ص - ص 62، 63.

ب. العلاقات الثقافية بين توات وتدلس:

لقد قدم إلى توات علماء تدلس مستقر بهم المقام بتوات لأجل الاشتغال في التدريس وحتى الفتوى والقضاء من هم العلامة يحي بن يدير التدلاسي درس واشتغل قاضي بتمنطيط في القرن التاسع هجري الموافق لـ 15 الميلادي وتخرج على يده الكثير من علماء توات كما ساهم بشكل بارز في انتعاش الحركة العلمية والثقافية في الإقليم وكذلك وجود الشريف الحاج لحسن بن مولاي أحمد الزقوري بن مولاي عبد الحي التادلسي.[1]

ت. العلاقات الثقافية بين توات وورقلة:

رحلة العالم مُحَّد عبد القادر بلعالم القبلاوي الذي نشر العلم بها وكذلك الشيخ مُحَّد عبد الرحمن بن مُحَّد السكوتي الذي رحل إلى ورقلة مما يؤكد العلاقات الثقافية الوطيدة بين المنطقتين.

ث. العلاقات الثقافية بين توات وتلمسان:

كانت علاقة ثقافية خصبة جدا في العصر الوسيط، حيث استفاد إقليم توات من نزوح العديد من العلماء التلمسانيين بسبب اضطراب الظروف السياسية آنذاك أولا زيادة عن فساد الحكم وسكوت العلماء، مما جعل الإمام مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي وعائلة العصنوني أنيتجها نحو إقليم توات[2]الذي انتفع من قدوم العلماء فأثروا فيها وتأثروا بها، هذا غير المراسلات العديدة المتبادلة بين علماء إقليم تلمسان وتوات منها نازلة يهود تمنطيط التي وقعت بين الإمام المغيلي والعصنوني وهذا ما ذكر في كتاب المعيار للونشريسي، ولما نزلت النازلة وحصل ما حصل، استفتى فقهاء توات علماء تلمسان فأجابوهم عن المسألة وقد كانت الفتاوي التلمسانية تحظى بالمكانة لقدر علمائها عند التواتيين، فما هذا إلا قليل من كثير فلقد كان التقدير والاحترام متبادل بين الفقهاء.

حيث توضح أنهناك العديد من العلماء الذين ربطوا العلاقات الثقافية بين توات وغيرها من الأمصار كالشيخ مُحَّد بن إسماعيل القراري الذي قال عنه الأستاذ مختار فيلالي نقلا عن ما كتب في الرحلةالعياشية على ذكر الشيخ مُحَّد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية قيل:-"الشيخ مُحَّد بن إسماعيل

[1]-الصديق حاج أحمد، العلاقات الثقافية بيت توات والحواضر المجاورة، مرجع سابق، ص313.

[2]- أنظر التأثيرات السياسية في عصر المغيلي:عبد الله كروم، دراسة تاريخية حول الإمام المغيلي، مرجع سابق.

القراري أنه جال في البلاد شرقا وغربا، فلم يدع المغرب الأقصى ولا إفريقيا وبلاد السودان وأقام في مصر نحو سبع سنوات في زمن الشيخ اللقاني و ختم كتاب المختصر سبع مرات ولقي مشايخ الأزهر وجاور مدة هامة بمكة والمدينة ودخل اليمن وادعى فيها المهدية أو ما يشاكلها وزار العراق وأقام فترة زمنية في بغداد وانتسب الشيخ عبد القادر الجيلاني وأخذ العهد عن طريقه وانضم إلى أتباعه متجها من هناك إلى القسطنطينية أين اتصل بصديق له تولى منصب الوزارة والذي تعرف عليه في بغداد عند ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني فاستقبله بحفاوة وأكرمه في اسطنبول ساعده على اقتناء عشرات الكتب النفيسة أجمع هذه الكتب طيلة إقامته هناك ثم عاد من اسطنبول إلى طرابلس بليبيا على ظهري سفينة سنة 1060 هجري ولقي الرحالة العياشي في مساراته عند ضريح الشيخ زروق..."[1]

الرحلة كانت طويلة لهذا الشيخ التواتي عبر البلاد الإسلامية بحثا واجتهادا وطلبا للعلم دراسة وتدريسا، ما يبين عدم وجود أي فوارق أو حواجز بين الأقاليم الإسلامية شمالها أو جنوبها فالرابط هنا هو الثقافة والعلوم.

ج. العلاقة الثقافية بين توات ومصر:

إن العلاقة بين مصر تجسدت في تلك الرحلات العلمية للعديد من الطلبه الكويتيين والمشايخ الذين ارتحلوا إلى مصر طلبا العلم من بينهم الشيخ سيدي عبد الكريم بن المُحَّد بن أبي مُحَّد الذي درس على يد الفقيه العلامة سيدي علي الاجهوري المصري والشيخ أحمد بن سالم العصنوني قد تولى القضاء بالقاهرة وكان ذلك خلال القرن العاشر هجري.[2]

كما أن الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني الدرس وتوفي بمصر وكذلك الشيخ مُحَّد عبد الرحمن بن مُحَّد السكوتي التقى بالشيخ يوسف النبهاني وأجازه[3] الشيخ أحمد المقري تلمساني نزيل القاهرة وفاس هذا وكذلك الشيخ سيد البكري حصل على أجازه من عند العلامة العالم الخرشي ما يبين التعاضد الذي ربط توات بمصر أو بالأحرى بلاد المغرب بالمشرق تحت لواء العلم.

---

[1]- مُحَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2، مرجع سابق، ص 539.

[2]- عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، ج 1، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب، 1976، ص 118.

[3]- مجلة القبس، محاضرة للشيخ مُحَّد باي بلعالم، العدد 15، ج 1، ص 11.

ح. العلاقات الثقافية بين توات وطرابلس:

لقد كان لأحد الأعلام الفلانيين علاقات ثقافية مع طرابلس تمثلت في الشيخ مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد بن الحاج أحمد بن مالك الفلاني رحل إلى طرابلس وكانت له مع علمائها محاورات.[1]

*العلاقات الثقافية بين توات وشنقيط:إن العائلة الكنتية والإداوعلية هي التي تمثل حبل تواصل بين توات وشنقيط.[2]

خ. العلاقات الثقافية بين توات وتركيا:

تجسدت في اجتماع الشيخ أحمد بن علي النحوي الاوجروتي مع سلطان اسطنبول وأهداه مجموعة كبيرة من الكتب.

د. العلاقات الثقافية بين توات والمغرب الأقصى(فاس):

يبدو أن الأعلام التنلانيون في طليعة التواتيين الذين احتكوا بعلماء فاس وأخذوا العلم عنهم ويعتبر الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني من الذين تخرجوا من فاس، حيث جلس للتدريس بجامع القرويين[3] وكذلك الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني يحدثنا بنفسه في ترجمه حياته عن ذهابه لفاس والتعلم على يد علمائها[4]، كما ساهم الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي في تثمين العلاقات الثقافية بين توات والمغرب خلال القرن الرابع عشر هجري، القرن العشرين الميلادي.

إن الترابط الثقافي كان بين فاس ومشايخ إقليم الجنوب الغربي الجزائري بشكل كبير ربما للتقارب الجغرافي والتبادل الاقتصادي أو من خلال شجرة النسب، فتأثير مدرسة القرويين على طلبة العلم من العلماء التواتيين يظهر واضحا في إنتاجهم العلمي.

---

[1]– مجلة القبس، محاضرة للشيخ مُحَمَّد باي بلعالم، مرجع سابق، ص 11.

[2]– أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم آباء شنقيط، مكتبة الخانجي، مصر، 1989، ص 11.

[3]– مُحَمَّد بن عبد الكريم البكراوي، جوهرة المعاني، مخطوط بخزانة تمنطيط الورقة 04. مصدر سابق.

[4]– السيرة الذاتية للشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، مخطوط خزانة الشاري الطيب، كوسام.

ذ. العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي:

إن القوافل التجارية، ساهمت بشكل كبير في تمتين الروابط الثقافية، تأثيرا وتأثرا، بحيث رحل الشيخ الإمام المغربي إلى السودان الغربي نهاية القرن التاسع الهجري والقرن الخامس عشر ميلادي وكانت علاقته بحكامها وسياستها حسنة ولا سيما أمير دولة السنغال الحاج مُحَمَّد اسكيا وأمير دولة الهوصة مُحَمَّد يعقوب، فوضع بصمته بتنظيم أسس الدولة الإسلامية كما نظر لهم السياسة الشرعية المتعلقة خاصه بعلاقه الراعي بالرعية[1] مما جعل السودان الغربي يستفيد كثيرا من هذه الرحلة سياسيا وثقافيا.

إن الشيخ المغيلي عمل على نشر العلم وبناء المساجد ونظم المجتمع والدولة، كما تخرج على يده علماء أجلاء وإلى جانب ذلك يظهر أن للشيخ عبد الحميد بن أحمد بن ميمون الامريني علاقة ثقافية بشكل رسمي مع سلطان السودان حيث كان يبعث له كل عام مصحف[2] كما استفاد بعض العلماء التواتيين من تلك الحركة العلمية التي شهدتها تمبكتو في القرن الحادي عشر للهجرة والسادس عشره الميلادي، فقد أخذ الشيخ عبد الكريم بن المُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد التواتي، عالم توات، العلم على يد الشيخ سيدي أحمد بابا التمبكتي وكذا الشيخ أبو الأنوار التينلالي الذي رحل إلى بلاد التكرور، ونشر العلم بها استفاد من أهلها، هذا فضلا على أن الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مالك الفلاني كان قاضيا ومدرسا بالسودان[3] والشيخ عبد الرحمن بن الحاج أحمد بن مُحَمَّد الفلاني على العديد من المخطوطات من تمبكتو.[4] وهنا لا يمكن أن نهمل إسهامات قبيلة كنتة بين توات والسودان الغربي[5] من نشر اللغة العربية والإسلام.[6]

---

[1]- رسالة فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام، مخطوط، خزانة احفاد المغيلي، زاوية الشيخ المغيلي.

[2]- ترجمة أعلامتنمطيط، خزانة الشاري الطيب، كوسام.

[3]- مجلة القبس، محاضرة للشيخ مُحَمَّد باي بلعالم، مرجع سابق،ص 10.

[4]- مرجع نفسه، ص 08.

[5]- مُحَمَّد صالح حوتية، قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد، ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1992-1993م، ص 123.

[6]- عبد الله عباس، الدور الحضاري لإقلبم توات وتأثيرهافي بلاد السودان الغربي، خلال القرن التاسع الهجري والعاشر الهجري، ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص 112.

إن التعاون الثقافي الذي ساهم فيه أعلام وعلماء توات في بلاد السودان الغربي كان بابا لإنتشار الإسلام ونشاط الحركة العلمية والمخطوطات خير شاهد والدليل على ذلك وليس هذا فقط بل ما زالت المساجد والزوايا والمدارس التي قاموا ببنائها مما تطور الأمر إلى أهالي البلاد التي كانوا يترددون عليها أو استوطنوها أو بشراء العبيد الذين علموهم مبادئ الإسلام ثم عتقوهم وأعادهم إلى أوطانهم كي يدخلوا إخوانهم إلى الإسلام، وهذا الفضل يذكره التاريخ للتجار المسلمين الذين ربطوا بين مراكز الحضارة في الشمال وبين سكان جنوب الصحراء الكبرى.[1]

لقد ظل حضور التواتيين وتأثيرهم في المناطق الإفريقية المجاورة يقوى ويتعاظم على مر القرون، ازداد انتشار الإسلام جيلا بعد جيل، فكانوا يزدادون قوة ونفوذا وتأثيرا وكثافة وحضورا، فأنتج ذلك علماء وأعيان أفارقة كثيرون في المدرسة التواتية منهم من جاء إلى البلاد فاستقبله العلماء في زواياهم وعلموهم ماعلمهم الله، فانتشرت بينهم العلوم و الطرق الصوفيه وبلغت أوج مجدها بظهور الشيخ سيد المختار الكنتي. وإذا بالزاوية نجحت في بلوغ الهدف الذي اتبعته داخل منطقه توات فقد طمحت إلى أن تنقل عطائها وإشعاعها الروحي إلى الخارج فكان لها أثرا كبيرا بنشر الإسلام في إفريقيا الغربية بوصول رجالها إلى مختلف شعوب القارة الإفريقية مبشرين بمبادئ الدين الإسلامي ومعالمه الحضارية السامية فكان لها الفضل الأكبر في تحقيق التعريب الشامل وغرس محبة اللغة العربية في نفوسهم.

يعد همزه وصل بين شمال الصحراء وجنوبها ومركز ثقل اقتصادي واجتماعي وثقافي في البيئة الصحراوية، وله دور حضاري يربط المغرب الإسلامي بإقليم السودان الغربي.

2. إقليم الساورة:

إن الزاويةالزيانية لها دور بارز في منطقه الجنوب الغربي من خلال النشاطات الاجتماعية والتعليمية التربوية خاصة في عهد مؤسسها المُحَّد بن أبي زيان الذي يعتبر نموذجا للصراط والتأثير الذي درس في زاويتي تافيلالت (سجلماسة) كان بها الشيخ مبارك بن عزي زعيم الطريقة الشاذلية والذي درس على يده القرآن وأخذ سر الطريقة إلى فاس بالمغرب الأقصى طلبا للعلم لمدة ثمان سنوات على

[1]- حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م، ص 17.

يد مُحَمَّد بن عبد القادر الفاسي والشيخ السوسي والشيخ مُحَمَّد بن أحمد الفاسي والشيخ عبد السلام جاسوس الفاسي والشيخ أحمد بن الحاج الفاسي كما كانت له علاقة مع مشايخ القاهرة وطرابلس وتونس أين التف حوله الكثير من طلبة العلم[1]، فمن خلاله الذي زار بلاد المشرق العربي والمغرب الأقصى وكانت العلاقات متبادلة بعد عودته إلى الساورة وإنشاء زاويته بالقنادسة وأصبح له أتباع في تونس والمغرب وزاره طلبة ومشايخ منشتى الأصقاع كالترك والحجاز.

فالغالب على منطقة الثورة الزاوية الصوفية التي قامت على قاعدة بشرية عريضة فغطت جميع فئات المجتمع من عامة وخاصة وسارت وفق نظام دقيق أشرف على إدارتها خدام يهتمون بالإشراف على مداخلها المتنوعة وقد عرفت هذه الزوايا شهرة واسعة في ظرف وجيز بفضل هيبه شيوخها حيث توافد عليها الكثير من الزائرين والحجاج وطالبي العلم والتابعين للنهل من عفة شيوخها من علمهم وعدلهم واستقامتهم، طالبين بركتهم هذه المكانة التي حظي بها شيوخ الزوايا جعل زواياهم يمتد صيتها على مستوى المناطق الصحراوية والمغربية وكذا المناطق التالية، فانضموا في أسلاكها أصبحوا يرددون أفكارها وأولادها سواء كانت الزاوية الزيانية أو الزاوية الكرزازية الأكثر شهرة.

وهناك زاوية ابن قومي الفوقانية وزاوية ابن قومي التحتانيه وزاوية بني يخلف إلا أن هذه الزوايا لم يكن لها حدود الشهرة و الاتساع كما كان للزاويتين المذكورتين سابقا رغم أن منطقه الثورة عمرت منذ القديم الكثير من الهجرات المتتالية والمتتابعة لأناس متباينة في عروقها وأصولها تفاعلت مع بعضها البعض سواء قدمت إليها هروبا من ظروف الحرب من الشمال أو مع قوافل التجارة من الجنوب باعتبار الثورة إحدى محطات القوافل التجارية بالجنوب فقد ساهمت بشكل غير مباشر في المحافظة على تعاليم الإسلام واللغة العربية فانصهرت العناصر الإفريقية القادمة من السودان الغربي وتوطنت بإقليم الساورة سواء على شكل عبيد وتم تحريرهم أو شعوب مهاجرة وقطنت الإقليم وتزاوجت مع غيرها من السكان.

فمن خلال الدراسة لا يوجد ما يؤكد أنزوايا الساورة أو مشايخها كانت لهم هجرات أو رحلات نحو السودان الغربي بغرض العلم والمعرفة ونشر تعاليم الإسلام إلا ما كان من الشعوب المهاجرة نحو هذا الإقليم للسكن والعمل فقد كان انجذابهم نحو هذه الزوايا قصد التعلم والمعرفة.

[1]- الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات علماء المالكية، مصدر سابق،ص 329.

3. إقليم تندوف:

لقد قامت بالصحراء الكبرى مناطق عمرانية وحضارية علمية وتجارية مهمة من بينها مدينه تندوف، كما نشأت من الممالك والإمبراطوريات خلال قرون عديدة فاختلفت أعمارها ومكاناتها وقواتها في غرب إفريقيا وشمالها وظلت التجاره رابط أساسي ومهم في اتصال هذه المراكز وربط العلاقات مع بعضها البعض وموقع تندوف جعل منها محطه تجارية هامة بين الأقاليم الصحراوية ومركز عبور تمر خلاله مختلف القوافل التجارية ورحلات الحجيج الآتية من الغرب خاصة من إقليم الساقية الحمراء والزمور و وادي باني في اتجاه منطقه توات.

فقد عرفت مدينة تندوف كغيرها من المدن الصحراوية تبادلات تجارية وعلاقات ثقافية وعلمية تمثلت في تبادل الفتاوي والأحكام الفقهية مع علماء وفقهاء الأمصار المجاورة لها ومن خلال زيارات العلماء لها إما بقصد الاستقرار بتندوف أو عبر رحلاتهم الحجازية واستقرارهم بتندوف، فلقد ورد في رحلة العلامة مُحَمَّد يحي بن مُحَمَّد الولاتي الشنقيطي الذي ما كتبت تندوف بعد زيارتها ما يزيد عن سنة بمنزل أهل العبد، عبد الله بن العبد واحتكاكه بعلماء المنطقة ومن بينهم أحمد يكن بن مُحَمَّد المختار الجكني حيث تدارسوا في كل ما له علاقة بالعلم منها عرض عليه ستة مسائل فقهية وفي علم الكلام والفلسفة وأصول الفقه وغيرها من المسائل الأخرى.[1]

بالإضافة إلى زيارة مُحَمَّد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي وهذا من خلال ما ترك الولاة في تندوف من مخطوطات ومصادر وأمهات الكتب وصل عددها إلى اثني عشر مجلد بها ثلاثة نسخ من لباب التأويل والسراج المنير في أربعة أجزاء والجمل في أربعة أجزاء وكذلك روح البيان وذو الجلالين في سفر والإتقان في سفر وشرح الزرقاني على الموطأ في سفرين كبيرين وكتاب الرحمة الغيثية في سفر وثلاثة أسفار من القسطلاني ونزهة الناظرين في سفر وفي علم التوحيد وغير ذلك كثير، ولأن تندوف منطقة عبور تجاري فهي مركز للتبادل الثقافي والعلمي كما كانت فيه مراسلات طلب تعليم القرآن وعلوم الشريعة من علماء المدينة، فلقد كانت هناك عده أسر لها علاقة وتواصل بحاضرة تندوف منها أسرة أهل بيروك التكني التي كانت لها علاقه تجارية مع أعيان وتجار أهل تندوف ولكنها أيضا ساهمت في

[1]- مُحَمَّد يحي بن مُحَمَّد الولاتي، رحلة الولاتيمن تندوف إلى ولاتة، تحقيق، بريك الله حبيب، ص 62.

جمع وثائق محلية تجارية التي تحدثت عن مدى النشاط التجاري الفعال والكبير ومدن التي تبادل التجارة مع تندوف هي أروان[1] وتمبكتو.

فالواضح هنا إن العلاقة التجارية مرادفة للعلاقة الحضارية والثقافية بالنسبة لصلة تندوف بدول الجنوب الصحراوي والقصد هنا طبعا معظمها وخاصة منها السودان الغربي، الازدهار التجاري له تأثير على التطور والتبادل العلمي بين الحواضر وخاصة أن معظم المعاملات التجارية التي يتم توثيقها لابد أن تمر على قضاة مفتيين في مسائل كانوا يشتبكون فيها فلا يجدون الحلول إلا على أيدي علماء هذه المناطق.

إن العلاقات التجارية بين هذه المناطق من الجنوب الغربي الجزائري وإفريقيا جنوب الصحراء تظهر التأثير الحضاري للتجارة ودورها في تحقيق التبادل الثقافي وترقية العلاقات وبروز العديد من المظاهر العلمية والأدبية في إفريقيا وحتى في المجال المعماري وأدخلت عده أنماط اجتماعية معيشيه لكلا الطرفين ولا ننسى أنالفضل للتجار الفاتحين لإفريقيا الغربية وذلك من خلال إبرازهم كمسلمين للخصال والمعاملات الحسنة، وكان من أثر ذلك على الأفارقة تعلقهم الشديد بهؤلاء التجار الدعاة الذين خلفوا العديد من المظاهر المادية والثقافية في إفريقيا العديد من الأحياء المغاربية والمساجد، [2] حرفة الوراقين التي أضيف للحياة الثقافية في بلاد السودان بسبب رواج تجارة الكتب التي عرفت إقبالا شديدا من الأفارقه[3] كالخطاطين والنساخ ولقد أبدعوا تجميل الخط العربي وخاصه المغربي وقد انتشر هذا الخط في المخطوطات النفيسة في خزائن الكتب والمراكز العلميةالإفريقية[4]العربية واتباع نفس مناهج التعليم تقريبا كتعلم المتون المالكية[5] خاصة بعد انتشار المساجد والكتاتيب والمراكز العلمية التي قامت على أيدي المغاربة تدريسا ومنهاجا نتيجة لانتشار التعليم الديني واللغوي مشكلا بذلك حركة

[1]– السعدي عبد الرحمن، تاريخ السودان، تحقيق وترجمة هداس، ط2، 1981، ص– ص20، 21.

[2]– بيتر، سلويد، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة، شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، جانفي 1958، ص 28.

[3]– عباس عبد الكريم، التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد 4، ايلول 2010، ص 54.

[4]–تشير الاحصائيات لوجود الآلاف من المخطوطات بالخط العربي في غينيا ومالي.

[5]– مُحَمَّد أحمد لوح، التعليم العام ومناهجه، السنغال نموذجا، عميد معهد الدراسات الإفريقية في السنغال 27، 2009/04/28م، ميامي النيجر، ص 10.

علمية بمنطقة السودان الغربي هذا يؤكد الارتباط الاجتماعي والثقافي الكبير الذي يعكس مدى الاتصال الوثيق بين هاتين المنطقتين.

وفي الأخير فإن التواصل التجاري ساهم بدرجة كبيرة في نقل الحركة الصوفية من الجنوب الغربي إلى إفريقيا، ولعل قيام دولتين على أساس ديني وهما الدولة التيجانية في إفريقيا وامبراطورية الفولاني القادرية هما أكبر دليل عن الأثر الكبير لهذا التواصل التجاري.

ومن هنا نستنتج أن إقليم الجنوب الغربي بمناطقه الثلاث توات وتندوف والساورة عرفت عبر مراحل تاريخية نهضة علمية وفكرية جعلت منها مراكز إشعاع علمي نشيط بالصحراء الكبرى خاصة منطقة توات وتندوف، فقد استفادت من موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الصحراء طلبت أسواق شمال المغرب بأسواق جنوب الصحراء بواسطة القوافل التجارية مما شكل همزة وصل في عملية التبادل التجاري وكذا الثقافي بينها وبين مختلف الدول المحيطة بها خاصة دول الساحل الإفريقي كمالي والنيجر وموريتانيا والسودان حيث أثرت وتأثروا بها في مختلف الجوانب، ومما ساعد على تطور الروابط العلمية والثقافية هو انتقال التجار والدعاة والفقهاء، الذين كان يدفعهم حديث الرسول ﷺ"لإن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم"إلى عمق أقاليم غرب إفريقيا وحواضرها المتنوعة الأجناس والقبائل والأعراف. إن التواصل الحضاري بين إقليم توات والسودان أدى إلى استقرار الجالية التواتية بالسودان.

– لقد كان لعلماء توات دورا مميزا في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى الشعوب الإفريقية، إذ انتشرت المدارس بفضل جهودهم وتعايشهم مع السكان الأصليين[1]. كما أسهموا في نشر الإسلام والثقافة العربية مثل ما قام به الشيخ عبد الكريم المغيلي بالسودان الغربي.

– هذا وقد اشتهر علماء توات بتدريس علوم الدين واللغة والتصوف والزهد وعرف علماء السودان بنبوغهم وريادتهم في مختلف العلوم وقد خلفوا في تلك البلاد تلاميذ ينشرون فكرهم وكثيرا من

[1]– يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001م، ص195.

مصنفاتهم المخطوطة التي ماتزال إلى اليوم محفوظة في خزائن ومكتبات مالي والنيجر وغانا ونيجيريا وموريتانيا ليصل عدد المخطوطات في مكتبه أحمد بابا التمبكتي بمالي مثلا 127 مخطوط.[1]

– لقد لاحظنا أن إقليم توات وتندوف له علاقات عريضة مع الحواضر المجاورة عن طريق الرحلات العلمية سواء لجنوب الصحراء والسودان الغربي أو المغرب الأقصى وموريتانيا.

إن التأثيرات التي أحدثها الإقليم في منطقه السودان الغربي والتي كان منها انفتاح علماء توات على الأقاليم الإفريقية وهجرة بعض القبائل هناك كقبيلة كنتة والفلان والتي كان لها بالغ الأثر في نقل ونشر تعاليم الدين الإسلامي في المنطقة وصبغ عليها كثير من مظاهر الثراء الحضاري والتلاقح الثقافي.

– إن مشايخ الزاوية الزيانية والكرزازية كانت لهم جولات وصولات في مختلف الأرجاء المغربية والمشرقية ونهلوا من علومهم عامل على التدريس بهم.

– إن الهجرات الإفريقية نحو بلاد الجنوب الغربي الجزائري إما على شكل عبيد أوعمال وتجار سكنوا بالساورة والتفوا حول الطرق الصوفية وزواياها ونهلوا من علوم الدين والقرآن الكريم.

– يعتبر الجنوب الغربي الجزائري بأقاليمه الثلاث ذا موقع استراتيجي كجسر لعبور القوافل التجارية والتواصل الحضاري الثقافي بين هذه الحواضر.

[1]– أحمد جعفري، واقع المخطوطات بأقاليم توات الكبرى، مجلة النخلة تصدرها مدرسة الثقافة ولاية أدرار، عدد تجريبي، جويلية 2005م، ص 26.

المبحث الثالث:مكامن الحراك الثقافي وموطنه.

إن الزاوية مؤسسة دينية اجتماعية وتربوية تعمل ضمن نظام خاص بها يتميز بالتنظيم والحكامة مبنية على علاقات بين الشيخ المربي والمقدمون، تسمح هذه العلاقة بتحقيق التواصل وضمان الوحدة وإن تباعدت الأمكنة تلعب من خلالها الزاوية أدوارا رمزية ومعنوية داخل المجتمع مما وفر لها مسؤوليات دينية ودنيوية.

وعبر الحقب التاريخية لعبت الزوايا أدوارا مختلفة في الجوانب الدينية والتعليمية والاجتماعية والثقافية، قامت بتأطير قطاع واسع من الحياة المجتمعية تطبعت بقيمها وأساليب تنشئتها، ومع ظهور المؤسسات التنشئية الحديثة كالمدرسة ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني كالجمعيات والنوادي، تراجع إلى حد ما دور الزوايا في المجتمع حتى أن البعض يعتقد بسبب موجة التحديث وغياب الهدف السياسي لهذه المؤسسة وبروز حركات أخرى إسلامية تنازعها الدور، لكن الواقع كان عكس ذلك، حيث لوحظ عودة هذه المؤسسة على المستوى الوطني والدولي في نشاطها ببعث الهوية والقيم والضبط الاجتماعي وتكيفت مع تغيرات الوقت الراهن.

لهذا فقد تنوعت نشاطات الزوايا الثقافية ضمن المجتمع بحيث لها وظيفة دينية محور تواجدها وتنشئتها ومنهجها الفكري في التنشئة الاجتماعية حسب عبد الله شريف الوزاني "تقوم التربية الدينية للزوايا على ترسيخ القيم الروحية في نفوس المريدين وتعمل على تهذيبهم وفقا للأخلاق الإسلامية وتربيتهم على حب الله والرسول ﷺ والتشبث بالقعيدة الإسلامية السمحة والجهاد في سبيل الله بمحاربة العدو الكافر والابتعاد عن البدع والتمسك باالسنة المطهرة ".[1]

وقال الأستاذ مُحَّد المأمون مصطفى القاسمي الحسني:"إنرسالة الزوايا كما يتضح لكل دارس نزيه رسالة شاملة شمولية هذا الدين، إنها رسالة حضارية ارتبط بها تاريخ الجزائر العلمي والثقافي ارتباطا وثيقا، فلم يقتصر دورها على التربية والتعليم، بل كانت وظائفها أشمل وأعمالها أعم وأوسع فهي

[1]- الوزاني عبد الله شريف، الزاوية الوزانية، د ع ت، ص 16.

معاقل طلابية وجهاد ومعهد علم وعمل، وموطن تلاوة وذكر ومجلس إصلاح وقضاء، ومكان رأي ومشورة وملتقى تعاون وتضامن وتكافل..."[1]

ومن خلال ذلك نفهم أن الزوايا العلمية وغيرها اتسع نشاط عملها من تعليمي تربوي إلى جهادي ومكان للذكر و الصلاح والقضاء فوظيفتها واسعة النشاط ذات دور حضاري عظيم في تصديها لحملات التجهيل والتغريب وقت الاستعمار ومحاولاته لطمس الشخصية الإسلامية ومحو الهوية الوطنية لكنها تعرضت للمضايقات والعراقيل مما قيد حركة نشاط جزئي للزوايا، فإذا كان إبان الاستعمار بسبب مصادرة الممتلكات وتأميم الأوقاف وتضييق الخناق عليها نظرا لنشاطها الجهادي ضد الاستعمار الفرنسي، ضف إلى حدوث نزاعات بين فروع المؤسسة من الإخوة والأبناء والأحفاد في التوصل إلى اختيار الأنسب الذي من خلاله تستمر الزاوية في أداء دورها إلى كثرة النزاعات بينهم، وفشل التسيير الجماعي لبعض الزوايا الذي يؤدي في أغلب الأحيان إلى تبديد أموالها في غير وجهها وغير ذلك من المشاكل التي وقعت فيها الزوايا كانت نتيجته نهايتها أو تقلص نشاطها.

لكن واقع الزوايا اليوم يظهر تقلص دورها وعدم نجاعة وسائلها التقليدية خاصة وأنها كانت معظمها مضطهدة بعد الاستقلال بحيث وضعت ضمن زجاجة فحصر نشاطها على ما استطاعت أن تساهم به من تعليم ديني للطلبة.

لكن تغيير الوضع في الألفينيات فظهر حراك ثقافي كبير للزوايا التواتية خاصة بإقليم الجنوب الغربي لمسايرة العصرنة والحداثة حتى تسترجع مكانتها وتقوم بدورها الأساسي محافظة بذلك على الغاية والهدف. وإذا كانت الزوايا العلمية بلا منازع مركزا للإشعاع الفكري، حيث كانت خلال فترة من الزمن هي المسؤولة والتعليمية الأولى لأنها قامت بدور المدارس الحديثة أثناء الأستعمار الفرنسي، لهذا قال عنها الضابط الفرنسي كوبلاني "وفي الجزائر غالبا مايكون مفهوم الزاوية مرادف للمدرسة مثل اللغة العربية والقراءة والكتابة وحفظ القرآن والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والتوحيد [2]، ويعد تعليم القرآن

[1]- مُحَمَّد المامون مصطفى القاسمي الحسني، واقع الزوايا اليوم، محاضرة القيت في الملتقى الوطني الاول للزوايا بأدرار، محرم 1421هـ/ماي 2000، ص 3.

[2]- خليل كمال، المدارس الشرعية الثلاثة في الجزائر التأسيس والتطور، 1850-1951م، رسالة ماجستير، 2007-2008م، جامعة منتوري، قسنطينة، ص 27.

من أبرز نشاطاتها إلى جانب العلوم اللغوية، الشرعية، التاريخية والفلسفية مما ساهم في تطوير الحركة العلمية والفكرية وازدهار حركة التعليم بأنواعه وتطوير طرق التدريس بمراعاة الجوانب النفسية والقدرات العقلية للمتمدرسين مع نشر هذه المدارس والكتاتيب في المدن والأرياف فمكنوا بذلك كل فئات المجتمع منه.

لهذا لاحظنا العديد من الزوايا تم تأسيسها في السنوات الألفينية الأخيرة نظرا للدور الذي لعبته هذه الزوايا والمدارس القرآنية في منطقة الصحراء وبالخصوص في الإقليم التواتي فهي كثيرة ومنشرة في ربوع الإقليم تفوق المائة زاوية على مدار التاريخ، لا يزال ثلث هذا العدد ناشط في حقل التدريس والتعليم والتربية وإلى يومنا هذا كزاوية الشيخ مُحَّد بلكبير والزاوية البكراوية وزاوية مولاي الحسان بإنجزمير والزاوية الزجلاوية وهي لاتحصى، غير أن هذه المدارس تتشابه في المنهج والمضمون وحتى الطريقة أحيانا اللهم إلا في بعض المسائل الثانوية.

وهي منارات علم ودين والريادة لزاوية سيدي بلكبير لارتباط تاريخ توات الثقافي والفكري بنشوء مراكز إشعاعية ثقافية استثمرت دورها في نشر الحركة العلمية والثقافية، فمثلا زاوية الشيخ بلكبير إضطلعت بالعديد من المهام العلمية والإصلاحية والإجتماعية مما جعلها تحظى باحترام الجميع وتنحت لاسمها مكانا في الذاكرة التواتية رغم تعدد الزوايا عبر ربوع الإقليم إلا أنها نالت شهرة واسعة ولازالت مثل الزاوية البكرية وزاوية مولاي عبد الله الرقاني برقان وزاوية مولاي هيبه بأُولف، ولا يمكن أن نهمل زاوية مولاي سليمان بن علي بأولاد أوشن وزاوية سيدي علي بن حنيني بزاجلو والزاوية الكنتية الرقادية وغيرها، فليس هناك زاوية بإقليم توات إلا ونالت من الشهرة لصيت علمائها.

فتوات هذا الإقليم في حد ذاته عرف أزهى فتراته العلمية الثقافية خلالالقرنين التاسع والعاشر الهجري والموافقين للقرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي في الحراك الثقافي بها أنار منطقة المغرب الأوسط وتعدى بل شمل كامل الصحراء حتى التخوم الشمالية لبلاد السودان الغربي النيجر ومالي، حيث كان السبب المباشر في انتشار الدين الإسلامي في المناطق المجاورة كما كانت الطريق الذي من خلاله، عرفت المنطقة اكتساحا للطرق الصوفية كالطريقة القادرية والتيجانية والسنوسية وغيرها وهذا الارتباط القوي لتوات والحواضر المجاورة من خلال دول جنوب الصحراء عن طريق العمق الديني والصوفي على وجه الخصوص والتأثر بمشايخ وعلماء تلمسان مثلما هو شأن الشيخ المغيلي

خلال القرن العاشر الهجري والشيخ بلكبير في القرن الرابع عشر الهجري، رغم أن المنطقة ولدت الكثير من العلماء بفضل الزوايا العلمية.

نذكر منهم الشيخ مُحَّد أبو القاسم الحفناوي في كتاب تعريف الخلف برجال السلف مثل الشيخ يحي بن عثمان الكنتي، الشيخ عبد القاسم التواتي، مما جعل الإقليم زاهرا بالعلم والعلماء الأمر الذي أدى إلى توسع عظيم في نسخ العديد من الكتب والمؤلفات بحيث كان القائمون على الزوايا من شيوخ علماء يبذلون جهودا مضنية للحصول على الكتاب الجيد سواء من المدن الجزائرية كتلمسان أو بجاية أو من الحواضر الإفريقية كتمبكتو وأغاديس حيث يقومون بتكليف الناسخين من طلبة الزوايا أو محترفي النسخ للقيام بعملية نقل ونسخ المؤلفات العلمية، ومع مرور الزمن تمكنوا من امتلاك الكثير من المخطوطات بعضها متواجد في الخزائن الخاصة والآخر في الزوايا وخزائنها بحيث بلغ عدد المخطوطات خلال القرن السابع عشر الميلادي أكثر من سبعة وعشرين ألف مخطوط موزعا على تسعة وعشرين خزانة في كل مكان من توات وقورارة و تيدكلت وغيرها ولكن هذا العدد الآن تقلص إلى اثنا عشر ألف مخطوط حسب تقديرات 2003 م.

وإذا كانت المخطوطات نتاج النشاط الثقافي للحركة العلمية بإقليم الجنوب الغربي من اجتهادات العلماء وتآليفهم لحل معضلات المجتمع الصحراوي فإن تلك المراسلات العديدة والمتبادلة بين العلماء أضفت صبغة فقهية، دينية جسدت نماذج من المشاكل التي كانت سائدة في ظرف زمان ما في الإقليم وكيف استطاع الفقهاء مسايرة الأوضاع وإيجاد الحلول الفقهية المناسبة حسب الفتوى الدينية لحل المعضلة وتحقيق السلام وخير مثال عن ذلك نازلة يهود توات التي ساهمت في إثراء النشاط العلمي بالمنطقة، فقد صورت النازلة كيف ليهود توات أن سيطروا على الحياة الاقتصادية وأقاموا كنائس لهم مخالفين في ذلك التعاليم التي تفرض عليهم بحكم أنهم من أهل الذمة[1].

[1]- المغيلي مُحَّد بن عبد الكريم، مصبح الارواح في أصول اللاح، تحقيق رابح بونار، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968، ص – ص 48، 49، انظر:زبادية عبد القادر، التلمساني مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق، ص211.

فرأى الشيخ عبد الكريم المغيلي أنذلك خروجا منهم عن عقد الذمة[1]مما استوجب ملاحقتهم بهدم كنائسهم، حيثأن المعابد تعتبر أهم الرموز السيادية في المجتمعات الدينية، ولهذا نجد أن المغيلي وجد معارضة بعض علماء المنطقة منهم العصنوني الذي استنكر قرار المغيلي فكانت بينهما مراسلات للعلماء[2].

فقد راسل العصنوني بعض العلماء منهم يحي أبي البركات الغماري التلمساني[3] وأبو مهدي الماواسي مفتي فاس والرصاع مفتي تونس وكانت هذه المبادرة من قبل العصنوني الذي استفتى علماء تلمسان وفاس وتونس، في الوقت الذي اختلف مع المغيلي، فقرر التوجه إلى فاس لأجل المناظرة وإظهار أسباب تحامله على اليهود[4]، فراسلعبد الله الشريف الإمام السنوسي الذي أثنى على موقفه وأيد رأيه في وجوب خضوع اليهود للحدود الشرعية.

فخلفت هذه النازلة جوا علميا، حيث اعتمد على كتب الفقه والأصول والقواعد والمقاصد واللغة والمنطق فألقت بظلالها الثقيلة والفكرية على ربوع المنطقةوأثبت في الحركةالعلمية لأسباب كثيرة منها:

- أن الفتاوى التي صدرت في حق هذه المعضلة أصبحت مرجعا مهما يعود إليه المختلفون في حكم مثل هذه النازلة ويظل التعامل معه متداولا بين المتقدمين والمتأخرين من العلماء..
- إن هذه النازلة أصبحت منارة علمية يعود إليها العلماء والطلبة في التعلم والتعليم

[1]- مبارك فضيلة، صحوةالمغيلي وثورته ضد يهود تمنطيط، الملتقى الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصرالحديث، 1500-2000م، أدرار، 2010م، ص- ص 138، 139.

[2]- الونشريسيأحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتوى إفريقية والأندلس والمغرب، ج 2، المغرب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1981، ص - ص 214، 215.

[3]- هو يحي بن عبد الله بن أبي البركات أبو زكريا التلمساني، الفقيه القاضي، ينظر ترجمته:التمبكتيأحمد بابا، كافية المحتاج، ص510.

[4]- بلبالي إبراهيم، التأثير الثاني الفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي، نازلة يهود توات، الملتقى الوطني الأول حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009م، ص 226.

- يستمر جريانها على ألسنة الفقهاء والمفتيين في مجالسهم الخاصة وانتشارها بشكل واسع عند الخاصة والعامة هو ما يجعل بقائها يدوم ويربط العلاقة بين مركز حدودها وباقي الحواضر العلمية الأخرى.[1]
- بسبب هذه النازلة استقر المغيلي ببلاد السودان الغربي لمدة 20 سنة فنشر مذهبه الفكري والطريقة القادرية وساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية[2].

موطنه:

لقد كان لتمنطيط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجري الدور الريادي العلمي فقد اعتبر مركزا إشعاعيا هاما، هذا لا يعنيأن المراكز العلمية بمنطقة تيقورارة وتوات الوسطي وتيديكلت لم تكن فعالة في هذا المجال، غير أن تمنطيط اتسعت شهرتها لنزول عدد كبير من العلماء بها والذين تركوا بصمتهم في توات والمناطق المجاورة لها، فهي من مدن توات المقدسة فيها العلم والإمارة والرئاسة، كما كانت تعد العاصمة الخالدة للإقليم[3].

وقد تم ذكرها في كتب الرحالة والمؤرخين الذين زاروها وتأثروا بها، فقد قال عنها ابن خلدون:"... وطن توات به قصور عديدة تناهز المائتين آخذة من الشرق إلى الغرب وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط وهو بلد مستبحر العمران، وهو ركاب تجارة المترددين من الغرب إلى بلاد مالي من السودان..."[4] وقد وصفها العديد من المؤرخين وهذا كله لأن المدينة كانت موطنا للحراك الثقافي بتوات مثلما كانت زاوية بلعمش مركزا للإشعاع الثقافي بمنطقه تندوف في حين تنوعت المراكز الثقافية بالساورة بين القنادسة وكرزاز وبني يخلف ولكن الشهرة في السنوات الأخيرة كانت لزاوية كرزاز بسبب القهر الفرنسي لمختلف هذه الزوايا، وهناك أسباب أخرى سمحت لهذه المواطن بأن

---

[1]- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، نفس مرجع سابق، ج 1، ص 324.

[2]- كلاخي ياقوت، من أعلام التواصل الثقافي بين حاضرة تلمسان وإقليم توات، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الملتقى الوطني الأول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009م، ص 245.

[3]- البو عبدلي المهدي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الإمام المغيلي بها في قضية اليهود، مجلة الثقافة، العدد 94، جويلية، أوت 1986، ص- ص 83، 84.

[4]- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحاذة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، لبنان، 2001، ج 7، ص- ص 76، 77.

تزدهر ثقافيا ويعود ذلك لأن غالبية سكانها أناس طيبون وخاصة تمنطيط فقد كثر فيها الزهاد والصالحون وأرباب العقول مما جذب إليها القبائل العربية ونزولهابهذا الإقليم أفواجا أفواجا وتتابع معه دخول العلماء والشخصيات البارزة التي سبق وأوضحنا ذلك فازدهرت الحياة العلمية بالمدينة بتنوع العلوم فيها وأصبحت قطرا تشد إليه الرحلات العلمية من مختلف الجهات لكن كثرة النزاعات بها سبب في نقل عاصمة الإقليم إلى تيمي أكبر مقاطعة خلال القرن العاشر الهجري.

وهناك مواطن أخرى في الإقليم التواتي من بينها ملوكة كانت كتلك في إشعاع علمي وثقافي في بداية القرن الثاني عشر الهجري مع بروز عدد من العلماء وتوافد الطلبة عليها للدراسة منهم الشيخ بن مُحَّد بن عبد الرحمن البلبالي الذي تولى بها القضاء في توات[1] وأولف التي ضمت العديد من الزوايا والمدارس الدينية والخزائن كزاوية مولاي هيبة التي أسسها الشيخ أبو الأنوار التنيلاني ولقد أنجبت أُولف الكثير من العلماء أشهرهم مُحَّد بن آب المزمري والشيخ علي بن مُحَّد الصالح بن أحمد وكذلك حاضرة تيميمون التي ورد اسمها في كثير من المصادر تحت اسم تينجورارين حيث برزت كحاضرة علمية للمنطقة الشمالية التي ظهر بها كثير من العلماء منهم الشيخ عمر بن الصالح الأكروتي الجراري وغيره، أما خلال القرن الثاني عشر هجري فقد شهدت المنطقة العديد من المراكز الحضارية كأولاد سعيد وجنتور، إقسطن، أوقروت، تسابيت، أولاد راشد، المطارفة[2]، وهذا الفضل شهره العلماء واجتهادهم.

وفي الأخير يمكن أن نستنتج أن الحراك الثقافي في هذه الأقاليم يعود إلى شهرة علماء الزوايا والزوايا العلمية في حد ذاتها وما قامت به تجاه الطلبة والعلم.

- أخذنا أمثلة عن زاوية الشيخ بلكبير وزاويةالمغيلي لفترتين زمنيتين متباعدتين ولكن الأثر كبير وكلاهما ساهمت في نشر العلمي وإدخال تغيير كبير في حياة السكان وتصحيح العادات والتقاليد وفق ما يسمح به الدين الإسلامي.
- النوازل وما أضافته علميا وحاجة الفقهاء والباحثين والطلبة للرجوع إليها عبر أزمنة مختلفة لحل معضلات متشابهة.

[1]- مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هجري، ط1، الجزائر، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2009م، ص- ص 63، 64.

[2]- مبارك بن الصافي جعفري، مرجع سابق، ص- ص 52، 53 .

- المراسلات العديدة التي كانت بين العلماء وأصبحت مخطوطات علمية وفقهية.
- الخزائن والمكتبات التي أغنت الزوايا بفضل ما تحتويه من المخطوطات والكتب التي عانت من الحرق أثناء الاستعمار مثل مخطوطات الزاويةالكرزازية التي أوصى بها أصحابها من العلماء بنقلها إلى الحرم المكي وفقد معظمها في الطريق ولكنها تبقى جواهر العلم التي تتوارثها الأجيال عن السلف.
- شهرة الحواضر بشهرة زوايا السلام عليكم والعلماء الذين نبغوا بها كتمنطيط وملوكة وأُولف وتيميمون وتيمي وغيرها.

المبحث الرابع: الزوايا وروافد الفكر والمعرفة بالصحراء الكبرى والسودان الغربي.

لقد تعددت روافد المعرفة في التاريخ الإسلامي واختلفت مسالكها ومناهجها للفكر والمعرفة انطلقت كل هذه الروافد على تنوعها من التوحيد كحد وأساس مرجعي، حيث وجود الله تعالى وإرادته هي الأسس الأولى التي يقوم عليها بناء كل الكائنات وكل المعارف وأنظمتها وتمايزت مصادر المعرفة الإسلامية إلى مدارس منها مدرسة المنهج الفقهي والمنهج الأصولي الذي يدور في نطاق النصوص تأويلا وشرحا واستنتاجا وغير ذلك ولكن المعرفة الصوفية حظيت باهتمام كبير كمنهج لمعرفة الله تعالى وتعريف الناس به واعتمادا على تصفية وتنقية القلب ليصبح كالمرآة لتنعكس عليه حقائق الوجود ومعارفه.

السودان الغربي:

كان العرب يطلقون اسم السودان على منطقة غرب إفريقيا وهي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى تحدها شرقا بحيرة تشاد وغربا وجنوبا المحيط الأطلسي، كما تسمى أرض الشعوب السوداء وتشمل ممالك التبرنو وقاعدتها مدينة كاكا وبلاد كانم وقاعدتها مدينة جيمي وبلاد مالي و هي المعروفة ببلاد التكرور وتشمل خمسةأقسام هي مالي والصوصو وبلاد غانا وبلاد كاوكاو وبلاد التكرور[1].

السودان الغربي يختلف عن بلاد السودان ويعد جزء منها ويشمل مالي والسنغال وغينيا وغامبيا وموريتانيا والتشاد والنيجر ونيجيريا وبيساو وبنين وفولتا العليا..."[2]

أما الساحل الإفريقي فبلاد السودان عموما تدخل في نطاقه، وهو المنطقة الممتدة على طول الحدود الجنوبية للصحراء الكبرى بدءا من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا.

إن هذه المنطقة تقع جنوب الصحراء الكبرى وقد كانت لها علاقات ثقافية وحضارية بشمال إفريقيا، خصوصا إقليم الجنوب الغربي الجزائري.

---

[1]- محمد أمين المؤدب، جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا، مرجع سابق، ص 587.

[2]- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، من مطلع القرة السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 10.

حيث كان هناك تواصل كبير بين هاتين الحاضرتين أو الإقليمين أي بلاد الشمال الإفريقي وما كان يسمى ببلاد المغرب تاريخيا والذي تمثل الجزائر منه القلب النابض[1]ولم تقف الحواجز الطبيعيه كعائق أمام هذه العلاقات والروابط الفكريه والثقافية بين السودان الغربي والجنوب الغربي الجزائري بل بالعكس هذا التقارب الجغرافي ساعد على مد جسور التواصل في عدة مجالات اقتصادية تجارية وثقافية (الزوايا العلمية وطرق الصوفية) وأيضا انتشار الدين الإسلامي ببلاد المغرب ووصوله القارة الإفريقية كان من أكبر العوامل التي ساهمت في تدعيم التواصل وما يرتبط به من عطاء حضري وثقافي لا تزال ثماره إلى اليوم حيث عرف الإسلام طريقه إلى جنوب الصحراء وبلاد السودان عبر روافد فكرية تحمل في طياتها الدعوة إلى الإسلام وتوحيد الله والسير على نهج رسول الله ﷺ إحدى هذه الروافد.

وكان العلماء هم جسور التواصل بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي. ونجد الثقافة العربيةالإسلامية أيضا عامل مهم ساهم في تكوين هذه العلاقة حيث وصلت الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي بل إلى قلب إفريقيا وتأثرت بعض اللغات الإفريقية كالهوسة والسواحلية وتفاعلت مع بعض اللغات في غرب إفريقيا مثل الفلانية والولوفية[2]، فإن الجنوب الغربي خاصة منطقة توات تعد محطة استراتيجية ومركزا لاستراحة المسافرين من أهل الصحراء الإفريقية بالقوافل التجارية أو الحجية، فتوات مركز يتوسط مختلف الطرق منها تتفرع الطرق التالية[3]:

- نحو السودان(مالي وموريتانيا) ونحو سجلماسة(المغرب الأقصى) ونحو غدامس(ليبيا ومصر) ونحو قبائل الطوارق والبربر(جنوب توات) ونحو الشمال الجزائري(تلمسان ووهران والجزائر..) فكأن توات نقطةالمراكز للإتجاه نحو هذه الحواضر من جميع الجهات بواسطة القوافل التجارية

[1]- درج الجغرافيون على التقسيم التالي: ليبا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى(بلاد المغرب).

[2]- صومباباكو، التواصل الثقافي بين جانبي الصحراء في العصر الحديث، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانب الصحراء، منشورات كلية الدعوة الإسلامي طرابلس الغرب، 1998، ص152.

[3]- عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الاوروبي في إفريقيا جنوب الصحرا ء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 29.

أ. القوافل التجارية:

لقد اشتهرت الطرق التجارية الصحراوية لدرجة السلطات الاستعمارية دفعت أموالا باهضة للحصول على معلومات ورسم طريق العبور من خلال الرحلات الاستكشافية، هذا لأنها كانت السبب الرئيسي في التواصل بين حواضر الجنوب الصحراوي والشمال الإفريقي فأهم هذه الطرق الرابطة بين مختلف حواضرالصحراء المترامية التي تجوبها القوافل التجارية هي:

- .طريق سجلماسة وولاتة وتمبكتو وجني وغاو
- .طريق تلمسان وغرداية وتوات وتمبكتو
- .طريق تغازا وتمبكتو
- .طريق الجريد وواد سوف ورقلة تمبكتو وغاو –
- .طريق مصر وزويلة وتادمكة وتمبكتو وغاو.

فإظهار هذه الطرق التجارية نظرا لأهميتها وقيمتها كأحد الوسائل للتواصل الفكري والمعرفي بين الحواضر الصحراوية فما يهمنا في حركة القوافل التجارية هو إسهامها في نقل المخطوطات بين الجهتين وسفر العلماء من خلالها حيث ذكر الحسن الوزان بأن القوافل كانت تحمل بالمخطوطات لغلاء ثمنها وضمان ربحها، وثمن المخطوطة في بلاد السودان يصل إلى الضعف ونصف الضعف[1]، مميزة القوافل بوجود التجار الفقهاء فيها جاريا على عادة التجار المسلمين الأوائل الذين ساهموا في نشر الإسلام، فكان تجار إفريقيا يكررون هذا العمل والذي يجمع لهم غرض الدنيا وجزآء الآخرة.[2]

فهناك الكثير من العلماء الفقهاء من توات اشتهروا بالتجارة مثل الفقيه العالم سيدي علي بن حنيني(1515 هـ/ 1703 م)الذي امتلك قافلة من 900 جمل تنتقل بين توات وبلاد السودان وقد جعل أرباح تجارته لفائدة زاويته بزاقلوا وهو من كان يسعى لجمع المخطوطات وتبادل الآراءالعلمية الدينية ونقلها إلى منطقة بتوات. وهذا يبين التبادل الفكري والثقافي بين الزوايا الزجلاوية وبلاد السودان الغربي، وهنا يؤكد عبد الرحمن السعدي استقرار أبناء صحراء الجنوب الغربي في

[1]– الحسن الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، مج 2، ترجمة مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الاخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 167.

[2]– طاهر بخدة علاقة حواضر المغرب الاوسط، الجزائر، بممالك السودان الغربي، الثقافة الإسلامية، ع 12، 2014م، ص 33.

السودان الغربي لدرجة وجود 50 قبرا تواتيا من العلماء والزهاد بمقبرة تمبكتو[1] وقد أشار إلى هذا الترابطبن حوقل والكرخي وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان وعبد الرحمن السعدي وأبو سالم العياشي والحاج ابن الدين الأغواطي، الرحالة الألماني جيرهاردرولف، والمؤرخان الفرنسيان مارثان وبرناردسافروا وغيرهم كثير[2].

– ويمكن الإشاره هنا إلى أن هناك قبائل تواتية هاجرت من توات إلى بلاد السودان وكذلك العكس وهما عائلة ذات علم وفقه وكبيرة الشأن في منطقتها، مثل عامل ارتباط وتفاعل قوي ويمكن أن نعتبرها أحد الروافد لنقل المعرفة المتبادلة وهما قبيلة كنتة والفولان بالنسبة لقبيلةكنتة عرف مستقرها الأصلي في ثلاث ابتداء من عهد سيدي مُحَّد الكنتي ق(9 هـ/ 15م) الذي كان دائم التنقل بين توات وموريتانيا وخاصة بعد تزعم الطريقة القادرية، فقد ساهمت في نشرها بإفريقيا فأضحى نفود كنت وانتشار أفرادها من توات شمالا إلى كشنا جنوبا ومن المحيط الأطلسي غربا إلى بحيرة تشاد شرقا.[3]

أما القبيلة الفلانية أو افلان فتعتبر من أكبر مجموعات إفريقيا الغربية وهم ينتشرون في أكثر من 20 بلدا إفريقيا وقد استقر علماء أعيان منهم في الصحراء الجزائرية بتوات نذكر منهم الشيخ عبد الله بن أحمد الفولاني (1994 هـ/ 1780 م) الذي درس على يد الشيخ عبد الرحمن الزجلاوي بزاقلو وعلى يد الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينلاني بزاوية تينيلان ومنها إلى تيديكلت التي توفي بها وكذلك استقر فرع مُحَّد بن مالك وأولاد بلعالم في منطقه تيديكلت بقصور ساهل وأولف وعين صالح وفي قصر تيمادنين بتوات الوسطى. هذا وكان هناك طبقة من العلماء الفولانيين التواتيين(أصول الفولانية وتربة تواتية) منهم الشيخ حمزة بن الحاج أحمد الفولاني الساهلي(ق 13 هـ) والشيخ مُحَّد الحسن بن مُحَّد الحاج بن مالك الفولاني القبلاوي[4]. وهناك الكثير من القبائل السودانية التي استقرت بالجنوب الغربي والعكس لا يمكن ذكرها كلها ولكنها الحركة العلمية والثقافيةوالروحية.

[1]– عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق،ص 50.

[2]– أحمد جعفري، من تاريخ توات أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص– ص 192، 193.

[3]– عبد القادر زبادية، التأثير، مرجع سابق، ص ص 92، 93، وانظر:– أحمد جعفري، مرجع سابق، ص– ص 114، 122.

[4]– مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 296.

ب. الرحلات العلمية:

لقد ساهم الفقهاء والعلماء وحتى الطلبة ومقدموا الطرق الصوفية في الترابط الفكري والثقافي بين زوايا الجنوب الغربي الجزائري وبلاد السودان مستفيدين في ذلك من الترابط والتصاهر العائلي والنشاط التجاري للقوافل ومواسم الحج وكذلك الإجازات العلمية و الصوفية، [1] من هذه الرحلات نذكر:

-رحلات عمر بن مُحَمَّد الكتبي الذي مثل كوسيط بين علماء توات والسودان خاصة أنه كان دائم التردد على أهله في بلاد التكرور ويذكر عبد الرحمن أن الكتبي هو من عرفه وقدمه للشيخ أحمد السوقي[2] وكذلك أبي زيد عبد الرحمن بن عمر التنيلاني(1989 هـ/ 1975 م) إلى بلاد التكرور رفقة الشيخ عمر بن مُحَمَّد الكتبي حيث زار خلالها " تاودني" عشيرة رفيقه الكنتي وقرية أروان التي التقى فيها بالشيخ أبا العباس أحمد بن صالح السوقي التكروري فدرس عليه الخزرجية في علم العروض وفي رحلته الثانيه درس عليه ألفية العراقي في علم الحديث وانتقل إلى تمبكتو التي مكث بها ما يزيد عن عشرين يوما وعاد بعد إجازته[3]. وكذلك رحلة أبي الأنوار بن عبد الكريم التينلاني(1168هـ/ 1755 م)، كان عالما وتاجرا في بلاد الأزواد وإليه يرجع تأسيس قرية المبروك شمال مالي حوالي 1713م وبالأزواد يتواجد شيوخ كنتة مثل الحاج أحمد بن أبي بكر والشيخ المحجوبي، وكذلك رحلة مولاي هيبة بن مولاي مُحَمَّد (ت1238 هـ/ 1822م) الذي زار بلاد التكرور ومنطقة والن وأسس بها مسجدا وقصبة، كما زار أقدز تيكدة واشترى مخطوطات عديدة لصالح مكتبة زاويته في تيديكلت[4]. هذا وكان للشيخ مُحَمَّد بن أبي المزمري (1160هـ/ 1747م) رحلات علمية زار خلالها تمبكتو وأروان ودرس بها علم العروض والقوافي وقد درس على يده أحمد بن صالح السوقي والشيخ مُحَمَّد بلعالم الزجلاوي (1212هـ/ 1798م) استقر ببلاد التكرور مدرسا ومفتيا.

[1]- عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص ص 57، 58، أيضاً: - ص ص 63، 69.

[2]- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 298.

[3]- مرجع نفسه، ص296.

[4]- نفسه، ص 299.

فنلاحظ هنا أن علماء توات معظمهم كانت له يد المساهمة في التواصل الفكري والمعرفي بين حواضر الجنوب وبلاد السودان سواء بالتدريس أو الدراسة والعمل وتأسيس المساجد والزوايا لأن ذلك أساسه نشر الدين الإسلامي بتحفيظ القرآن الكريم والسيرة النبوية في دراسة العلوم الشرعية واللغوية لتثبيت اللغة العربية.

ت. دور الزوايا والطرق الصوفية كروافد ومعرفة:

إن الطرق الصوفيه ذات نشاط واسع وفعال في ربط التواصل وتقويته بين مختلف مناطق الصحراء الجزائريه وبلاد السودان الغربي من خلال اعتناق المريدين لمبادئ التاريخ نفسها سواء القادرية أو التيجانية مع زيارة شيوخها ومقدميها وزواياها ونشر أورادها ومؤلفاتها وتراثها الشفوي فإلى أقاليم الجنوب الغربي الجزائري خاصه التوات يعود الفضل في نشر مبادئ عدد من الطرق الصوفية في إفريقيا. الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي يعود إليه الفضل في نشر الطريقة القادرية في مختلف مناطق بلاد السودان الغربي[1].

وهنا يبرز نشاط الزوايا من خلال سفاره مولاي زيدان بن مولاي أحمد بن سيدي حم (1202هـ/ 1788م) مولاي عبد المالك الرقاني في بلاد التكرور التي زارها أربع مرات وعمل على نشر الطريقة القادرية إذ استقر بولاته مما جعل الناس تزدحم عليه بطلب البركة والصلاح ويروي لنا البرتلي بأن الشيخ علي بن أحمد بن علي بن أحمدالرقادي(1194هـ/ 1780م) كان كثير التنقل بين زاوية أجداده وبلاد التكرور.

هذا وقد قدم من شنقيط الشيخ سيدي مُحَّد الإدواعلي (قبل سنة1198هـ/ 1748م) واستقر بتمنطيط مدرسا ثم بقصر اعباني بفنوغيل زاوية ومدرسة تعاقب في الإشراف عليها خلفه[2]، هذا وقد أخذ الفقيه الطالب الأمين ابن الطالب الخرشي (1166هـ/ 1753م) حكم ابن عطاالله على الشيخ أحمد بن عمر التواتي، أما أبو عبد الله مُحَّد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (1202هـ/ 1788م) صاحب كتاب"فتح الشكور" أخذ ورد الشيخ عبد المالك الركاني عن طريق تلميذه مولاي

[1]- مبرك مقدم، الشيخ بن عبد الكريم المغيلي التلمساني إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9 هـ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004 .

[2]- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 303.

زيدان، كما أخذ الشيخ الطالب مُحَمَّد بن الطالب عمر الخطاط بن مُحَمَّد البرتلي الولاتي(ت 1165هـ) مبادئ التصوف والورد الغازي الناصري على يد الشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن عبد الله التيسابيتي(تسابيت، توات)[1]أما الشيخ حم الله مؤسس الطريقة الحمالية فقد أخذ مبادئ طريقته على الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله المدعو الشريف مولاي الأخضر مدرس التجانية في السودان الغربي.[2]

إذن الطرق الصوفية كالتجانية و القادرية والحمالية كالزوايا الطرقية طغى نشاطها ببلاد السودان الغربي مما أثر بشكل واضح على ساكنة هذه المناطق لدرجة يزورون المقدم ويدعون الله على يده بالبركة والصلاح وأغلبهم انخرط في هذه الزوايا وأصبحوا من مريديها، وبذلك شجعت طلاب بلاد السودان الغربي للقدوم طلبا للعلم.

ث. ركب الحج كروافد فكرية ومعرفية:

رغم أن الحج مناسبة دينية مقدسة وهامة للمسلمين في كامل البلدان الإسلامية فقد أثرت هذه المناسبة على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى الفكرية والأدبية والمذهبية والروحية. فقد شكل الحج مناسبة للقاء والتعارف بين قوافل الحجيج، فكان الحجاج الأفارقة منذ دخول الإسلام إليهم يعتبرون توات محطة استراحة وتزود، فاحتفظت الأخبار بمرور كنكن موسى عام 1325م واستقراره بها لأيام[3]، الباشا علي بن عبد القادر(1042هـ/ 1632م) في رحلة حجه رفقة الفقيهين أحمد بن عبد العزيز القوراري والشيخ مُحَمَّد بن الشيخ أحمد بابا التنبكتي[4].

فكانت والتلاحق العلمي الحجيج من كل السودان الغربي أو المغرب الأقصى نحو الحجاز فكان على سبيل المثال من الحجاج السودانيين والعلماء والفقهاء الذين زاروا توات بمناسبة عبور نحو الحج هم الشيخ الحاج أبوبكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة العلاوي(ت1146هـ/ 1733م) الشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الدرعي، حيث كانت رحلته حوالي عام 1709م. الشيخ أبو بكر بن الطالب مُحَمَّد

[1]- البرتلي(ابو عبد الله الطالب مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق)، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق مُحَمَّد إبراهيم الكتاني ومُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 127.

[2]- مبارك جعفري، مرجع سابق، ص 308.

[3]- مُحَمَّد كعت، تاريخالفتاش في أخبار البلدان والجيوشوأكابرالناس،نشر هداسودولافوس، باريس،1964م، ص-ص34، 36.

[4]- السعدي، مصدر سابق، ص- ص 228، 233.

بن الطالب عمر البرتلي(ت 1199هـ/1785م) حمل معه خزانة نفيسة من الكتب في طريق عودته من الحج والشيخ البشير بن أبي بكر بن الطالب البرتلي(1214هـ/ 1799م) الذي حج سنة 1789م.

فالحج هنا كان أحد الأبواب للعلماء والفقهاء للتزود بالعلم وتدريس علوم مهمة للطلبة حيث ما وقف بهم الزمن فكأن هذه القوافل سواء الحجازية أو التجارية جسر ومسار لهؤلاء كالشريان الدموي الذي ينقل العلوم من وإليها.

ج. المخطوطات من الروافد الفكريه لبلاد السودان:

إن المخطوطة تعكس فيها تراث العلماء وثقافتهم وهي لسان يعبر عن أحوال البشر والمخلوقات على سطح الأرض، لهذا كانت عناية العلماء جد كبيرة بالمخطوطات لاحتفاظها بعلوم الأولين، فلاحظنا أن الكثير منهم اعتنى بالمخطوط، سواء باقتنائه أو نسخه والاحتفاظ به فكان الشيخ عبد الكريم من أكثر المشايخ مساهمة في تطوير الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ولقد حمل معه مخطوطات عديدة نحو بلاد السودان وخاصة إلى نيجيريا لأنه اشتغل بالتدريس إبان قدومه إلى أراضي نيجيريا ليس بها تلامذته من الكبار والصغار وعلى وجه التحديد في "كنو" و"كتسينا"

فلقد كان هؤلاء التلاميذ يستنسخون منه هذه المخطوطات جيلا بعد جيل حتى أصبحت مشهورة منها مخطوط"العوامل في النحو" المنسوبة إلى الإمام عبد القادر الجرجاني وهي من المخطوطات العربية الجزائرية التي استفاد بها الأغلبية الساحقة من العلماء المتقدمين في الديار النيجيريه، مخطوط نسخ القرآن الكريم للإمام المغيلي وهما نسختان للقرآن الكريم كتب كليهما بخطه، الواحدة لنفسه والأخرى للملك مُحَمَّد رمفا ملك كانو ومخطوطه"شرح المنهل الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" ومخطوط"تفسير سورة الفاتحة" ألف المغيلي كتاب في كانو قبل عودته إلى الجزائر، وفي الكتابة يجمع بين التفسير اللغوي والشرعي ومخطوطه"كتاب عمل اليوم والليلة" استفاد طلاب المغيلي من هذا الكتاب، قيل أنه بدأ بتأليفه في كتسنا وأكمله في كنو، وكتاب"ما يجوز على الحكام في ردع

الناس عن الحرام" ويسمى هذا الكتاب بوصية المغيلي إلى مُحَمَّد رمفا بن يعقوب، نقله الشيخ عثمان بن فودي في تنبيهه والشيخ عبد الله بن فوذيفي"ضياء السياسات".[1]

فهذه المخطوطات كان الإمام المغيلي ألفها واستنسخها لأجل تلامذته من سكان بلاد السودان وهناك مخطوطات جلبها معه بلاد السودان أي إلى نيجيريا وكان كثيرها من بنات أفكار العلماء المغاربة الذين تتلمذ عليهم المغيلي أو سمع عنهم ومن أشهرها مخطوط"قصيدة أيام راكب الوجناء" وتنسب هذه القصيدة إلى عبد الله بن إسماعيل القسطيني وقيل إن الإمام المغيلي جاء بها إلى إفريقيا الغربية وهي تزيد عن ثلاثين بيتا.

كتاب العوامل في النحو العربي وهذا جاء به المغيلي واستنسخه عنه الطلاب ومهما يكن من الأمر في المخطوطات التي أنتجها الإمام المغيلي والتي جاء بها مازال أكثرها مبعثرة في شتى الأماكن والمكتبات. ومن الأماكن التي يتواجد بها مخطوطات المغيلي، هناك كات سينا عامرة بالعلم والعلماء وهي من أماكن مخطوطات الإمام المغيلي لأنه أقام بها وأسس فيها مدرسة للتعليم الإسلامي والعربي وفيها قبور تلامذته وأتباعه ومريديه كما كانت مدينه "كانو" من منارات العلم والثقافة في السودان الغربي وقد طالت إقامة الإمام المغيلي بها وله أولاد بها لذا بها مخطوطات المغيلي كما تتواجد بمدينة "صكتو"، "برنو"، "الورن".

وإذا كان الشيخ المغيلي من العلماء الوافدين على بلاد السودان وتلك إنما أخذها معه إلى بلاد السودان للتدريس بها ولاقت إقبالا عظيما فهناك أيضا من العلماء الأفارقة الذين كانت لهم مخطوطات واسعة في الإقبال عليها وهو الشيخ عثمان دان فوديو أحد زعماء المسلمين الذي أثر في شعبه وقادهم بشكل سليم وأنشا دولة إسلامية كبرى شملت بلاده وغيرها من أقاليم نيجيريا الحالية، فكتب مؤلفات لتكون مصدرا للتشريع، تشرح الدعوة الإسلامية وتعالج كافة القضايا الفقهية ويرد من خلالها على افتراءات الناس حول دعوته الإصلاحية ومن أهمها مخطوط"إرشاد الأمة تيسير الملة" و"هدية الطلاب" " توفيق المسلمين على حكم مذاهب المجتهدين"[2]و" الأمر بالمعروف والنهي عن

[1]- عبد الغني ابمبولا عبد السلام،إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا، مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجا،مجلة رفوف، ع6، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعةأدرار، مارس 2015م،ص17.

[2]- يحي بوعزيز، إفريقيا الغربية، مرجع سابق، ص 219.

المنكر"وكذلك" التفرقة بين الوعظ المحمود والوعظ المذموم"[1] ويذكر أنه ألف أكثر من 100 مخطوط ومعظمها عن الأمور الدينية والنظم الاجتماعية والسياسية ولا هو مخطوط عن بلاد الهوسة وأسباب الصراع بين زعمائها وكان يسير على المذهب المالكي واعتنى به طوال حياته كما فعل غيره من العلماء والمصلحين بالسودان.

لقد قمت بدراسة المخطوطات كأحد روافد الفكر والمعرفة لبلاد السودان الغربي سواء انتقالها كان مع العلماء مثل الشيخ المغيلي أو من تآليفه سواء كان وجودها من البلاد نفسها أومن علماء المنطقة الذين ألفوا في عدة مجالات كالشيخ عثمان دان فوديو، كعالم ومصلح وزعيم وله كثير القراء أحد نوافذ العلم إلى العقول سواء تحت إشراف المعلم والمدرس أو تباعا. فلا يمكن إنكار دورها في التواصل الحضاري والثقافي بين المنطقتين فكان الازدهار الثقافي الواسع ببلاد السودان الغربي الفضل فيه يعود إلى الفقهاء التجار الذين سافروا وتاجروا ونشروا الدين الإسلامي واللغة العربية وهؤلاء الذين بنوا زوايا ومدارس وزوايا طرقية صوفية بمثابة جسر عريض لنقل المعرفة وإصلاح الأوضاع الاجتماعية وإنقاذ الأرواح من فساد الحياة وخرابها.

وفي الأخير نستنتج أن أكثر سبل روافد العلوم وتناقلها بين حواضر صحراء إفريقيا الكبرى كان ذلك النشاط الاقتصادي التجاري الذي رسم الطريق بين أقاليم الجنوب الغربي الجزائري وحتى الشمال الإفريقي وبين بلاد السودان والغرب الإفريقي فوفد إليها العلماء والفقهاء وعرفوا الزوايا العلمية وطرق الصوفية ومخطوطات العلوم والحركات الأصلاحية الدينية وركب الحج التي سمحت بتلاقح العلوم والمعارف والرحلات العلمية التي ساعدت على التأثير والتأثر التي يرجع الفضل للعلماء والفقهاء في إرساء ثوابت الدين الإسلامي والسيرة النبوية الشريفة والحث على حفظ القرآن الكريم.

[1]- بكراوي رقية، حركة الشيخ عثمان فوديو الاصلاحية بغرب إفريقيا، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، ع1، جوان2016م، ص 90.

المبحث الخامس: مظاهر النشاط العلمي والفكري للزوايا العلمية:

1. إقليم توات:

يعتبر القرن الثاني عشر الهجري والثالث عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر ميلادي والتاسع عشر ميلادي، أخصب عهود منطقة توات لما ظهر بها من علوم ومؤلفات علمية، تجسدت الظاهرة بوضوح بإقليم تينجورارين في القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر ميلادي على يد ثلة من العلماء وقد ورث إقليم توات تلك النهضة الفكرية التي فاضت بعدد من العلماء في مختلف الفنون خاصة العلوم الشرعية والتي تشهد على ذلك خزائن المخطوطات المتنوعة المراكز ثم انتقلت الظاهرة العلمية إلى إقليم تيديكلت، فظهرت عائلات علمية كعائلة كنت ولعل ذلك يعود إلى انتشار العديد من الزوايا العلمية في سائر المناطق الصحراوية والتي تجمع شيوخها بين العمل والعلم فساهموا في تبسيط المعارف العلمية، فتنافست الزوايا في جذب الطلبة مما كان له أكبر الأثر في نشر العلم والمعرفة هذا إلى جانب مساهمة السكان الميسورين بدعم الطلبة والمدرسين بالأوقاف والهبات والنفقات، وكذلك التنوع الفكري الذي غلبت عليه العلوم الشرعية خاصة الفقه والتفسير والنحو والتصوف والأصول والتنجيم.

ب)النوازل:

بحكم تنوع قضايا أحوال حياة المجتمع التواتي في مجال العبادات والمعاملات والقضاء والأحوال الشخصية التي أزال إشكالاتها المفتين باجتهاداتهم فتطورت المسائل وأخذت شهرة واسعة فيما له علاقة بالفقه لإيجاد حلول للوقائع أو الإشكاليات أو ما يطلق عليه بالنوازل التي تعد أحد مظاهر النشاط العلمي والفكري لعلماء الزوايا العلمية وهي في اللغة جمع نازلة أي الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس والنزول أي الحلول[1]، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ**﴾[2]

وقع حل ولها مرادفات ومعاني أخرى، أما في عرف الفقهاء فالنازلة هي الواقعة أو الحادثة، تحل بالمرء في دينه أو دنياه فيسأل عنها أهل الذكر، فيقال: نزلت بفلان نازلة فرفعها أو رفعت إلى فلان

[1]- مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مصطفى حجازي راجعه، د. أحمد مختار عمر، ود. ضاحي عبد الباقي، ود. خالد عبد الكريم جمعة، مطبعة حكومة الكويت، 1998م، ص- ص 478، 482.

[2]- سورة الصافات، الآية 177.

فأجاب عنها ومن ثم في النوازل اصطلاحا هي الوقائع والمسائل التي ترفع لأهل العلم طلبا لأجوبتهم فيها أو العلم بالأحكام الشرعية للقضايا المستجدة المعاصرة وقد تعددت أسمائها، فسميت النوازل والفتاوى وهي الأسماء الأكثر شيوعا في الغالب كما دعيت بالمسائل والأسئلة والأجوبة في اصطلاح الحنفية الواقعات.

المشارقة إطلاق "الفتاوى" وعند المغاربة يغلب إطلاق "النوازل" عنده وهو الأكثر استعمالا، لأنه أضبط في التعبير مما سواه، فالنوازل تقتصر على الوقائع في حين الفتاوى والأجوبة تشمل أسئلة الناس من الواقع والمتوقع وحتى المفترض[1]. ولعل نازلة يهود سواد مع الشيخ المغيلي (ت 909هـ) أول باكورة لهذا العمل المتواصل على مدى قرون علمية ذهبية من العطاء كونه على الأقل مكتبة فقهية مالكية محلية، وهناك أيضا نوازل الزجلاوي ونوازل الشيخ عبد الكريم البلبالي، لهذا نجد عناية الدارسين باستثمار كتب النوازل والأحكام لأنها وثائق مهمة في دراسة التاريخ الاجتماعي والثقافي لأنها تتطرق إلى جملة من القضايا المعالجة في المصادر والمراجع النوازلية كمسائل القرآن وعلومه وقضايا العقيدة وتوجيه الممارسة الصوفية دون إغفال الجوانب الاقتصادية والسياسية.

فيمكننا القول أن فقه النوازل فقه متحرك في الزمان والمكان، تغيرت الملابسات والظروف، متفاعل مع كل ما يحدث ويستجد، فالعلوم الدينية تستثمر في خدمة المجتمع مما يجعل الحاجة إلى الاجتهاد مستمرة والاختلاف دائما رحمة، ولكن داخل نسق عام منظم وليس الأمر فوضى لا ضابط له، فالاجتهادات الفقهية عديدة في مسألة واحدة وهذا ما لاحظناه في نازلة اليهود التي اختلف عليها العديد من العلماء واتفق فيها أيضا البعض مع الشيخ المغيلي، ذلك لأن فقه النوازل من أدق مسالك الفقه وأصعبها، فهي وضع الأحكام الشرعية لوقائع طارئة بكل ما يتطلب ذلك من ضوابط شرعية، تفنن في تحديدها العلماء حتى لا يتجرأ على الفتوى من ليس مؤهلا لذلك، حيث قال الإمام مالك:"ما شيء أشد علي من أن أُسأل عن مسألة من الحلال والحرام، لأن هذا هو القطع في حكم

[1]- مُحَمَّد جرادي، النوازل التواتية منهجها وخصائصها، أعمال الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير، تحت عنوان:الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، ص 221.

الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه في بلدنا وأن أحدهم إذا سئل عن مسألة كان الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه لقلل من هذا..."[1]

لهذا نجد أن الاختلاف في ما يراه العلماء في مسألة ما مادام لم يخرج عن إطار الشرع فهو رحمة بالعباد لأنه اجتهادات ومعظم النوازل التواتية تصب ضمن المذهب المالكي، وهنا لن أتطرق لهذه النوازل بالتفصيل بل أحاول أن يرى أنها أحد نتاج النشاط العلمي للزوايا العلمية الواسعة الانتشار في إقليم توات، فهناك نوازل وقعت بتوات وتعرض علماء المنطقة لحلها كمسألة خماميس بلاد توات التي راسل الشيخ عمر الكنتي فيها الشيخ مُحَمَّد بن ابالمزمري مستفهما عنها[2]، ونوازل وقعت بتوات وتصدى علماء مناطق أخرى لحلها، كالأسئلة التي راسل بها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن التنيلاني إلى الشيخ مُحَمَّد التاودي الفاسي[3]. ونوازل وقعت في توات وشغلت علماء خارج المنطقة كمسألة مجلوب السودان[4]. ونوازل وقعت خارج منطقة توات وتصدى لها علماء المنطقة بالإفتاء، فلهذا صنفت هذه الفتاوى من النوازل إلى كتب النوازل الخاصة والتي تعالج مسألة واحدة أو مسائل تندرج تحت باب واحد فمن ذلك"تحلية القرطاس في تضمين الخماس" وهي عبارة عن مسألة وجهها الشيخ عمر بن مُحَمَّد المصطفى الرقادي للشيخ مُحَمَّد بن آب المزمري يستفتيه بما عمت بها البلوى في توات مفادها أن الخارصيخرصالحائط بقدر معلوم من الثمر وبعد الحصاد يجد أقل مما قدره، فيطلب صاحب البستان من الخماس عزمه ما نقص منهما إياه بالسرقة أو التفريط، فينكر الخماس ذلك كله ويدعي تلفه من غير تفريط فالقول قول من ؟.

---

[1]- فقه النوازل في المغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، ولاية عين الدفلى، دار الثقافة، 13-14جمادى الاولى 1431هـ /28-29افريل 2010م.

[2]- مُحَمَّد بن أب، تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، توجد نسخة منه بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة، ونسخة بخزانة الحاج الشيخ بانزجمير .

[3]- المراسلات موجودة في كتاب غاية الاماني من اجوبة أبي زيد التنيلاني الذي جمعه ورتبه الشيخ عبد الكريم بن مُحَمَّد بن عبدالمالك البلبالي .

[4]- وهي عبارة عن رسالة وجهها الشيخ سعيد قدورة الجزائري فترة اقامته بتوات إلى الشيخ بابا التمبكتي توجد نسخة من السؤال والجواب بخزانة اولاد سعيد بتيميمون، كما توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع رقم (د/1079).

وطبعا كان لهم الفتوى والحلول لذلك، ومراسلةأخرى تمثلت في:

- **رسالة الاسترعاء**[1]التي سئل عنها الشيخ عبد العالي الجنتوري وهي عبارة عن رسالة يبين فيها الشيخ رحمه الله حقيقة الاسترعاء ومواضعه وما يبطله والخلاف الواقع فيه بين علماء توات وغيرهم من أهل المذهب، ورسالةأخرى بعنوان ما يجب على المسلمين اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعم عليه أكثر يهود الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة وخدمة السلطان. وهذه الرسالة عبارة عن جواب لسؤال وجهه الفجيجي للشيخ المغيلي[2] وهناك كتب النوازل العامة: وهي الكتب التي جمعت نوازل من ابواب متفرقة تطرق لها علماء التوات في الغالب للإفتاء شرعا فيها، في صورة تعكس تحرر علماء المنطقة عن بقية الأقاليم المجاورة في الفتوى لما ينزل بهم من وقائع ونوازل تبرز دورهم في تأسيس حاضرة مالكية تميزت عن بقية الحواضر الأخرى بما ارتكزت عليه من أسس ونذكر من ذلك:

- **نوازل الجنتوي**: واسمها النسرين الفاتح النسيم في بعض فتاوى أبي زيد عبد الرحمن بن إبراهيم وهي عبارة عن أجوبة سئل عنها الشيخ وقضايا استشير فيها ومراجعات العلماء له، جمعها تلميذه الشيخ مُحَّد بن أحمد السعدي الجراري ورتبها وأضاف إليها بعض الأجوبة لغيره من العلماء[3] وفيه أجوبة عمر بن عبد القادر أبي حفصة التنيلاني.[4]

وغنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل وهو الكتاب الذي جمعه مُحَّد بن عبد الرحمن البلبالي وأكمله ابنه مُحَّد عبد العزيز وأخرجها من المسودة ورتبها تلميذهما أحمد الحبيب البلبالي.

[1]- توجد نسخة بخزانة القصيبة بانجزمير ولاية أدرار.

[2]- توجد نسخة من المخطوط بزاوية الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، أدرار.

[3]- الجنتوري، نوازل الجنتوري، جمع وترتيب أحمد بن عبد العزيز المسعدي الجراري، مخطوط بخزانة بن عبد الكبير المطارفة، أدرار، ص 01.

[4]- توجد نسخة من المخطوط بخزانة المطارفة، ونسخة بأُولف بخزانة الشيخ مُحَّد باي بلعالم .

- **نوازل الزجلاوي:** وهي عبارة عن مسائل سئل عنها الزجلاوي، جمعها الشيخ مُحَمَّد بن العالم الزجلاوي وفي هذا يقول:"أجوبة والدنا العالم رحمه الله ومعاصره شيخنا الأستاذ أبي زيد العلامة الفقيه الصالح سيدي عمر بن عبد القادر، والتلميذ الفقيه المتفنن الصالح شيخنا أبي زيد بن بعمر.

فهناك نوازل دوَّنها أصحابها مثل رفع الحجاب وكشف النقاب عن تلبيس الملبس في ثبوت التحبيس بخط المحبس تأليف الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن التنيلاني وهناك نوازل لم يدونها أصحابها نظرا لظروف معينة قد يحول بين جمع المادةالعلمية في مصنف يسهل الرجوع إليه والاستفادة منه، وهناك عوائق تختلف باختلاف الأشخاص فمنهم من يحول بينه وبين إكمال عمله الموت وقد يكون للوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي نصيب من ذلك مثل نوازل الزجلاوي والجواهر اللئالي من فتاوي الشيخ عبد الكريم البلبالي.

فالنوازل أكثر ظاهرة علمية انتشرت بين شيوخ الزوايا للنظر والإفتاء في مسائل ووقائع اجتماعية شاعت في حياة المجتمع التواتي فكون بذلك مكتبة عريضة تحتوي مخطوطات للمراسلات بين القضاة والعلماء الفقهاء.

2. إقليم تندوف :

وإن كان في إقليم توات العلماء والفقهاء أخذوا على عاتقهم الفتوى لحل المسائل الشائعة بالمنطقة بالتبادل العلمي نجدأن إقليم توات نوعا ما يختلف الأمر وذلك بتعيين مجلس الأربعين أحد المجالس القبيلة لاتخاذ القرارات والإفتاء في المسائل الاجتماعية والسياسية وغيرها خاصة إبان الفترة الاستعمارية بحيث لمقاومة السيطرة الفرنسية لجأ الرقيبات إلى شكل آخر من أشكال المقاومة من خلال الممانعة الثقافية ومقاومة برامج الاندماج الثقافي والابتعاد قدر المستطاع عن التعامل مع الفرنسيين فظهر فقهاء تصدوا للفتوى والنوازل الفقهية الخاصة بالتعامل مع المستعمر من بيع وشراء ودراسة لن يأخذ أحد منهم أية دراهم من النصارى ومثل هذا الاتجاه فقهاء مثل الشيخ سيدي مُحَمَّد ولد بيشر دفين اعوينت بلقرع والشيخ البلال ولد سيدي إعيش العياشي فكانت فتواهم غاية في الثورية حرمة الأكل والشرب مع النصارى والتعامل بالنقود الفرنسية كما أفتوا بحرمة التجنيد في الجيش الفرنسي بوجوب الجهاد أو الهجرة إلى دار السلام التي لا وجود للنصارى بها هناك فقهاء آخرين غير الرقيبات ساروا على نفس الفتوى منهم الشيخ مُحَمَّد الصغير الجكني الذي دفع ثمن فتواه حيث نفته

السلطات الفرنسية من تندوف. هذا وقد كانت للشيخ العلامة مُحَمَّد المختار بن بلعمش فتاوى جمعت في مجموعة من الكتب تحتفظ بها الخزانة الأعمشية فقد كان قاضي متميز ومؤسس تندوف المعروف فقد كانت له مكتبة ضخمة تحدث عنها السوسي فقال:"إنه جمع من الكتب النفيسة ما لم يجمعه صحراوي قبله من أنحاء الصحراء إلى السوسي إلى السوداني متبعا الزوايا والخبايا".

من فتاواه: فقد سئل مُحَمَّد المختار بن بلعمش بما نصه:"...سؤال سأله بعض الطلبة مريدا الجواب من أقصر ما يبطل قراءة المريد للقرآن في عرضه له كم من كلمه؟هل ثلاث كلمات أم أكثر أم أقل أم غير ذلك؟ أفتينا عاجلا في الجواب بارك الله فيك وأطال عمرك والسلام. الجواب والله الموفق للصواب أن أقصر ما يبطله عند الإمام الشوكاني خمس كلمات للحزب فأكثر وذلك اليوم مبني عادات الناس وكل بعادته منهم، فعادة أهل الكبلة ثلاث كلمات للقرآن أجمعه أنا ليس مبنيا على ما قال الشوشاوي بل كل على عادته في ذلك، وعادتنا اليوم كلمة أو كلمتان للحزب والسلام".

وهناك فتاوى مُحَمَّد الأمين الشنقيطي بن مُحَمَّد المختار الجكني في كتاب واحد ما يدل على أن المسائل الفقهية كانت تعالج في كل منطقة حسب أسلوب تعامل فقهائها فتندوف شكلوا مجلسا للفتوى ولكن إقليم توات كان متعدد الزوايا المنتشرة المتقاربة والمتباعدة جعل من علمائها يتراسلون فيما بينهم ما يخدم علم الفقه لإيجاد الحلول الشرعية للمسائل المستعصية.

أ. طرائق ووسائل التدريس في الزوايا:

من الملاحظ أن كل الزوايا معظمها تأسس خلال القرن 14 هجري مما يدل على أن منطقه توات في هذا القرن كانت خصبة ومفعمة بالعلماء الغيورين على بلادهم مما جعلهم يؤسسون هذه المنابر العلمية بغية الحفاظ على نهج الأجيال اللاحقة لهم.

فقد جرت العادة في إقليم توات عند بلوغ الطفل سن الرابعة أو الخامسة أن يلتحق بالمدرسة القرآنية أو ما يسمى بالكتاتيب التي يتلقى فيها التلميذ دروسه الأولى وتربيته الأساسية على يد الشيخ.[1]

[1]– أحمد الازرق، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 27.

ونفهم من هنا هذا أسلوب وطريقة معممة لتلقين القرآن وحفظه وتعليم اللغة العربية بترسيخ تلقين حروفها الأبجدية تقريبا في كل زوايا أقاليم الجنوب الغربي بما فيه الساورة وتندوف وتوات. الطفل في هذا السن يكون جاهزا لحفظ العلوم وترسيخها خاصة وأن القاعدة الأساسية في العلوم الدينية هي القرآن الكريم والسنة النبوية إلا أن الاختلاف هنا كان في بعض الزوايا تتبع طريقة الحواشي في تلقين المتون شيئا فشيئا معسور القرآن على جانبي اللوح حتى يحدث الانسجام والتنسيق في العلوم في هذا السن المبكر.

فالطريقة المنتشرة عموما، وقد أسلفنا ذكرها هي الطريقة الأولى هي دراسة الكتاتيب فيها يتم الحفظ والتلقين مع التدريب على الخط والإملاء والطريقة الثانية هي الدراسة في الزوايا حيث يتم التوجه إليها لتعلم المبادئ الفقهية والعربية مع الاعتكاف على أمهات الكتب وشروحها تحت إشراف الشيوخ وفي هذا الصدد يشير الدكتور تركي رابح إلى الطرق المستعملة في التدريس قائلا:"تسود في الزوايا والمساجد طريقة الحفظ والتلقين... فالمعلم هو الذي يشرح وهو الذي يحلل ما يحتاج إلى تحليل، والمتعلمون عليهم إن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات".[1]

إلاأن المجالس العلمية التواتية للزوايا تطرقت لتدريس اللغة العربية والتعمق في المسائل النحوية من أصول النحو وأقطاب المدارس النحوية بآرائها المختلفة وقد بلغ هؤلاء الشيوخ مرتبة الكتابة والتأليف في اللغة العربية على غرار الشيخ مُحَّد بن اب المزمري الذي صنف عدة مؤلفات في اللغة العربية منها النظم على متن الآجرومية وشرح للامية ابن المجراد في إعراب الجمل وعده منظومات في علم العروض، ما مكنه من إضافة بحر عروضي جديد سماه بحر مضطرب[2]، وكذلك الشيخ مولاي أحمد الظاهري الذي صنف شرحا لنظم الآجرومية والشيخ مُحَّد باي بلعالم الذي ألف عدة مؤلفات منها شرح لأرجوزة النبهاني في النحو و شرح لمحة الإعراب للحريري والنظم على الآجرومية وشرحها والشيخ عبد الرحمن حفصي الذي صنف ألفية على شرح مقدمة خالد الأزهري.

[1]– تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر، مطبعة الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ص 236.

[2]–أحمد ابا الصافي جعفري، مُحَّد بن اب المزمري، حياته واثاره ويليه مخطوط شرح روضة النسرين في مسائل التمرين، تحقيق ابا الصافي جعفري، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 3، 2008.

وهنا نستنتج أن الزوايا العلمية وشيوخها لها دور في المحافظة على تعميم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن مع خدمة الشريعة الإسلامية، فضلا عن أنها ساعدت على نشاط الحركة اللغوية داخل الناحية التواتية.

-أن تلك المناهج والطرق التربوية التعليمية التي كانت متبعة في الزوايا هي طرق تقليدية قديمة وجدت مع وجود هذه الزوايا ولها ما يعاب عليها من قبل البعض وبالرغم من ذلك إلا أننا لا يجب أن ننكر مدى فعاليتها في حياة الشخص وخصوصا الاجتماعيات منها.

- إن انتشار الزوايا العلمية بمنطقة توات يساهم في تنمية الثقافة الدينية و اللغوية وذلك بتحفيظ القرآن الكريم ونشر تعاليم السنة النبوية الشريفة وتعليم اللغة العربية الحافظة للتراث الإسلامي وتهذيب السلوك وكذا إصلاح ذات البين.

ومن هنا يمكن أن نخلص إلى:

۞ مظاهر النشاط العلمي والفكري للزوايا العلمية لا يظهرفي بعض النشاطات كتآليف أو المخطوطات أو طرق التدريس أو القضاء والفتاوى والنوازل والرحلات العلمية والتبادل الثقافي بالزاويا العلمية هي في حد ذاتهاظاهرة متكاملة الاختصاصات، متعددة المهام لكن الغرض والهدف منها واحد مبني على قاعدة دينية إسلامية تنتهج فيه أساليب ووسائل قد تتشابه أو تختلف من زاوية لأخرى لكنها تلتقي في الأخير في نقطة واحدة وهي العلم، سواء من الناحية الشرعية الدينية أو الناحية العقلية الدنيوية، فلاحظنا أن هناك زوايا ألف علمائها وتركلنا مخطوطات تحفظ علومهم واجتهاداتهم، في حين فيه زوايا أنتج مشايخها علماء وطلبة علم يؤسسون زوايا أخرى فرعية لنفس الطريقة والمنهجية أو قد يجتهد فيغير ويضيف حسب العصر الحديث والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الثقافية.

۞ الزوايا التواتية و التندوفية لم يقتصر نشاطها على الإقليم بل تعدى ذلك إلى الحواضر المجاورة إما بسبب رحلاتهم العلمية أو بسبب وفود الطلبة الأفارقة إلى زواياهم بالجنوب الغربي الجزائري ويرجع الفضل لهم في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بتأسيس زوايا بالسودان الغربي.

۞ القافلة التجارية و الحجازية كان لها دور أساسي في ربط التواصل الثقافي والفكري بين مختلف الحواضر المجاورة لإقليم الجنوب الغرب الجزائري.

- كانت شهرة واسعة للعائلات التواتية و السودانية في التلاقح الثقافي بالأقاليم الجغرافية المتقاربة خاصة بعد المصاهرة والاستقرار والزيارات وهذا ما عرفناه عن الشيخ المغيلي الذي كان له أولاد بنيجيريا العائلة الكنتوية و العائلة الفولانية والرحلات التجارية للعلامة الزقلاوي بالعالم وأيضا للفقيه أبي الأنوار التنيلاني.
- مكامن الحراك الثقافي بهذا الإقليم الذي كانت ركيزته الأولى تمنطيط وتنافست عليها مواطن أخرى كمنطقة تيمي وملوكة وأُولف وغيرها لشهرة علماء وزوايا هذه المواطن الثقافية.
- فضل زوايا إقليم الجنوب الغربي كبير فهي لم تقتصر على الدور التربوي والتعليمي فقط بل كانت مكان لعابري السبيل وإقامة الطلبة لتوفير الظروف المناسبة في تحقيق الغرض وهو العلم.

الخاتمة

خلصت الأطروحة إلى جملة من الاستنتاجات تمثلت في:

1. في عرضنا للإطار الجغرافي والوسط البشري لأقاليم الجنوب الغربي الثلاث (توات والساورة وتندوف) وما يتعلق بالجانب الثقافي والاجتماعي للزوايا العلمية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجري الموافق للقرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، تبين لنا:

- ✓ مدى التشابه المناخي الواقع في المنطقةالصحراوية مما انعكس على طبيعة البشر القاطنة بهذه المنطقة المتكيفة مع قساوة التضاريس.
- ✓ مدى التقارب العرقي، فغالبية ساكني هذا الإقليم من البربر والعرب والزنوج أو ما يطلق عليهم بالحراطين مع اليهود من أهل الذمة. هذه العناصر البشرية تصاهرت فيما بينها عبر العصور وكانت النتيجة مجتمعا متجانسا في عاداته وتقاليده،أما عن الانتشار الجغرافي للسكان، فقد ارتبطت كل منطقة بفئة وشريحة اجتماعية متجانسة سلالياً، وكان عنصر الماء أهم عناصر الاستقرار لديها، هذا الاستقرار حدد طبيعة النشاط الاقتصادي لكل فئة أو شريحة، فقد فرض على بعضهم نظام البستنه إلى جانب الرعي.
- ✓ أن إقليم الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية عرف في تاريخه الوسيط وحتى الحديث تغير في البنية الإثنية والعرقية بسبب حركتي الهجرة الخارجية والنزوح الداخلي، لعل أهمها هجرة القبائل الهلالية للمنطقة، كما أن الغارات والحروب التي كانت دائرة بين مختلف القبائل القاطنة بالإقليم كحرب بأحمد وسفيان في إقليم توات، وحرب ذوي–منيع وأولاد جرير، غير حروب الرقيبات مع تجكانت. وغيرها كانت سببًا آخر في إحداث تغييرات جوهرية في البنية الإجتماعية والسكانية وحتى المذهبية.
- ✓ من حيث المساحة الجغرافية إقليم توات أكثر اتساعًا عن إقليم الساورة وتندوف يتمايز بكثرة القصور وبالتالي تعدد الزوايا الطرقيةالصوفية والعلمية التعليمية.
- ✓ أن الصحراء عموما والجنوب الغربي خصوصا عرف على مر التاريخ فترة من الزمن عدم التبعية لأي جهة سياسية فأطلق عليها بمرحلة السيبة بعيدا عن حكام الغرب للمغرب الأقصى أو شمال المغرب الأوسط، لكن ذلك جعل شيوخ القبائل ينوبون عن الجهة الحاكمة في تسيير أمور السكان حرصا منهم على النظام.

2. وفي عرضنا لموضوع الزاوية وأنواعها من حيث النشأة والتطور وتفريعاتها ومناهجها وبعض الزوايا الرائدة للحركة العلمية في الأقاليم الثلاثة مع ذكر نماذج عنها يمكن أن نستنتج أن الزاوية قد

أعطت قيمة كبرى للقصور من حيث التعمير السكاني أو الانجذاب الطلابي أو ووفادة العلماء إليها واستقرار بعضهم بها.

✓ تنوعت مراكز التعلم ومؤسساته بالإقليم فمنها المساجد، والكتاتيب، ومنها المدارس والمعاهد، وكانت الزاوية العلمية تتأسس بوجود عالم أو شيخ مشهود له بالعلم، ثم لا تلبث أن تتفرع بمرور الزمن إلى زوايا فرعية تتبع الزاوية الأم بإيعاز من شيوخ الزاوية الأساسية، بعد أن يكون قد أجيز لأحد خريجيها بفتح الزاوية الفرعية.

✓ أن المهمة التعليميةلشيوخ الزاوية العلمية لم تكن موجهة للطلبة النظاميين فقط، بل أنها كانت تهتم أيضا بالعامة من الناس وكبار السن.

✓ أن إقليم الساورة أكثر الزوايا ظهورا وشهرة هي الزاوية الكرزازية ببني عباس والزاوية الزيانية بالقنادسة رغم وجود زوايا أخرى، وفي تندوف احتلت الزاوية الأعمشيه الصدارة في المنطقة نظرا لمكانة شيخها سيدي المختار الأعمش في حين إقليم توات لا تكاد تميز زاوية عن أخرى، لكل منها شهرتها وصدارتها في المنطقة سواء الزاوية البكراوية أو الزجلاوية أو التنلانية أو زاوية بوغرارة أو غيرها رغم وجود زوايا أخرى لا تكاد تتجاوز حدود المنطقة التي هي فيها ولكن القيمة الكبرى حسب الشيخ ومكانته مثل زاوية الشيخ بلكبير.

✓ أن الزاوية العلمية والطرقية والصوفية تشتركان في نشاط التعليم والتربية وتختلفان في مسألة الأوراد والذكر والمريدين والأتباع.

3. وبما أن الدراسة تهتم بالجانب الثقافي أولا ثم الاجتماعي ثانيا ضمن الفترة الزمنية المذكورة القرن الحادي عشر هجري الموافق للقرن السابع عشر ميلادي إلى غاية القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي، عرفنا مدى مساهمة العلماء في الحركة العلمية وتنشيطها.

✓ أن الإسهام العلمي بالإقليم في سياق الحركية العلمية والدينية خلال هذه الفترة شارك فيه نوعين من النخب العالمة (العلماء الوافدون، وعلماء أصيلي الإقليم سواء منهم الذين نالوا فرصة الإرتحال لأجل العلم في مختلف حواضر العالم الإسلامي، أو الذين كانوا نتاج المؤسسات التعليمية بالمنطقة).

✓ لم يكن هناك تميز أو الفرق بين الزوايا سواء الطرقية صوفيا أو علمية وخاصة في منطقة بشار وما قام به الشيخ أبي زيان والشيخ أحمد بن موسى مما جعل طلبة العلم يلتفون حول زواياهم.

✓ هذه الزوايا معظمها اعتمد حركة التأليف لما كان يقوم به من تدريس في مختلف العلوم وبعضها اهتم طلابه بتأليف ما كانوا يأخذوه من علوم على يد مشائخهم.

✓ لا يمكن أن ننكر عن أي عالم دون آخر ما قام به من نشاط ثقافي أو اجتماعي كالشيخ المغيلي وغيره كثير في محاربة البدع والعادات السيئة وتصحيح ما يجب أن يصحح من مظاهر اجتماعية تعارف عليها أهل المنطقة بتأثيرات خارجية.

✓ أن الحركة العلمية والفكرية والثقافية لم تنحصر ضمن إقليم دون آخر بل تعدت إلى الحواضر المجاورة من جنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي.

✓ أن التواصل والترابط بين الأقاليم والحواضر القريبة والبعيدة كان نشيطاً بفضل التبادل التجاري وقوافل الحجاز التي جعلت من هذه المناطق معبرا ومحطة للتزود بالعلم والتأثير فيها.

✓ لقد كان الناس يحرصون على إرسال أبنائهم للمحضرة أو أقربيش أو الجامع للتعلم وحفظ القرآن الكريم من أفواه العلماء الفقهاء والقضاة.

✓ أن الزاوية كانت تستقبل التلاميذ والطلبة بدون شروط تذكر بل كانت توفر لهم الإقامة تحت نظام قانون تسيير هذه الزاوية حتى تسير العملية التعليمية إلى تحقيق هدفها.

✓ أن معظم زوايا الأقاليم الثلاثة تتشابه في طريقة التعليم حيث يبدأ يوميا من صلاة الصبح إلى الزوال في فصل الصيف وشتاء من الصباح الباكر إلى وقت صلاة الظهر.مع مراجعة القرآن الكريم في شكل ما يسمى بـ"الحزب" بين صلاة المغرب والعشاء، كما لكل مرحلة عمرية مستوى تعليمي معين، فالتدرج يكون من الكتاتيب حسب حفظ القرآن الكريم والمعارف الفقهية في الزاوية المدرسة العليا للتفقه في العلوم من الأسهل إلى الأصعب ومن المختصرات إلى المطولات.

✓ أن الاختلاف يكمن في مد الاستيعاب لدى التلاميذ حتى يمكن الوصول إلى أبعد حد من العلم أو يوفق في فترة عمره والخروج لامتحان مهنة حياتية يرتزق منها.

✓ أن العلم كان يميز عائلات تختص بشهرتها أنها من العائلات العلمية بحيث كل أفراد العائلة من العلماء والفقهاء والقضاة يتوارثون هذه الصفات لدرجة يتنافسون عن منصب القاضي ويحتكرونه لمدة زمنية طويلة دون قصد في ذلك بل وسر القيمة العلمية للأفراد كالزاوية البكرية والتنلانية وغيرها.

✓ أن الزوايا العلمية بالمنطقة كانت تعتبر نموذج للدعوة والإرشاد والفتوى بإفريقيا والمغرب الإسلامي في ذلك الوقت،كما كانت لها أدوار جهادية وثورية ضد المعتدين، حيث اعتنت بالدعوة للجهاد إبان الاستعمار الفرنسي وكانت مأوى ومحطة لاختباء المجاهدين ومراكز للعمليات العسكرية ضد المستعمر، وحتى أنه كان من مشايخ الزوايا وطلبتها من جاهد واستشهد خلال كل مراحل المقاومة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي(المقاومة الشعبية، الثورة التحريرية الكبرى).

✓ لقد صب الاستعمار الفرنسي جام غضبه على هذه الزوايا بتضييق الخناق على نشاطها أو منعها ومصادرة أوقافها والحكم بالنفي والإقامة الجبرية لمشايخها، كما حاول الاستعمار التقليل من قيمة هذه الزوايا بإنشاء مدارس ومؤسسات تعليمية موازية للزوايا لإبعاد الأهالي عن إرسال أبنائهم وفي نفس الوقت حرمانهم من التعلم مما عمل على ارتفاع نسبة الأمية في الجزائر.

✓ إن البعثات الاستكشافيه التي قامت بها فرنسا ساهمت بشكل كبير في كشف الصحراء ومكوناتها وكنوزها المادية والعلمية والثقافية مما ساعد الاستعمار على رسم خطة جهنمية للتحكم في الجنوب الغربي للجزائر بإنشاء طريق سكة الحديد الرابط بين مدن الشمال بالجنوب في إقليم بشار من الناحية الغربية الجنوبية الغربية.

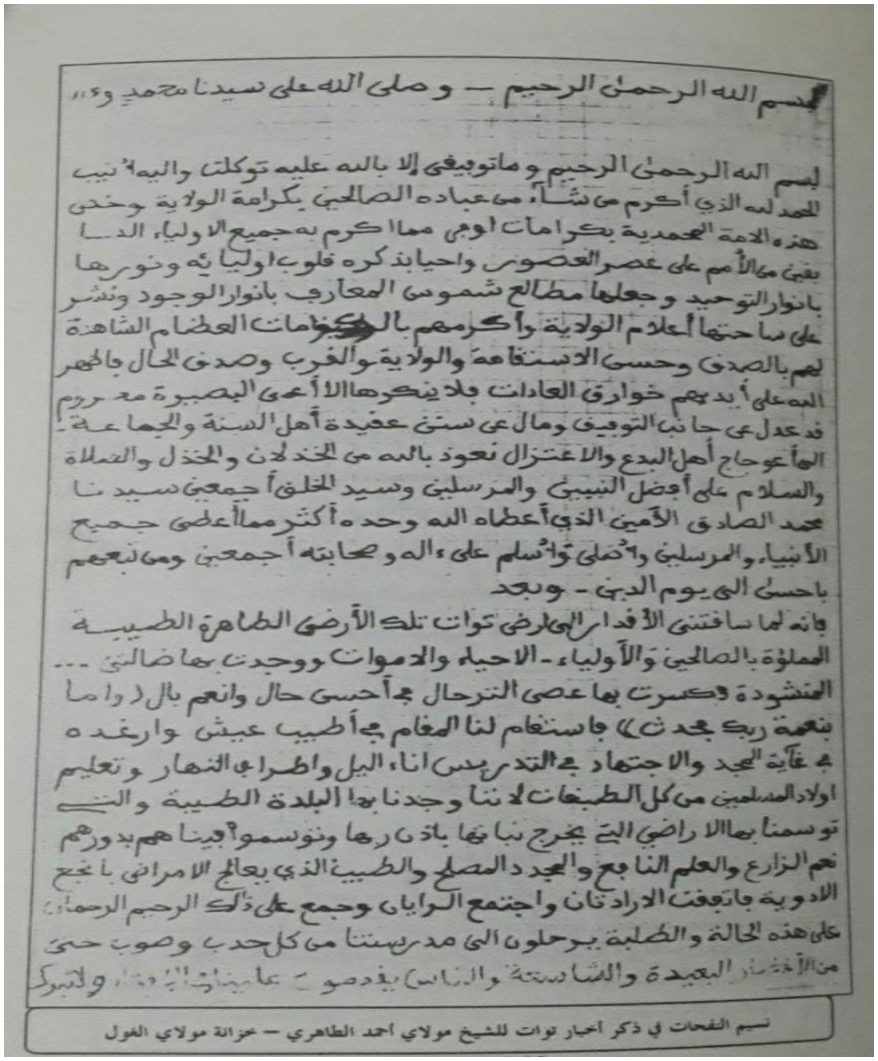
✓ من أهم مظاهر الحركية العلمية والفكرية للزوايا العلمية بالإقليم شيوع حركة التأليف والنشر، فظهرت أسماء أعلام نتاج الزاوية العلمية ازدانت المكتبة العربية والإسلامية بأسفارهم الغزيرة (نثراً وشعراً)، يضاف إلى هذا المظهر العلمي، مظهر أخر مهم وهو إبداع أهل العلم بالإقليم في التأليف في النوازل والرحلات، والتفسير.... كما أن حركة نسخ المخطوطات، والتجديد في الإفتاء والقضاء، ومناهج وطرق التدريس المبتكرة ..كلها كادت أن تكون معالم خاصة للحركية العلمية بالمنطقة دون غيرها من الحواضر القريبة، ناهيك عن مظاهر أخرى كفن المراسلات والإجازات العلمية، والتناظر الفقهي العلمي لعلماء المنطقة سواء فيما بينهم، أو بينهم وبين علماء المشرق والمغرب عرف الإقليم استقراراً نسبياً في الوضع السياسي خلال هذه الفترة، حيث انفردت المنطقة بطابع الاستقلالية وعدم التبعية لأي من القوى المحيطة سواء الدولة العثمانية أو الدولة العلوية المستقلة بالمغرب الاقصى والتي حاولت توسيع دائرة نفوذها نحو الصحراء.

✓ لم يكن إقليم الجنوب الغربي بمعزل عن تأثيرات الحركات الصوفية الروحية والإصلاحية النهودية كالوهابية، فقد امتدت إليه تداعياتها عبر منافذ القوافل الحجازية وتوافد الرحالة والدعاة والمصلحين والتجار، على طبائع الناس وعوائدهم وشغل عقولهم حينا من الزمن.

ملاحق الدراسة

الملحق رقم (01)

الوثيقة..نسيم النفحات في ذكر أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الطاهري. خزانة مولاي الغول..الوثيقة نموذج للنشاط التأليف بتوات [1]



بسم الله الرحمن الرحيم — و صلى الله على سيدنا محمد و...

بسم الله الرحمن الرحيم و ماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت و اليه أنيب
الحمد لله الذي أكرم من شاء من عباده الصالحين بكرامة الولاية و خص
هذه الامة المحمدية بكرامات أوجى مما أكرم به جميع الاولياء الذ ا
بقين ما الأمم على عصر العصور و احيا بذكره قلوب اوليائه و نورها
بانوار التوحيد و جعلها مطالع شموس المعارف بانوار الوجود و نشر
على ساحتها أعلام الولاية و أكرمهم بالكرامات العظام الشاهدة
لهم بالصدق و حسن الاستقامة و الولاية و القرب و صدق الحال و الجهر
الله على أيديهم خوارق العادات فلا ينكرها الا أعمى البصيرة مع حرم
فد عدل عن جانب التوفيق و مال عن سنن عقيدة أهل السنة و الجماعة
الها عوجاج أهل البدع و الاعتزال نعوذ بالله من الخذلان و الخذل و الضلالة
و السلام على أفضل النبيين و المرسلين و سيد الخلق أجمعين سيد نا
محمد الصادق الأمين الذي أعطاه الله وحده أكثر مما أعطى جميع
الأنبياء و المرسلين و أصلي و أسلم على آله و صحابته أجمعين و من تبعهم
باحسن الى يوم الدين - و بعد
فانه لما سافتني الأقدار الى ارض توات تلك الأرض الطاهرة الطيبة
المملوءة بالصالحين و الأولياء - الاحياء و الاموات و وجدت بها ضالتي ...
المنشودة و كسرت بها عصى الترحال بأحسن حال و انعم بال (و اما
بنعمة ربك فحدث) فاستقام لنا المقام بأطيب عيش و ارغده
بغاية الجد و الاجتهاد بالتدريس اناء الليل و اطراف النهار و تعليم
اولاد المسلمين من كل الطبقات لا ننا وجدنا بها البلدة الطيبة و التي
توسمنا بها الاراضي التي يخرج نباتها باذن ربها و توسمنا فيهم بدورهم
نعم الزارع و العلم النافع و الجد المصلح و الطبيب الذي يعالج الامراض باخف
الادوية فاتفقت الارادتان و اجتمع الرايان و جمع على ذلك الرحيم الرحمان
على هذه الحالة و الطلبة يرحلون الى مدرستنا من كل حدب و صوب حتى
من الأقطار البعيدة و الشاسعة و الناس يفدون عامها [illegible]

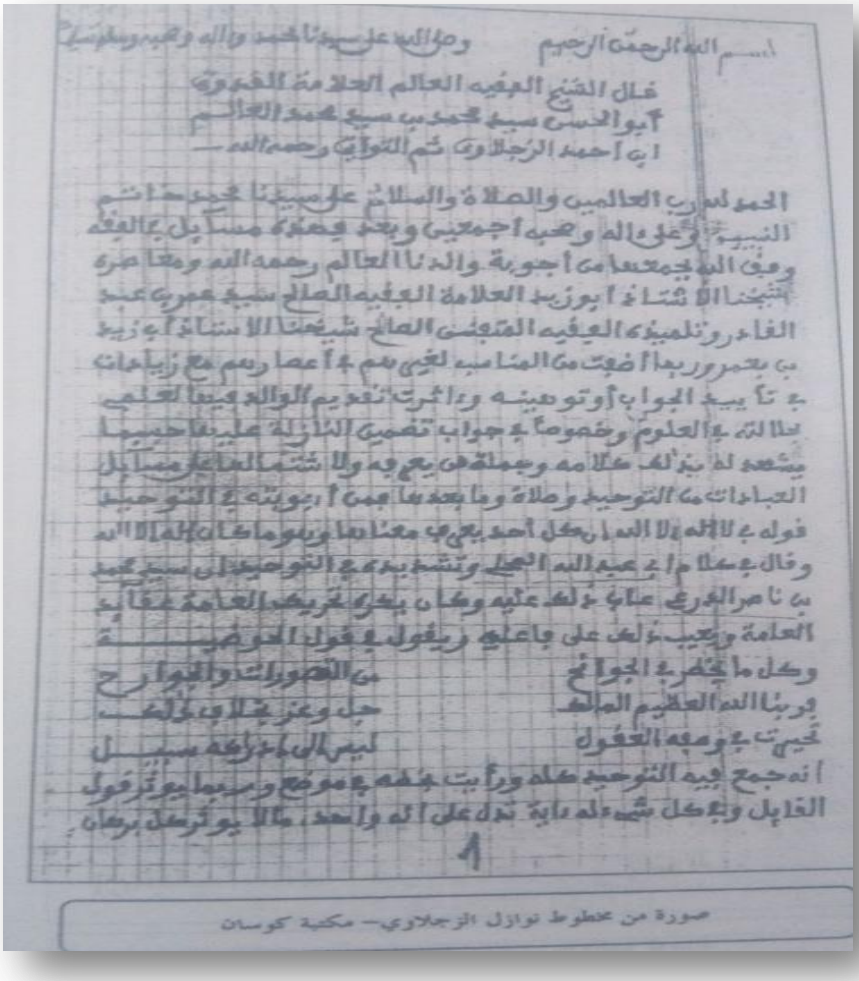
نسيم النفحات في ذكر أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الطاهري — خزانة مولاي الغول

[1]– محمد الصالح حوتية ، توات والأزواد ،الوثيقة مخطوط النفحات في أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الطاهري ، ص569 .

الملحق رقم (02)

وثيقة .صورة من مخطوط نوازل الزجلاوي مكتبة كوسان تبرز مدى مساهمة علماء توات في الحركة العلمية

[1]



صورة من مخطوط نوازل الزجلاوي – مكتبة كوسان

[1]– محمد الصالح حوتية ، توات والأزواد ، الوثيقة مخطوط من نوازل الزجلاوي، ص 576 .

الملحق رقم (03)

[1]

وثيقة .صورة لمخطوط غنية المقتصد فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل والصورة الثانية صفحات من مخطوط نوازل الغنية خزانة باعبد الله أدرار



مخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل . أزيد من سبعمائة (700) صفحة .

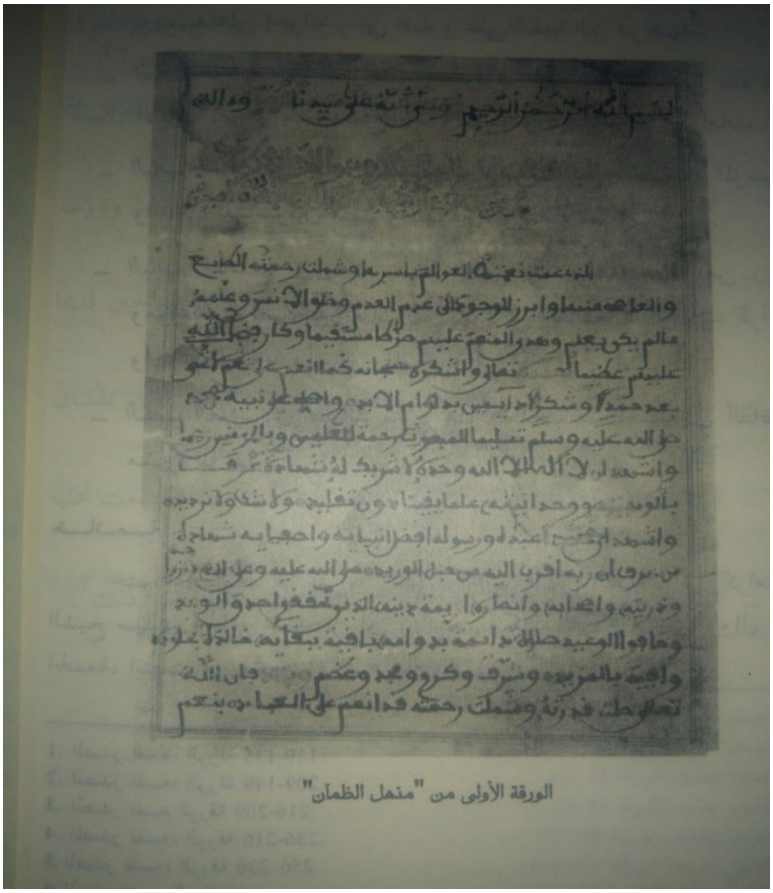
الصفحة السادسة عشر والسابعة عشر من فهارس موضوعات مخطوط نوازل الغنية .

[1]–أحمد أبا الصافي جعفري ،من تاريخ توات أبحاث في التراث ، الصورة عن مخطوط نوازل الغنية ، ص 654

الملحق رقم (04)

وثيقة .نسخة نسخها المريد الزياني عبد القادر بن الحاج محمد بن الحاج علي البغدادي المنقاري الورقة الأولى .وهي نسخة متآكلة

[1]

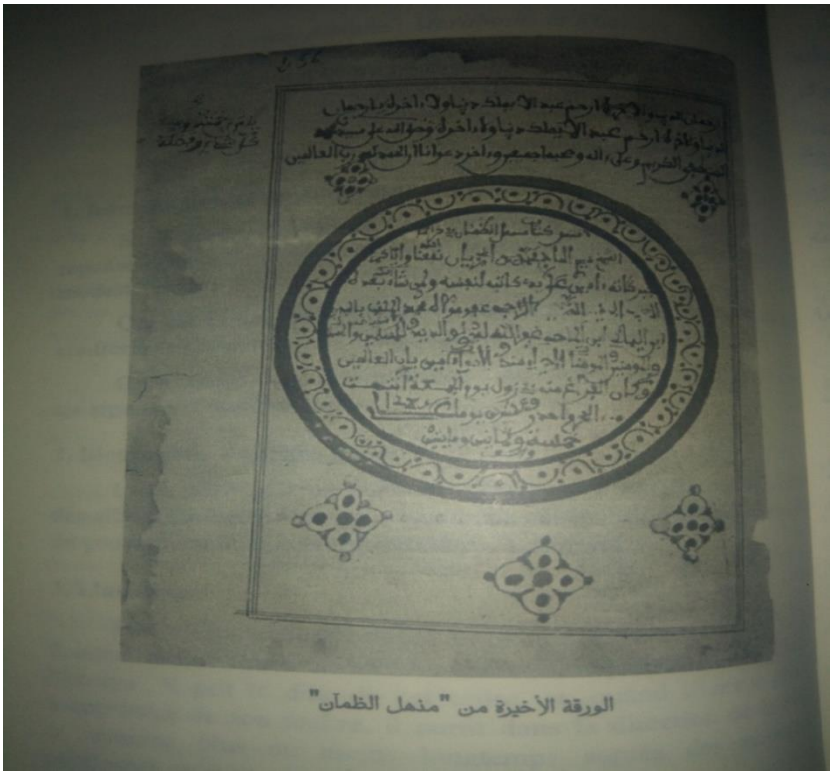


الورقة الأولى من "منهل الظمآن"

[1]– منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية ، ملتقى بشار – 2010م ، الجزائر، ص 156.

الملحق رقم (05)

وثيقة .الورقة الأخيرة من.منهل الظمأن تمثل خاتمة المخطوط مزخرفة بشكل دائري تضمن الشكر و الثناء على الله وكتابة عنوان المخطوط الذي خصص للشيخ الحاج محمد بن أبي زيان



الورقة الأخيرة من "منهل الظمآن"

[1]

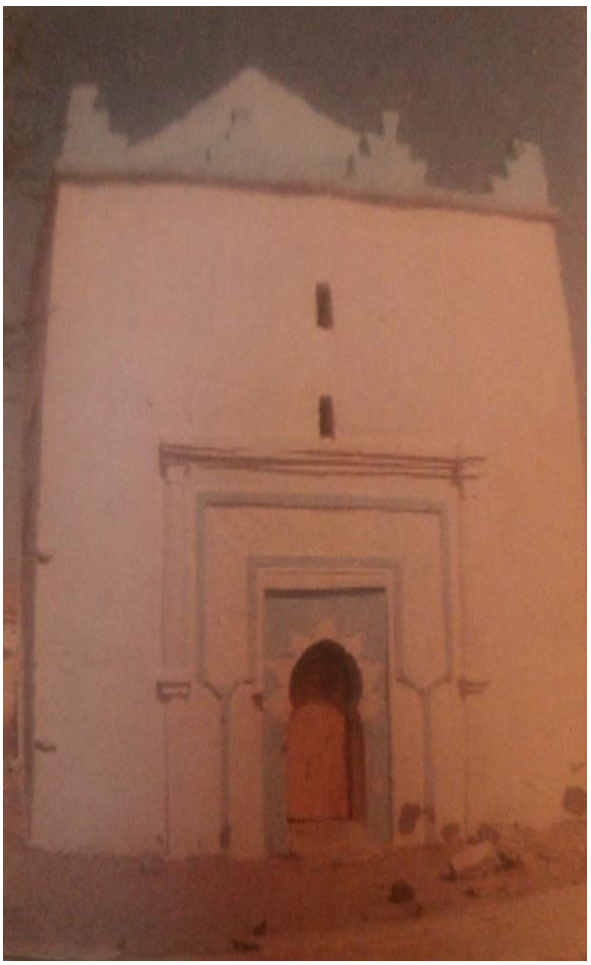
- الشكل 1: صورةضريح الشيخ بلعمش.–الشكل 2: المدخل الرئيسي لزاوية بلعمش

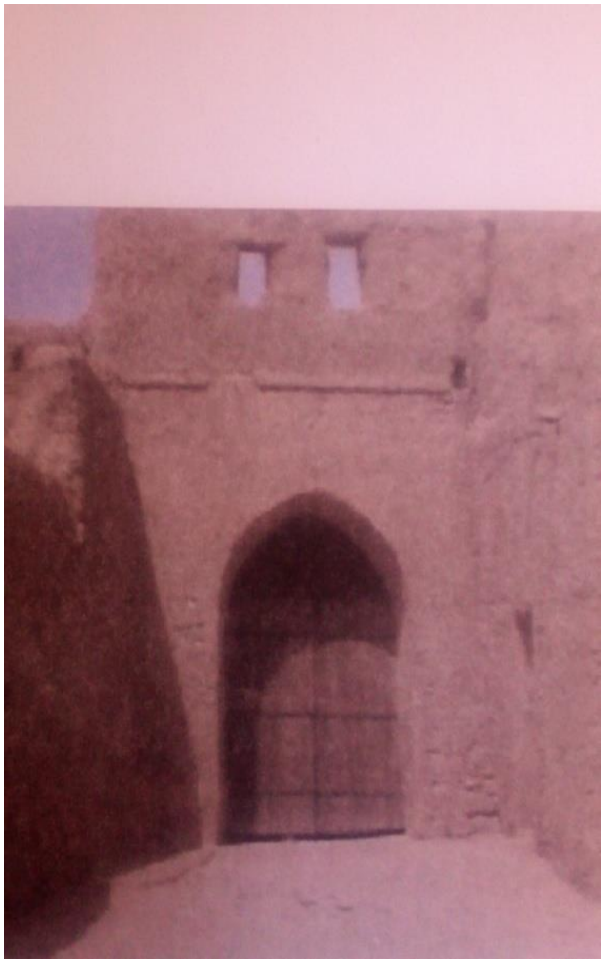
[1] –منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية ، ملتقى بشار – 2010م ، الجزائر، ص157

الملحق رقم (06)

وثيقة ..الصورة الأولى لضريح الشيخ بلعمش والصورة الثانية المدخل الرئيسي لزاوية بلعمش تندوف

[1]

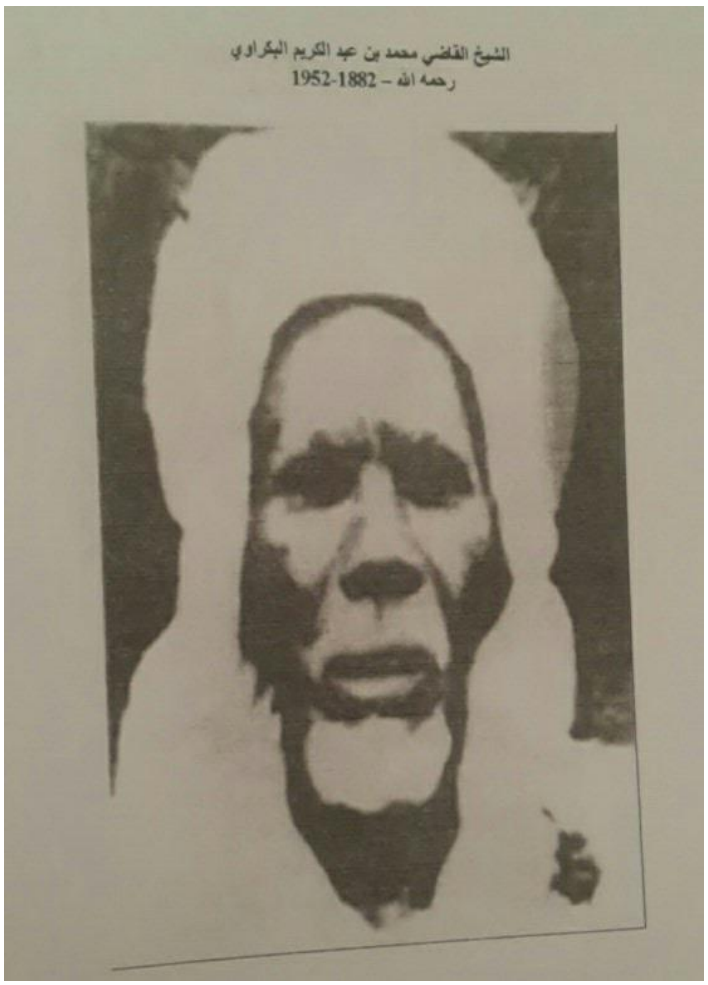




[1]–عبد الحق معزوز ،العمارة التقليدية بمدينة تندوف الشكل الأول والثاني ، ص ص 93 ، 94 .

الملحق رقم (07)

وثيقة . صورة للشيخ القاضي محمد بن عبد الكريم البكراوي من 1882م إلى 1952م من العائلة البكراوية وصاحب مخطوط جوهرة المعاني [1]



[1] – مُحَمَّد سالم بن الحاج عبد القادر بن عبد الكريم ،أبسط العبادات وأطيب النفحات بذكر بعض علماء وصالحي منطقة توات ، شمس الزيبان للنشر والتوزيع ، تلمسان 2011 ، ص 630 .

الملحق رقم (08)

وثيقة .هذه الصورة تمثل نموذج للمدارس القرآنية التابعة للزاوية ضمن الهيكل المادي للزاوية وهي صورتان للمدرسة القرآنية أبي أيوب الأنصاري

[1]





[1] – الصورتان مأخوذتان من الأنترنت ، m.facebook.com

الملحق رقم (09)

الوثيقة تظهر صورة حديثة لزاوية الشيخ بلكبيروصورة لأحد نشاطاتها الدينية وصورة الشيخ الذي أخذت الزاوية شهرته

1



- صورة الشيخ بلكبير رحمة الله عليه



- صورة لزاوية الشيخ بلكبير

[1] – الصور متوفرة بالنت ، ar-ar.facebook.com

الملحق رقم (10)

الوثيقة ..الصورتين الأولى ضريح الشيخ سيدي أحمد بن موسى والاخرى للنشاط الديني المتمثلة في قراءة القرآن

[1]



ضريح شيخ الزاوية الكرزازية سيدي أحمد بن موسى



قراءة جماعية للقرآن بزاوية الشيخ بلكبير

[1] – مدونة برج بن عزوز ، ترجمة الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى الكرزازي albordj.blogspot.com ، والصورة الثانية www.vitaminedz.org

الملحق رقم (11)

الوثيقة ..أنشطة مختلفة لزوايا الجنوب الغربي تتمثل في قراءة القرآن الكريم بشكل عام كعادة دائمة بالمساجد والزوايا



1





- مختلف نشاطات الزاويةقراءة الهمزية .

[1]–صور متوفرة في النت ، m.facebook.com

الملحق رقم (12)

الوثيقة ..أنشطة مختلفة لزوايا الجنوب الغربي تتمثل في قراءة القرآن الكريم بشكل عام كعادة دائمة بالمساجد والزوايا

1



فعاليات ثقافية لأحياء ذكرى رحيل الشيخ بلكبير. مجموعة من المشايخ بأدرار يتلون القرآن جماعة من صلاة العصر حتى صبيحة اليوم الموالي



أنشطة دينية لزوايا توات .

[1]– صور متوفر في النت ، eljadidelyawmi.dz

قائمة المصادروالمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش بن نافع .
- صحيح مسلم، (الجامع الصحيح) الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الطبعة الاولى بالمطبعة العامرة، دار الخلافة العلية، 1330، دار الإسلام للنشر والتوزيع، الرياض .

المصادر المخطوطة

1- ابن بابا حيدة ، مُحَمَّد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط، مخطوط بخزانة الحاج مُحَمَّد بكراوي، زاوية سيدي البكري أدرار.

2- الهشتوكي أبو العباس أحمد بن داود بن يعزى التنملي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية، تحت رقم، د/149 .

3- بن أب مُحَمَّد، تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس، نسخة بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة ونسخة بخزانة الحاج الشيخ بأنزجمير

4- بابا يونس مُحَمَّد، فهرس مخطوطات جامعة أبدان، نيجيريا تحقيق: جون هنريك، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1997م .

5- عبد القادر بن عمر المهداوي التنيلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد، قصر باعبد الله، تيمي، أدرار .

6- البكري عبد الرحمن، ديوان الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن، مخطوط بخزانة تمنطيط.

7- عبد الرحمان التازي، منهل الظمآن ومزيل الهموم والكرب والأحزان في كرامات شيخنا العارف بالله سيدنا الحاج مُحَمَّد ابن أبي زيان، مخطوط غير مصنف، موجود بالخزانة القندوسية، بشار .

8- عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، الرحلة الحجية لعام 1188هـ، مخطوط بخزانة قصر باعبد الله، تيمي، أدرار

9- عبد الرحمن أبو زيد الجنتوري ، نوازل الجنتوري (النسخة ب) جمع وترتيب :المسعدي مُحَمَّد بن عبد العزيز، مخطوط بخزانة بن عبد الكبير، المطارفة، أدرار.

10- عبد الرحمن أبو زيد الجنتوري ، رسالة حول بيع أصول الهاربين في المغارم، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار .

11- عبد القادر ماما حيدرة ، فهرس مخطوطات مكتبة ماما حيدرة للمخطوطات والوثائق، تحرير أيمن فؤاد سيد، ج1 مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000م .

12- مُحَمَّد بن عمر بن المبروك البوداوي ، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط بخزانة الأستاذ سليماني بقصر أدغا، أدرار.

13- مُحَمَّد عبد الرحمان البلبالي ، في توات من القضايا والمسائل، جمع: عبد العزيز البلبالي، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار .

14- مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري ،جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط .

15- مُحَمَّد العالم بكراوي ، الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط خزانة زاوية سيدي البكري، تيمي، أدرار، الجزائر .

16- مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي ، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.

17- مُحَمَّد بن مُحَمَّد العالم بن حميدان الزجلاوي ، نوازل الزجلاوي، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.

18- مُحَمَّد سيدي المختار الكنتي ، الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، مخطوط دون رقم، خزانة الشيخ عبد القادر المغيلي، الحي الغربي، أدرار، الجزائر، ج1 .

19- مخطوط السيرة الذاتية للشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني، خزانة شاري الطيب، كوسام

20- مخطوط رسالة فيما يجوز للحاكم في ردع الناس عن الحرام، خزانة أحفاذ المغيلي، زاوية الشيخ المغيلي .

21- مخطوط رسم نسب العائلة البكرية، بخزانة زاوية سيدي البكري، تيمي، أدرار، الجزائر

المصادر المطبوعة

1- أبو عبد الله الطالب مُحَمَّد البرتلي ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، ط1، تحقيق: ابراهيم الكتاني، مُحَمَّد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981م .

2- ابن الدين الأغواطي ، رحلة الأغواطي، ترجمة: أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م .

3- أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، دار المعرفة، الرباط، 1991م .

4- أحمد الأمين الشنقيطي ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الطبعة الثانية، القاهرة، 1958م

5- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشيةإلى الديار النورانية (ماء الموائد)، تحقيق: سعيد الفاصلي وسليمان القرشي، ج1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات، أبو ظبي، 2006م .

6- أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد بن القاسم القندوسي ، شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى، تحقيق: حمادي عبد الله، خونا أحمد محمود الجكني، الجزائر، دار الهدى، 2008م.

7- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: كولان وليفي بروفينسال، بيروت، 1848م .

8- أحمد الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: جماعة بإشراف مُحَمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1995م .

9- القلقشدي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، مطبعة حكومة الكويت، 1985م

10- الحسن الوازن ابن مُحَمَّد، وصف إفريقيا، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983م ترجمة: مُحَمَّد حجي ومُحَمَّد الأخضر، بيروت، ج2 .

11- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي ، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، 1981م .

12- عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة، حجر عاصمي، بيروت دار المكتبة الهلال، 1988م

13- عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إبن حزم، بيروت، لبنان، ج2، 2004م.

14- مُحَمَّد بن عبد الله ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: عبد الهادي التازي، الرباط أكاديمية المملكة المغربية 1997م .

15- مُحَمَّد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق :خير الدين شترة، دار كردادة، الطبعة الأولى، 1433هـ / 2012م(04 / 414) .

16- مُحَمَّد مختار السوسي ، المعسول، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1962م.

17- مولاي أحمد الطاهري الإدريسي ، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة الشاري الطيب، كوسام، تحقيق: مولاي عبد الله الطاهري، الجزائر، دون دار النشر، 2010م

18- مُحَمَّد محفوظ القسطني الدلدولي، روض الزهر اليانع على مشروع المقنع في علم كان لأبي مقرع، تحقيق: عبد الله اسماعيلي، دار المقامات، الجزائر، 2012م .

19- مُحَمَّد بن مُحَمَّد مخلوف ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1930م .

20- المراسلات موجودة في كتاب غاية الأماني من أجوبة أبي زيد التنيلاني الذي جمعه ورتبه الشيخ عبد الكريم بن مُحَمَّد بن عبد المالك البلبالي .

المراجع باللغة العربية

1. أبو القاسم سعد الله، بحوثفي التاريخ العربي الإسلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م .

2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10ه إلى الفرن 14ه، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1500م إلى 1830م

4. أبا الصافي أحمد جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، تلمسان، 2011م عن مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، الشيخ سيدي مُحَّد بن عبد الكريم، خزانة تمنطيط، أدرار

5. أبا الصافي أحمد جعفري، رجالات في الذاكرة، مُحَّد بن أب المزمري وأثره، ط1، الجزائر، دار الكتاب العربي .

6. إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837م – 1934م للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م .

7. إبراهيم مياسي، توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، 1881م-1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد

8. أبو بكر أحمد المصطفى، منح الرب الغفور في ماأهمله فتح الشكور، تحقيق: مُحَّد الأمين بن حمادي، منشورات ens، سنة2011م

9. أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م

10. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1983م .

11. أيف لكوست، بريتان أندري، أندري نوشي، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة: اسطنبولي رابح وآخرون، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية، الجزائر، 4984م

12. أحمد الأزرق ، الكتاتيب القرآنية في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، طبع 2002م

13. أحمد العماري ، توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب، ط1، منشورات كلية الأداب، جامعة فاس، 1988م

14. الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984م

15. الحاج أحمد الصديق ، العلاقات الثقافية بين توات و الحواضر المجاورة جامعة أدرار

16. الشيخ بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث (واقع التراث الجزائري بين المعلوم والمجهول) مراجعة وتقديم عثمان بدوي، منشورات تالة، الجزائر، ط1، 2002م ج1

17. – الجيلاني بن عبد الحكم، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية، المطبعة الخلدونية، تلمسان، الجزائر، 1372 هـ / 1952 م

18. بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر، 1830 م – 1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2012 م

19. بيتر، س لويد، إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، جانفي، 1958م . الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6هـ – 7هـ / 12م – 13م، دار الهدى للطباعة والنشر، مليلة، 2004م .

20. بن علي مُحَّد بوزيان، واحة فكيك (فقيق)، تاريخ وأعلام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1987م .

21. تيه بن موسى ، سيدي أحمد بن موسى الكرزازي ، حياته و مآثره

22. حبيب بريك الله ، الحياة الثقافية والاجتماعية بمدينة تندوف خلال القرنين 19م و20م، المركز الجامعي، تندوف .

23. حسن ابراهيم حسن، انتشار الإسلام والعربية فيما يلي الصحراء الكبرى، ط3، مكتبة النهضة العصرية، القاهرة، 1983م

24. خير الدين شترة، الشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكرة الإصلاحي في توات والسودان الغربي، الجامعة الإفريقية، الجزائر

25. دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، ملتقى بشار ،2010م منشورات وزارة الشؤوون الدينية والاوقاف، الجزائر، سلسلة القوفل العلمية (2) .

26. رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، 1931م – 1956م، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م

27. زاهية جويرو، الإسلام الشعبي، الطبعة الاولى دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2007م

28. صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المراحل الكبرى الجزائر، دار الفجر للطباعة والنشر، ط1، 2005 .

29. عبد الله حمادي الإدريسي ، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بوادي الساورة وفروعها بالصحراء المغربية، تاريخا ومناقب وبطولات، 2012م

30. عبد الله حمادي الإدريسي ، إتحاف بني قومي ببعض أخبار حاضرة تاغيت وبلادها بني قومي .

31. عبد الله حمادي الإدريسي ، صحراء بلاد بشار بنادق ومواقف وأشعار في مواجهة الإستعمار، وزارة الثقافة، الجزائر، دار بوسعادة، ط1، 2013م .

32. عبد الله حمادي الإدريسي ، الإختصار من تاريخ قصر بشار وماجاورها من القصور والديار، دار الكتاب الملكي، وزارة الثقافة، الجزائر

33. عبد الله حمادي الإدريسي ، مناقب ومآثر آل بلعمش الجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف، سلسلة إحياء التراث التاريخي والثقافي لولاية بشار وصحاري جوارها الجزائرية، دار بوسعادة، وزارة الثقافة، الجزائر .

34. عبد الله حمادي الإدريسي ، تندوف وتحكانت تاريخا ومناقب وبطولات، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، دار الكتاب الملكي، حرية الفكر .

35. عبد المجيد قدي ، صفحات من تاريخ منطقة أولف، دار الأبحاث، الجزائر

36. عبد القادر باجي ، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية توثيقية ،ج1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، تلمسان، 2011م .

37. عبد القادر باجي ، الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية تحليلية وتوثيقية، ج2، منشورات وزارة الشؤن الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011م .

38. عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الجزائر مطبعة الطباعة العصرية، 2010م .

39. عبد الحميد بكري ، سلسلة علماء توات ، الجزء الأول

40. عبد الله عباس ، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيرها في البلاد السودان الغربي، خلال القرن التاسع الهجري والعاشر الهجري ماجستير، جامعة الجزائر.

41. عبد القادر باخو ، طريقة تعليم وتحفيظ القرآن بولاية أدرار، رسالة المسجد، الجزائر، 2004م .

42. عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الصحراء، ج1، مطبوعات وزارة الاوقاف ،المغرب 1976.

43. – عبد الحق المعزوز ،العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، عاصمة الثقافة الإسلامية، ط1، 2011م .

44. عبد الرحمن الجوزي، ذاكرة الماضي في حياة أولاد القاضي، بحث مكتوب بواسطة الحاسوب .

45. – عبد الله مقلاتي وآخرون، دور أقاليم توات خلال الثورة الجزائرية 1956م-1962م، وزارة الثقافة، الجزائر ،2008م.

46. عبد القادر حلواش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة للنشر 2010م .

47. عباس كحول ،زوايا الزيبان العزوزية مرجعية علم وجهاد، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة ،2013م

48. – علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة مُحَّد يحيان، دار الحكمة الجزء الرابع، الطبعة الثانية، الجزائر 1999م

49. عبد الحليم بوبكر وعبد السميع بوبكر ،منهج الشيخ المولود الحافظي في التربية والتعليم، من خلال مراسلاته تلميذه الشيخ علي بوبكر الزموري، صدر ها الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني للترقية الفنون والأداب بمناسبة الذكرى الخمسين للاستقلال منشورات ألف صفحة .

50. عبد الله كروم، التأثيرات السياسية في عصر المغيلي، دراسة تاريخية حول الإمام المغيلي .

51. عبد السلام فيلالي، الجزائر الدولة والمجتمع، الطبعة الاولى، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع العربي .

52. عبد العزيز لشهبي ، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب وهران، 2007م .

53. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين،مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط، لمحمد بن بابا حيدة، ديوان المطبوعات الجامعية، تلمسان، 2007م .

54. مُحَمَّد نسيب ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ،دار الفكر، الجزائر 1989 .

55. مُحَمَّد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات ومايربط توات من الجهات، الجزائر، دار هومة، المجلد الثاني، طبعة 2011م

56. مُحَمَّد باي بلعالم ، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، دار هومة، الجزائر، طبعة 2011م

57. مُحَمَّد باي بلعالم ، الغصن الدان في ترجمة وحياة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، الجزائر، دار هومة، 2044م .

58. مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، المجلد الأول المعرفة الدولية للنشر والتوزيع الجزائر، رحلات جزائرية (4) تلمسان

59. مُحَمَّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاجر العروس من جواهر القاموس تحقيق مصطفى حجازي، راجعة احمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي وخالد عبد الكريم بوجمعة، طبع 1419هـ/1998م، مطبعة حكومة الكويت ن ج 30 .

60. مقدم مبرك، الشيخ بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، إسهاماته في نشر الثقافة الإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن 9هـ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران ن 2004م

61. مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي ، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م .

62. مُحَمَّد بن عبد الله المقدي ، التصوف بين التمكين والمواجهة، دار الصفوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م .

63. – مصطفى الشكعة ، الأئمة الأربعة، ترجمة أبي حنيفة، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط3، 1991م .

64. مولاي التهامي غيتاوي ، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير، رحمة الله ورضي عنها، منشورات ANER .

65. مولاي التهام غيتاوي ي ، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة احمد بن موسى منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004م

66. مُحَمَّد الصالح حوتية ، توات والأزواد خلال القرنين 12هو13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، ج1، الجزائر، 2007م

67. مُحَمَّد الصالح حوتية ، توات والأزواد خلال القرنين 12هـ و13هـ، دراسةتاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، ج2، الجزائر، 2007م .

68. مختار حساني ، تاريخ الجزائر الوسيط، ج2، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، وزارة الثقافة

69. مُحَمَّد حسوني ،اللبانة الرمزية، مطبعة الريان، 2007م

70. مُحَمَّد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء الأول، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر ،2007م

71. – ميلود سرير ، دور الزوايا الثقافي والعلمي في منطقة توات، ج2، جامعة أدرار، 2000م

72. محمود كعت التنبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تعليق د. آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 1435هـ / 2014م م، بيروت .

73. مُحَمَّد برشان ،الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة بشار (1903-1962)، دار أم البراهين للنشر والتوزيع .

74. - مصطفى بن دهينة، قطوف من تاريخ تندوف، مقاربة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، الجزائر، 2010م، المجلس الأعلى للغة العربية

75. مؤيد صلاح العقبي، الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت 2002م.

76. مولاي عبد الله اسماعيلي، دراسة وتحقيق نقل الرواة عمن أبدع قصور توات للشيخ مُحَمَّد بن عمر بن حبيب البوداوي ،دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2015 م الطبعة الاولى

77. مُحَمَّد عبد العزيز سيد عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الجزائر، 2002م

78. -مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر ،جامعة احمد دراية، أدرار، الجزائر .

79. مبارك جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، دار السبيل، ط1، الجزائر، 1430هـ / 2009م

80. مُحَمَّد يحي الولاتي، رحلة الولاتي من تندوف إلى ولاتة، جزء خاص من الرحلة الحجازية، تحقيق بريك الله حبيب، طبعة دار الإرشاد، 2011م

81. - مُحَمَّد سالم بن لحبيب بن لحسن بن عبد الحي، جوامع المهمات في أمور الرقيبات تحقيق مصطفى ناعمي، تحت إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

82. - يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الدولية والوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999م .

83. يحي بوعزيز ، ثوارات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، جزاءان، الطبعة الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ج1 .

84. يحي بوعزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2011م .

الرسائل و الأطروحات الجامعية.

1. أحمد عاشوري، الأصول السوسيوثقافية في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب بولاية النعامة نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه علوم في علم الاجتماع تحت إشراف حمداوي مُحَمَّد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان .

2. الحاج أحمد الصديق ، المراسلات اللغوية بتوات، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2008م – 2009م .

3. أحمد بوسعيد ، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ / 18م، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ العام، تخصص التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي، إشراف حوتية مُحَمَّد، جامعة أدرار، أحمد دراية، 2011م – 2012م .

4. الغالي بن لباد ، الزوايا في الغرب الجزائري، التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة أنثروبولوجية بمنطقة بسكرة، أطروحة دكتوراه، علوم اجتماعية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانيةوالاجتماعية، جامعة سطيف، 2014م – 2015م .

5. البشير قلاتي ، منهج التربية الروحية عند الصوفية، مذكرة موجهة لطلبة سنة 2 ماستر دعوة ثقافية إسلامية، 2011م .

6. حليمة نشاش ومريم عدو، الزوايا والطرق الصوفية بتوات ودورها في محاربة الاستعمارالفرنسي، 1899م – 1962م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، الجامعة الإفريقية، أحمد دراية، أدرار، 2012م – 2013م .

7. خليل كمال، المدارس الشرعية الثلاثة في الجزائر، التأسيس والتطور، 1830م – 1951م .

8. خليل مسعود، مُحَمَّد بالي، زاوية الشيخ بلعموري بسيدي عيسى ودورها الدعوي والتعليمي، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية، تخصص دعوة وإعلام، تحت إشراف علي خضرة .

9. مسعودي زهرة، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18م إلى القرن 20م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، تحت إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، 2009م .

10. سفيان جوادي ، يحيا محجوبة، أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) على عادات وتقاليد المجتمع بتندوف، دراسة ميدانية لعينة من سكان تندوف، إشراف صفاح أمال، مذكرة ماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2019م – 2020م .

11. عبد القادر أباقادر ، ألفية الغريب نظم مُحَمَّد الزجلاوي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2008م – 2009م تحت إشراف جامعة أدرار .

12. عثمان زقب ، السياسة الفرنسية في الجزائر، 1830م – 1914م، دراسة في الأساليب الإدارية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015م .

13. عبد الصمد فندو قومة، مُحَمَّد غنجور، دراسة تحليلية وصفية الزاوية البكرية بتمنطيط نموذجا، رسالة ماستر، كلية الأداب واللغات، قسم الفنون، إشراف شمسية فايزة، جامعة المدية، 2015م – 2016م

14. عبد السلام بلعالم الأسمر، الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، رسالة لنيل درجة دكتوراه في العلوم الإسلامية، قسم الفقه وأصوله، تحت إشراف . سعيد فكرة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015م – 2016م .

15. فايزة حرزي، الزوايا ودورها في التصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، 1830م – 1945م، مذكرة ماستر، فرع التاريخ، جامعة مُحَمَّد خيضر، بسكرة، 2019م .

16. فاطمة محجوبي ، رحالي الضاوية، الزاوية والتنمية السياسية في الجزائر، التنشئة السياسية والمشاركة السياسية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، شعبة العلوم السياسية، تخصص سياسات عامة وتنمية، إشراف جمال زيدان، 2015م – 2016م، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة .

17. مُحَمَّد الصالح حوتية ، قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد، ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1992م – 1993م .

18. مُحَمَّد قومي ، دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9هـ -10هـ / 15م – 16م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، 2013م – 2014م .

19. مُحَمَّد هقاري ، التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان المنطقة مابين 1850م – 1916م، دكتوراه، إشراف أحمد مريوش، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2015م – 2016م .

20. نور الدين محابيب ، الأطر الثقافية للهوية ومرجعيات المقدس، دراسة أنثروبولوجية لطبيعة التكتل السكاني في الجنوب الغربي الجزائري، القنادسة وتاغيت نموذجا، مذكرة تخرج لنيل الدكتوراه في العلوم، تحت إشراف مهدي العربي، 2014م – 2015م .

21. نور الدين طوابة ، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، فقه وأصول ،أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التواتية، فتاوي الشيخ عبد الكريم البلبالي نموذجا، 2015م – 2016م .

22. هاجر عطيلي موقف الاحتلال الفرنسي من المؤسسات العلمية والدينية في الجزائر، 1830م – 1938م، مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر، تحت إشراف مُحَمَّد الحاكم بن عون، 2018م – 2019م .

القواميس والأطالس

1. مُحَمَّد جدار، أطلس الوطن العربي بالصورة والتعليق، قصر الكتاب، البليدة .

2. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، تركيا، 1989م .

الملتقيات والندوات

1. أمُحَمَّد الكنتي، دور آل كنتة في نشر الإسلام، أعمال الملتقى الثاني حول دور آل كنتة في نشر الثقافة الإسلامية المنعقد بتاريخ 20 ماي 2004م زاوية كنتة أدرار .

2. إبراهيم بلبالي ، التأثير الثقافي الفكري لحاضرة تلمسان على توات في القرن 9هـ من خلال نوازل الونشريسي، نازلة يهود توات، الملتقى الوطني الأول حول العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009م

3. الحاج احمد الكنتي ، التعريف بشخصية احمد الرقادي الكنتي مؤسس الزاوية الرقادية، الملتقى الثاني حول دور ال كنتة في نشر الثقافة الاسلامية، زاوية كنتة، 20ماي 2004م.

4. حميدة بن زيطة ، محاضرة حول الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، في الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار يوم 1،2،3 ماي 2000 م بدار الثقافة أدرار .

5. حسيبة بلاطش، مداخلة الملتقى الوطني حول التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16و20م، يومي 16/15اكتوبر 2017م، جامعة الشهيد حمى لخضر، الوادي، عنوان المداخلة "الازدهار الاقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي مابين القرنين 16و20م.

6. سيدي سليمان بن علي، جمعية السجل الذهبي لشهداء المقاومة الشعبية الثورة التحريرية الكبرى لولاية أدرار

7. عبد الكريم دباغي، جهود الشيخ الفقيه ،أعمال الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير ،المذهب المالكي وجهود علماء المنطقةفي نشره وترسيخه ،أدرار ،10-11رجب1431هـ/23-24جوان2010م

8. عبد الرحمن بعثمان ، مداخلة بعنوان: الدور العلمي للزاوية التينلانية ملتقى أعلام توات، ادرار19، 20افريل، 2010م

9. فضيلة مبارك ، صحوة المغيلي وثورته ضد يهود تمنطيط، الملتقى الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية إبان العصر الحديث، 150م-2000م، ادرار2010م .

10. فقه النوازل في المغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ولاية عين الدفلة، دار الثقافة، 13-14 جمادى الأول 1431هـ/28-29افريل 2010م الدكتور بوعبد الله وزير الشؤون الدينية

11. مُحَمَّد أمين المؤدب ، جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء

12. مُحَمَّد الرقادي الكنتي، الزاوية الكنتية الرقادية في نشر العلم والمعرف وايواء الضيوف، الملتقى الاول حول الزوايا ادرار، ماي 2000م

13. مُحَمَّد أحمد لوح ، التعليم العام ومناهجه، السنغال نموذجا عميد معهد الدراسات الإفريقية في السنغال، 28-2009/04/28م ميامي، النيجر

14. مُحَمَّد جرادي، النوازل التواتية منهجها وخصائصها، أعمال الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي مُحَمَّد بلكبير، تحت عنوان الفقه المالكي في بلاد توات، اجتهادا وتدريسا .

15. مولاي عبد الله اسماعيلي، دور الزاوية الرقانية في المقاومة الوطنية والكفاح المسلح نشرية خاصة بالملتقى الوطني للبعد الروحي للمجتمع الجزائري ودوره في تحقيق الاستقلال، ولاية أدرار، يومي 15و16 ديسمبر 2012 م

16. ملتقى بشار 2010، دور علماء الساورة في خدمة الثقافة الجزائرية، سلسلة القوافل العلمية 2، منشورات وزارة الشؤون الدولية والأوقاف، الجزائر

17. مُحَّد المأمون مصطفى القاسمي الحسني ،واقع الزوايا اليوم ،الملتقى الوطني الأول للزوايا، أدرار ،محرم 1421هـ/ ماي 2000م.

18. مبارك جعفري، الزوايا ودورها التربوي الإسلامي في منطقة توات بالجنوب الغربي الجزائري، مداخلة في المؤتمر الدولي الثاني، رؤية تربوية إسلامية معاصرة، واقع طموح، المعهد العالي للدراسات الإسلامية جامعة آل البيت المفرق المملكة الأردنية الهاشمية، 11/10 أفريل 2012م

19. من محاضرات ملتقى الشعر الحساني بالتراب الجزائري لمنطقة تندوف سنة 2005 م

20. مقدم مبروك، طرق التدريس، الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية وزارة الثقافة والاتصال، جوان، 1994

21. مُحَّد بكراوي، المراجع المعتمدة في التدريس بالزاوية البكرية الندوة الرابعة حول مآثر العلماء البكريين، 10 شوال 1429هـ .

22. ياقوت كلاخي ، من أعلام التواصل الثقافي بين حاضرة تلمسان وإقليم توات، الشيخ مُحَّد بن عبد الكريم المغيلي، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009م

المقالات والمنشورات

1. المهدي البوعبدلي ،اضواء على تاريخ مدينة تمنطيط ودور الامام المغيلي بها في قضية اليهود ،مجلة الثقافة ،العدد 94،جويلية ،اوت 1986.

2. أحمد أبا الصافي جعفري، مقال، زوايا إقليم توات ،النهج الوسطي للزوايا ساهم في إشاعة قيم العيش معا بالمنطقة، جامعة أدرار، الكلمة الافتتاحية

3. أحمد جعفري ،واقع المخطوطات بإقليم توات الكبرى ،مجلة النخلة، تصدرها مدرسة الثقافة ،ولاية ادرار، عدد تجريبي جويلية ، 2005م .

4. الطاهر بخدا ،علاقة حواضر المغرب الاوسط بممالك السودان الغربي الثقافة الاسلامية ، ع12،الجزائر ،2014م.

5. جريدة الفجر ، قصة الزوايا في تجلياتها مع السلطة ،2ماي 2016،?www.al/ar/index-pint?news:21277.

6. خديجة قاسمي ،القضاء بمنطقة توات خلال القرنين 12و13 هجريين 1699-1882م دكتوراه فقه وأصول، مجلة الحوار الفكري ،مجلد 15 ،عدد01، السنة 2020م العدد التسلسلي 20.

7. رضوان شافو ،الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ،ورقلة نموذجا 1944-1962-دار المخابر للنشر، قسنطينة، دون سن النشر .

8. رقية بكراوي ، حركة الشيخ عثمان فوديو الإصلاحية بغرب إفريقيا ،المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية ،مجلة أكاديمية نصف سنوية ،العدد الأول والثاني ،شعبان 1437هـ/جوان2016م

9. زينب سالمي ،الاثر الثقافي والاجتماعي لزوايا توات خلال القرن 11و12هـ/17و18م الزاوية البكرية نموذجا ،اشراف مبخوت بودواية ،مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية .

10. طيب جاب الله ، دور الطرق الصوفية والزوايا في المجتمع الجزائري، مجلة المعارف، العدد 14، جامعة البويرة، الجزائر، أكتوبر 2013م .

11. صوت الغرب الصادر بتاريخ8-122004م.

12. صوت الغرب الصادر بتاريخ 16-11-2004م.

13. عثمان سعدي، مأساة شعب وتبلد ضمير ،مجلة الآداب ،العدد05 ،بيروت لبنان، ماي 1955.

14. عبد الكريم عباس ، العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي ،مجلة كلية التربية السياسية ،جامعة بابل ،العدد04 ايلول ،2010م.

15. ليلى بوزيدي، حصة نقاط على الحروف، قناة الشروق نيوز، 7 أفريل 2016م على الساعة السابعة والنصف

16. مُحَّد عبد الحق بكراوي و مُحَّد المهدي بكراوي، الزاوية البكرية اعلام ومخطوطات الشيخ سيدي البكري عبد الرحمن نموذجا ،مجلة رفوف، العدد الثاني ،ديسمبر 2013م، جامعة أدرار .

17. مبارك جعفري، مقال الزوايا في منطقة توات ودورها في المحافظة على الهوية الوطنية ومقاومة الاستعمار الفرنسي ،جامعة أدرار أحمد دراية، الجزائر .

18. مديرية التخطيط لولاية تندوف، متمثل في مطوية تحت عنوان ورشة التراث ناقل للهوية

19. مجلة القبس، محاضرة للشيخ مُحَّد باي بلعالم ،العدد15، ج1.

20. مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا ،بجامعة أدرار،العدد السادس، مارس 2015م،إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا، مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجا عبد الغني ايمولا عبد السلام، قسم اللغة العربية، جامعة الورن، نيجيريا .

21. محابيب نور الدين، أليات التفاعل ومساند الفعالية الاجتماعية للزاوية الزيانية في قصور الساورة (تاغيت والقنادسة) الجنوب الغربي الجزائري مجلة البدر، العدد01،شهر يناير 2011م،جامعة بشار .

22. يحي بوعزيز ،اوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر ،خلال القرنين 19م و20م في مجلة الثقافة .

المراجع باللغة الفرنسية .

- céard, (l), gens et choses de colomb bechar, archives institut pasteur d'Algérie, Tome 11, N° 01, Alger mars , 1933.

- Gsel , (S) , Histoire Ancien de L'Afrique du Nord , Librairie Hachette , T1, Paris, 1913 .128

129- G, G, A , Tableau de La situation des Etablissements Français dans L'ALgérie , 1866-1865 , P , Xll , geudi 8/2 , Année , N° 1859 EMEG , courrier de L'ALgérie , EMILE , THullier , Les Bureaux Arabes , 1869 .

130- LYAUTEY (PIERRE), Versle Maroc , LETTRE du SudORANAIS , 1903 – 1906 , ParisLIBRAIRIEcolin , 1937.

131- LE Capitaine Dubief et (J) cauneille, les namadesRegueibat , Traveaux de –F – DE la chappele .

- L'Institut recherches Saharienne , T. V l , 1950 .132

133- Esquise d'une histoire du Sahara Occidentale , hesperist , x l , 1930 .

134- LOUIS RINN , Marabouts et khouans , etude sur L'Inslam en ALgérAdolphe Jordan Librairieediteur .

135- M , S , D , O , Commune du Tidikelt , Mongraphie De La Commune du Tidikelt , 1956 .

136- M , S , D , O , Commune du Tidikelt , Poste d'Aoulef" Monographie du Poste d'Aoulef " , 1961 .

مقالات باللغة الفرنسية

205- Flamand , G , B , M; "le Préhistorique dans le sahara et dans le haut pays Oranais" Revue Africain, N° 50, 1906.

206- Russo , Au Pays De Figuig , Bulletin De la société De Géographie Du Maroc , 1er Trimestre , 1923 .

فهرس المحتويات

كلمة شكر وتقدير	
الإهداء	
ملخص الرسالة باللغتين العربيةواالأجنبية	
المقدمة.	08-1
الفصل التمهيدي: الجغرافية التاريخية والحضارية لإقليم الجنوب الغربي للجزائر	54-09
المبحث الأول: الموقع الجغرافي والفلكي للإقليم وأهميته التاريخية	13-10
المبحث الثاني: التطور التاريخي والعلمي لإقليم الساورة	27-14
المبحث الثالث: التطور التاريخي والعلمي لإقليم تندوف	33-28
المبخث الرابع: التطور التاريخي والعلمي لإقليم توات	50-34
الفصل الأول:.الزوايا العلمية بالجزائر والجنوب الغربي"النشأة والتطور	127-55
المبحث الأول:نشأة الزوايا في الجزائر وتطورها في مجتمع الصحراء"الماهية والمميزات"	69-56
المبحث الثاني: تفريعات الزوايا ومناهجها.	75-70
المبحث الثالث: الزوايا الرائدة للحركة العلمية والثقافية بإقليم الجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين (11هـ/12هـ)و(17م/18م)	108-76

المبحث الرابع:من أعلام الزوايا العلمية بالإقليم	127-109
الفصل الثاني: الدور الاجتماعي للزوايا العلمية..	211-128
المبحث الأول: الزوايا العلمية والسياسة الاستعمارية	147-129
المبحث الثاني: الدفاع عن الهوية الإسلامية	156-148
المبحث الثالث: الأدوار التربوية للزوايا العلمية بالإقليم	191-157
المبحث الرابع: من مظاهر النشاط الاجتماعي للزوايا العلمية	198-192
المبحث الخامس:دور الزوايا في الحياة السياسية والوطنية	211-199
الفصل الثالث: الدور الثقافي للزوايا العلمية	263-212
المبحث الأول: أهمية زوايا العلم وأثرها في تطور الحركة العلمية والثقافية بالإقليم	225-214
المبحث الثاني: الزوايا العلمية وأثرها في انتشار الإسلام بالصحراء الكبرى والسودان الغربي	236-226
المبحث الثالث:مكامن الحراك الثقافي وموطنه	244-237
المبحث الرابع: الزوايا وروافد الفكر والمعرفة بالصحراء الكبرى والسودان الغربي	254-245
المبحث الخامس: مظاهر النشاط العلمي والفكري للزوايا العلمية	263-255
الخاتمة.	269-264
الملاحق	282-270

قائمة المصادر والمراجع	303-283
ثبت محتويات الدراسة	307-304